سلسلة الرسائل الجامعية (١٤١)

موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام

وإبطال شبهاتهم حوله

تأليف

الدكتورة سارة بنت حامد بن محمد العبادي

عضو هيئة التدريس بكلية التربية - جامعة طيبة بالمدينة المنورة

مكتبة الرشد
ناشرون

موقف اليهود والنصارى

من المسيح عليه السلام

وإبطال شبهاتهم حوله

© سارة حامد العبادي ، ١٤٢٦ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر

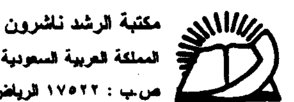
العبادي ، سارة حامد
موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وابطال شبهاتهم حوله . _ الرياض ؛ ١٤٢٦ هـ

...ص ؛
ردمك : ١ - ٢٧٠ - ٤٧ - ٩٩٦٠

١ - المسيح (عليه الصلاة والسلام) أ . العنوان
ديوي ٢٧٣٠٦ ١٤٢٦ / ٢٣٥

رقم الايداع : ٢٣٥ / ١٤٢٦
ردمك : ١ - ٢٧٠ - ٤٧ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م



مكتبة الرشد ناشرون
المملكة العربية السعودية – الرياض – شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)
ص.ب : ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ فاكس ٤٥٧٣٣٨١

Email.alrushd@alrushdryh.com
Website : www.rushd.com

- فرع طريق الملك فهد : الرياض – هاتف ٢٠٥١٥٠٠ فاكس ٢٠٥٢٣٠١
- فرع مكة المكرمة : هاتف ٥٥٨٥٤٠١ فاكس ٥٥٨٣٥٠٦
- فرع المدينة المنورة : شارع ابى ذر الغفارى – هاتف ٨٣٤٠٦٠٠ فاكس ٨٣٨٣٤٢٧
- فرع جدة : ميدان الطائرة – هاتف ٦٧٧٦٣٣١ فاكس ٦٧٧٦٣٥٤
- فرع القصيم : بريدة – طريق المدينة – هاتف ٣٢٤٢٢١٤ فاكس ٣٢٤١٣٥٨
- فرع أبها : شارع الملك فيصل – تلفاكس ٢٣١٧٣٠٧
- فرع الدمام : شارع الخزان – هاتف ٨١٥٠٥٦٦ فاكس ٨٤١٨٤٧٣

وكلاؤنا في الخارج

- القاهرة : مكتبة الرشد – هاتف ٢٧٤٤٦٠٥
- بيروت : دار ابن حزم هاتف ٧٠١٩٧٤
- المغرب : الدار البيضاء – وراقة التوفيق – هاتف ٣٠٣١٦٢ فاكس ٣٠٣١٦٧
- اليمـــن : صنعاء – دار الآثار – هاتف ٦٠٣٧٥٦
- الأردن : عمان – الدار الأثرية ٦٥٨٤٠٩٢ جوال ٧٩٦٨٤١٢٢١
- البحرين : مكتبة الغرباء – هاتف ٩٥٧٨٣٣ – ٩٤٥٧٣٣
- الإمارات : مكتبة دبي للتوزيع هاتف ٤٣٣٣٩٩٩٨ فاكس ٤٣٣٣٧٨٠٠
- سوريا : دار البشائر ٢٣١٦٦٦٨
- قطـــر : مكتبة ابن القيم – هاتف ٤٨٦٣٥٣٣

موقف اليهود والنصارى

من المسيح عليه السلام

وإبطال شبهاتهم حوله

تأليف

الدكتورة سارة بنت حامد بن محمد العبادي

عضو هيئة التدريس بكلية التربية - جامعة طيبة بالمدينة المنورة

مكتبة الرشد
ناشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

[سورة آل عمران، الآية ٦٤]

قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾

[سورة النساء، الآيات ١٧١، ١٧٢]

إهداء

ـ إلى كل باحث عن الحقيقة منصف.

ـ إلى كل مسلم مؤمن يريد الاطمئنان أن دينه هذا حق وصدق ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

ـ إلى من شجعني وآزرني ورافقني في أسفاري لآلاف الأميال بعداً عن وطني لجلب المصادر والمراجع زوجي العزيز الدكتور أحمد عابدين ملا.

ـ إلى أحبائي وزهرات عمري ابنتي علا وأولادي الأعزاء.

أهدي هذا البحث.

سـارة

المقدمة

الحمد لله ﴿الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾(١).

الحمد لله المستحق للعبادة والمتفرّد بالخلق وحده دون سواه. والذي قد حرّم الشرك في عبادته على خلقه، وجعله ظلماً عظيماً حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾(٢).

والحمد لله الذي جعل عبادته على خلقه شرفاً عظيماً وأي شرف.. وخضوعهم له كرامة وأي كرامة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾(٣).

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن نبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين.

وأشهد أن عيسى بن مريم عبد الله ورسوله المبعوث رحمةً إلى بني إسرائيل ليكمل لهم دينهم، وليحلّ لهم بعض ما حرم عليهم، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم ونوح إلى نبينا محمد الذين دعوا إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وبعد..

فلما كان موضوع رسالتي ـ السابقة ـ للماجستير (التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة).. وفيه وضّحت مدى ما احتوته هذه الأناجيل من التحريف ومظاهره، وما احتوته أناجيل النصارى الأربعة: متّى، ومُرقص، ولوقا، ويوحنا ـ من تناقض. سواء أكان التناقض في كل إنجيل على حدة، أو التناقض فيما بين

---

(١) سورة الحشر، الآية ٢٣.

(٢) سورة لقمان، الآية ١٣.

(٣) سورة الذاريات، الآيات ٥٦، ٥٧.

نصوص الأناجيل الأربعة أو تناقضها في موضوع بذاته اشتركت في روايته، وبما أن الأناجيل الأربعة جزء من العهد الجديد، وهو جزء من الكتاب المقدس، فما ينطبق على الجزء ينطبق على الكل وما جاز لأحد المثلين جاز للآخر، لذلك رأيت أن أواصل البحث في موضوع يُعد امتداداً له وهو: «موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله».

والمسيح عليه الصلاة والسلام - يُعد المحور الذي تدور حوله جميع أبواب وفصول، بل وفقرات هذه الرسالة، ولا أعتقد أن هناك شخصية اختلفت وتباينت فيها الآراء والمعتقدات كشخصية المسيح عليه السلام حيث تباينت آراء أرباب الديانات الكبرى الثلاث تبايناً واضحاً، والبون في ذلك شاسع وكبير، حيث أن اليهود يتّهمونه وأمّه باتهامات يندى لها الجبين، ومما يتّهمون به أمّه - تلك السيدة الطاهرة البتول - بأنها أتت به من الفاحشة!!، وأنه مُخلد في لجات الجحيم بين القار والنار!! وأما معجزاته فقد كانت بفعل السحر!! إلى آخر السباب والتهم الفاحشة الآثمة التي احتواها تلمودهم المزيف الحاقد الآثم.

أما النصارى - وهم أرباب هذه النحلة، وأصحاب هذا الكتاب، وإليهم يُنسب هذا الدين، والأجدر بهم أن يبحثوا عن الاعتقاد الصائب السليم المستقيم فيلتزموه - فكانوا على عكس اعتقاد اليهود فيه تماماً، فقد اعتقدوا فيه الألوهية وأنه إلٰه ابن إلٰه، قديم كقدم الإلٰه!! وأن الإلٰه قد حلّ فيه!! فأصبح جزء منه لاهوتياً وآخر ناسَوتياً!! وأنه نزل وتجسّد وعاش بين البشر ليُصلب تكفيراً عن خطيئة البشر التي انتقلت إليهم وراثياً من أبيهم آدم، لأكله من الشجرة المحرّمة المنهي عنها!! وأنه لا يمكن تكفير هذه الخطيئة الشنيعة إلاّ بصلب ابن الإلٰه ليكون فداءً عن البشرية الآثمة!! هذا ما يعتقده فيه النصارى.

أما المسلمون فهم أمةٌ وسطٌ، ليكونوا شهداء على الناس ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1] واعتقاد المسلمين في المسيح عليه السلام هو الاعتقاد الحق بدون إفراط ولا تفريط، يعتقدون ما جاء به الكتاب الكريم والسُّنة النبوية المطهّرة ومصدرهما الوحي من الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝﴾[2].

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٢) سورة النجم، الآيات ٣، ٤.

يعتقد المسلمون فيه ما أمرهم الله تعالى به من أنه نبي كريم، بل من أُولي العزم من الرسل، مؤيد بالمعجزات وأنه عبد الله ورسوله.

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾[١].

وكان من دوافع اختياري لهذا الموضوع ـ أيضاً ـ المساهمة في الدعوة إلى الله تعالى، ورداً لكيد المبشّرين إلى نحورهم حيث أنهم لا يألون جهداً في نشر دينهم هذا في كل مكان وبين جميع الشعوب وخاصة تلك الشعوب المغلوبة على أمرها والمستعمرة والفقيرة والمنكوبة، فهم يأتون بالغذاء والكساء والعلاج مقروناً بالتبشير إلى دينهم، وإن لم يكن عملهم ذاك دعوةً دينيةً خالصةً، وكان حركة سياسية استعمارية واستخدام الدعوة إلى الدين كوسيلة للسيطرة على الشعوب لاستعمارها واستنزاف خيراتها واستعبادها، وهم يستخدمون في ذلك وسائل كثيرة كبناء الكنائس والملاجىء والمدارس والمستشفيات التبشيرية، وكتأليف الكتب والمجلاّت والنشرات، وتوزيعها بين تلك الأقوام المنتسبين للإسلام اسماً ويجهلون معظم تعاليمه فيكونون ضحيةً سهلة ولقمةً سائغة لهؤلاء المبشّرين لتضليلهم.

لهذا كان لزاماً على كل مسلم يعتزّ بدينه وقد تمكّن الإيمان في قلبه أن يدافع عن دينه هذا بكل ما يملك من وسائل، والدعوة إليه بلسانه وقلمه.

وقد كنت أثناء كتابتي لبحثي هذا عندما أتحدث عن عقائد القوم سواء اليهود أم النصارى أعتمد في نقل عقائدهم من كتبهم المقدّسة، والكتب المؤلّفة والمسلمة لديهم لتكون الحجّة أقوى والبيّنة أظهر.

وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة وقد سلكت في كتابتها المنهج التالي:

الباب الأول: وقد خصصته للكلام عن: (المسيح عليه السلام عند اليهود) ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: كان بعنوان: (المسيح وأمه مريم عليهما السلام بأسفار اليهود)

الفصل الثاني: فقد تحدثت فيه عن: (موقف اليهود من المسيح عليه السلام)

---

(١) سورة المائدة، الآية ٧٥.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إعتراف اليهود بمواقفهم العدائية من المسيح عليه السلام من خلال مؤلفاتهم ودوائر معارفهم.. ويشتمل على ست مسائل:

المسألة الأولى: موقف اليهود عامةً من السيد المسيح عليه السلام.

المسألة الثانية: موقفهم ورأيهم في تعميده عليه السلام.

المسألة الثالثة: موقفهم من معجزاته عليه السلام.

المسألة الرابعة: موقف اليهود من قصة القبض على المسيح عليه السلام وصلبه كما يزعمون.

المسألة الخامسة: موقف اليهود من السيدة مريم أم المسيح عليها السلام.

المسألة السادسة: مقارنة بين المسيح اليهودي، والمسيح النصراني.

المبحث الثاني: موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال أسفار النصارى المقدسة.

المبحث الثالث: موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال آيات الذكر الحكيم.

وأما الباب الثاني: فقد كان الحديث فيه عن: (المسيح عليه السلام عند المسيحيين). ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مريم عليها السلام في العهد الجديد. ويندرج تحت هذا الفصل خمسة مباحث:

المبحث الأول: معنى لفظ مريم والعذراء.

المبحث الثاني: خطبة يوسف النجّار لمريم عليها السلام.

المبحث الثالث: بشرى الملاك للسيدة مريم وقصّة وضعها لابنها المسيح عليهما السلام.

المبحث الرابع: رحلة السيدة مريم عليها السلام في العقيدة الكاثوليكية والأثوذكسية.

المبحث الخامس: السيدة مريم عليها السلام في العقيدة البروتستانتية.

المبحث السابع: السيدة مريم عليها السلام في أيامها الأخيرة.

الفصل الثاني: فقد خصّصته للحديث عن: (المسيح عليه السلام حياته

ودعوته كما يصوّرها العهد الجديد) ويشتمل على تسعة مباحث:

المبحث الأول: في ميلاد المسيح عليه السلام.

المبحث الثاني: طفولته وصباه ونموه عليه السلام كما يصوّر ذلك العهد الجديد.

المبحث الثالث: معموديته وتجربته عليه السلام كما ورد ذلك في العهد الجديد.

المبحث الرابع: آيات ودلائل (معجزات) المسيح عليه السلام كما وردت في العهد الجديد.

المبحث الخامس: الحديث عن القبض عليه، ومحاكمته.

المبحث السادس: صلبه كما يزعم النصارى في أناجيلهم.

المبحث السابع: تكفينه ثم دفنه كما تروي أناجيلهم.

المبحث الثامن: قيامته من قبره كما يزعمون.

المبحث التاسع: صعوده إلى السماء.

الفصل الثالث: تحدثت فيه عن: (المسيح عليه السلام في نظر الفرق المسيحية). ويشتمل على تمهيد ومبحثين:

المبحث الأول: أهم الفرق المسيحية التي ظلّت محافظة على عقيدة التوحيد.

المبحث الثاني: أهم الفرق التي انحرفت عقائدها عن عقيدة التوحيد.

وأما الباب الثالث: فقد خصّصته للكلام عن: (المسيح وأمه عليهما السلام في الكتاب والسُّنة). ويشتمل على تمهيد وفصلين:

الفصل الأول: مريم عليها السلام في الكتاب والسُّنة. ويشتمل أربعة مباحث:

المبحث الأول: البيئة التي نشأت فيها السيدة مريم عليها السلام.

المبحث الثاني: البشارة بعيسى عليه السلام ثم الحمل به وولادته.

المبحث الثالث: فضل الصدّيقة مريم عليها السلام من واقع الآيات الكريمة، ثم من واقع السُّنة النبوية المطهرة.

المبحث الرابع: الآراء في القول بهجرتها، عليها السلام.

الفصل الثاني: فقد تحدّثت فيه عن: (المسيح عليه السلام في الكتاب

والسُّنة). ويشتمل على أربعة مباحث وهي كما يلي:

المبحث الأول: صفاته وميزاته عليه السلام الواردة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: آيات ودلائل نبوّته (معجزاته) عليه السلام.

المبحث الثالث: فضل عيسى ابن مريم عليه السلام من واقع السُّنة النبوية المطهّرة.

المبحث الرابع: نزوله آخر الزمان كشرط من أشراط الساعة.

وقد قدمت الحديث عن السيدة مريم قبل الحديث عن ابنها السيد المسيح عليهما السلام لأنها أصل له وسابقة له في الوجود لا لأنها أفضل منه، ولكي أتحدث عن اصطفاء الله تعالى لها لأبيها عمران عليهما السلام.

وأما الباب الرابع: والأخير فقد كان بعنوان:

(إبطال شبهات اليهود والنصارى حول المسيح عليه السلام). ويظهر من عنوانه بأنه لب القضية، وزبدة هذا الموضوع، والمحور الذي يدور حوله، وقد رددت في هذا الباب على جميع الشبه التي وردت في رسالتي هذه ضد المسيح وأمه عليهما السلام من قِبل اليهود والنصارى.

ويشتمل هذا الباب على تمهيد وفصلين رئيسيين هما:

الفصل الأول: إبطال شبهات وعقائد اليهود حول المسيح وأمه عليهما السلام.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: إبطال شبهات التلمود حول المسيح عليه السلام.

المبحث الثاني: إبطال شبهات اليهود من مؤلفاتهم ودوائر معارفهم. وقد رددت في هذين المبحثين عن جميع الشبه التي وردت ضد المسيح وأمه عليهما السلام والتي وردت في رسالتي هذه من قِبل اليهود.

الفصل الثاني: فقد كان بعنوان: (إبطال شبهات وعقائد النصارى حول المسيح وأمه عليهما السلام).

ويظهر للقارىء الكريم ضخامة هذا الفصل بالنسبة للفصل السابق وذلك لتعدد مباحثه بتعدد شبه وعقائد النصارى حول المسيح عليه السلام، هذا أولاً.. أما ثانياً: فلتوفر المادة العلمية فيه، وذلك لأني أبطل الشبه من قبلي، ثم أعضد أقوالي بما أورده أئمة وعلماء المسلمين الفطاحل رداً، وإبطالاً، ونقضاً لشبه وعقائد حول

المسيح وأمه عليهما السلام.

ويحتوي هذا الفصل على أربعة مباحث، وهي كما يلي:

المبحث الأول: فهو بعنوان: (إبطال عقيدة بنوّة المسيح لله تعالى وألوهيته). ويحتوي على سبع مسائل وهي كما يلي:

المسألة الأولى: بولس ودوره في تحريف العقيدة المسيحية الأصلية.

المسألة الثانية: مجمع نيقيه وفرضه لعقيدة تأليه المسيح بقوة السلطان.

المسألة الثالثة: إبطال دعوى اتخاذ كيفية وجود المسيح عليه السلام ومعجزاته دليلاً على ألوهيته وبنوّته لله تعالى.

المسألة الرابعة: ردود ومناقشات علماء مقارنات الأديان على زعم النصارى بألوهية المسيح عليه السلام.

المسألة الخامسة: إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته عقلاً.

المسألة السادسة: إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته نقلاً.

أ ـ من القرآن الكريم.

ب ـ من السنة النبوية المطهرة.

ج ـ من إنجيل برنابا.

د ـ من العهد الجديد.

المسألة السابعة: بطلان تأليه السيدة مريم والدة المسيح عليهما السلام.

المبحث الثاني: فقد كان بعنوان (إبطال عقيدة التثليث). ويندرج تحت هذا المبحث ست مسائل وهي كما يلي:

المسألة الأولى: معنى التثليث.

المسألة الثانية: أهم النصوص التي يستدلّ بها النصارى على التثليث وإبطال الاستدلال بها.

المسألة الثالثة: المجمع القسطنطيني الأول، وأثره في إقرار عقيدة التثليث.

المسألة الرابعة: اقتباس النصارى عقيدة التثليث من أقوام سبقوهم إليها.

المسألة الخامسة: بطلان عقيدة التثليث عقلاً.

المسألة السادسة: بطلان عقيدة التثليث نقلاً.

أما المبحث الثالث: فقد كان بعنوان (إبطال عقيدة الحلول والاتحاد عند

النصارى). ويشتمل على خمس مسائل:

المسألة الأولى: معنى الحلول والاتحاد.

المسألة الثانية: أهم النصوص التي يستدلّ بها النصارى على الحلول والاتحاد وبطلان الاستدلال بها.

المسألة الثالثة: اقتباس النصارى عقيدة الحلول والاتحاد من الفلسفات والوثنيات القديمة.

المسألة الرابعة: بطلان عقيدة الحلول والاتحاد عقلاً.

المسألة الخامسة: بطلان عقيدة الحلول والاتحاد نقلاً.

المبحث الرابع: فقد تحدّثت فيه عن: (إبطال عقيدة الصلب والفداء عند النصارى)، ويحتوي هذا المبحث على ست مسائل:

المسألة الأولى: معنى الصلب والفداء.

المسألة الثانية: اقتباس النصارى لعقيدة الصلب والفداء من الوثنيات والفلسفات القديمة.

المسألة الثالثة: بولس ودوره في إدخال هذه العقيدة ضمن عقائد النصارى الحالية.

المسألة الرابعة: تناقض الأناجيل الأربعة في رواياتها لحادثة الصلب دليل على عدم صدقها.

المسألة الخامسة: إبطال عقيدة الصلب والفداء عقلاً.

المسألة السادسة: إبطال عقيدة الصلب والفداء نقلاً.

أولاً: من القرآن الكريم.

ثانياً: من إنجيل برنابا.

ثالثاً: من الكتاب المقدس.

أما الخاتمة: فقد كانت في تعداد النتائج التي قد توصّلنا إليها في دراستنا هذه.

ويعلم الله مقدار الجهد والعناء الذي بذلته لإخراج رسالتي هذه على هذا النحو الذي هي عليه.. ومن ذلك الجهد السفر لآلاف الأميال بعداً عن وطني بحثاً عن المصادر والمراجع لرسالتي هذه، ثم السفر ـ أيضاً ـ للبحث عن من يترجم

النصوص من اللغات الأجنبية (العبرية، والفرنسية، والإنجليزية) ثم السهر للكتابة فيها حتى طلوع الفجر في ليالي عديدة ولسنين طويلة.

وقد بذلت غاية جهدي في التعريف بالأعلام الواردة في الرسالة، ومن لم أجد التعريف به اضطررت لتركه.

أحمده وأشكره تعالى على نعمائه الكثيرة التي لا تعدّ ولا تحصى وأن أعانني على إتمام بحثي هذا.

وأسأله تعالى أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم إنه على ما يشاء قدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

الباب الأول

المسيح وأمه عليهما السلام عند اليهود

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول : المسيح وأمه عليهما السلام بأسفار اليهود.

الفصل الثاني : موقف اليهود من المسيح عليه السلام.

الفصل الأول

المسيح وأمه عليهما السلام بأسفار اليهود

كنت أتوقع أن أجد تصريحات واضحة الدلالة عن السيد المسيح[1] عيسى ابن مريم عليه السلام في أسفار العهد القديم[2]، ولكن بعد البحث لم أجد إلا بعض الإشارات عن عليه السلام[3] لذلك، وفي قاموس الكتاب المقدس ـ عندهم ـ تحت عنوان «نبوات وردت عن المسيح في العهد القديم وبيان تمام هذه النبوات في العهد الجديد»[4] فمثلاً يقول:

١ ـ النبوّة على أنه[5] «من نسل المرأة»: ويشير إلى موضع من سفر التكوين:

«وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه»[6] ثم يدعي مؤلفوا هذا القاموس بأن تمام هذه النبوّة في موضع من رسالة بولس[7] إلى أهل غلاطيه:

---

(١) لماذا سُمي بالمسيح؟، انظر: المبحث الأول من الفصل الثاني من الباب الثالث من هذه الرسالة ص ٢٦٧.

(٢) العهد أي الميثاق.

العهد القديم: هو التسمية العلمية لأسفار اليهود، وليست التوراة إلا جزءاً من العهد القديم، وقد تطلق التوراة على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل، والعهد القديم مقدس لدى اليهود ولدى المسيحيين ولكن أسفاره غير متّفق عليها، فبعض أحبار اليهود يضعون أسفاراً لا يقبلها أحبار آخرون.

(٣) انظر مثلاً: المزامير ٩: ٣ـ ١٤، ١٨: ١٦ـ ١٩، ٢٠: ١ـ ٦، ٢١: ١ـ ١٢.

(٤) نخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ط ٦، بيروت ص ٨٦١ـ ٨٦٣.

(٥) أي المسيح عليه السلام.

(٦) تكوين ٣: ١٥.

(٧) لبولس هذا دور كبير وخطير في تحريف المسيحية الأصلية، فقد كان يهودياً من فرقة الفريسيين (بمعنى المنعزلين) ألد أعداء المسيح عليه السلام وكان اسمه شاؤل، وكان إذا خاف على نفسه من العقاب ينتسب إلى الرومان الوثنيين، وكان قبل دخوله المسيحية =

«ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس»[1].

ويشير القاموس إلى أن تمام هذه النبوة أيضاً في موضعٍ من الإنجيل المنسوب إلى لوقا والنص كما يلي:

«فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود إذ لم يكن لها موضع في المنزل»[2].

وفي الحقيقة أنه بمجرّد النظر إلى هذه النصوص لا يجد القارىء أي علاقة بين النص الأول والثاني أو بين الأول والثالث ـ كما اعتقد مؤلفو هذا القاموس ـ أنها نبوءة وردت في العهد القديم وأن تمامها قد ورد في العهد الجديد.

وللغموض الذي يكتنف هذه النصوص، كما هو حاصل لمعظم نصوص الكتاب المقدس وددت أن أنقل بعض الشروح والتفاسير لذلك:

فلتفسير النص الأول من سفر التكوين يقول مفسرو هذا النص.

«دوام العداوة بين الحية والناس فهي تلدغ عقب الإنسان في سبيله وهو يطأها في ذلك السبيل ويسحقها، والواقع ينبئك بكره الناس للحيه مع حسن صور كثير من أنواعها، وقتلى لدغ الحيات في البلاد الحارة كالهند أكثر من قتلى الوحوش المفترسة والعداوة الدائمة بين الإنسان والشيطان أظهر من أن تبين وكره الناس للشيطان غريزي»[3].

«ولما جاء ملء الزمان حسب تعيين الله الآب عندما رأى العالم مستعداً

= يضطهد المسيحيين اضطهاداً شديداً، وهذا يدلّ دلالة قاطعة على أنه ليس من تلاميذ المسيح عليه السلام ولا من أنصاره، بل لم يره ولم يسمع منه، ثم تحوّل تحوّلاً مفاجئاً وغريباً من كونه مضطهداً ومعذباً للمسيحيين إلى كونه رسولاً ومصدراً للوحي، وذلك بقصة اختلقها وهي أنه كان يسير في الصحراء بالقرب من دمشق فسقط على الأرض فسمع صوتاً يقول شاول شاول لماذا تضطهدني، فقال: من أنت يا سيد، فقال أنا الرب يسوع الذي أنت تضطهده فأجابه ماذا تريد أن أفعل؟ فقال: اذهب وكرز بالمسيحية (أي بشّر بها). انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، رسالة ماجستير للباحثة، ص ٧٥ـ ١٠٧.

(١) غلاطيه: ٤ : ٤.

(٢) لوقا: ٢ : ٧.

(٣) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم لمجموعة من اللاهوتيين. ج ١، ط بيروت، ١٩٧٣م، ص ٥٧.

لمجيء المسيح وقبوله، فلو أتى المسيح على أثر سقوط البشر لما شعروا بعظمة جرم الخطية ومرارة أثمارها وعجزهم أن يخلصوا أنفسهم بأعمالهم على ما في شريعة موسى أو غيرها من المكتوب على ألواح ضمائرهم، وما شعروا بالحاجة إلى مخلّص ولكن في مدّة نحو أربعة آلاف سنة اخترعوا أدياناً مختلفة فوجدوها غير كافية لإصلاح أحوالهم وتحققوا بطلانها وعرفوا عجزهم عن أحسن منها، فاحتيج إلى إعداد الطريق لمجيء المسيح بواسطة نبوءات وإشارات حتى يعرف عند مجيئه أنه المخلّص الموعود به.

(أرسل الله ابنه) من السماء وإرسال الله إياه يستلزم أنه كان قبل أن أرسل على وفق قوله والكلمة التي كان عند الله وكونه ابن الله يستلزم أنه إلٰه على وفق قوله «وكان الكلمة إياه» يو ١:١.

(مولودتحت الناموس) بتعيين الله وإرادته هو، والمراد بالناموس هنا نوعاه الرسمي والأدبي اللّذان أعلنهما الله لليهود وتمّمه المسيح وقام بكل مطاليبه باعتبار كونه نائباً عن الجنس البشري واحتمل ما وجب على الإنسان بتعدّيه ذلك الناموس»[(١)].

ومن الواضح أن تفسير النص ـ عندهم ـ لا يزيده إلا غموضاً وغطرسةً وتبجحاً في الاعتقاد بالله تعالى وعدم تنزيهه عن الشرك والنقائص، فالله هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾[(٢)].

فالله سبحانه وتعالى واحد أحد لا يقبل التجزئة ولا الانقسام ولم يكن له شريك في الملك أو ولي من الذل وسأورد الحديث عن هذا الأمر في حينه إن شاء الله[(٣)]، والله المستعان على ما يصفون.

ولتفسير النص من الإنجيل المنسوب إلى لوقا يقول المفسر:

«قمطته أي ربطته بالأقمطة حسب عوائد الشرقيين.. في المذود معلف الدواب، لم يكن لها موضع في المنزل ذكر ذلك علّة لولادة مريم ابنها في محل الدواب، اضطر كثيرون ممّن أصلهم من بيت لحم إلى المجيء إليها وليس لهم

---

(١) د. وليم إدي (الكنز الجليل في تفسير الإنجيل). صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧٣م، ج ٧، ص ٥٢. ٥٣.

(٢) سورة الإخلاص، الآية ٣ـ ٤.

(٣) انظر: المسألة الخامسة من المبحث الاول من الفصل الثاني من هذا البحث ص ٣١٦.

مسكن فيها إجابة لأمر القيصر بالاكتتاب حتى امتلأ المنزل بالمسافرين، ولعل يوسف ومريم وصلاهُ بعد غيرهم فوجدوا منزل المسافرين غاصاً بالناس فاضطر إلى أن ينزلا حيث يجدان مأوى، والظاهر أنه لم يفتح أحد من سكان بيت لحم باب بيته لقبول يوسف النجار وخطيبته، فكانت حقارة مولد يسوع موافقة لكل تاريخ حياته الأرضية لأنه لم يكن لها منها أين يضع رأسه في مساكن الناس ولمّا مات دفن في قبر ليس له مع أنه خالق العالمين، وهذا كان جزءاً من اتضاعه لفداء البشر، وهو ممّا يحقق لأشد الناس فقراً إن لهم مخلصاً يمكنه أن يشترك معهم في شعورهم إذ لم يولد في قصر بل في اصطبل، ولم يُربّ بين الأمراء بل في بيت نجار من الجليل، والحق أن المسيح بعد أن ترك مجد السماء وسكن على الأرض لم يبق من فرق عظيم عنده بين قصر وكوخ»[1].

يتّضح ما في النص السابق من التناقض واللاعقلانية إذ يكف ينزلون الإِلٰه وابن الإله ـ تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً ـ هذه المنزلة الحقيرة إذ لا يكفي اعتقادهم بأنه وُلد من بشر وعاش كما يعيش البشر، بل يضعون من شأنه بأقل ما يجب لأواسط الناس فضلاً عن شرفائهم، فيعتقدون أنه ولد في اصطبل وبعد أن صلب دفن في قبر ليس له، ومن المعلوم أنه من الصعوبة بمكان لمن سبق أن عاش عيشة النبلاء والشرفاء أن يعيش كما يعيش السفلة والمحتقرون، ومع ذلك فالمسيحيون يناقضون العقل ويعتقدون أن المسيح كان يعيش في مجد السماء ثم تركه ليتجسّد ويولد ويعيش في أحقر مكان ثم يصلب ليكفر عن خطيئة البشر التي انتقلت إليهم عن طريق الوراثة من أبيهم الأول آدم عليه السلام[2].

٢ـ ومن النبوات التي يعتقد مؤلفو قاموس الكتاب المقدس أنها وردت عن المسيح في العهد القديم، وأن تمامها قد ورد في العهد الجديد..

ذكر أن أحد المقرّبين إليه هو الذي يسلمه (أي المسيح عليه السلام) ويشير إلى موضع من العهد القديم..

«أيضاً رجل سلامتي الذي وثقت به آكل خبزي رفع عليّ عقبه»[3].

---

(١) د. وليم إدي (الكنز الجليل في تفسير الإنجيل)، ص ١٦٢.

(٢) لإبطال عقيدة الصلب والفداء عند المسيحيين، انظر: المبحث الرابع من الفصل الثاني من الباب الرابع من هذا البحث ص ٤٢١.

(٣) مزامير ٤١ـ ٩.

ويشير إلى أن تمام هذه النبوءة في موضع من الإنجيل المنسوب إلى متّى.

«سمعان القانويّ ويهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه»[١].

وعند تكرار النظر والقراءة لهذين النصّين نخرج بنتيجة أن لا علاقة بينهما البتة، فلا نبوءة في النص الأول وليس هناك تمام لها في النص الثاني.

فمن هو الواثق ومن هو الموثوق به آكل الخبز ورافع عقبه على الواثق به، ليست هناك أي قرينة تدلّ على أنه المسيح ـ عليه السلام ـ أو غيره.

ولاستيضاح هذين النصّين لجأت إلى الشروح والتفاسير عسى أن نخرج بأي نتيجة:

يقول المفسر لشرح النص الأول:

«والشيء الذي يحزنه أكثر الكل هو أن هؤلاء الأعداء كانوا بالأمس أصدقاء»، يدعون طلب سلامته، ويعملون عكس ذلك، هم من الذين أكلوا خبزه بينه وبين بنيه عهد الخبز والملح، هذا نفسه الذي تجاسر أن يرفع رجله في وجهه، لقد أدار له عقبه إشارة الاحتقار والنكث بالعهد كأنه لم يعرفه من قبل ولم يكن له أية علاقة به»[٢].

ويقول المفسر لتفسير النص الثاني من الإنجيل المنسوب إلى متى:

«سمعان القانوي ولقّبه لوقا بالغيور، وليس المراد من القانوي أنه منسوب إلى قانا بل هو لقب عبراني معناه الغيور.. (يهوذا الاسخريوطي) هو ابن سمعان واصل لقبه في العبراني ابش قريوت أي رجل قريوت وهي قرية في أرض يهوذا.. (الذي أسلمه) فاختيار المسيح هذا الشخص رسولاً وهو عالم طبيعته يظهر للحكمة البشرية من أغرب الأمور.. ولعل قصده من ذلك أن يُعلّم الكنيسة أن أعظم الفرص والوسائط ليست كافية لخلاص نفسٍ وأنه يمكن أن يوجد في كل كنيسة أو جماعة من المؤمنين خائنون»[٣].

وحتى بعد اللجوء إلى الشروح والتفاسير للبحث عن أي علاقة بين هذين

---

(١) متى ١٠: ٤.

(٢) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، مبني على آراء بعض اللاهوتيين، ج ٦، تفسير سفر المزامير، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١١٨.

(٣) د. وليم إدي (الكنز الجليل في تفسير الإنجيل)، ج ١، شرح بشارة متى، ص ١٥٠.

النصين يظهر أنه لا علاقة بينهما وكما هو واضح عند قراءة ما سبق من تفسير للنصين..

٣ـ ومن النبوات التي زعمها قاموس الكتاب المقدس: (التنبؤ بأنه يصلب مع أَثَمَة)!! ويشير إلى موضعَ في سفر أشعياء.

«لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء بقسِم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصي مع أثمةِ وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين»[١].

وقد كررت القراءة لهذا الإصحاح بكامله والتي تقع فيه الفقرة السابقة فلم أجد أي ذكر للمسيح ـ عليه السلام ـ أو حتى إشارة أو قرينة تدلّ عليه فكيف اعتقد مؤلفو هذا القاموس أنها نبوءة وردت عن صلب المسيح عليه السلام.

ويشير القاموس إلى أن تمام هذه النبوءة في متى:

«حينئذٍ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار»[٢].

ولشرح النص من سفر إشعياء يقول الشارح:

«سكب للموت نفسه: أي كانت آلامه بإرادته وكانت هذه الآلام شديدة جداً حتى الموت، وأُحصى مع أَثَمَة، غير أنه لم يحصى مع اللصين فقط بل مع كل الأئمة أيضاً.

وشفع في المذنبين قال لما صلب اغفر لهم وهو الآن عن يمين الآب يشفع فينا»[٣].

وهذا الشرح والذي يوافق رأي المسيحيين تماماً لا يعتدّ به لأنه من وضعهم وتأليفهم، أما النص ـ وكما ذكرت ـ فليس فيه أي دلالة على المسيح عليه السلام إذاً لا نبوءة عن الصلب في العهد القديم.

ويعتقد المسيحيون «أن اليهود لم يفهموا هذه النبوات فظنوا أن المسيح يكون ملكاً زمنياً يخلصهم من ظالميهم ويرقيهم إلى أعلى درجات المجد والرفاهية حسب معنى النبوات الحرفي، فلما ظهر المسيح لم يعرفوه بل عثروا فسقطوا في ضلال

---

(١) اشعياء ٥٣: ١٢.

(٢) متى ٢٧: ٣٨.

(٣) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، تأليف بعض اللاهوتيين، ج ٨، ص ٣٣٢، ط بيروت، ١٩٧٣م.

مبين حينما فسّر لهم المسيح ذاته والرُسل هذه النبوات على غير معناها الحرفي. . غير أن البعض من اليهود كانوا ينتظرون مجيئه وخلاصه الروحي منهم سمعان وحنه»[1].

يتّضح ـ ممّا سبق ـ أن أسفار العهد القديم قد أغفلت ذكر المسيح عليه السلام وما دامت قد أغفلت ذكره فمن باب أولى أن تغفل ذكر أمه لأنه أشهر منها، لأنه نبي ورسول بل هو عليه السلام من أولي العزم من الرسل، والمسيحيون ـ كما هو معلوم ـ يزعمون أنه إلٰه وابن إلٰه ـ تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

نبذة مختصرة عن التلمود:

وهناك كتاب آخر يقدسه اليهود، ويضعونه في منزلة التوراة في التقديس ـ بل في منزلة أسمى وأعظم منها أحياناً ـ وذاك ما يسمى «بالتلمود Talamud وهي مستخرجة من كلمة لامود Lamud التي تعني (تعاليم)، والتلمود هو الروايات الشفويه التي تناقلها الحاخامات جيلاً بعد جيل، ثم دوّنت بعد أن خيف عليها من الضياع»[2].

«ويتكوّن التلمود من المشنا Mischnah وهو الجزء الأساسي أو المتن ومن الجماره Gemarah وهو الشروح والتفاسير للمشنا وقد شرح المشنا من قبل حاخامات[3] فلسطين فهذا يسمى تلمود أورشليم، وهناك شرح آخر لحاخامات بابل

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٦٠.

(٢) يقال إن الرابي جيهود Jehuda هو أول من قام بجمع هذه الروايات الشفوية في كتاب دعي سفر ميشنا وات Sepher Mischnaiosis انظر: الأب أي. بي. برانانيش (فضح التلمود) ط ٢، ص ٢٣، إعداد/ زهدي الفاتح، الناشر/ دار النفائس عام ١٤٠٥م.

ويقال إن أحد الحاخامات ويدعى (يوضاس) هو أول من جمعها وذلك بعد المسيح عليه السلام بـ ١٥٠ عام وأتم هذا العمل الربى يهوذا سنة ٢١٦م، انظر: د. يوسف حنا نصر الله في مترجمه (الكنز المرصود في قواعد التلمود)، ط ٢، ص ٤١، واعتقد أن يهوذا هذا هو جيهودا للتشابه بين اسميهما، وقد يكون ذلك قد حرّف أثناء الترجمة.

(٣) مفرده حاخام، وهو عالم الدين اليهودي ومن له الحق في شرح الكتب المقدسة وبيان الشريعة اليهودية.

فيسمى هو وشروحه (تلمود بابل) وهذا هو المتداول بين اليهود والمراد عند الإطلاق»[1].

وقد أسهب هذا التلمود في الحديث عن السيد المسيح عليه السلام بالسب والشتم والقذف، وكلام يندى له الجبين، ونحن في حديثنا في هذا الفصل عن المسيح عليه السلام عند اليهود لا بد أن نذكر ذلك بشيء من التفصيل، وقبل أن نتطرّق إلى ما ذكره التلمود عن المسيح عليه السلام لا بد أن نبيّن ونوضح منزلة التلمود عند اليهود، وكما ذكرنا ـ سابقاً ـ إن معظم اليهود يضعون التلمود في منزلةٍ أسمى وأعظم من منزلة التوراة.

ويعتقدون أن دراسة المشنا أفضل من دراسة التوراة لأن من درس المشنا فعل فضيلة يستحق عليها المكافأة بخلاف من درس التوراة فإنه لا يستحق المكافأة!! وإن من يحتقر أقوال حاخامات اليهود يستحق الموت بخلاف من يحتقر أقوال التوراة لأن أقوال أولئك أفضل ممّا جاء في شريعة موسى!! كما يعتقدون بأن الله تعالى كما أعطى لموسى عليه السلام التوراة على طور سيناء فإنه أعطى لموسى عليه السلام التلمود شفاهاً وأنه تعالى عمّا يقولون علواً كبيراً يستشير الحاخامات عندما توجد مسألة لا يمكن حلّها في السماء!! إلى ما هنالك من أقوالهم الكافرة والغير منزّهة للذات الإلهية العلية.

وفيما يلي النصوص المنقولة من التلمود والتي تثبت ذلك:

«إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها ومن درس (المشنا) فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، ومن درس (الغاماراه) فعل أعظم فضيلة.

من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت دون من احتقر أقوال التوراة ولإخلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط لأن أقوال علماء التلمود

---

(١) انظر: الأب براناتيس (فضح التلمود) ط ٢، ص ٢١ـ ٢٥ إعداد/ زهيدي الفاتح.
أيضاً: ظفر الإسلام خان (اتلمود تاريخه وتعاليمه)، ط ٢، ١٩٧٢م، الناشر: دار النفائس، ص ١١.
أيضاً: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ط ٢، ص ٤١ـ ٤٢.
أيضاً: التلمود شريعة بني إسرائيل حقائق ووقائع، ترجمة وإعداد/ محمد صبري، ص ٩.

أفضل ممّا جاء في شريعة موسى.

وقد أعطى الله الشريعة على طور سيناء وهي التوراة، والمشنا والغاماراه (الجماره) ولكنه أرسل على يد موسى الكليم التلمود شفاهاً.

إن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلّها في السماء ـ تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

إعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء وزيادة على ذلك يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة لأن أقوالهم هي قول الله الحي فإذا قال لك الحاخام إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدق قوله ولا تجادله»[١].

المسيح عليه السلام في التلمود:

وكما أسلفنا إن المسيح عليه السلام قد ذُكر في التلمود بوصفٍ يندى له الجبين من إلصاق العار به وبأمه عليهما السلام فضلاً عن السبّ والشتم وإلصاق التهم والصفات المشينة، وهذا ليس بغريب على كتابٍ قد تجرأ على الذات الإلٰهية العلية بوصفه تعالى بالخطأ والغفلة، وكما سبق وأن نقلنا ادعاءاتهم الباطلة بأن حاخاماتهم اعلم وأعرف من الحق سبحانه وتعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

وعندما تشير نصوص التلمود إلى المسيح عليه السلام تشير إليه بعبارات، ملؤها التحقير والسخرية، وتصفه بأنه مضلل وكاذب ووثني وبأنه ابن النجار، والرجل الذي شنق إلى ما هنالك من صفاتٍ لا تنسب إلى رجل عادي وصف بالتقى والصلاح فضلاً عن أن تنسب إلى أنبياء الله المصطفين الأخيار بل ومن أولي العزم من الرسل.

وبين يدي الآن عدّة مراجع تتحدث عن السيد المسيح عليه السلام في التلمود بعضها يتحدّث باختصار وبعضها يتحدّث بشيء من التفصيل، وأوسع مرجع بين يدي في هذا ـ كتاب (فضح التلمود) والذي أفرد فيه مؤلفه[٢] فصل بعنوان

---

(١) انظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة د. يوسف حنا نصر الله، ط ٢، ص ٤٤-٤٦.

(٢) هو الآب آي. بي. برانايس العالم الروماني نسبة إلى روما الفاتيكان الكاثوليكي اللاهوتي القدير في العبرية، والذي كان عضواً في هيئة تدريس جامعة الروم الكاثوليك للأكاديمية الأمبراطورية في مدينة (سانت بطرسبورغ القديمة، لينغراد حالياً) وقد كتب دراسته هذه باللغتين العبرية واللاتينية فرخّص له بنشرها من قبل أعلى مقام اكليركي، وقد اعتمد =

[يسوع المسيح في التلمود] وفصّل الكلام في ذلك على ثلاث مقالات..

المقالة الأولى: ما يتعلّق بأسماء يسوع المسيح في التلمود.

المقالة الثانية: حياة المسيح عليه السلام.

المقالة الثالثة: تعاليم المسيح عليه السلام.

يقول صاحب كتاب فضح التلمود في المقالة الأولى:

«الاسم الأصلي للمسيح في اللغة العبرية هو جيشو آهانوتسري Jeschua Hanotsri أي يسوع الناصري.. وبما أن كلمة (جيشو) تعني المنقذ أو المخلّص، فإن اسم يسوع الأصلي قلّما يظهر في الكتب التلمودية، وهو يختصر دائماً تقريباً باسم جيشو Jeschu الذي اقتبس بحقد في الواقع من تركيب الأحرف الأولى للكلمات الثلاث اياش شيمو فيزيكر Immach Chemo Vezikor أي ليمح اسمه وذكره[١].

يدعى المسيح في التلمود (اوثوايش Otholsch) أي ذاك الرجل، ويُراد بها أنه الرجل المعروف من قبل الجميع ففي كراسة (ابهوداه زاراه)»[٢] نقرأ ما يلي:

«يدّعي مسيحي من يتّبع تعاليم ذاك الرجل الكاذبة، الذي يعلّمهم الاحتفال بالعيد الديني عند أول يوم يلي السبت»[٣].

«وعلى سبيل التحقير والازدراء يدعى يسوع أيضاً نجار بار نجار Naggar bar Naggar أي نجار ابن نجار كذلك يُدعى بن شارش ايتيم Ben Charsch Etaim أي ابن الحطاب»[٤].

«وهو يدعى كذلك تالوي Talui أي الرجل الذي شنق»[٥].

= فيما كتبه في هذا الموضع إلى مصادر التلمود الأصلية وهو واحد ممّن قامت منظمة التشيكا (أي المخابرات السوفياتية الشيوعية) بتصفيتهم إبان الأيام الأولى من الثورة البلشفية في روسيا، هذا ما كتبه عنه مترجم كتابه من اللاتينية إلى الإنجليزية.

انظر المرجع، ط ٢، ص ١٥، ١٦.

(١) I. Butzorf in Abbrev Jeschu.

نقلاً عن الآب براناتيس (فضح التلمود) ط ٢، ص ٥٥، ٥٦.

(٢) فصل من فصول التلمود خاص بالوثنية، انظر: المرجع السابق، ص ٣٣.

(٣) نفس المرجع السابق، ص ٥٦.

(٤) C.F. Abhodoh Zarah 50b نقلاً عن المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٥) نفس المرجع السابق، ص ٥٦، ٥٧.

المقالة الثانية: حياة المسيح عليه السلام في التلمود:

«يعلم التلمود أن يسوع المسيح كان ابناً غير شرعي حملته أمه خلال فترة الحيض، وكانت تتقمّصه روح ايسو Esau وأنه مجنون، مشعوذ، مضلل، صلب ثم دفن في جهنم، فنصبه أتباعه منذ ذاك الحين وثنا له يعبدونه»(١).

«هم يدعونه أيضاً ابن بانديرا ويدعى كذلك يسوع الناصري في مقاطع أخرى من التلمود حيث يذكر بوضوح على أنه يسوع ابن بانديرا. في كتابه عن سلالة نسب المسيح، يذكر الكاهن داماسين Damasccne أيضاً، بانثيرا Panthera وابن بانثيرا»(٢).

ولإثبات ما سبق أن ذكرنا سننقل - فيما يلي - ما ترجم من نصوص تلمودهم المتضمّن للاعتقادات الباطلة والآثمة ضد سيدنا المسيح عليه السلام والتي تقشعر لها الأبدان، ويندى لها الجبين:

«إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين الزفت والنار، وأن أمه مريم أتت به من العسكري باندرا بمباشرة الزنا وأن الكنائس النصرانية بمقام القاذورات، وإن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة، وأن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها، وأن العهد مع المسيحي لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهودي القيام به، وأنه من الواجب ديناً أن يلعن ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد بني إسرائيل»(٣).

وينقل صاحب كتاب (فضح التلمود) عن أحد أسفار التلمود (تولدوث جيشو)(٤) «بأنهم يصفون فيه المسيح عليه السلام بأنه مجدف وساحر ومشعوذ»(٥).

---

(١) الأب براناتيس (فضح التلمود)، ط ٢، ص ٥٧.

(٢) C.F. The Jerusalem Talmud, Abhodah Zarah.
C.F. II, and Schabbath Ch. XIV Beth Jacobh, 127a.
نقلاً عن الأب براناتيس (فضح التلمود)، ط ٢، ص ٦١، ٦٢.

(٣) انظر: الكنز المرصود من قواعد التلمود، وهو عبارة عن كتابين فرنسيين هما (اليهودي على حساب التلمود للدكتور/ روهلنج) والآخر (تاريخ سورية لسنة ١٨٤٠م) للدكتور/ لوزان ترجمهما الدكتور/ يوسف حنا نصر الله، ط ٢، ص ٢٢.

(٤) أي ذرية يسوع وهو كتيب صغير غارق بالتجديفات واللعنات يضم قصة المسيح وهو حافل بمختلف ضروب الكذب والتضليل.
انظر: فضح التلمود، ط ٢، ص ٥٠.

(٥) المرجع السابق، ص ٦٤.

وينقل ـ أيضاً ـ عن كراس (سانهيدرين)[1] ما يلي:

(ضلل يسوع، وأفسد إسرائيل وهدمها)[2].

وينقل الأب براناتيس عن كتاب زوهار[3]: إن يسوع مات كبهيمة ودفن في كومة قذر حيث تطرح الكلاب والحمير النافقة، وحيث أبناء ايسو (المسيحيون) وأبناء إسماعيل (الأتراك)[4] بالإضافة إلى المسيح ومحمد[5] غير المختونين والنجسين كالكلاب النافقة هؤلاء جميعاً مدفونون معاً»[6].

والمقالة الثالثة من كتاب (فضح التلمود) هي: في تعاليم المسيح عليه السلام في التلمود.

ينقل المؤلف من (ابهوداه زاره)[7] ما يلي:

«الناصري هو الذي يتبع تعاليم كاذبة يبتدعها رجل يدعو إلى العبادة في اليوم الأول التالي للسبت»[8].

ويقول الدكتور جوزيف باركلي: «إن الطبعات الأولى من التلمود شملت كثيراً من كلمات السب والشتم ضد سيدنا المسيح عليه السلام والمسيحية ولكن الطبعات الأخيرة لا تشمل إلا القليل جداً بعد أن طهرتها الكنيسة ومن طبعات التلمود التي كانت تسب وتشتم سيدنا المسيح طبعة أمستردام لسنة ١٦٤٥، وقد

---

(١) سفر من التلمود خاص بالمحاكم يبحث في شؤون تنظيم المحاكم ونشوئها ومحاضر جلساتها، بالإضافة إلى مسائل العقوبات التي تترتب على الجرائم الرئيسية.
انظر: فضح التلمود، ص ٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٦.

(٣) قيل إن مؤلف زوهار هو الرابي شيمون بن جوشي Schimon ben Jochi أحد حواري الرابي اكيبها Akibha الذي توفي في سنة ١٢٠م، وهو يتألف من ثلاث مجلدات، طبعة أمستردام سنة ١٨٠٥م ثلاثة مجلدات. انظر: فضح التلمود، ص ٤٥، ٤٦، ٥٠.

(٤) يعلق الأب براناتيس في هامش كتابه بأن المقصود بالأتراك هنا المسلمون بالذات لأن الأتراك في العصر الذي أعد فيه هذا الكتاب كانوا أشهر من المسلمين.
انظر: فضح التلمود، ص ١٦٦.

(٥) قاتلهم الله ولعنهم بما قالوا.

(٦) انظر: فضح التلمود، ص ٦٦، ٦٧.

(٧) سبق التعريف به ص ٣٤.

(٨) انظر: فضح التلمود، ص ٧٣، ٧٤.

نعت فيها المسيح بالكلمات الآتية:

١ ـ ذلك الرجل That one.

٢ ـ مثل ذلك الرجل Such an one.

٣ ـ أحمق A fool.

٤ ـ المجذوم The Leper (المصاب بالجذام).

٥ ـ غشاش بني إسرائيل The deceiver of Israel.

وجاء في نفس الطبعة أيضاً:

٦ ـ يدعى أنه ابن الجندي يوسف بنديرا Joseph Pandira حبلت به مريم (نعوذ بالله من هذا البهتان الأثيم!) قبل زواجها.

٧ ـ المعجزات التي قام بها المسيح كانت بقوة السحر Sorcery وأنه قد تعلّم السحر أثناء وجوده في مصر، واستدلوا على ذلك لأنهم وجدوا على جسد المسيح عليه السلام علامة لشق اللحم!

٨ ـ زعموا أنه تعلم ما كان يقوله للناس، على يد يوشوا بن برخيا Joshua ben Perachia وزعموا أيضاً أن يوشوا هذا قد حرمه كنسياً Excommunicated وألقاه بين قرون أربعمائة كبش لتفتك به هذا بالرغم أن يوشوا عاش قبل المسيح بسبعين سنة!!

٩ ـ قبل صلب المسيح ـ كما يعتقد المسيحيون ـ أعلن في المدينة عن طريق النداء العام أن يحضر الذين يريدون الشهادة ببراءة المسيح، ولكن أحداً لم يتقدّم!

١٠ ـ يقول التلمود أن المسيح عليه السلام رمى بالأحجار ثم صلب مساء عيد الفصح.

١١ ـ تلاميذ المسيح ملحدون Heretice ويطلق التلمود عليهم أسماء شائنه، فاضحة، ويتهمهم بإتيان أفعال قبيحة.

١٢ ـ العهد الجديد (الإنجيل) يسمى بكتاب مملوء بالإثم Sinful book وكلما يشير التلمود إلى هذه الموضوعات تمتلىء لهجته بالمقت الشديد والكراهية»[(١)].

---

(١) The Talmud. Dr. Joseph Barclay, London, 1878, pp.38-39.

كذلك: الأب العبري د .جوزيف باركلي، ص ٣٤ـ ٣٦.

نقلاً عن: ظفر الإسلام خان (التلمود تاريخه وتعاليمه)، ط ٢، ص ٦١ـ ٦٣ .=

هذا ما ذكره تلمود اليهود عن المسيح عليه السلام وهو ـ كما ذكرت ـ كلام آثم مليء بالسب والشتم لسيدنا المسيح عليه السلام وهو كلام لا يليق بإنسان بريء، فكيف بنبي كريم من أنبياء الله معصوم اصطفاه الله على خلقه، وشرفه برسالته، وأيّده بمعجزاته؟!

وفي الحقيقة أني لم أقنع بما وجدته من تعاليم التلمود وأقواله تلك عن السيد المسيح وأمه عليهما السلام في هذه الكتب التي بين يدي لأنها مراجع وليست المصدر الأساسي لكتاب التلمود، فوددت بل تمنّيت وحاولت بشتّى الطرق أن أجد نسخة أصلية من هذا الكتاب الحاقد، لتكون مصدراً أساسياً أستطيع أن أنقل منه ما أريده في موضوع بحثي هذا، مع أن معظم الكتاب والباحثين المحدثين لم يعتمدوا على النسخة الأصلية ـ فيما أعلم ـ إلاّ نادراً[1].

وبعد أن اجتهدت وبحثت وتحمّلت مشاق السفر لآلاف الأميال بعداً عن وطني وجدت ضالتي، ولكن ظني قد خاب في هذا الكتاب، حيث أن أيدي المسخ والتحريف قد امتدّت إليه وأزالت معظم ما دون عن السيد المسيح وأمه عليهما السلام.

وقد حدث هذا في القرون الوسطى في أوروبا ـ كما اعتُرف بذلك ـ فكلمات السب المقذع والشتم المشين والذي لا يليق بإنسان عادي وصف بالتقى والصلاح عن أن يليق بنبي مصطفى مختار بل ومن أولي العزم من الرسل قد حذف معظمها وأُزيل من التلمود.

وأعتقد أن سبب ذلك الحذف والمسخ لهذا الكتاب فيما وصفه به السيد المسيح وأمه عليها السلام هو خوف اليهود من المسيحيين ومن غضبهم بل ومن

= أيضاً: التلمود شريعة بني إسرائيل حقائق ووقائع، ترجمة محمد صبري، ص ٢٤، ٢٥.

(١) وحيث أن هذا الكتاب الخطير ـ حسب علمي ـ لا يوجد في بلادنا بل ولا يوجد في البلاد العربية فقد وصيت على طلبه من بريطانيا فاعتذر من طلبته منه بعد البحث الجاد بأنه غير موجود، فاستعنت بالله تعالى وسافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية جادةً في طلبه في صيف عام ١٩٨٧م فبحثت في كل ولاية أذهب إليها (كاليفورنيا، نيفادا، فلوريدا، نيويورك) بل وفي كل مكتبة أراها حتى تورّمت قدماي بحثاً عنه، وتحققت أمنيتي تلك بأن وجدته فقط في المكتبة العامة في مدينة نيويورك وفيها لا يسمح لنا باستعارته، فاستعنت بالفهرس العام للكتاب، وأخرجت منه جميع الموضوعات التي تهمني في موضوعي فلم أجد إلاّ النزر القليل.

غضب حكّامهم فهم ـ أي اليهود ـ عباد للمادة ـ كما هو معروف عنهم من تاريخهم وطباعهم ـ ومستعدّون أن يصنعوا أي شيء في سبيلهم حتى ولو كان الحذف والتنقيص من كتبهم المقدسة!!.

وها هي اعترافات هذا الكتاب بما حصل له من مسخ وتحريف أسجلها ها هنا لكي تكون دليلاً صادقاً على ما نقله الباحثون الأوائل الفضلاء والمنصفون من كلماتٍ مشينة وسبٍ مقذع في حق سيدنا المسيح عليه السلام.

«لقد كانت هناك رقابة شديدة في أوروبا على التلمود في القرون الوسطى، وقد حاول أصحاب المطابع في القرون التالية وبالتدرج وبطريقة سرية إعادة بعض الفصول التي أسقطت منه، ولكن بالرغم من ذلك المجهود فإن أحسن طبعات التلمود كانت محرفة وممسوخة بسبب التبديلات التي أدخلتها يد الرقابة.

«وتعتبر طبعة باسل Basel المراقبة هي المثال والنموذج الأصلي لتلك الطبعات حيث أن الرقيب حذف أو نقح كل الأجزاء من الأصل التي اعتبرها مهينة للمسيح والمسيحية أو لبعض الأشخاص، أو انعكاسات لبعض الآراء التشاؤمية فكلما لمح التلمود بإيماء غير لائق عن المسيح أو المسيحية بصفة عامة حذفه ذلك الرقيب وحتى اسم عيسى كان يحذف بطريقة روتينية»[١].

وفي هذا الكتاب نصوص ركيكة وملفقة، وليس لها أساس من الصحة، إذ كيف يتّهمون فيها نبي الله عيسى عليه السلام بعبادة الأوثان والأحجار!! ولأسباب تافهة وينعتونه وينعتون أمه السيدة العذراء مريم الطاهرة عليهما السلام بنعوت قبيحة يندى لها الجبين، وفيما يلي ترجمة لنصوص تلمودهم تلك من اللغة الإنجليزية:

«وقد عُلم إذا قام شخص بعبادة الأوثان عن رغبةٍ أو رهبه من إنسان آخر، وهو في الواقع لا يعتقد باستحقاق ذلك الوثن للعبادة، فقال أبايي Abaye أنه معرض للعقاب، ولكن الرب قال إنه لا يعاقب، وقال أبايي: بأنه معرض للعقاب لأنه عبد للوثن (ويكرر) ولكن الرب قال: بأنه لا يعاقب إلاّ إذا قبل الصنم كإله عندئذ يعاقب (ويضيف) وهذا تلميح عن اعتقاد المسيحيين بعيسى»[٢]!!!

---

(١) انظر: Adin Steinsaltz, The Essential Talmud ترجمه من العبرية إلى الإنجليزية Chaya Galal، ط ١٩٧٦، ص ٨٤.

(٢) التلمود البابلي Seder Nezikin جزء سان هدين Sanhedin المترجم للإنجليزية مع التعليق الربي الدكتور/ Iepstein ابشاين، ص ٤١٧.

ويضيف هذا الكتاب في موضع آخر:

«إذا دعا شخص عادي أو جاهل شخصاً آخر إلى عبادة الأوثان والاعتقاد بأنها تضر وتنفع فالتوراة تحكم عليه بالموت ويحتاج الأمر إلى اختبار الشهود في هذه الحالة ـ كما سيتضح فيما بعد ـ أما إذا دعا شخصين فهما شاهدان ضدّه، ويؤخذ إلى بيت الدين ويرجم، ولكن في حالة دعوة شخص واحد لعبادة الأصنام فيجب أن يجيبه بالآتي: لدي أصدقاء يودون اتباعك وعبادة الأوثان، فتعال لتعرض عليهم الأمر، فإن كان ماكراً ورفض الكلام فيأتي بشهود يختبئون له خلف حاجز بحيث لا يراهم ولا يشعر بهم، ثم يستدرجه ذلك الشخص الذي سبق وأن دعاه إلى عبادة الأوثان ويقول له: أعدّ علي ما قلته لي الآن ونحن على انفراد، فإذا أعاد ما قاله فيقول له: (كيف نتخلى عن الرب في الملكوت ونتجه إلى عبادة الأوثان والأحجار، فإذا تراجع فمقبول تراجعه، ولكن إذا كان جوابه: «إن واجبنا عبادة الأوثان وهو عمل حسن فإن الشهود الموجودين خلف الحاجز يأخذونه إلى بيت الدين ويرجمونه، أما إذا قال: سوف أعبد الأوثان، أو دعونا نعبد الأوثان إلى غير ذلك من الأقوال فيرجم جماراً: إذا كان الداعي إلى عبادة الأوثان شخص عادي أو جاهل فيرجم، وإذا كان نبياً!!! فيشنق، وكذلك إذا دعا مجتمعه إلى ذلك فيشنق»[1].

وفي التعليق على ذلك (أي في هامش الكتاب) جاء ما يلي:

في الطبعة الغير مراقبة في التلمود طبعات ميونخ وأكسفورد، والطبعة القديمة يوجد هذا النص:

«وهكذا فعلوا بابن استادا في اللد وشنقوه في ليلة عيد الفصح بن استادا هو ابن بانديرا Ben Padira واستادا اسم أمه، وقد كان اسمها مريم وربما تكون مصففة شعر.

ويقول بمباديثا Pumbaditha إن هذه المرأة تركت زوجها واقترفت خطيئة الزنا مع عشيقها ويدعى بانديرا Pandira وقد عُرف ابن ساتادا بعيسى الناصري»[2].

ويضيف تلمودهم الكاذب هذا في موضع آخر:

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٥٤ـ ٤٥٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٢٥.

والتعليق: نقلاً عن كتاب (المسيحية في التلمود) لهيرفورد T. Herford.

«تلك المرأة ـ يقصد مريم عليها ـ وهي التي تنحدر من سلالة الأمراء والحكام لعبت دور المومس مع النجارين، ويعتقد أن الإيماءة هنا تعني عيسى، وبالرغم من إن اسم المرأة لم يُذكر[1] ولكن أم عيسى هي المقصودة من ذلك، وممّا يقوي هذا الرأي إن مريم كان لها علاقة جنسية مع نجار»[2]!!! قاتلهم الله ولعنهم بما قالوا إذ كيف يوجه هذا الاتهام لسيدة نساء العالمين، قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾[3].

وهناك نص يذكر أن يسوع تناقش مع أحد الربانيين، ودار النقاش حول حانة قد ذهبا إليها فأخذ يسوع ينظر إلى صاحبة الحانة ويصفها!!! فنهره يوشع (أحد الربانيين) وطرده من الكنيسة، فتوسّل إليه يسوع بأن يأذن له بالعودة إلى الكنيسة، ولكن الرباني رفض فانتهى الأمر بيسوع إن اتخذ طوبة وعكف على عبادتها!!

ونحن إذ ننقل مفترياتهم عن المسيح ـ عليه السلام ـ ننزهه كل التنزيه عمّا يقوله هؤلاء المفترون.

وفي الطبعة الأصلية الغير مراقبة يستمرّ النص كالآتي:

«أفاق يوشع وعيسى وذهبا إلى الحانة حيث وجدا التكريم والتشريف فقال يوشع: ما أجمل هذه الحانة! فأجابه عيسى: يا رباني إن عينيها ليست جميلة، وقد أساء يسوع الفهم، حيث فهم أن يوشع يقصد صاحبة الحانة: فأجابه يوشع: تعساً لك أهكذا تشغل نفسك بهذا زجره يوشع، وهتف بأربعمائة بوق وطرده من الكنيسة، وتوسل يسوع إليه مرات عديدة بأن يقبله، ويأذن له بالعودة إلى الكنيسة، ولكن الرباني يوشع لم يلق إليه بالاً.

وبينما كان يسوع ذات يوم يقرأ الشيما shema تقدم إليه يوشع طالباً الإذن بالعودة إلى رحاب الكنيسة، فأشار إليه يوشع بالقبول، ولكن يسوع أساء الفهم، وظن أن يوشع يرفضه، فذهب يسوع وأحضر طوبة وعبدها!!!، وعندما علم يوشع

---

(١) هذه تلميحات وضعت بدلاً من التصريحات في التلمود ـ كما ذكرنا سابقاً ـ حتى تنطلي على المسيحيين فتنتشر.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٣٥، والتعليق من كتاب المسيحيين في التلمود لهيرفورد، ص ٤٨.

(٣) سورة التحريم، الآية ١٢.

انظر: الفصل الأول من الباب الثالث من هذه الرسالة ص ٢٥٧.

بما حصل له طلب منه التوبة عمّا بدر منه، فأجابه يسوع: لقد تعلّمت منك: أن من أذنب وتسبب في ذنوب الآخرين ليس له سبيل إلى التوبة، وقد قال السيد الرباني: إن عيسى النصراني مارس السحر وقاد إسرائيل إلى الضلال»(١).

وفي التلمود البابلي جزء سوتا sota هناك إضافة للافتراءات السابقة على سيدنا المسيح عليه السلام.

«يقول البعض بأن يسوع صنع من حجر المغنطيس صنماً كهيئة العجل!!! وجعله معلقاً بين السماء والأرض!، ويقول آخرون بأنه نقش على ذلك الصنم اسم الإله الذي اعتاد أن يناديه بالعبارة التالية: أنا الرب إلٰهكم ولا إله لكم غيري»(٢).

ويقول الأستاذ ظفر الإسلام خان:

«إن الذي جعل اليهود يتشبثون بتعاليم التلمود هو الانهيار المفاجىء لشوكتهم وإغلاق مدارسهم مرة واحدة، الأمر الذي جعلهم يبحثون عن تعاليم جديدة للمرحلة القادمة، ووجدوها في التلمود الذي يعلمهم على مواصلة الحياة بالانغلاق والسيطرة على المجتمع تمهيداً لإقامة امبراطورية عالمية»(٣).

«والحديث عن عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ عند اليهود موجز للغاية، فإنه لا يوجد في تاريخ اليهود الديني ولا في كتبهم (أسفار العهد القديم على وجه الخصوص) أي ذكر لعيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ ولا لدعوته ولا لأحداث القبض عليه وصلبه (كما يعتقد المسيحيون) فالذي يقرأ كتب اليهود لا يجد لعيسى ذكراً وهذا مما حدا ببعض الغربيين إلى اعتبار عيسى شخصية خرافية فرضية ليست حقيقية واقعة.

وإذا تكلّم اليهود عن عيسى وقتله (كما يعتقد المسيحيون) فليس لأنه مثبت في تواريخهم المأثورة عن آبائهم ومشايخهم، ولكن لأنهم يسمعون ما يقوله المسيحيون عن المسيح فيروون عنهم أحياناً، وإلا فكتبهم خالية من ذلك»(٤).

ويتساءل الدكتور أحمد شلبي.. لماذا أهمل اليهود شأن عيسى ولم يذكروه

---

(١) التلمود البابلي Sedernezikin، جزء سان هدين Sanhedin، المترجم للإنجليزية مع التعليق الربى الدكتور ابشاتين I. Epstein ص ٧٣٥.

(٢) ترجمه إلى الإنجليزية وعلّق عليه الربى الدكتور ابشتاين I. Epstein، رقم الصحيفة ٢٤٧.

(٣) التلمود تاريخه وتعاليمه، ط ٢، دار النفائس، بيروت، ص ٣٣.

(٤) د/ أحمد شلبي، المسيحية، ط ٦، ١٩٧٨م، ص ٧٧.

في كتبهم؟ ويجيب هو على تساؤله هذا بقوله:

«الجواب أن عيسى عندهم ـ إن صحّ وجوده ـ رجل عادي كفر بدعوتهم فقتلوه وهم يجمعون في كتبهم أخبار كل فرد من الدولة فهذا رجل انشقّ فعاقبوه بالقتل، ولا يستحق بعد ذلك أي ذكر»[١].

وقد وصل الأمر بالمفكرين الغربيين إلى ما يشبه إنكار وجوده ـ عليه السلام ـ ويتساءل ول ديورانت[٢] هل كان وجود المسيح ـ عليه السلام ـ حقيقة واقعة أم هي أسطورة من الأساطير أو خرافة شبيهة بخرافات كرشنا وأوزريس.. يقول:

«هل وجد المسيح حقاً؟ أو أن قصة حياة مؤسس المسيحية وثمرة أحزان البشرية وخيالها وآمالها أسطورة من الأساطير شبيهة بخرافات كرشنا وأوزريس، وأتيس، وأونيس، وديونيش، ومتراس[٣] لقد كان بعض الباحثين يقولون في مجالسهم الخاصة: إن المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق، وجهر فلني Volney بهذا الشك نفسه في كتابه [خرائب الأمبراطورية] الذي نشره في عام ١٧٩١م، ولما التقى نابليون في عام ١٨٠٨ بفيلاند Wieland العالم الألماني لم يسأله القائد الفاتح سؤالاً تافهاً في السياسة أو الحرب، بل سأله هل يؤمن بتاريخية المسيح»[٤]؟

ويقول ريمارس:

«إن يسوع لا يمكن أن يُعدّ مؤسس المسيحية أو أن يُفهم هذا الفهم، بل يجب أن يُفهم على أنه الشخصية النهائية الرئيسية في جماعة المتصوّفة اليهود القائلين بالبعث والحساب، بمعنى أن المسيح لم يفكّر في إيجاد دين جديد، بل كان يفكّر في تهيئة الناس لاستقبال دمار العالم المرتقب، وليوم الحشر الذي

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) مؤرخ أمريكي، حصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا عام ١٩١٧م له مؤلفات عديدة أشهرها قصة الفلسفة وقصة الحضارة (في عشر مجلدات) صدر المجلد الأخير منه في عام ١٩٦٧م، واشتركت معه في تأليف المجلد الأخير زوجته (أريل) ويعتبر قصة الحضارة من أعظم أعماله. انظر: الموسوعة الأمريكية ج ٩، ص ١٨٩٨.

(٣) هذه شخصيات تدور حولها قصص خرافية وأساطير قديمة ليس لها أساس من الصحة. انظر: دائرة معارف البستاني، ج ٢، ص ٤٨٤، ٧١٣، ج ٤، ص ٦٤٥.

(٤) قصة الحضارة، ج ٣، (١١)، ط ٣، ص ٢٠٢.

يحاسب فيه الله الناس الأرواح على ما قدمت من خير أو شر»[1].

ويقول (ول ديورانت) أن أقدم إشارة غير مسيحية إلى المسيح قد وردت في كتاب قدم اليهود ليوسفوس.

يقول: «وفي ذلك الوقت كان يعيش يسوع وهو رجل من رجال الدين، إذا جاز أن نسميه رجلاً، لأنه كان يأتي بأعمال عجيبة، ويعلم الناس، ويتلقى الحقيقة وهو مغتبط، وقد اتّبعه كثير من اليهود وكثيرون من اليونان، لقد كان هو المسيح»[2].

ويطرح المستشار محمد عزّت الطهطاوي السؤال التالي:

هل يوجد في تاريخ اليهود إشارة إلى المسيح عيسى ابن مريم؟ ويجيب عليه بقوله:

«لا يوجد في التاريخ الديني (لليهود) ولا في كتبهم أي إشارة: للمسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) ولا لدعوته ولا لأحداث القبض عليه وصلبه (كما يعتقد المسيحيون) مما حدا ببعض الغربيين إلى اعتبار عيسى أو يسوع شخصية خرافية فرضية لا أساس لها من الواقع»[3].

وإذا اعتبرنا بروتكولات حكماء صهيون[4] من الكتب المقدسة لدى اليهود، فإني قد بحثت في جميع تلك البروتوكولات المنشورة والمدوّنة حالياً لأجد فيها ذكراً للمسيح عليه السلام فلم أجد له فيها ذكراً البتة.

ومما يجدر ذكره هنا أن اليهود كانوا ولا زالوا ينتظرون مسيحاً يأتي

---

(١) قصة الحضارة، ج ٣، (١١)، ط ٣، ص ٢٠٣.

(٢) قصة الحضارة، ج ٣، (١١)، قيصر والمسيح، ط ٣، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(٣) النصرانية والإسلام، ط دار الأنصار، ص ٢٢٦.

(٤) البروتوكولات، تقرير بالنسبة لواضعيها، ومحاضر بالنسبة لعرضها على المؤتمرين في جلساتهم، وقرارات بالنسبة لقبولها وتأييدها، وقد قامت سيدة فرنسية باختلاس جزء منها من وكر الماسونية بباريس عام ١٩٠١م ونشرت في روسيا القيصرية عام ١٩٠٢م، وهدفها هو إقامة وحدة عالمية تخضع لسلطان اليهود وتديرها حكومة يهودية، فالقسم الأول منها يبحث في موقف اليهود من العالم قبل تحقيق هدفهم، ويبحث القسم الثاني في موقف اليهود من العالم بعد أن يصبحوا أصحاب السلطان عليه.

انظر: بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة/ محمد خليفة التونسي، ط ٥، ص ٣١.

أيضاً: د. أحمد شلبي (اليهودية)، ط ٥، ص ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٣.

ويخلّصهم من الويلات التي أصابتهم خلال تاريخهم الطويل، والذي سيأتي ويحكم ويكوّن مملكة كبيرة لليهود ويشتركون معه فيها.

ففي سفر اشعياء ما يلي:

«لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً ويكون إلٰهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام، لنمو رياسته يجلس على كرسي داود وعلى مملكته، ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد، غيرة رب الجنود تصنع هذا»[١].

ويعتقد بعض الباحثين[٢] أن عقيدة المسيح عند اليهود هذه قد نتجت من عقيدة أخرى سابقة لها وهي عقيدة الاختيار والامتياز لشعب بني إسرائيل على جميع الشعوب كما تنص على ذلك توراتهم إذ تقول:

«أنا الرب إلٰهكم الذي ميّزكم عن الشعوب، تكونون لي قدّيسين لأني قدوس، أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي»[٣].

«إنك أنت شعب مقدس للرب إلٰهك، إياك قد اختار الرب إلٰهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم، وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم»[٤].

«فإن اليهود وجدوا أنفسهم لا خيرة البشر كما زعموا، ولا صفوة الخلق كما أملوا، بل لم يجدوا أنفسهم في نفس المكانة التي ينعم بها الآخرون، وإنما كانوا هدفاً للبلايا والنكبات، ومن هنا اتجه مفكروهم في عصورهم المتأخرة إلى مخلص ومنقذ ينتشلهم من هذه الوهدة، ويضعهم في المكانة التي أرادوها، وأطلقوا على هذا المخلّص (المسيح المنتظر) ووصفوه بأنه رسول السماء والقائد الذي سينال الشعب المختار بهديه وإرشاده ما يستحقه من سيادة وسؤدد»[٥].

---

(١) ٩: ٦ ـ ٧.

(٢) انظر: د. أحمد شلبي (اليهودية)، ط ٥، ص ٢١٨.

(٣) لاويون ٢: ٢٤، ٢٦.

(٤) تثنية ٧: ٦ ـ ٨.

(٥) James Hosmer: The Jwes. p.85. نقلاً عن د .أحمد شلبي (اليهودية)، ط ٥، ص ٢١٨.

الفصل الثاني

موقف اليهود من المسيح وأمه عليهما السلام

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اعتراف اليهود بمواقفهم العدائية من المسيح عليه السلام من خلال مؤلفاتهم ودوائر معارفهم.

المبحث الثاني: موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال أسفار النصارى المقدسة.

المبحث الثالث: موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال آيات الذكر الحكيم.

تمهيد:

بعد اطّلاعي على المراجع والمصادر التي بين يدي من مؤلفات علماء ومفكري اليهود، ودوائر المعارف اليهودية، ودائرة المعارف للديانات وعلم الأخلاق، وجدت أن موقفهم من سيدنا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام يتّضح في ثلاث مباحث:

المبحث الأول:

اعتراف اليهود بمواقفهم العدائية من المسيح عليه السلام منذ ولادته، وأثناء بعثته ودعوته، وحديثهم هذا يظهر من خلال أسفارهم ومؤلفاته ودوائر معارفهم، وفيه ستة مسائل:

* **المسألة الأولى:** موقف اليهود عامة من السيد المسيح عليه السلام من خلال أسفارهم ومؤلفاتهم.
* **المسألة الثانية:** موقفهم ورأيهم في تعميده عليه السلام.
* **المسألة الثالثة:** موقفهم من معجزاته عليه السلام.
* **المسألة الرابعة:** موقف اليهود من قصة القبض على المسيح عليه السلام وصلبه كما يزعمون.
* **المسألة الخامسة:** موقف اليهود من السيدة مريم أم المسيح عليهما السلام.
* **المسألة السادسة:** مقارنة بين المسيح اليهودي والمسيح النصراني.

المبحث الثاني:

موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال أسفار النصارى (العهد الجديد) ورأي النصارى عامة في كتبهم ومؤلفاتهم.

المبحث الثالث:

ثم يأتي القول الفصل في هذا الموضوع من الكتاب المحفوظ بحفظ الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾[1].

فالقرآن الكريم تحدث في كثير من آياته وسوره الكريمة عن مواقف اليهود العدائية من سيدنا االمسيح عليه السلام بل ومن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[2].

---

(١) سورة الحجر، الآية ٩.

(٢) وقد حكى لنا القرآن الكريم موقفهم من الأنبياء فهم لا يكتفون بتكذيبهم بل ويقتلونهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩١﴾ [البقرة: ٩١].

انظر: ص ١٢٦ وما بعدها من هذا البحث.

المبحث الأول:

اعتراف اليهود بمواقفهم العدائية من المسيح وأمه عليهما السلام من خلال مؤلفاتهم ودوائر معارفهم

وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى: موقف اليهود عامة من السيد المسيح عليه السلام من خلال أسفارهم ومؤلفاتهم.

المسألة الثانية: موقف اليهود ورأيهم في تعميده عليه السلام.

المسألة الثالثة: موقف اليهود من معجزاته عليه السلام.

المسألة الرابعة: موقف اليهود من قصة القبض على المسيح عليه السلام وصلبه كما يزعمون.

المسألة الخامسة: موقف اليهود من السيدة مريم أم المسيح عليهما السلام.

المسألة السادسة: مقارنة بين المسيح اليهودي والمسيح النصراني.

المسألة الأولى:

موقف اليهود من المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من خلال أسفارهم ومؤلفاتهم

فبالإضافة إلى ما أثبتناه في الفصل السابق من حديث التلمود عنه وعن أمه عليهما السلام من أقاويل مشينة يندى لها الجبين، أنقل وأثبت اعترافاتهم ومواقفهم ضده وضد أمه الطاهرة البتول من كتب علمائهم ومفكّريهم، ومن دوائر معارفهم، والتي توضح وتؤكّد مواقفهم العدائية منه ومن أمه الطاهرة عليهما السلام.

ففي دائرة المعارف اليهودية وتحت عنوان (عيسى الناصري في التاريخ) ما يلي:

«مؤسس المسيحية وُلد في الناصرة حوالي سنتين قبل الميلاد[1] كما جاء في

(١) قوله هنا: قبل الميلاد يدل على عدم صحّة التاريخ الميلادي وقد ذكر ذلك كثيرون آخرون.

لوقا[١]، قتل في القدس ١٤ إبريل أو ٢٩ إبريل سنة ٣٧٨٩ في التاريخ اليهودي»[٢].

حياته:

«بالرغم من أنها كانت شخصية خطيرة ولكن كان لها تأثير ضعيف ومباشر على مجرى التاريخ في العصور الوسطى.. بينما المراجع في التلمود كان أغلبه كقصة خيالية وأسطورة خرافية تماماً كالأناجيل المشكوك في صحّتها ولكن في اتجاه مضاد ومعاكس»[٣].

«ولا يوجد أي علاقة تدل في الكتابات اليهودية على أن ظهور المسيح سواء كان معلماً أو قائداً أو مرشداً اجتماعياً أو سياسياً، كان له تأثير عميق أو دائم على الأمّة اليهودية بصفة عامة، فخارج مدينة الخليل كان لا يكاد يعرف، وهذا على الأقل يوضح لنا الحقيقة بأن الأجزاء التلمودية وأكثرها كان قديماً وضعت عيسى في نفس مستوى ابن استادا الذي حوكم في لدا، وربما كان مساوياً ومشابهاً (لتيودوس الساحر) المسيح الكذاب الذي ظهر في عام ٤٤م، وكذلك يشبه النبي المصري الكذّاب الذي اختلق ثورة مسيحية بعد ذلك بسنوات[٤].

---

(١) يشير في لوقا ٣: ٢٣ وقد بحثت عن مكان إشارته فلم أجد ما يمكن أن يكون دليلاً على ما ذكر ووجدت ما يلي: «ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي» وقد بحثت في الفصلين السابق واللاحق لمكان إشارته فلم أجد ما يفيد حديثه!!.

(٢) انظر: Jweish Encyclopedia ج ٧، ص ١٦٠.

(٣) ومن الغريب حقاً أن دائرة المعارف الخاصة باليهود تتحدث عن التلمود بهذه الطريقة!! فهم يقدسونه أكثر من تقديسهم للتوراة!! ـ كما ذكرنا في الفصل السابق ـ ففي هذه العبارة يقرر مؤلفو هذه الدائرة أن التلمود كالأناجيل تماماً عبارة عن قصص وأساطير خرافية، ولكن الأناجيل تعظّم المسيح أما التلمود فهو في اتجاه مضاد ومعاكس لذلك تماماً.

انظر: Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ١٦٠.

(٤) وهذه العبارة تكشف مدى حقد اليهود الدفين على المسيح وعلى الأمة المسيحية حيث أنهم يقررون هنا في دائرة معارفهم بأنه لم يكن له أي تأثير على الأمة اليهودية، وأنه لا يكاد يعرف خارج مدينة الخليل، وكذلك فهم يشبهونه بالمتنبئين الكذبة والسحرة والدجالين، حاشاه ـ عليه السلام ـ أن يكون منهم وهو من أولي العزم من الرسل. قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

والذكر الوحيد لعيسى في المؤلفات اليهودية المعاصرة، وُجدت في قسم (جوزفس) وهي عبارة عن فقرات دُست بواسطة الناسخين المسيحيين، والذي يظهر أن أصل هذه الفقرات تحتوي على الفقرات الآتية: وجد في ذلك الوقت شخص يُدعى عيسى رجل رشيد الذي كان يقوم بمعجزات معلم لرجال متشوقين لتلقي بشائر جديدة، وبذلك جذب إليه كثير من اليهود وكذلك كثير من اليونانيين واعتبر لذلك المسيح، وعندما شهر به من رجالٍ مهمين منّا (أي من اليهود) قام بيلاطس الحاكم الروماني بالحكم عليه بالصلب[١]، ولكن الأشخاص الذين تأثّروا به في أول الأمر لم يتركوا اعتقادهم به والقبيلة المسيحية التي نسبت إليه لم تنقرض حتى هذا اليوم»[٢].

وتضيف دائرة المعارف اليهودية بأن الأناجيل قد أكّدت أن يوحنا المعمدان هو أول من قام ـ هو وجماعته ـ بالإعداد والاستعداد لما أسموه (بالحركة المسيحية) وذلك باستغفارهم وتعميدهم وصومهم استعداداً لقدوم المسيح، كما أن عيسى لا يُعد إلاّ من حواري يوحنا المعمدان ويُفهم من النص أن عيسى عليه السلام استغلّ سجن يوحنا فتقدم كداعي إلى مملكة السماء، وأنه يعترف أثناء نقاشه مع العلماء بأنه لم يكن نبياً بل إن يوحنا هو الذي يعترف به كنبي. أليس هذا بتناقض عجيب؟! إذ كيف يتقدّم بدلاً من يوحنا بالدعوة إلى المسيحية ثم لا يعترف بنبوته؟!

وبعد ذلك بأسطر قليلة يناقض مؤلفو الدائرة أنفسهم فهم يذكرون بأن عيسى لم يدع أنه لقب بأي لقب سوى أنه نبي أو عامل بالروح المقدس!!

وفيما يلي نص الترجمة من الإنجليزية من دائرة المعارف اليهودية:

«وتتفق وثائق الإنجيل على نقطة أساسية أكدت في (جوزفس) وهو المرجع السابق، وذلك أن الدافع للحركة المسيحية كان من يوحنا المعمدان وهو القديس الذي كان مع مجموعة أعدّوا أنفسهم لقدوم المسيح باستغفارهم وصومهم

---

(١) هذا تأكيد لاعتقاد اليهود بصلبه عليه السلام ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

(٢) انظر: Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ٥٠.
الناشر: Fun and Wagnalls Company.

وتعميدهم وذلك لتحضير أنفسهم لقدوم المسيح[1] واعتبر يوحنا كواعظ أو كداعي للتوبة والبشرى ممّا دعا الناس إلى الانسياق إلى نهر الأردن لتطهير أنفسهم من ذنوبهم توقّعاً لتوحيد المملكة المسيحية، وعرف بعد ذلك كطبقة من المعمدين، عرفوا تحت اسم (حواري يوحنا المعمدان) وعُرف ولاءهم جزئياً لفرقة (الماندينز)[2].

---

(١) ويشير إلى الإصحاح الثالث من متى، وعندما بحثت مكان إشارته وجدت ما يلي: «وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية. قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب من ملكوت السموات، فإن هذا هو الذي قيل عنه بإشعياء النبي القائل صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب» ١ـ ٣.

«حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلاً أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ، فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل برٍ حينئذٍ سمح له» ١٣ـ ١٥.

ويشير أيضاً إلى الإصحاح الأول من مرقس وعندما بحثت مكان إشارته وجدت ما يلي: «كما هو مكتوب في الأنبياء، ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك، صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة، كان يوحنا يُعمد في البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا، وخرج إليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم واعتمدوا منه في نهر الأردن معترفين بخطاياهم» ٢ـ ٦.

وهذه النصوص السابقة تشير ولو قليلاً على ما أراد قوله مؤلفو هذه الدائرة، ولكن النصوص التالية والتي أشاروا إليها في متن دائرتهم تلك لا تمت بأي صلة لما أرادوا قوله، وفيما يلي أنقل هذه النصوص من الإصحاح الثاني من لوقا:

«وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه، وكان قد أوحي إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب، فأتى بالروح إلى الهيكل، وعندما دخل بالصبي يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس، أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام» ٢٥ـ ٢٩.

«وكانت نبية حنة بنت فنوئيل من سبط أشير وهي متقدمة في أيام كثيرة قد عاشت مع زوج سبع سنين بعد بكوريتها» ٣٦.

ويشير كذلك إلى الإصحاح الخامس عشر من مرقس فبحثت مكان إشارته فوجدت ما يلي: «ولما كان المساء إذ كان الاستعداد أي ما قبل السبت، جاء يوسف الذي من الرامة مشير شريف وكان هو أيضاً منتظر ملكوت الله فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع» ٤٣ـ ٤٤.

(٢) هي فرقة يهودية، انظر:

The Mandaeans Brandt Die Mandaische Religion pp.136-218 et sea.

وقد كان عيسى عموماً واحداً من حواري يوحنا، ففي اللحظة التي سجن فيها يوحنا تقدّم عيسى كواعظ أو كداعي إلى مملكة السماء أو مملكة الله العلوية بنفس تعبير أستاذه[1]، وحتى النهاية كان عيسى يعترف أثناء نقاشه مع الكبار بأن يوحنا كان يعترف به عالمياً كنبي بينما هو نفسه (أي عيسى) لم يعتبر نفسه نبياً، وفي الحقيقة أن (هيرودس انتباس) عندما سمع بالمعجزات التي قام بها عيسى اعتقد بأن يوحنا المعمدان قد بُعث من موته، وأنه هو الذي قام بتلك المعجزات.

ولم يكن عيسى نفسه حسب السجلات القديمة قد ادّعى أي لقب غير أنه نبي أو عامل بالروح القدس كأي قديس[2] وبالتدريج فإن الشهرة الواسعة لعيسى

---

(١) ويشير إلى موضعين من إنجيل متى وموضع من إنجيل مرقس ليستدل به على أقواله وفيما يلي ننقل النصوص المشار إليها:

«ولمّا سمع يسوع أن يوحنا أسلم انصرف إلى الجليل، وترك الناصرة وأتى فسكن في كفر ناحوم» ٤ : ١٢. وبعد هذا النص بعدة فقرات وجدت نصاً أثبته ها هنا ولو لم يشير إليه المؤلف: لأنه يدل على ما أراد قوله من أن يسوع بدأ يعظ بعد أن قبض يوحنا: «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» متى ٤ : ١٧. فبإضافة هذه الفقرة إلى سابقتها يكمل المعنى. أما النص الآخر من متى فهو كما يلي: «فإن هيرودس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه في سجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه، لأن يوحنا كان يقول له لا يحل أن تكون لك» ١٤ : ٣ ـ ٥.

وهذا النص الأخير يدلّ على أن الأمبراطور هيرودس قد قبض على يوحنا بالفعل.

(٢) لا يخفى التناقض والذي يظهر واضحاً هنا في دائرة المعارف اليهودية، إذ كيف أن عيسى لم يعتبر نفسه نبياً؟! ثم يذكر ويقرر بعد سطرين فقط بأن يسوع لا يعترف بأي لقب سوى أنه نبي!!

ويقول الله سبحانه وتعالى في معرض الحديث عن عيسى عليه السلام:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٩].

ويشير مؤلفوا هذه الدائرة إلى مواضع من متى ولوقا ويوحنا فبحثت مكان الإشارة فوجدت أن هذه الفقرات التي أشاروا إليها لا تمتّ بأي صلة إلى ما أرادوا قوله. وفيما يلي أنقل تلك الفقرات:

«وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبي» متى ٢١ : ٤٦.

فالنصان يفيدان اعتراف الجموع بأنه نبي، على خلاف كلام المتن في الدائرة أنه =

كمبرىء وشافي وكمساعد لذوي العاهات والمرضى، والذي حجب أعمال يوحنا المعمدان ـ على الأقل في أواسط مجتمعات مدينة ناصرة الخليل بحيث اعتبر الأخير (أي يوحنا) فقط كمبشر للشخص الذي قدّر له أن يتغلّب على مملكة الشيطان، وأعني بذلك يسوع كرسول مملكة المسيح، أو منشىء المملكة المسيحية، وقد كان يوحنا من البداية قد تنبأ بمملكة المسيح[1]، وعيسى كرجل الشعب ابتعد وخالف ممارسات الصدوقيين والفريسيين في الابتعاد عن الاتصال بالمذنبين وجامعي الضرائب والعشارين والمحتقرين الذين كانوا يعتبرون معدين وملوّثين ونجسين، وهو يرفع من مكانتهم، متبعاً القول: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى[2] وشعر عيسى بالدافع على أن يبلغ الإنجيل للفقراء[3] وفي الحقيقة أصبح مخلص الطبقات

= هو يعتبر نفسه نبي، أو أنه لم يلقب نفسه بأي لقب سوى أنه نبي.

«فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه» لوقا ٧: ١٦.

«قالت له المرأة يا سيد أرني أنك نبي» يوحنا ٤: ١٩ وأيضاً فإن هذين النصين من لوقا ويوحنا لا يفيدان ما أراد قوله مؤلفوا هذه الدائرة.

(١) ويشير إلى مواضع من مرقس ولوقا، فبحثت مكان إشارته فوجدت ما يلي: «وكيف هو مكتوب عن ابن الإنسان أن يتألم كثيراً ويُرذل، لكن أقول لكم إن إيليا أيضاً قد أتى وعملوا به كل ما أرادوا كما هو مكتوب عنه» مرقس ٩: ١٢ـ ١٣.

«وقال لهما اذهبا إلى القرية التي أمامكما فللوقت وأنتما داخلان إليها تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد من الناس، فحلاه واتيا به» مرقس ١١: ٣.

«قالت له المرأة يا سيد أرى أنك نبي» يوحنا ٤: ١٩ ومما هو ظاهر بالملاحظة أن هذه النصوص المشار إليها لا تفيد المعنى المراد مما أرادوا قوله أو الاستشهاد له في دائرة المعارف لا من قريب ولا من بعيد، حتى أني أحاول ربط هذه النصوص المشار إليها بالمعنى المراد في متن هذه الدائرة فأقرأ عدّة فقرات قبل وبعد الفقرة المشار إليها. بل وأقرأ الإصحاح بأكمله وفي كثير من الأحيان أقرأ الإصحاح السابق واللاحق لاحتمال أن يكون قد وقع خطأ في كتابة الرقم، فلا أجد ما يدل على ما أرادوا الاستشهاد له!!

(٢) ويشير إلى متى ٩: ١٢ «فلما سمع يسوع قال لهم لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى».

وعلى خلاف ما سبق فقد وافقت هذه الفقرة ما جاء في متن الدائرة.

(٣) ويشير إلى موضع من لوقا: «وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى ودخل المجمَع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ» ٤: ١٦. ولكن هذا لا يفيد الاستشهاد لما ذكره مؤلفو هذه الدائرة ووجدت ما أرادوا الإشارة إليه بعد فقرات من نفس الإصحاح: «روح الرب =

الحقيرة والسَفلى وقد كانت استجابتهم سريعة أن رفعوه إلى منزلة المسيح»[1].

وتضيف دائرة المعارف اليهودية باللغة الإنكليزية ما ترجمته:

«والظاهر أنه (أي المسيح) لم يدع أنه المسيح قبل دخوله القدس لعدم إذاعة السر في أنه ابن داود[2] ويتّضح ذلك بالإنذار الذي أعطاه للحواريين وللمصابين بالأرواح الشريرة، وإشارته إلى نفسه بأنه ابن الإنسان بطريقة دانيال[3] ليس لها قيمة تاريخية، بينما في مرقس[4] وفي متى[5] أن ابن الإنسان يعني رجل، فبينما تنبؤات

= لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر، وأرسل المستحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة» ٤ : ١٨ـ ١٩.

(١) انظر: Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ٥٠.

(٢) ويشير إلى موضع من متى وعندما بحثت مكان إشارته وجدت ما يلي: (وأوصاهم أن لا يظهروه) ١٢ : ١٦ فلم أفهم فقرأت ما قبلها وما بعدها من فقرات فوجدت ما يلي:

«فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه، فعلم يسوع وانصرف من هناك وتبعه جموع كثيرة فشفاهم جميعاً، وأوصاهم أن لا يظهروه، لكي يتمّ ما قيل بإشعياء النبي القائل، هو ذا فتاي الذي اخترته حبيبي الذي سُرّت به نفسي، أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق» متى ١٢ : ١٤ـ ١٨. وكما هو واضح ليس هناك أي علاقة بين ما في المتن وما أشار إليه مؤلفو دائرة المعارف اليهودية هذه!!

ويشير أيضاً إلى موضع آخر من متّى فبحثت مكان إشارته فوجدت ما يلي: «حينئذٍ أوصى لتلاميذه أن لا يقولوا لأحدٍ أنه يسوع المسيح» متى ١٦ : ٢٠. وهذا موافق لما جاء في متن الدائرة على خلاف السابق.

ويشيرون إلى موضع من لوقا وعندما بحثت مكان إشارتهم لم أجد ما يفيد ما أرادوا قوله وفيما يلي نص لوقا المشار إليه: «وكانت شياطين أيضاً تخرج من كثيرين وهي تصرخ وتقول أنت المسيح ابن الله. فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوا أنه المسيح» لوقا ٤ : ٤١.

(٣) ويشير إلى موضع من دانيال ذكر فيه لفظ ابن الإنسان: «كنت أرى في رؤى الليل وإذا ما سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فربّوه قدامه» دانيال ٧ : ١٣. أيضاً يشير إلى موضع من متى ذكر فيها لفظ ابن الإنسان: «ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يُسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت» متى ٢٠ : ١٨.

(٤) ويشير إلى مرقس ٢ : ٢٨ «إذاً ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً».

(٥) ويشير إلى متى ٨ : ٢٠ «فقال له يسوع للثعالب أوجره ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه».

يوم الحشر في متى[١] ولوقا[٢] وما بعده وفي أماكن أخرى أخذت حرفياً من الوحي اليهودي، وقد نسبت إلى عيسى أنه تكلّم بها، ولكن تعاليم وأفعال عيسى فضحت بعد التحليل الدقيق اللهفة الشديدة من قبل الناس (بعد زوال عصر المسيح) والتي كانت فرحتهم ولهفتهم أشد وأكثر منها عند ظهوره وفي عصره»[٣].

ويضيف مؤلفوا الدائرة: «وما كان يسمى (بصلاة دعاء الرب) تصنيف رائع لأدعية يهودية قديمة[٤] وهي عبارة عن شكوى أو طلب التماس بدلاً من أن تكون الشكر لله على منحهم المملكة المسيحية، وكذلك جميع القوانين الأخلاقية التي وضعها عي لحوارييه في خطبة الجبل[٥] وهو ليس بقانون ومنهج لعالم يكاد يطير فرحاً لوصول منقذ البشرية[٦] ولكنه كمرشد للأقلية المختارة والقديسة التي تنتظر انتهاء هذا العالم سريعاً وقيام عالم آخر[٧] والأحداث الأخيرة فقط هي التي أدّت إلى التلميح بأن ابن الإنسان في تلك الأقوال يقصد بها عيسى».

وتضيف دائرة المعارف اليهودية تحت عنوان (القصص المنقولة عن اليهودية

---

(١) ويشير إلى متى ٢٤: ٢٥ «ها أنا قد سبقت وأخبرتكم» ويُلاحظ أن مؤلفي هذه الدائرة أشاروا إلى هذه الفقرة فقط وهي بحدّ ذاتها لا تفيد شيئاً ولكن الإصحاح ككل يتحدّث عن علامات انقضاء الدهر كما تفيد هذه الفقرة من نفس الإصحاح: «وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدّم إليه التلاميذ على انفراد قائلين: قل لنا متى يكون هذا وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر» متى ٢٤: ٣.

(٢) ويشير إلى لوقا ١٧: ٢٢ «وقال للتلاميذ ستأتي أيام فيها تشتهون أن تروا يوماً واحداً من أيام ابن الإنسان ولا ترون».

(٣) انظر: Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ٥١.

(٤) ويشير إلى موضع من لوقا لفقرات تنص على هذه الصلاة: «وإذ كان يصلي في موضع لما فرغ قال واحد من تلاميذه يا رب علّمنا أن نصلي كما علّم يوحنا أيضاً تلاميذه، فقال لهم متى صليتم فقولوا أبانا الذي في السموات ليتقدّس اسمك ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض» لوقا ١١: ١ـ ٤.

(٥) ويشير إلى موضع من لوقا لبعض فقرات من تلك الخطبة المشار إليها: «ورفع عينيه إلى تلاميذه وقال طوبا لكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله» لوقا ٦: ٢٠.

(٦) وهذا انتقاد واضح من كتاب الدائرة للقوانين والمناهج الأخلاقية التي أتى بها عيسى عليه السلام حسبما وردت في الأناجيل.

(٧) ويشير إلى موضع من متى: «ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى، فإني الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان» متى ١٠: ٢٣.

عن عيسى) عليه السلام ما ترجمته:

«القصص المنقولة عن اليهودية عن عيسى لها ثلاث مراجع كل واحد منها لا يعتمد على الآخر:

١ ـ من كتاب العهد الجديد المشكوك في صحّته والمؤلفات التي صدرت في المناقشات والمجادلات المسيحية.

٢ ـ من التلمود والميدراش[١].

٣ ـ من حياة عيسى الذي نشأ في العصور الوسطى.

وتميل كل هذه المصادر إلى تحقير وتصغير شخصية عيسى[٢] بنعته بولادة غير شرعية (ابن زنا) وبنعته بالسحر وبالموت الغير شريف، وبعض ما كتب عنه مثل أنه ساحر وجد ذلك بين الكتّاب الوثنيين وبعض المسيحيين الذين عاشوا مدةً طويلة مع اليهود، والذين يعتبرون من أصحاب البدع الضالين وهذا هو الأصل لتلك المصادر المذكورة، ويمكن القول بأن كثيراً من تلك القصص لها خلفية لاهوتية[٣] ولأسباب جدلية كان من الضروري أن يصرّ اليهود على أن ولادة عيسى غير شرعية وذلك ضد رجوع نسبة إلى داود الذي ادّعته الكنيسة المسيحية[٤] ونسبة

---

(١) لتعريف التلمود انظر ص ١٠ من هذا البحث، أما الميدراش فهو التعليم الشفهي للتوراة، والكلمة مأخوذة من أصل عبري معناه تعمق في الدراسة وهو على نوعين. (مدراش حلقه) وهو المتعلق بالنصوص التشريعية و(مدراش هاجاداه) وقد تناقلها العلماء اليهود شفهياً من جيل إلى جيل إلى أن جرى تدوينها في حوالي القرن السادس من الميلاد، انظر: اليهودية د .آيزويدور ابشتاين نقلاً عن (التوراة تاريخها وغاياتها) ترجمة وتعليق سهيل ديب ط ٢، ص ٩٤.

(٢) هنا كلام متناقض وغير صحيح، فكيف يقال إن كل هذه المصادر تميل إلى تحقير المسيح عليه السلام ومن بينها الإنجيل، ونحن نعرف أن بعض نصوص الإنجيل ترفعه إلى مقام الألوهية.

انظر مثلاً: يوحنا ١ : ١٤، يوحنا ٥ : ٢٥، لوقا ١ : ٣٥، مرقس ٥ : ٧

(٣) لا يخفى ما في هذه الأقوال من التناقض إذ كيف يقال بأن النعوت التي وصف بها عيسى عليه السلام من كونه ابن غير شرعي وأنه ساحر وجدت بين كتاب وثنيين أو بين مسيحيين عاشوا فترة طويلة مع اليهود ثم يضاف إلى ذلك بأنه يمكن القول بأن كثيراً من تلك القصص والنعوت لها خلفية لاهوتية!!

(٤) إذاً هذا اعتراف من دائرتهم اليهودية على أن إصرار اليهود على أنه ابن غير شرعي =

السحر إليه كانت ضد المعجزات التي ذكرت في الأناجيل، وتحقيره سواء في حياته أو بعد موته وذلك ضد الادعاء والتوهّم لقيامة عيسى(١) والقصص اليهودية عن عيسى تعتبر أقل عداوةً إذا قورنت بمثلها من كتابات الأميين(٢) وبعض المصادر المسيحية، وخصوصاً كالقصص التي تحكي الأساطير والتخيّلات التي وصف بها عيسى والتي استفزت اليهود(٣).

وهناك كتابات في مراجع موثوق بها تقول بأن عيسى ولد عن طريق غير شرعي(٤) فالجملة الخفية (ذلك الرجل) المذكورة في تلك المراجع قد وجدت في سجل العائلة لذلك الباحث الذي قد وجدها(٥) ويظهر أنها تدل على عيسى، وفي الكتابات المتأخرة قد استعملت جملة (الرجل الغير مسمّى) وترك ذكر اسم عيسى(٦)، أما لفظ (ابن زنا) فقد استعمل في الأيام المتأخرة، وذاك السجل العائلي للباحث المذكور ربما كان قد حفظ في القدس في المجتمع اليهودي المسيحي.

واليهود الذين اعتبروا كأعداء لعيسى في الأناجيل القانونية، اعتبروه بأنه ابن

= لنفي رجوع نسبه إلى داود الذي ادّعته الكنيسة المسيحية وليس لأنه كذلك، كما كانوا ولا زالوا يصفونه لعنهم الله بما قالوا.

(١) أيضاً هذا اعتراف منهم بأن احتقاره وتصغيره في حياته أو بعد موته كان ذلك لنفي ادّعاء أو توهّم قيامته من الأموات بعد صلبه ودفنه كما تدّعي الكنيسة المسيحية، وليس لأنه محتقر في ذاته فهو نبي معصوم مؤيد بالمعجزات عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

(٢) الأميون هم الجويم أو ما عدا اليهود من الأمم، ولكن ماذا قال الأميون عن المسيح عليه السلام وكيف عادوه، لا أعتقد أن هناك عداوةً للمسيح عليه السلام تفوق عداوة اليهود له، حتى ما فعلته به الحكومة الرومانية من السجن ثم الصلب حسب اعتقاد الفريقين (اليهود والنصارى) كان بإيعاز من اليهود.

(٣) لا أدري ماذا يقصد بالتخيّلات التي وصف بها عيسى والتي استفزّت اليهود، ولكن يظهر - والله أعلم - أنها معجزاته وصفوها بأنها تخيّلات.

(٤) انظر: Jesus is that in Yeb. IV. 3.
The Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ١٧٠.

(٥) وهو: R. Simeon ben Azza:
انظر: The Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ١٧٠.

(٦) ولكن عبارة (الرجل الغير مسمى) من غير نعت أو قرينة لا تدل على عيسى عليه السلام.

شرعي وولد بطريقة شرعية! وقد ظهر بيان معاكس لوجهتهم هذه لأول مرة(١). كما يقرر أحد الباحثين(٢). إلى أن من زنا بها كان جندياً اسمه بانثيرا، وبعد قرنين يظهر مرجع(٣) ينسب اسم بانثيرا إلى يعقوب من أجداد عيسى، ويوحنا من دمشق يضع أسماء بانثيرا في نسب مريم، ومن المؤكد كذلك أن المصادر عن الأحبار تعتبر عيسى ابن (باندیرا) كما أنه يسمى كذلك (ابن استادا).

ويظهر كذلك أن الزوجين بابوس يهوذا ومريم الماشطة اعتبرا أبوين لعيسى، وبابوس ليس له أي صلة بقصة عيسى، ولكن ارتبط اسمه بهذه القصة لأن زوجته كانت تدعى مريم، وكانت معروفة بأنها عاهرة(٤).

والبيان الوحيد الذي اتّفقت عليه كل هذه القصص المشوّشة هو ما له علاقة بمولد عيسى، بالرغم من أن هذا نسب إلى اليهود إلاّ أن هذا لا يعني بالضرورة أنهم هم الذين ألفوه، لأنه من الممكن أن يكون، قد ابتدأ بين المبتدعين المعادين لعيسى(٥) الذين تكلّموا باتهامات كريهة ضد عيسى، ومن المحتمل أن الاتهام بعدم شرعية ولادة عيسى لم تكن تعتبر ذات أهمية كبيرة عندئذ، لأن هذه التهمة ألصقت بكثير من الشخصيات الهامة، وهي متوفرة في الأساطير الشعبية.

كما أن محادثاته وخصامه مع الكتبة قد نسخها الربّانيون والأحبار في

---

(١) انظر: Acts of pilate
«Gosepel of Nicodemus» ed Thilo, in «Codex Apoc Novi Testamenti» i. Leipsic, 1832 ٦٢٥.
نقلاً عن: The Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ١٧٠.

(٢) مؤرخ يهودي يدعى celsus انظر: نفس المرجع السابق.

(٣) انظر: Epiphanius (Haeres IXXVIII 7)
نقلاً عن: The Jewish Encyclopedia، ج٧، ص ١٧٠.

(٤) لا يخفى ما في هذه الأقوال من التضارب والتناقض حول عيسى وأمه - عليهما السلام - فهناك منهم من يدّعي بأنه ابن غير شرعي!! بينما اليهود المعادين له اعتبروه ابناً شرعي!! ثم يدعون أن من زنا بأمه شخص يدعى بانثيرا، ثم يدعون أن الزوجين بابوس ومريم الماشطة أبوين لعيسى، وسرعان ما ينفى هذا القول، وذلك كله دون ترجيح رأي على رأي أو قول على قول، وإنما هو عرض لتلك الأقوال فقط، فيخرج القارىء مشوّش الذهن خال الفكر، ألا يتّقون الله إذ كيف ينسبون هذه الأقوال المشينة إلى نبي من أنبياء الله؟!

(٥) مثل: Ophites, Origen, Celsus
انظر: The Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ١٧٠.

مراجعهم، وكل الطبعات عن ولادته تحتوي على قصص مماثلة للخصام بين عيسى والكتبة الذين أعلنوا أنه ابن غير شرعي كنتيجة لتلك الخصومات»[1].

وقد تحدّثت دائرة معارف الديانات وعلم الأخلاق (باللغة الإنجليزية) تحت عنوان (المسيح عيسى عليه السلام في اليهودية).

ومختصر حديثها: بأن قدومه عليه السلام كان خيراً وبركة للأميين، ولكنه كان نذير سوء ومعاناة قاسية وطويلة لليهود لم يشهدها تاريخهم الماضي!! ولذلك فلا عجب أن يكتب اليهود ضد المسيح عليه السلام لأنه كان المصدر الأساسي لكل شقائهم.

وتضيف دائرة المعارف هذه ما يناقض القول السابق فتذكر أن اليهود لا يذكرونه إلاّ قليلاً وذلك لندرة وجود أخباره لديهم، أو لأنهم يعلمون بأن ما يريدون قوله لن يلقى قبولاً من الأميين عامة، ومن المسيحيين خاصة، أو لأنهم يخشون الاضطهاد.

وتضيف هذه الدائرة: بأنه يكفي أن يُعلم بأن الشخص المذكور تحت اسم (بن بنديرا) أو (ابن استادا) كان هو عيسى بالفعل ـ أي أنه ابن العسكري بنديرا فهو ابن غير شرعي حاشاه عليه السلام أن يكون كذلك وهو نبي من أولي العزم من الرسل ومع ذلك فهم يُخطّئون من يفترض عداءهم لعيسى عليه السلام.

وهناك بعض اليهود الذين اعتنقوا المسيحية قد أخبروا المسيحيين عمّا سجل في التلمود ضد المسيح عليه السلام وضد المسيحيين، وقد حاول اليهود الدفاع عن تلمودهم بأن ما كتب فيه لم يقصد به المسيح النصراني وإنما المقصود به مسيح آخر عاش قبله بقرن تقريباً.

وفيما يلي ترجمة النص الإنجليزي من دائرة معارف الديانات وعلم الأخلاق تحت عنوان:

«المسيح عيسى عليه السلام في اليهودية».

«العلاقة بين اليهودية والمسيحية لم تكن ودّية إلاّ نادراً، فالكنيسة في أولها

---

(١) إذا فقد اعتادوا أن يلصقوا هذه التهم المشينة بكثير من الشخصيات الهامة، وكان إعلانهم ونعتهم له بأنه ابن غير شرعي نتيجة للخصومات التي حصلت بينه عليه السلام وبين الكتبة من اليهود، انظر: The Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ١٧٠.

تخلّت عن النصر اليهودي وفي القرون التالية عندما أصبح للكنيسة القوة والقدرة على الاضطهاد لم تعتبر اليهود كأنساب وأقرباء لعيسى ولكن اعتبروا بأنهم رفضوا عيسى وقتلوه[1] ومن النادر أن تجد من يمتدح اليهود إلاّ من غير المسيحيين، واليهود من جانبهم أيضاً لا يوجد لديهم أي محبّة للمسيحيين أو أي قول حسن عنهم، وقدوم عيسى إلى العالم ربما كان قدوم بركة للأميين، ولكنه بالنسبة لإسرائيل كان نذير المعاناة القاسية والطويلة والتي لم يشهدها تاريخهم الماضي.

ولذلك لا يستغرب أن يتوقّع أن كتابات اليهود ستكون قاسية ضد مؤسس الديانة المسيحية لأنه المصدر الأساسي لكل شقائهم[2].

ومع ذلك لم يكن ذلك هو السبب، لأن الحقيقة الواضحة عن كتابات اليهود سواء في عهد التلمود أو في العصور الوسطى أو حتى في يومنا هذا هو ندرة ذكر المسيح نفسه، ويوجد الكثير من الجدل ضد المسيحيين خصوصاً فيما يتعلّق بالشريعة، ولم يقصر اليهود في الدفاع عن ديانتهم بكل أبعادها ضد الهجمات المسيحية، ولكنهم لا يذكرون المسيح إلاّ قليلاً، والسبب في ذلك هو أنه لا يوجد لديهم ما يقولونه، أو لأنهم يعلمون بأن ما سوف يقولونه لن يلق الرضى ولا القبول فلذلك آثروا الصمت في أوقات يخشون فيها الاضطهاد، عدا ذلك فهم لا يعلمون الكثير عن عيسى وليست لديهم الرغبة في أن يعرفوا أي شيء عنه.

وفي هذا العصر الحاضر بدأ بعض الكتّاب اليهود في إظهار رغبة حقيقية للتعرّف الكامل على التاريخ الحقيقي فيما يتعلّق بالمسيح، وقد تبيّن لهم بأن هناك ما يمكن أن يعلم ومن المستحسن لإسرائيل أن تعلمه.

أما في الفترة التي غطّاها التلمود فتحتوي على ميلاد عيسى ونشأة الكنيسة المسيحية، وبناءً على ذلك فما كتب في التلمود والكتابات المشابهة له تحتوي على

---

(١) الرفض والهزء والسخرية والتكذيب قد حصل له باعتقاد الجميع سواء أكانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهود، أما القتل والصلب فهذا باعتقادهم كنصارى ويهود بخلاف العقيدة الإسلامية والتي تنفي ذلك كما سيتّضح فيما بعد إن شاء الله.

انظر: ص ٤٢١ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) هنا يرد تساؤل في الذهن لماذا يدّعون أن المسيح عليه السلام هو المصدر الأساسي لكل شقائهم؟! وما هو دليل ذلك؟ وهل يمكن أن يكون نبي من أنبياء الله تعالى مصدر شقاء لأحد؟!

ما قالته اليهودية في القرون الخمسة الأولى بعد المسيح عن عيسى، وجملة ما كتب كان قليلاً ونادراً وما كان ذا أهمية، ويكفي أن يعرف بأن الشخص الذي ذكر في الأحاديث عن المدارس المختلفة تحت اسم (بن بنديرا) (ابن اسنادا) كان فعلاً هو عيسى، ولكن الأحاديث المنقولة عنه كانت قليلة جداً ولا تضيف أي شيء عمّا ذكرت في الأناجيل.

وعندما يجمع ما كتب عن عيسى في الكتابات الربّانية يتبيّن أنها ليست كثيرة في الكمية أو في المحتويات، وعلى كل فمن الخطأ أن يفترض أن تفي تلك الكتابات بتكوين اتجاه معاد للمسيحية أو لمؤسسها!! فقد كان الربّانيون يفكرون في ديانتهم وليس في ديانة أخرى.

وعندما يحتاج الأمر إلى التلميح عن عيسى يذكر ذلك على الهامش لبيان وجهة نظرهم وليس لأهمية موضوعه لديهم.

ولم يظهر في تفكير مؤلفي التلمود من الربّانيين أية أهمية لعظمة عيسى[١] وقد ذكر وكان ذكره قليلاً بأنه الرجل الذي أوجد الفتنة والنزاع لإسرائيل، وكان أقرب ما وصف به في التلمود هو أنه مارس السحر وخدع إسرائيل وأضلها[٢]، وسرعان ما كثر القيل والقال حول هذه الجملة بالتدريج حول عيسى مثل تلميح غير كريم عن مولده وذكرى محاكمته. ومثل ذلك مما يشبه ما جاء في التعليق على الأناجيل، ومن المحتمل أن تكون تلك الكتابات تعتمد أساساً على المعلومات المستقاة من الاختلاط بالمسيحيين أكثر من أن يكون الربّانيون أنفسهم قد قرأوا الأناجيل.

والنقطة الهامة هي أن عيسى لم يكن له وزن كبير عُبر عنه في الكتابات الربّانية في القرون الخمسة الأولى، وقد كان ـ في نظرهم ـ ينتمي إلى المسيحية، واليهودية تسير في طريقها لا تهتم به ولا بالديانة التي كان يدعو إليها.

وقد كان عهد التلمود عهداً صعباً بالنسبة لإسرائيل ولم يعد ذلك بصفة خاصة إلى اضطهاد المسيحيين لهم، ففي الحقيقة لم يذكر التلمود أي شيء عن اضطهاد

---

(١) ويا ليتهم توقفوا عند هذا الحد بل سخروا منه وهزؤوا به واتهامه بأفظع الاتهامات المشينة، انظر: ص ٣٥ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) Bob Sanh 1076 انظر: Encyclopedia of Religion and Ethics, James Hastings تأليف: مجلد ٧، ط ١٩٤٠م، ص ٥٥١.

اليهود على أيدي المسيحيين، وقد أشار التلمود إلى اعتناق الأمبراطورية للمسيحية كديانة ولكنه لم يشر إلى أي عداوة ضد إسرائيل.

أما في العصور الوسطى فقد حاول المسيحيون الدفاع عندما اتهموا بأنهم يتّبعون شريعة باطلة وخصوصاً عندما وصل بهم الأمر إلى اتهام عيسى بالكفر، وقد أخبر اليهود الذين اعتنقوا المسيحية إخوانهم المسيحيين عن الكثير ممّا كتب عن المسيح في التلمود، فحمل بذلك مجادلو المسيحية سلاحاً موجهاً ضد اليهود، وقد حاول مدافعو اليهودية الرد على ذلك الهجوم بزعمهم بأن ما كتب في التلمود من كتابات غير لائقة بعيسى لم يكن المقصود هو عيسى مؤسس المسيحية ولكنه شخص آخر عاش قبل قرن تقريباً من ولادة عيسى الناصري.

ولم يكن الهجوم موجهاً ضد التلمود وحده فهناك كتاب آخر[(١)] وجه تهماً كثيرة غير منسوبة إلى شخص معروف موجهة ضد عيسى[(٢)] وبعض بقايا هذا الكتاب وجدت في القرن التاسع وربما تكون من أصل ألماني، وهو عبارة عن قصة متّصلة عن ما ذكر عن عيسى في التلمود ولكنه بولغ فيه بطريقة قصد بها إثارة السخرية ولكنها الآن تعتبر عقيمة، فالتلميح الجارح في التلمود[(٣)] هو العنصر الأساسي للكتاب ولكن مجمل الكتاب غير مقبول، وهناك طبعات من الكتاب تظهر حتى الآن ولكن من الظلم اعتبار ما جاء به معبراً عن الأفكار اليهودية عن عيسى وهو يمثل الانتقام البئيس لليهودي المضطهد للعذاب الذي لقيه على أيدي المسيحيين، ولكن قادة اليهود لم يعترفوا قط بهذا الكتاب وبما جاء فيه سوى أنه هجوم غير لائقاً[(٤)].

وموقف يهود العصور الوسطى كان دقيقاً في تلميحهم مما رفع الاتهام عن

---

(١) Fugio Fidei نقلاً عن:
Encyclopedia of Religion and Ethics مجلد ٧، ص ٥٥٢.

(٢) Tola' oth Y'shu ed, e.g E. Bishoff, Leipzig 1895
نقلاً عن: Encyclopedia of Religion and Ethics مجلد ٧، ص ٥٥٢.

(٣) في الحقيقة لم يكن تلميحاً فقط وإنما كان تصريحاً جارحاً ومشيناً. انظر ص ٣٥ وما بعدها من هذه الأطروحة.

(٤) لم يكن هجوماً غير لائقاً فقط، وإنما كان هجوماً بذيئاً وفاحشاً على نبي من أنبياء الله - تعالى - بل ومن أولي العزم من الرسل.

أي نية سيئة ضد عيسى، والذي قصد الهزء به في الكتاب وبمعنى آخر أن يهود العصور الوسطى لم يكونوا ليتعرضوا له لولا أنهم اضطروا لفعل ذلك دفاعاً عن النفس[١].

وفي العصور الحاضرة ظهر تغير كبير في موقف اليهود نحو عيسى، وإن كان ذلك لا يشمل جميع اليهود، وظهر ذلك من كتابات كتابهم المرموقين ومن المحتمل أن تكون الحقيقة أن السواد الأعظم من اليهود الذين لم تسمح لهم ظروفهم بالتأثر من الأفكار الحديثة والذين لا توجد لديهم أي فكرة عن عيسى سوى أنه كان سبباً لأذى إسرائيل من وقت سحيق ولكن بزيادة الطمأنينة والحرية أوجدت الفرصة للعلماء والمثقفين اليهود أن يستفيدوا من الطرق الحديثة للبحث، وبذلك ابتعدوا عن الموقف الماضي بالكره الصامت لعيسى أو الامتناع من ذكره.

وهناك كتاب أُلّف في تاريخ اليهود يعتبر ذا تأثير كبير، عبّر فيه مؤلفه[٢] عن إعجابه بعيسى والذي اعتبره كناسك أُسيء إليه من إطراء تلاميذه أكثر من إساءة أعدائه، والصورة التي صوره بها أدّت إلى الانتقاد بدون شك ولكن النقطة الهامة هي المحاولة الجادة لإظهار صورة عيسى وهي محاولة لإنصاف عيسى من ناحية اليهود، ومن الطبيعي لم ير المؤرخ اليهودي في عيسى ما يراه المسيحيون فهو يصف عيسى كإنسان مخلوق ولم يُظهر في الصورة بأي طريقة ما يراه المسيحيون في إنسانية عيسى، ومهما يكن في الأمر من سلبيات فإن ما كتب في هذا الكتاب ـ المذكور ـ عن عيسى يعتبر أحسن وأعظم ما قاله اليهود عن عيسى حتى ذلك الوقت»[٣].

ونعود مرةً أخرى إلى دائرة المعارف اليهودية حيث تدّعي:

---

(١) لا بد وأن هناك استفهامات كثيرة ترتسم في ذهن القارىء الكريم، ولأول وهلة عند قراءته لهذه النصوص، فما هو الأمر الذي اضطرهم ليسخروا ويهزؤا بنبي من أنبياء الله تعالى؟!! وكيف يرفع الاتهام عنهم وهم قد فعلوا ذلك؟ بل وأعظم من ذلك من اتهامات مشينة يندى لها الجبين لا تليق برجل عادي وصف بالتقى والصلاح فضلاً عن أن تليق بنبي من أنبياء الله تعالى!

(٢) يُدعى Graetz أحد المؤرخين اليهود، انظر:

Graetz, Whose History of the Jews Gesch der Juderz ed 1863, Vol. III p.p. 222-252.

(٣) انظر: Encyclopadia of Religion and Ethics

تأليف :James Hastings، مجلد ٧، ط ١٩٤٠، ص ٥٥١ـ ٥٥٢.

«أن عيسى كان تأثيره بين أهله وجيرانه متبايناً ومختلفاً حيث اعتبره بعضهم بأنه مجنون ومختل العقل[١] (وتضيف) والذي يظهر أنهم لم يخالطوه ولم يتّبعوا الحركة المسيحية إلاّ بعد موته، وعيسى نفسه ساعد على إذكاء هذا الوضع برفضه الاعتراف لأي قرابة خاصة حتى لأمه[٢] كما أعلن أن القرابة الروحية تفوق قرابة الدم والنسب[٣]، كما شعر أنه مضطر إلى الخروج إلى النشاط العام، وفي نشوة النجاح لبداية عصر جديد في عشرة أشهر أدّت إلى حماس روحي شديد أدى إلى انطباع الوحي[٤].

وفي هذا الموضوع كتب أحد المؤرخين[٥] وقد وافق على أن هناك تفاعلات فكرية غير طبيعية حدثت في كلام وتصرّفات عيسى»[٦]!!

---

(١) ويشير إلى موضع في إنجيل مرقس «ولمّا سمع أقرباؤه خرجوا ليمسكوه لأنهم قالوا إنه مختل» ٣: ٢١ ننزه عيسى عليه السلام وننزه جميع أنبياء الله تعالى أن يكونوا كذلك.

(٢) (٣) ويشير إلى موضع في مرقس: «وكان الجمع جالساً حوله فقالوا له هو ذا أمك وإخوتك خارجاً يطلبونك، فأجابهم قائلاً من أمي وإخوتي، ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال: ها هي أمي وإخوتي، لأن من يضع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي» مرقس ٣: ٣٢ـ ٣٥.

وقد ذكر هذا النص أنه عليه السلام له إخوة وأخوات!! فكيف يكون ذلك وأمه عليهما السلام على الراجح لم تتزوج لأنها كانت موهوبة من أمها لخدمة بيت المقدس، وقد سكت كل من القرآن الكريم والكتاب المقدس عن ذكر زواجها، ولكن يرجح أنها عليها السلام لم تتزوج لأنها اشتغلت بالنسك والعبادة وخدمة بيت المقدس، كما رجّح ذلك الكثير، منهم الإمام ابن كثير في قصص الأنبياء، ج ٢، كما قد يتبادر إلى الذهن أن المقصود بتلك الأخوة الأخوة الإيمانية، ولكن يأتي نص من إنجيل يوحنا لينفي ذلك ويفيد أن إخوته لم يكونوا يؤمنون به، ٧: ١٠ـ ١١.

انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، رسالة ماجستير للباحثة، ص ٢٥٢ـ ٢٦٠.

ويشير إلى موضع آخر في مرقس: «فقال لهم يسوع ليس نبي بلا كرامة إلاّ في وطنه وبين أقربائه وفي بيته» ٦: ٤. ويشير إلى موضع في يوحنا: «ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمرة، قال لها يسوع ما لي ولك يا امرأة لم تأتِ ساعتي بعد» ٢: ٣ـ ٤، والدائرة تشير إلى هذه المواضع تريد الاستدلال على ما ذكرته من آراء عن عيسى عليه السلام.

(٤) لا أدري ماذا يقصد (بانطباع الوحي) هنا؟ هل معنى ذلك أنه أصبح بعد حماسه ذاك ودعوته نبياً أم ماذا؟

(٥) انظر: Holtzman War Jesus Ekstatiker? (lepsic, 1902).

(٦) انظر: Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ١٦١.

أما رأي اليهود في تعاليمه وأقواله عليه السلام كما هو مدوّن في دائرة معارفهم اليهودية فيوضحه ما ترجمته:

«وتعاليم عيسى الأساسية كانت هي تعاليم يوحنا المعمدان، وقد تركزت في نقطتين:

١ ـ التوبة.

٢ ـ قرب مملكة الله، وهناك نقطة أخرى لاحظها اللاهوتيون المسيحيون كجزء من تعليمه الأساسي وهو التصميم على أبوة الإله، وهذا اعتقاد عام لليهود ولا يحتاج ذلك إلى تأكيد أو إثبات بأن هذه النقطة يهودية بحتة[١].

أما من ناحية التوبة فإن اليهودية تضع وزناً كبيراً عليها في الحياة الدينية أكثر من المسيحية، ومن هذا المنطلق يعتبر عيسى يهودياً أكثر منه نصرانياً[٢].

أما من ناحية مملكة السماء فهي بالذات يهودية، ويظهر أن عيسى شارك اعتقاد العصور الوسطى بأن هنالك كارثة عالمية متوقعة، وأن مملكة السماء ستنشأ على أنقاض الدنيا المنتهية والهالكة»[٣].

---

(١) أي يد عون أن من تعاليمه عليه السلام أنه صمّم وأكّد على إمكانية أُبوة الإله، والظاهر أنهم يقصدون بها الأبوة النسبية لا التشريفية ـ تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً ـ وأن هذا الاعتقاد لم يكن خاصّاً به وإنما قد أخذه واقتبسه من اليهود.

(٢) يُفهم من ذلك أن معظم تعاليمه عليه السلام قد أخذها من اليهود، لذلك يعتبر ـ على حدّ قولهم ـ يهودياً أكثر منه نصرانياً، ولكن هناك سؤال يطرح نفسه. فإذا كان ذلك كذلك فلماذا تنسبون إليه وإلى والدته عليهما السلام البهتان وتقذفونهما بأبشع التهم بشهادة تلمودكم المقدس؟!! لا شك أنهم أناس منحرفون ومتناقضون.

(٣) ويشير إلى موضع في مرقس: «وقال الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة» ٩: ١.

ويشير أيضاً إلى موضع آخر من مرقس: «اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون متى يأتي رب البيت أمساءً أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحاً، لئلا يأتي بغتةً فيجدكم نياماً. وما أقوله لكم أقوله للجميع اسهروا» مرقس ١٣: ٣٥ـ ٣٧، وكما هو واضح أنه ليست هناك أي علاقة بين ما أرادوا قوله في دائرة معارفهم وبين هذا النص.

ويشير أيضاً إلى موضع من متى: «ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى، فإني الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان» ١٠: ٢٣، وحتى هذا النص من متى ـ كما يظهر واضحاً ـ ليس له أي علاقة بما أرادوا قوله في =

«وتقريباً من بداية دعوة عيسى اختلف عن يوحنا المعمدان في اتجاهين:

أولاً: إهمال نسبي لقوانين موسى أو قوانين الربانيين.

ثانياً: اتجاه شخصي من عيسى بنقض تلك القوانين[١] وموقفه هذا كان موقفاً يهودياً محضاً حتى في الاتجاهات التي تعتبر كلامه ضيق أفق في اليهودية، ويظهر أن عيسى كان يعظ بانتظام في المعبد اليهودي، وهذا يدل بأن تعاليمه لا تختلف عن تعاليم واعتقادات الفريسيين المعاصرة، وإلاّ لم يسمح له بذلك، ففي وعظه اتبع طريقة الأمثال الدارجة منها ٣١ مثال كتبت في الأناجيل والتي كوّنت في الواقع أكبر جزء من تعاليمه المدوّنة، ومن الواضح أن هذه الطريقة معرّضة لسوء الفهم، ومن الصعب في جميع الحالات أن تتّفق الآراء في فهم معنى المثل[٢] وهناك مثال يستحق الذكر هنا، ومن الواضح أنه قد غير لأسباب تعسفية لتستعمل ضد اليهودية[٣].

= دائرة المعارف اليهودية، حيث أن الحديث في الدائرة يدور حول التوبة وقرب مملكة السماء وهي ضمنياً من تعاليم المسيح والتي أخذها من تعاليم اليهود ـ كما يدعون ـ أما في نص متى فيأمرهم أنهم إذا طُردوا من هذه المدينة التي يسكنونها أن يتوجّهوا إلى مدينة أخرى حتى يأتي ابن الإنسان لذلك ليس هناك أي علاقة بين النصّين.

انظر: Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ١٦٢.

(١) يقصدون بذلك أن عيسى نقض قوانين موسى عليهما السلام فإذا كانوا يقصدون نقض أصول الدين فهذا محض افتراء، لأن أصول دين الأنبياء واحدة، ومصدرها واحد، وهو الحق سبحانه وتعالى ولا يمكن أن تنقض. ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣].

أما إذا كان مقصدهم فروع الدين من عبادات ومعاملات فالنسخ جائز في ذلك كما هو معلوم.

(٢) وقد استفاد من ذلك أعداء اليهود ـ كما يزعمون ـ في تحريف بعض نصوص الإنجيل ضد اليهود كما سيتضّح فيما بعد.

(٣) يشير إلى موضع من لوقا ليوضح بذلك المثال الذي حُرّف ليصبح ضد اليهود: «فأجاب يسوع وقال إنسان كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعرفوه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حي وميت، فعرض أن كاهناً نزل في تلك الطريق فرآه وجاز مقابله، وكذلك لاوي أيضاً إذ صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله، ولكن سامرياً مسافراً جاء إليه ولمّا رآه تحنن، فتقدّم وضمّد جراحاته وصبّ عليها زيتاً وخمراً وأركبه على دابّته =

وقد كان المثال عن السامري الطيب في النسخة الأصلية أن من مرّ على الجريح هم الكاهن واللاوي (ليفي)[1] والإسرائيلي العادي (وهذا يمثل الثلاث طبقات الكبيرة لليهود) الذي كان ولا يزال متبعاً في تقسيم اليهود، وبيت القصيد من هذا المثال أنه كان ضد الطبقة الكهنوتية الذي كان لأعضائها الاشتراك حقاً في قتل المسيح[2]، حيث أنه ـ في النسخ التي ظهرت مؤخراً[3] ـ حرف إسرائيلي أو يهودي إلى سامري[4] وهذا أوجد شيئاً من التناقض لأنه لا يوجد سامري في الطريق بين أريحا والقدس في ذلك الوقت»[5].

«كما يظهر أن التقاليد المتأخرة اعتبرته كثير الشكوك والوسوسة في الاحتفاظ بالناموس كاملاً[6] ومع ذلك وفي مواقف كثيرة تقاعس عن اتباع الناموس وإرشاداته على الأقل كما كان يفسره الربّانيون فبينما صام أتباع يوحنا المعمدان رفض عيسى

= وأتى به إلى فندق واعتنى به، وفي الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق وقال له: اعتن به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعي أوفيك، فأي هؤلاء الثلاثة ترى صار قريباً للذي وقع بين اللصوص، فقال الذي صنع معه الرحمة، فقال له يسوع اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا» لوقا ١٠: ٣٠ـ ٣٧.

(١) نسبة إلى لاوي أو ليفي أحد أبناء يعقوب عليه السلام أو هم الرجال الذين من سبط لاوي المكلّفون بالاهتمام بالمقدس.

انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٨٠٦، ٧٠٧ لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتين ط ٦.

(٢) هذا اعتراف صريح منهم بقتله عليه السلام كما يزعمون هم أي «اليهود والمسيحيون وإن كانت لهم محاولاتهم في ذلك ولكن الله تعالى شرفه بالرفع إليه من دنسهم وعبثهم» ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨].

(٣) أي أنه قد حدث تحريف وتبديل في النسخ الحديثة من الأناجيل، لتحتوي بذلك على نصوص ضد اليهود.

(٤) نسبة إلى مدينة السامرة وهو اسم عبراني معناه مركز الحارس، وقد كان هناك عداء شديد بين السامريين واليهود، ولم يكن اليهود يسمحون بأي علاقة دينية أو اجتماعية مع السامريين، وقد قبل بعض السامريين رسالة المسيح ولكن إقبالهم كان ضعيفاً.

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٤٨، ٤٥١، ط ٦.

(٥) انظر: ص ١٦٢، ج ٧، Jewish Encyclopedia.

(٦) ويشير إلى موضع من يوحنا لايمت إلى موضعه بأي صلةٍ وفيما يلي نص يوحنا المشار إليه: «من منكم يبكتني على خطية فإن كنت أقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بي» =

الصوم[1]!!

«فبينما كان يدّعي أنه لا يتدخل ولا ينقض الشريعة، فقد وجه أتباعه بأن يهتموا بالنية والدافع للعمل بدلاً من العمل نفسه، وهذا لم يكن جديداً على تطوّر الديانة اليهودية، فقد كان الأنبياء والربّانيون يصرّون على الدافع الداخلي للقيام بالأعمال الدينية كما هو موجود في فقرات من أشعياء [١]، وميخا [٦][2] وقد اطمأن عيسى بأن تطبيق هذا المبدأ كان من الناحية العملية كثورة في الحياة الروحية، كما أنه أكّد على التناقض بين الشريعة القديمة والجديدة خصوصاً في موعظته على الجبل[3]، كما يظهر أنه لم يطمئن بأن الروح الجديدة سوف تؤدي إلى أي تغيير في تطبيق الشريعة، ويظهر أنه اقترح بأن الزواج يجب أن يكون دائماً وأن لا يسمح بالطلاق[4].

= ٨:٤٦، ويلاحظ أن النص في دائرة المعارف يتهم المسيح عليه السم بأنه كثير الشكوك والوسوسة ذلك يقدح في قدرته على الاحتفاظ بتعاليم الشريعة، كما أنه تقاعس عن اتباعها!! ولا أدري كيف يتهمون أحد أنبياء الله تعالى بهذه الاتهامات المشينة؟!! إذ كيف يصطفيه الله تعالى لأداء رسالته ثم يشك أو يتقاعس عن أداء رسالته؟! أما النص المشار إليه من يوحنا فهو مجرد استفهام جرى على لسان المسيح يتساءل فيه عما إذ كان قد صدرت منه خطيئة وإذا كان ذلك لم يصدر عنه فلماذا لم يؤمنوا به؟ وليس هناك أي صلة بين النصين.

(١) المصدر السابق نفس الصحيفة.

(٢) لم يشير مؤلفو الدائرة إلى الفقرات من الإصحاحين المذكورين من أشعياء وميخا وقد بحثت فيهما فلم أجد ما يدل على ما أرادوا قوله.

(٣) إذا كان يُقصد من التناقض بين الشريعة القديمة والجديدة شريعة موسى وعيسى عليهما السلام فقد سبق وأن رددت عليهم في هامش ص (٦٦) بأن لا تناقض أبداً في أصول الشرائع وإنما قد يحدث النسخ في فروع الشرائع.

(٤) ويشير إلى موضع في مرقس يوضح فيه أن المسيح عليه السلام منع أو حرم الطلاق بخلاف شريعة موسى عليه السلام وفيما يلي نص مرقس: «فتقدم الفريسيون وسألوه هل يحل للرجل أن يطلق امرأته ليجربوه، فأجاب وقال لهم بماذا أوصاكم موسى، فقالوا موسى أذن أن يكتب كتاب الطلاق فنطلق، فأجاب يسوع وقال لهم: من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية، ولكن من بدء الخليقة ذكراً أو أنثى خلقهما الله، من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان، ثم في البيت سأله تلاميذه أيضاً عن ذلك، فقال لهم: من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها، وإن طلقت امرأة =

وفي التلمود أُثبت بأنه قد هدد عيسى بأن يغير الناموس القديم في حق وراثة البكر إلى وجوب حق إرث الأولاد والبنات بالتساوي ولكن لا يوجد ما يثبت ذلك في المصادر المسيحية، ولم يلاحظ أي تغيير منه في الشريعة خلاف النقاط السابقة»[1].

«وقد تكلّم الأنبياء بثقة عن حقيقة رسالتهم على أساس أنهم يعلنون كلمة الله، ولكن عيسى اتّبع ثقة مماثلة ولكنه أظهر سلطته الشخصية، وأن ما جاء به هو من عنده وليس من قوة عليا[2] ولم يدع علناً ـ مع ذلك ـ في أي وقت أي سلطة لها علاقة لمركزه كمسيح، والواقع أن ادّعاء مثل هذا حدث في أوقات متأخرة وتعتمد على أقوال الرسول بطرس[3]، وكان لها علاقة وثيقة لطلب الرسول المذكور أن يكون على رأس منظمة باسم عيسى، ولم يحاول الحواريون أن يعلنوا أي ادعاء مثل هذا[4] وقد كانت رغبة وهدف بطرس في أن يتولى القيادة بعد عيسى، واعتمد على أقوال تافهة ومضحكة من عيسى، وقد وجد مثل ذلك في أقوال الربانيين[5].

= زوجها وتزوجت بآخر تزني» في بعض الحالات فقد تستحيل الحياة بينهما، وإذا كان هذا الشرع قد صدر عن المسيح عليه السلام بالفعل فإنه خاص بزمانه إذ ليست شريعته عليه السلام عامه وخاتمه كما هو حاصل لشريعة سيد الأنبياء وخاتمهم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

(١) المصدر السابق، ص ٦٣.

(٢) هذا افتراء باطل على نبيّ الله عيسى عليه السلام من ضمن أباطيلهم وافتراءاتهم الكثيرة والتي لا تعد ولا تحصى إذ كيف يدعون أنه بسلطته عليه السلام ادعى (أن ما جاء به) من الوحي والتشريع بأن ذلك من عنده وليس من قوة علياً؟!! ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧].

(٣) يقال: إنه من حواري المسيح، وكان اسمه الأصلي سمعان، وكان صياد سمك، وقد جال بعد المسيح للتبشير، فذهب إلى أنطاكيا وغيرها، ثم ذهب إلى روما سنة ٦٥ فقبض عليه وزج به في السجن، وحكم عليه بالموت صلباً في زمن الإمبراطور نيرون، وقد طلب أن يصلبوه منكساً حتى لا يتشبه بالمسيح.

انظر: محاضرات في النصرانية للإمام أبو زهرة ص ٨١ . ٨٢.

(٤) ويشير إلى فقرة واحدة من متى وهي: (حينئذٍ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح) ١٦ : ٢٠.

(٥) ويشير أيضاً إلى فقرة واحدة من متى وهي: (وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى =

وفي الحقيقة مما يسترعي الانتباه أن أقوال عيسى كان لها طابع السلطة الذاتية والادعاء بأن السلام الروحي والإنقاذ لا يوجدان إلاّ في قبول قيادته ويدل على ذلك بعض العبارات في الأناجيل مثل: (احملوا نيري عليكم فتجدوا راحة لنفوسكم)[١].

(من يهلك نفسه من أجلي فسوف يخلصها)[٢].

(فيجيب الملك ويقول لهم الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم)[٣].

وهذه العبارات تدل على تولّي السلطة والقوة، وهذا الوضع غريب في التاريخ اليهودي، وهذا في الواقع أدّى إلى التنافر الروحي من اليهود ضد عيسى في الوقت الحاضر طالما أن هذا الاعتقاد ظلّ قائماً[٤]، ومن ناحية أخرى فإن كل الدلالات تدلّ على أن الهدف من أقواله كان يُقصد منها تحسين العلاقات الشخصية معه، وربما يعود ذلك من أن تجربته أثبتت أن الوصول إلى الراحة النفسية كان يعتمد على مجرد الثقة الإنسانية بحسن نواياه وقوة توجيهه.

وهناك سؤال يطرح نفسه فيما إذا اعتبر عيسى نفسه كمسيح أو حاكم روحي، ولكن لا يوجد دليل يمكن الإحاطة به في الأناجيل لتبرير هذا الادعاء، وتلك الأناجيل زعمت أن هذا الادعاء أخبر بعض الحواريين وبايعوه على أن يبقى هذا الأمر سراً[٥] وفي خطب عيسى للعامة لا يوجد أي أثر إطلاقاً لهذا الادعاء (ما عدا

= هذه الصخرة ابني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها) ١٦:١٨، وكما هو واضح لا علاقة ولا دلالة وثيقة بين هاتين الفقرتين وبين ما ذكر في الدائرة.

(١) متى ١١:٢٩.

(٢) لم يعين مؤلفو الدائرة هذه، الإنجيل الذي قد نقلوا منه هذه الفقرة فقط قيدوا ـ ٨: ٣٥ـ وعندما بحثت في الأناجيل الأربعة وجدتها في مرقس ٨:٣٥.

(٣) متى ٢٥:٤٠.

(٤) ولكن هذه العبارات وهذه الأقوال لا تحمل أبداً طابع السلطة الذاتية والتي سبقت على لسان السيد المسيح عليه السلام ولكن كره اليهود له عليه السلام ليس فقط في الوقت الحاضر، وإنما كان ذلك من أيام بعثته ولم يكن كرههم ونفورهم منه فقط وإنما كان ذلك لجميع الأنبياء المبعوثين إليهم.

انظر: ص ١١٠، ١٢٦ وما بعدهما من هذه الرسالة.

(٥) اعتقد أنه يقصد العبارة الواردة في متى والمشار إليها سابقاً (حينئذٍ أوصى تلاميذه =

احتمال استعمال تعبير ابن الإنسان) ومع ذلك يظهر أن عيسى اعتبر نفسه الشخص الذي تنطبق عليه بعض التنبؤات التي وُصف بها المسيح، والتي أُخذت من يهود العصور الوسطى[1].

وهناك شكّ فيما إذا كان هذا قول متأخر أو من كلام عيسى نفسه، الذي وصف بأنه خادم يهوه الذي وُجد في سفر أشعياء[2] ويظهر أنه لا يوجد أي دليل لاعتقاد يهودي بوجود مسيح يعذّب من أجل قومه، وإن كان هناك احتمال في اعتقاد أن هناك شخص يعاني مع قومه، وعيسى نفسه لم يستعمل قط لفظ المسيح بل اختار لقب ابن الإنسان الذي يمكن أن يكون له علاقة في فكره والذي يرجع إلى دانيال[3]، ولكن هذا يعني في اللاهوت الحديث إنسان بصفة عامة، وفي تفكيره أيضاً يحتمل أن هذا يرجع إلى تبرأ أهله منه[4] وبمعنى آخر اعتبر عيسى نفسه كإنسان وادّعى السلطة والعلاقة من هذه الوجهة، وقطعاً قد رفض الادعاء أن يلصق بنفسه صفة كونه المسيح أو أنه من سلالة داود الذي كان يجادل ضدها

= أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح) وفي عبارات دائرة المعارف اليهودية هذه شيء من التناقض، إذ يسوقون التساؤل هنا فيما إذا اعتبر عيسى نفسه مسيح أو حاكم روحي، ثم يضيفون بأنه لا يوجد دليل يمكن الإحاطة به في الأناجيل لتبرر هذا الادعاء، وهم قد قرروا في نفس الصحيفة بأنه (أي عيسى) لم يدع علناً ـ في أي وقت ـ أي سلطة لها علاقة لمركزه كمسيح!! ثم يضيفون بأن مثل هذا الادعاء قد حدث!! في أوقات متأخرة، ويعتمد على أقوال الرسول بطرس!!.

(١) أيضاً هذه الفقرة تناقض الفقرة السابقة والتي ذكرت في نفسه الصحيفة في دائرة المعارف اليهودية ص ١٦٣، حيث قرر بأنه عليه السلام لم يدع علناً في أي وقت أي سلطة لها علاقة لمركزه كمسيح من ضمن ذلك التنبؤات والمعجزات كما يُفهم من سياق الكلام، وفي هذه الفقرة قرروا بأنه عليه السلام قد اعتبر نفسه الشخص الذي تنطبق عليه بعض التنبؤات، والتي أخذت من يهود العصور الوسطى!!.

(٢) ويشير إلى الإصحاح ٥٣ من سفر أشعياء ولكن لم يحدد الفقرة التي يريدها، وقد بحثت في السفر المذكور فلم أجد لفظ (خادم يهوه) أو ما يدل عليه.

(٣) ويشير إلى فقرة في سفر دانيال: (كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن الإنسان أتى وجاء إلى قديم الأيام فقربوه قدامه) ٧:١٣ هكذا النص بالضبط.

(٤) كونه عليه السلام إنسان بصفة عامة هذا ما نقره ونعتقد به، ولكن أن يتبرأ أهله منه فلا دليل لهم على ذلك، ومع أن ذلك ليس شرطاً في عصمة الأنبياء عليهم السلام ـ وفيما نعلم ـ لم يكن له من أهله غير أمه السيدة مريم عليهما السلام وقد كانت معه إلى نهاية الطريق.

بطريقة التلمود[1].

ومن الصعب التقرير فيما إذا كان عيسى قد فكّر في إنشاء منظمةٍ دائمة لحمل مثله العليا، وقد كانت جميع أعماله لا تميل إلى أي فكرة للتنظيم!! وقد كان قبوله العملي للشريعة يدل على عدم وجود أي طريق للحياة منافسة لطريقته واعتقاده.. أما أولئك الذين يعملون بروحانية المسيح لا يمكنهم أن يفكّروا في دنيا أخرى خاصة بهم، وعلى العموم يمكن القول بأنه لم يعمل خططاً عامة ولكنه عالج كل مشكلة روحانية عند حدوثها، ويظهر أنه لم يكن لديه وعي برسالة معيّنة بالذات، وقد كان راضياً بأن يترك الأمور تأخذ مجراها»[2].

«هذه هي ملاحظة المراقبين لحياته وتصرّفاته، وقد كان مقتنعاً بأن يترك تأثير شخصيته على الناس حوله، وهم بالتالي ينقلون هذا التأثير بهدوء وبدون تنظيم، ويترك هذا التأثير كالخميرة[3].

وكان لعيسى التبرير في تفكيره في أن هذا الانتقال الجديد سوف يؤدّي إلى الانشقاق بدلاً من السلام في العائلات مفرقاً بين الأبناء والآباء[4].

والإعجاب والتبجيل للسواد الأعظم من العالم المتحضّر قد اتّجه منذ خمسمائة وألف عام نحو الشخصية الإنسانية الجذّابة ليهودي من الجليل كما قدم

---

(١) ويشير إلى موضع في الإنجيل المنسوب إلى مرقس: (ثم أجاب يسوع وقال وهو يعلم في الهيكل كيف يقول الكتبة إن المسيح ابن داود، لأن داود نفسه قال بالروح القدس قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، فداود نفسه يدعوه رباً، فمن أين هو ابنه، وكان الجميع الكثير يسمعه بسرور) ١٢ : ٣٥ ـ ٣٧.

(٢) انظر: E.P. Gould'St Mark، ص ٧٥.

نقلاً عن: ص ١٦٤، ج ٧، Jewish Encyclopedia.

ويلاحظ من الفقرة السابقة في دائرة المعارف اليهودية المحاولة للتقليل من شأنه عليه السلام ومن شأن رسالته واتهامه بأن جميع أعماله لا تميل إلى أي فكرة للتنظيم، وكذلك أنه ليس لديه وعي برسالة معينة بالذات!! لا أدري كيف يجرؤون على تجريح أحد أنبيائه ـ تعالى ـ وتجريح رسالة سماوية واضحة!!.

(٣) ويشير إلى الإصحاح ١٣ في إنجيل متى دون أن يشير إلى فقرة معينة وعندما قرأته وجدته إصحاحاً طويلاً ويحوي بعض الأمثلة التي وردت على لسان المسيح عليه السلام.

(٤) ويشير إلى إنجيل متّى ١٠ : ٥٣ والإصحاح العاشر في متى ٤٢ فقره فقط، ولم يصل إلى ٥٣!!

في الأناجيل، ومن الناحية التاريخية يجب الملاحظة بأن هذا الجانب من تصرفاته كان نحو الدائرة المحيطة به، أما في جميع خطبه العامة تقريباً فقد كان فظاً وشديداً وغير عادل بصورة واضحة نحو الطبقة الحاكمة والطبقة الغنية[1] وعند قراءة خطاباته التشهيرية ضد الفريسيين والكتبة والطبقة الغنية لا يستغرب أن مثل هذا سوف يساعده على السكوت كما يجب أن يذكر أن في خطاباته العامة كان نادراً ما يجيب على أي سؤال مهم إجابةً مباشرة عن أي مبدأ، ولكنه كان يتجنّب السؤال بسؤال مضاد، لذلك يجب وضع هاتين الخصلتين في الاعتبار.

ومناقضة عيسى للشرائع أصبحت أكثر وضوحاً للحكّام، وكثير من أفراد الطبقة المتديّنة تجنّبت الاتصال به[2] فقد أوضح بشدّة من أول الأمر صعوبة التوفيق بين القدسية والغني وبهذا تبنى آراء شبه اشتراكية[3].

وعلى الرغم من أن عيسى كان على استعداد أن يمكث في بيت زكّا الذي كان غنياً ورئيساً للعشارين[4] وفي مقابلته للشاب الغني ذكر في الإنجيل أن العطف كان محصوراً على فقراء الأرض المقدّسة فقط»[5].

---

(١) ونحن نتساءل ما هي أدلّتكم على أنه كان عليه السلام فظّاً شديداً وغير عادل نحو الطبقة الحاكمة والطبقة الغنية، وممّا لا شك فيه أن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم المصطفون الأخيار هم على مستوى عال وكبير من حسن الخُلق والخَلق ومع جميع طبقات مجتمعاتهم وإلاّ لانفضّ الناس من حولهم.

(٢) لقد رددت ـ فيما سبق ـ من هذا الفصل على اتهامهم له عليه السلام بأنه يناقض الشرائع فقلت إذا كان مقصودهم أصول الدين والشرع فلا يمكن أن يتناقض أبداً لأن المصدر واحد وهو الحق سبحانه وتعالى، وأما الاختلاف في الفروع فهذا وارد في شرائع الأنبياء عليهم السلام مع أنهم لا دليل لديهم لا من قريب ولا من بعيد على ما يدّعونه.

(٣) يشير إلى المزامير الآتية: ٩، ١٠، ٢٢، ٢٥، ٣٥، ٤٠، ٦٩، ١٠٩.

(٤) ويشير إلى موضع في لوقا: «ثم دخل واجتاز أريحا. وإذا رجل اسمه زكّا وهو رئيس للعشّارين وكان غنياً، وطلب أن يرى يسوع من هو ولم يقدر من الجمع لأنه كان قصير القامة، فركض متقدماً وصعد إلى جميزة لكي يراه لأنه كان مزمعاً أن يمر من هناك، فلمّا جاء يسوع إلى المكان نظر إلى فوق فرآه وقال له: يا زكّا أسرع وانزل لأنه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك» ١٩: ١ـ ٥.

(٥) انظر: ص ١٦٣ـ ١٦٤، ج ٧، **Jewish Encyclopedia**.

المسألة الثانية:

موقف اليهود ورأيهم في تعميد[1] المسيح عليه السلام:

كان الحديث عن هذا الموضوع في دائرة المعارف اليهودية مختصراً جداً ـ على العكس من المواضيع الأخرى المتعلقة به عليه السلام.

وقد زعم مؤلفو الدائرة أنه عليه السلام قد رفض أن يستسلم للتعميد من يوحنا المعمدان[2] أول الأمر ـ وهذا يعني أنه عمده بعد ذلك ـ وذلك لأن العادة المتّبعة لديهم أن من أذنب يجب عليه الذهاب إلى يوحنا ليعمده ـ ولم تذكر الدائرة ما هو الذنب الذي ارتكبه المسيح عليه السلام ليذهب إلى يوحنا لتعميده؟! وفيما يلي ترجمة نص دائرة المعارف اليهودية.

«وقد بدأت الأزمة في حياة عيسى مع وعظ يوحنا المعمدان وإرشاده للتوبة وقرب مملكة الله، فقد رفض عيسى أن يستسلم للتعميد من يوحنا في أول الأمر، فقد كانت العادة المتّبعة في (الإنجيل طبقاً لليهود) أن من أذنب يتحتّم عليه الذهاب إلى يوحنا وأدّى ذلك إلى انطباع قوي على شخصية عيسى، فربما جرّب لأول مرة قوة تأثير الشخصية العظيمة على جماهير الناس»[3].

وتضيف دائرة المعارف اليهودية:

«كما أن الفكرة الأساسية في فلسفة التعميد قد اقتبست من الاعتقادات وشريعة التعميد اليهودية وليست من المذاهب اليونانية الغامضة، وكثير من الشرائع

---

(١) المعمودية: هي طقس الغسل بالماء رمزاً للنقاوة والانخراط في سلك طائفة ما، وقد عرف اليهود هذه العادة واستعملوها، ولمّا جاء يسوع تبنّى هذا الطقس وجعله فريضةً في الكنيسة المسيحية، أي أن المعمودية في العهد الجديد تشبه الختان في العهد القديم، وكلاهما علامة على العهد. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٣٧، ط ٦.

(٢) ابن زكريا الشيخ وزوجته إليصابات، وقد كانت ولادته قبل ولادة المسيح بستة أشهر، وكان أبواه يسكنان اليهودية، وكان محرومين من بركة النسل، وكانت صلاتهما الحارة إلى الله أن ينعم عليهما بولد، وفي ذات يوم ظهر الملاك جبريل وسكن روعه وأعلمه أن الله قد استجاب لدعائه ودعاء زوجته، وأعطاه الاسم الذي يجب أن يسمى به الصبي متى ولد، وكان يعمّد التائبين بعد أن يعترفوا بخطاياهم في نهر الأردن، فأصرّ يوحنا على ضرورة تعميد الجميع بصرف النظر عن جنسهم وطبقتهم.

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ١١٠٦، ١١٠٧ باختصار.

(٣) انظر: ص ١٦١، ج ٧ Jewish Encyclopedia.

المسيحية التي عزاها العلماء إلى المذاهب الوثنية الغامضة وجدت في الحقيقة في محتويات ملفات البحر الميت[1]، ويسهل بذلك معرفة أن الشريعة المسيحية قد اقتبست منها»[2].

المسألة الثالثة:

موقف اليهود من معجزاته[3] عليه السلام:

يعتمد اليهود في حديثهم عن معجزات السيد المسيح عليه السلام في دائرة معارفهم اليهودية على الأناجيل الأربعة!! فينقلون منها ما شاؤوا وأحياناً يشيرون إلى ذلك ويعلّقون عليه.

ويتّهمونه عليه السلام بأنه ساحر وأنه تعلّم السحر في مصر، وأنه قد عاد سراً إلى القدس، وأنه قد تعلّم اسم (الإله الأعظم) والذي به استطاع القيام بمعجزاته، وقد وافق ما جاء في دائرة المعارف اليهودية في هذا الموضوع ما وجدته أثناء بحثي في كتاب أُلف بالعبرانية وترجم إلى اللغة الفرنسية تحت عنوان (ولادة يسوع) في الحديث عن رأي اليهود في معجزاته عليه السلام.

وقد احتوت هذه النصوص على تهم باطلة ضد السيد المسيح عليه السلام وأن معجزاته التي قام بها لم تكن إلاّ لأنه قد اختلس وتعلّم الكلمة (التي لا يجوز

---

(١) لعله يشير إلى كشوف وادي القمران (شرق الأردن) في مطلع سنة ١٩٤٧م، وهي تشتمل على نسخة كاملة من كتاب أشعيا، ونسخة مقروءة سليمه بعض السلامة من تفسير نبوءات حبقوق، وشذرات من تفسير كتاب ميخا، وقصة تسمى قصة الحرب بين أبناء النور وأبناء الظلام، ونسخة آراميه من كتاب غير معتمد بين كتب التوراة، وقصاصات متفرّقة من كتب شتى تلحق بكتب العهد القديم، وكلها مودعة في جرار كبيرة يوجد الكثير منها في بعض الكهوف المجاورة، لا يقدر عند علماء الحفريات وعلماء مقابلة الأديان، و لاشك أن اللفائف المكتشفة ذخيرة نافعة في بابها، ولكنها لا تضيف إلى معلوماتنا عن حقائق الرسالة المسيحية، ولا تخرجنا بشيء جديد في أمر هذه الرسالة».

انظر: موسوعة عباس محمود العقّاد الإسلامية (توحيد وأنبياء) المجلّد الأول، ط ١، ص ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٠ باختصار.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٩١.

(٣) المعجزة: أمر خارق للعادة داعية إلى الخير والسعادة مقرونة بدعوى النبوة قصد بها إظهار صدق ما ادّعى أنه رسول من الله تعالى.

لفظها) كما يعبّرون عنها والتي هي بمنزلة السحر والتي قد اختلسها وتعلمها في المعبد اليهودي، وأنه ابن الله ـ تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً ـ كما ويزعمون أنه قد احتال على الملكة هيلانة بإحياء ميت أمامها فأيّدته وآمنت به، وعندما علم أساتذة المعبد بذلك لقنوا يهوذا الاسخريوطي تلك الكلمة السحرية ليتفوّق على يسوع، وأُحضرا كلاهما أمام الملكة حيث تمكّن الاثنان من الارتفاع عالياً في الهواء فاستطاع يهوذا الارتفاع فوقه ثم بال عليه!! فسقط يسوع على الأرض، وحكمت عليه الملكة بالإعدام، ولكنه أُخذ وسُجن، ثم استطاع تلامذته إخراجه من السجن والهروب به، .ولكن يهوذا استطاع بعد ذلك أن يسلبه تلك الكلمة السحرية والتي يعبّرون عنها بالكلمة (التي لا يجوز لفظها)!! فانتهت بذلك معجزاته.

وفيما يلي أنقل ترجمة النص الفرنسي من كتاب (ولادة يسوع).

«هرب يسوع إلى القدس، وهناك في المعبد تعلم الكلمة التي لا يجوز لفظها، وكان على باب المعبد كلاب تنبح فتنسي الخارج الكلمة إياها، وقد عمد يسوع إلى كتابة هذه العبارة على قطعة جلديه خاطها على فخذه قبل الخروج من المعبد تفادياً لنسيانها، وقد جمع حوله في بيت لحم أصحابه من اليهود وادّعى أنه المسيح وابن الإله، وليعطي وزناً أكبر لأقواله كان يقوم بالعجائب ويشفي المرضى من عرج وبرص باستعماله تلك الكلمة (التي لا يجوز لفظها).

أُخذ يسوع بعدها لمواجهة الملكة هيلانة حاكمة إسرائيل واتهم بالخداع والاحتيال، ولكن يسوع أحيا ميتاً أمام الملكة، فما كان منها إلاّ أن أيّدته وآمنت به، فذهب بعدها إلى الجليل حيث قام بعدّة عجائب زادت عدد أتباعه زيادة كبيرة.

وعندما علم أساتذة المعبد بذلك قاموا بتلقين الكلمة التي لا يجوز لفظها إلى يهوذا الاسخريوطي أحد تلامذة يسوع!! بحجّة المضاربة عليه والقيام بعجائب مماثلة، وقد أحضر كلاهما للمثول أمام الملكة حيث تمكّن يسوع من الارتفاع عالياً في الهواء، فما كان من يهوذا إلاّ أن ارتفع أكثر منه وبال عليه، فسقط يسوع على الأرض، فحكمت عليه الملكة بالإعدام وسلّمته إلى أساتذة المعبد الذين أخذوه إلى طبريا وسجنوه هناك، ولكنه كان قد أقنع تلاميذه بأن المصائب التي تلحق به ما هي إلاّ ما كتب عليه منذ بدء العالم، فما كان من تلاميذه إلا أن تخاصموا مع أساتذة المعبد وأخرجوا يسوع من السجن وهربوا به إلى أنطاكية، من أنطاكية ذهب إلى مصر، ولكن يهوذا الذي استطاع أن ينضم إلى تلاميذه مرة ثانية استطاع أن يسلبه

الكلمة التي لا يجوز لفظها»[1].

أما دائرة المعارف اليهودية فقد أوردت كلاماً مشابهاً لما ورد في كتاب (ولادة يسوع) والذي أُلف باللغة العبرية دون أن تذكره كمرجع لها..

وفيما يلي ترجمة لما ورد في دائرة المعارف اليهودية من اللغة الإنجليزية:

«وكما ذكر في التلمود أن عيسى قد تعلّم السحر من مصر، وقام بالمعجزات بواسطة هذا السحر، وقد طوّر ذلك السحر لأحداث المعجزات، ولكن لم يذكر طبيعة الأعمال السحرية التي قام بها، وقد ذكر بأن حواري عيسى شفوا المرضى باسم عيسى بن باندرا، ويمكن القول بأنه قد اعتبرت معجزات عيسى بأنها شفاء بطريقة إعجازية أيضاً، والكهانة والشعوذة التي نسبت إلى عيسى تختلف عن السحر.

وعندما طرد عيسى من أساتذة المعبد يقال بأنه عاد سراً من الجليل إلى القدس حيث سرق الرق (جلد خفيف يكتب عليه) والذي كتب عليه اسم الله الأعظم والذي كان تحت حراسةٍ في المعبد وأخفاه، ويقال بأنه قام بعمل معجزاته باستعمال هذا الاسم، وقد تطوّع يهوذا الاسخريوطي للقيام بالسحر، لذلك فقد نشبت معركة جوية بين عيسى ويهوذا، والتي انتصر فيها يهوذا وهرب عيسى بعد ذلك.

والاتهام بالسحر كثيراً ما وُصف به عيسى، حتى أن بعض المسيحيين الضالين المبتدعين نظروا إلى مؤسس ديانتهم كساحر، كما كان الرأي العام لروما اتّهام جميع المسيحيين بأنهم سحرة، كما اعتبر رسل عيسى من السحرة، ولم يكن هذا الاتهام ولا ذلك الاتهام المتعلّق بولادة عيسى قد ذكر في الأناجيل القانونية، ولكن في التقارير الغير قانونية الغير معترف بها»[2].

ونحن إذ ننزه نبي الله عيسى عليه السلام عمّا قاله ويقوله اليهود فيه نقول: بأن معجزاته عليه السلام بتأييد ونصر وإذن من الله جلّ وعلا فالعقيدة الإسلامية في أنبياء الله تعالى هي العقيدة الحقة وهي العقيدة الوسط فلا إفراط ولا تفريط. فهو

---

(١) انظر كتاب: Jesus De Naszreth
تأليف Joseph Klausner نقله من العبرية إلى الفرنسية M.R. Lavilie طبع سنة ١٩٣٣م، ص ٥٧، ٥٨.

(٢) انظر: ص ١٧٠، ١٧١ ج ٧، Jewish Encyclopedia.

عليه السلام كغيره من أنبياء الله تعالى المصطفين الأخيار بل هو من أُولي العزم من الرسل، وقد أيّده الله تعالى بنوع من المعجزات تناسب أهل زمانه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾[١]

وكما ذكرت ـ فيما سبق ـ فإن اليهود يتّهمون السيد المسيح عليه السلام بأنه ساحر، وأنه قد تعلّم السحر في مصر وفيما يلي ترجمة للنص من دائرة المعارف اليهودية:

«وقد قام عيسى بجميع معجزاته بواسطة السحر، وهذه المعجزات لم تكتب بطريقة خاصة في التلمود، وقد ذكر بعض منها في الأناجيل مثل شفاء الأعرج والأعمى والمجذوم، وهذه تختلف بطبيعتها ولو أنها تعتمد على الأناجيل مثل قصة مشي المسيح على البحر فوق حجر رحى ثقيله»[٢].

«وهناك معجزات أُخرى عُرفت عن طريق تقارير مشكوك في صحّتها مثل القصة بأن عيسى خلق من الطين أو الرخام كهيئة الطير، وأوجد الحياة فيها، وهذه القصة موجودة في (إنجيل توماس) وفي القرآن، وهذه الأساطير قد ضخّمت في (To Le Dot) المتأخر وإن كانت تدور حول نفس الموضوع»[٣]. وتضيف دائرة

---

(١) سورة المائدة، الآية ١١٠.

انظر: ص ٢٧٧ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) انظر: (To Le Dot) طبعة Wagenseil، ص ١٤. نقلاً عن: Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ١٧٢.

(٣) ويشير إلى موضع من متى: «فلما عبروا جاؤوا إلى أرض جنيسارت، فعرفه رجال ذلك المكان فأرسلوا إلى جميع تلك الكورة المحيطة وأحضروا إليه جميع المرضى، وطلبوا إليه أن يلمسوا هدب ثوبه فقط، فجميع الذين لمسوه نالوا الشفاء» ١٤: ٢٥ـ ٢٦.

ويشير إلى موضع آخر من متى: «ومن أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخير له أن يُعلّق في عنقه حجر الرحى ويغرق في لجة البحر» ١٨: ٦، ومن الملاحظ أن النص الأول صحيحاً في الاستشهاد نوعاً ما، أما النص الثاني فلا علاقة له بما جاء في نص دائرة المعارف اليهودية.

To Le Dot أحد أجزاء التلمود، انظر: نفس المرجع السابق.

المعارف اليهودية: «وخوارق العادات التي ادُعي أن عيسى قام بها ما هي إلاّ مجرّد أقوال ذكرت في إنجيل يوحنا»(١).

«وكثير من الحوادث قد اخترعت فعلاً خصوصاً في متى، لكي يطابق التنبؤات لتجعل منه شخصية المسيح نفسه أو ما مثلها حواريه، ومع ذلك أن الأمور الخارقة للطبيعة في حياة عيسى التي جاءت في الأناجيل قد حُصرت في أصغر بُعد، وتتكوّن أساساً من حوادث وتصرّفات قُصد بها دعم تلك التنبؤات وتدعيم مركز المسيحية، وهذا ينطبق ـ خصوصاً ـ على قصة الولادة من عذراء وهي أسطورة شائعة في كل أبطال الأساطير، والتي يُقصد فيها عظمة وتفوق البطل على غيره من الناس، كما أن الادعاء الغير ثابت رجوع نسبه إلى داود من خلال يوسف، والتي اعتمدت على نسبتين للنسب لا تتفقان متى [١] لوقا [٣]»(٢).

«وبدلاً من أن يعيش في البرية مثل يحيى أو ايسينس(٣) التي كانت ميوله تشبه ميولهم عاد إلى موطنه الأصلي، وبحث عن أولئك الذي كان يتمنى أن يؤثر فيهم، وقد تصادف أن تكوّنت عنده قوة جبارة للشفاء، شخص مريض بالحمى(٤)، وآخر

---

(١) ولم يشر إلى أي فقرة أو أي إصحاح في إنجيل يوحنا.

انظر: Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ١٦٠.

(٢) ولم يشر إلى أي فقرة في متى أو في لوقا، ولعله يقصد الفقرة الأولى من الإصحاح: «كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم. . إلخ» متى ١: ١ـ ٢. ولعله يقصد من لوقا الفقرة التالية: «ولما ابتدأ يسوع كان له ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي بن متثات بن لاوي . .بن متاثا بن ثاثان بن داود. .» انظر لوقا ٣: ٢٣ـ ٣٨ وكما ذكرت دائرة المعارف اليهودية أن النسبتين لنسبه في الإنجيلين المذكورين لا تتفقان.

ومن الواضح أن هذا النص من دائرة المعارف اليهودية ينفي معجزاته عليه السلام بطريقة غير مباشرة، كما ينفي ولادته من العذراء!! ويذكر بأنها أسطورة شائعة في كل أبطال الأساطير.

انظر: المصدر السابق، ص ١٦١.

(٣) أي النساك مفردها ناسك.

(٤) ويشير إلى موضع في مرقس: «وكانت حماة سمعان مضطجعة محمومة، فللوقت أخبروه عنها، فتقدّم وأقامها ماسكاً بيدها فتركتها الحمى حالاً وصارت تخدمهم» مرقس ١: ٣٠ـ ٣٢.

مجذوم[1]، ومشلول[2]، وذو صرع[3] شفي بواسطته، ولكن معظم نشاطه منصب لإخراج الشياطين، وقد كان الطب الشعبي في ذلك الوقت يفيد في شفاء الأمراض العصبية والنفسية، ويظهر أن عيسى كان يشارك الاعتقاد المعاصر لليهود بالإيمان الغيبي لوجود الشياطين أو الأرواح الشريرة، وأكثر معجزاته في الشفاء تضمّنت إخراج الشياطين بإصبع الإلٰه[4] أو بروح الإلٰه[5]، ويظهر أنه كان يعتقد أن الأمراض كانت تعود إلى الشياطين[6]، وكانت من وظائفه الرئيسية التي انتقلت منه إلى حوارييه القوة على إخراج الأرواح النجسة والتخلّص منها[7]، وكان تفوّقه على أتباعه قد ظهر باستطاعته التخلص من الشياطين بينما فشل الأتباع في ذلك[8].

---

(١) ويشير إلى موضع في مرقس فبحثت ووجدت النص الآتي: «فأتي إليه أبرص يطلب إليه جاثياً وقائلاً له إن أردت تقدر أن تطهرني، فتحنن يسوع ومدّ يده ولمسه وقال له أريد فاطهر، فللوقت وهو يتكلم ذهب عنه البرص وطهر» ١: ٤٠ـ ٤٣.

(٢) ويشير إلى موضع في مرقس أيضاً: «ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا قال للمفلوج، لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك، قام للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل حتى بهت الجميع ومجّدوا الله قائلين ما رأينا مثل هذا قط» ٢: ١٠ـ ١٢.

(٣) ويشير إلى ٩: ١٥ـ ٢٩ دون أن يذكر في أي الأناجيل فبحثت في مرقس فوجدت ما يلي: «فأجاب واحد من الجمع وقال: يا معلم قد قدمت إليك ابني به روح أخرس وحينما أدركه يمزقه فيزبد ويصر بأسنانه وييبس» ٩: ١٧ـ ١٨. «فلما رأى يسوع أن الجمع يتراكضون انتهر الروح النجس قائلاً له: أيها الروح الأخرس الأصم أنا آمرك، اخرج منه ولا تدخله أيضاً، فصرخ وصرعه شديداً وخرج. . فأمسكه يسوع بيده وأقامه فقام» ٩: ٢٥ـ ٢٧.

(٤) ويشير إلى موضع في لوقا: «ولكن إن كنت بإصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» ١١: ٢٠.

(٥) ويشير إلى موضع في متى فبحثت مكان إشارته فوجدت ما يلي: «ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» ١٢: ٢٨.

(٦) ويشير إلى موضع في لوقا: «ولما قام من المجمع دخل بيت سمعان، وكانت حماة سمعان قد أخذتها حمى شديدة فسألوه من أجلها، فوقف فوقها وانتهر الحمى فتركتها في الحال قامت وصارت تخدمهم» ٤: ٣٨ـ ٣٩.

(٧) ويشير إلى موضع من الإنجيل المنسوب إلى متى: «ثم دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف» ١٠: ١.

(٨) ويستشهد بنص من مرقس: «ولما جاء التلاميذ رأى جمعاً كثيراً حولهم وكتبةً =

ومن الصعب معرفة مقدار الحقيقة في معجزة الشفاء، والتي سجّلت بعد أربعين عاماً من حدوثها، ولكن مما لا شك فيه أن الحماس الفكري من تأثير عيسى كان له تأثير جزئي أو وقتي لعلاج الحالات والأمراض النفسية، وهذا ممّا يؤكد الانطباع بين أولئك الذين شهدوا الشفاء، وبين حواريه على أن له قوة خارقة للعادة، وقد كان هو نفسه لا يميل إلى المبالغة في إعجازه في الشفاء، وهذا يظهر واضحاً في حالة ابنة بايرس، فقد أعلن بوضوح بأن الصبية التي أحياها لم تمت ولكنها كانت نائمة»[1].

وتواصل دائرة المعارف اليهودية حديثها عن معجزات المسيح عليه السلام فتقول: «ولما سجن يوحنا المعمدان تولّى عيسى عمل سيده كواعظ ومبشّر للتوبة وذلك لقرب مملكة الله[2]، وقد اختار بحيرة جينسارت[3] الجميلة كميدان

= يحاورونهم، وللوقت كل الجمع لما رأوه تحيّروا وركضوا وسلّموا عليه، فسأل الكتبة بماذا تحاورونهم، فأجاب واحد من الجمع وقال: يا معلم قد قدمت إليك ابني به روح أخرس، وحيثما أدركه يمزقه فيزبد ويصرّ بأسنانه وييبس، فقلت لتلاميذك أن يخرجوه فلم يقدروا» ٩: ١٤ـ ١٨.

(١) ويستشهد بنص من إنجيل مرقس: «وبينما هو يتكلم جاؤوا من دار رئيس المجتمع قائلين ابنتك ماتت، لماذا تتعب المعلم بعد، فسمع يسوع لوقته الكلمة التي قيلت. فقال لرئيس المجمع لا تخف آمن فقط، ولم يدع أحداً يتبعه إلاّ بطرس ويعقوب ويوحنا أخا يعقوب، فجاء إلى بيت رئيس المجمع ورأى ضجيجاً يبكون ويولولون كثيراً، فدخل وقال لهم لماذا تضجون وتبكون، لم تمت الصبية لكنها نائمة، فضحكوا عليه، أما هو فأخرج الجميع وأخذ أبا الصبية وأمها والذين معه ودخل حيث كانت الصبية مضطجعة، وأمسك بيد الصبية وقال لها: طليثا قومي الذي تفسيره يا صبية لك أقول قومي، وللوقت قامت الصبية ومشت لأنها كانت ابنة اثنتي عشرة سنة، فبهتوا بهتاً عظيماً، فأوصاهم كثيراً أن لا يعلم أحد بذلك وقال أن تُعطى لتأكل» مرقس ٥: ٣٥ـ ٤٣.

انظر: Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ١٦١، ١٦٢.

(٢) ويستشهد مؤلفو الدائرة بنص من إنجيل مرقس فبحثت مكان إشارتهم فوجدت ما يلي: «وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» مرقس ١: ١٤.

(٣) وهي ما يطلق عليها بحر الجليل أو بحر طبرية وهو الاسم المشهور به بين العرب، وهي بحيرة عذبه تستمد مياهها من نهر الأردن.

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٦٦.

لنشاطه. . وقد كان نشاطه الرئيسي هو شفاء الذين التمسوا بأرواح شريرة نجسه والذين تجمعوا في المعابد غروب يوم السبت(١)، وحيثما تجوّل في الجليل وسوريا اتبعه الناس(٢) يحضرون له المرضى والمجانين، وأصحاب الصرع والمشلولين لشفائهم، وقد كان يخرج الأرواح الشريرة بزجرهم(٣) بكلمة سحرية(٤) وفي بعض الأحيان شفى المصابين بمجرد لمسة من يده(٥) أو بقوة تبعث منه إلى أهداب ثوبه(٦)، أو استعمال الريق بوضعه على العضو المصاب مع الهمس، وبنفس قوة الرقية استطاع إخراج مجموعة كبيرة من الأرواح الشريرة وعددهم ٢٠٠٠ من رجل مجنون من نزلاء المقابر وجعلهم يدخلون في قطيع من الخنازير(٧) وقد كانت هذه

---

(١) ويستشهد أيضاً بنص من مرقس: «ولما صار المساء إذ غربت الشمس قدموا إليه جميع السقماء والمجانين، وكانت المدينة كلها مجتمعة على الباب، فشفي كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة وأخرج شياطين كثيرة ولم يدع الشياطين يتكلّمون لأنهم عرفوه» ١: ٣٢ـ ٣٤.

(٢) ويشير إلى نص من متى: «وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب، فذاع خبره في جميع سورية فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة والمجانين والمصروعين والمفلوجين فشفاهم» متى ٤: ٢٣ـ ٢٤.

(٣) ويستشهد بنص من إنجيل متى: «فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفي الغلام من تلك الساعة» متى ١٧: ١٨.

(٤) ويشير إلى موضع من متى «فأجاب قائد وقال يا سيد لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي، لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامي» متى ٨: ٨.

(٥) ويشير إلى موضع من متى يقول: «وفيما هو يكلمهم بهذا إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلاً إن ابنتي الآن ماتت لكن تعالى وضع يدك عليها فتحيا» ٩: ١٨ «فلما أخرج الجمع دخل وأمسك بيدها، فقامت الصبية، فخرج ذلك الخبر إلى تلك الأرض كلها» ٩: ٢٥ـ ٢٦.

(٦) ويستشهد بنص من متى أيضاً: «وإذا امرأة نازفة دم منذ اثنتي عشرة سنة قد جاءت من ورائه ومسّت هدب ثوبه، لأنها قالت في نفسها إن مسست ثوبه فقط شفيت، فالتفت وأبصرها فقال ثقي يا ابنة إيمانك قد شفاك، فشفيت المرأة من تلك الساعة» ٩: ٢٠ـ ٢٢.

(٧) ويستشهد بنص من لوقا: «ولما خرج إلى الأرض استقبله رجل من المدينة كان فيه شياطين منذ زمان طويل وكان لا يلبس ثوباً ولا يقيم في بيت بل في القبور، فلما رأى يسوع صرخ وخرّ له وقال بصوت عظيم، مالي ولك يا يسوع ابن الله العلي أطلب منك أن لا تعذبني، لأنه أمر الروح النجس أن يخرج من الإنسان لأنه منذ زمان كثير كان يخطفه، وقد ربط بسلاسل وقيود محروساً، وكان يقطع الربط ويُساق من الشياطين إلى البراري. . وكان =

الأعمال الإعجازية هي التي أكسبته لقب النبي[1] وفي الحقيقة أن هذه القوى الخارقة للعادة التي كانت لديه جعلته يعتقد بأن له سلطة وقوة على جميع الشياطين وأن مملكة الله ستكون قريبة[2] وأن هذه القوى أُعطيت للحواريين ـ أيضاً ـ لممارستها فقط في التبشير بمملكة الله[3] وقد كان أولئك بالنسبة له الإثبات الرئيسي لمسيحيته[4]، وقد كانت مقدرته على إزالة الآلام جعلته يعتبر نفسه قد أرسل إلى خراف بني إسرائيل الضالة وبنفس هذه الروح أرسل تلاميذه لشفاء المرضى في كل مكان ومع ذلك استبعاد الوثنيين من هذه المنافع[5] وهناك معجزات أخرى نسبت إلى عيسى مثل إطعام الخمسة آلاف، والأربعة آلاف[6] ربما تكون أخذت واقتبست

= هناك قطيع خنازير كثيرة ترعى في الجبل فطلبوا إليه أن يأذن لهم بالدخول فيها فأذن لهم، فخرجت الشياطين من الإنسان ودخلت في الخنازير فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحيرة واختنق، فلما رأى الرعاة ما كان هربوا وذهبوا وأخبروا في المدينة وفي الضياع، فخرجوا ليروا ما جرى وجاؤوا إلى يسوع فوجدوا الإنسان الذي كانت الشياطين قد خرجت منه لابساً وعاقلاً وجالساً عند قدمي يسوع فخافوا» لوقا: ٨: ٢٦ـ ٣٥.

(١) ويشير إلى نص من الإنجيل المنسوب إلى متى: «فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي من ناصره الجليل» ٢١: ١١.

(٢) ويستشهد بنص من لوقا: «ولكن إن كنت بأصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» ١١: ٢٠.

(٣) ويشير إلى نص من لوقا: «ودعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم قوةً وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء أمراض، وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى» ٩: ١ـ ٢.

(٤) ويستشهد بنص من لوقا أيضاً: «في تلك الساعة شُفي كثير بين من أمراض وأدواء وأرواح شريرة، ووهب البصر لعميان كثيرين، فأجاب يسوع وقال لهما اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما، إن العُمي يبصرون، والعرج يمشون، والبصر يُطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشرون، وطوبى لمن لا يعثر فيّ» ٧: ٢١ـ ٢٣.

(٥) ويستشهد بنص من متى: «هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» ١٠: ٥ـ ٦.

(٦) ويشير إلى نص من مرقس: «فأجاب وقال لهم أعطوهم أنتم ليأكلوا فقالوا له أتمضي ونبتاع خبزاً بمئتي دينار ونعطيهم ليأكلوا، فقال لهم كم رغيفاً عندكم، اذهبوا وانظروا ولما علموا قالوا خمسة وسمكتان، فأمرهم أن يجعلوا الجميع يتكئون رفاقاً رفاقاً على العشب الأخضر، فاتكأوا صفوفاً مئة مئة وخمسين خمسين، فأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك ثم كسر الأرغفة وأعطى تلاميذه ليقدموا إليهم =

من معجزات موسى، وإحيائه الموتى قد اقتبست من معجزات اليشع[1]. . . وعندما كان يقوم بمعجزاته كان برابطته وتعاونه مع الشيطان أو الأرواح الشريرة بدلاً من أن تملأ هذه بالروح القدس»[2].

وكما يلاحظ القارىء الكريم أن هذه المعجزات الكثيرة المنسوبة إلى المسيح عليه السلام والتي قد وردت في أناجيل النصارى الأربعة المعتمدة، والتي قد اعتمدت ونقلت منها دائرة المعارف اليهودية عندما تحدّثت عن موقفهم من معجزاته عليه السلام.

ونحن المسلمين إذا كنّا لا نصدق ولا نكذب ما ورد في الأناجيل من معجزاته عليه السلام والتي لم تذكر في القرآن الكريم إذ لا يوجد لدينا ما يثبت أو ما ينافي ذلك، واتباعاً لما ورد عن نبينا محمد ﷺ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسّرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا» الآية، أخرجه البخاري في صحيحه[3].

ونتنقل من دائرة المعارف اليهودية إلى أحد مؤلفي اليهود المشهورين في

= وقسم السمكتين للجميع، فأكل الجميع وشبعوا، ثم رفع من الكسر اثني عشرة قفة مملوءة ومن السمك وكان الذين أكلوا من الأرغفة نحو خمسة آلاف رجل» ٦: ٢٧ـ ٤٤.

(١) ويشير إلى نص من لوقا ولكن ليس هناك ما يشير إلى أن معجزاته هذه قد أخذت أو اقتبست من موسى أو أليشع أو أي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. . «فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول ابن وحيد لأمه وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة، فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكي، ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون، فقال أيها الشاب لك أقول قم، فجلس الميت وابتدأ يتكلّم فدفعه إلى أمه» لوقا: ٧: ١٢ـ ١٥.

(٢) ويستشهد المؤلف بنص من مرقس: «وأما الكتبة الذين نزلوا من أورشليم فقالوا إن معه بعلزبول، وإنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين: ولكن الفقرات اللاحقة بنفس النص السابق توضح رده عليه السلام على اتهامهم هذا فيقول: «فدعاهم وقال لهم بأمثال كيف يقدر شيطان أن يخرج شيطاناً، وإن انقسمت مملكة على ذاتها لا تقدر تلك المملكة أن تثبت، وإن انقسم بيت على ذاته لا يقدر ذلك البيت أن يثبت، وإن قام الشيطان على ذاته وانقسم لا يقدر أن يثبت بل يكون له انقضاء» ٣: ٢٢ـ ٢٦.

انظر: Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ١٦٧، ١٦٨.

(٣) انظر: عمدة القارىء شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين العيني كتاب (تفسير القرآن الكريم) ج ١٨، ص ٩٣ـ ٩٤.

القرن السابع عشر والمعروف (بابن كمونة اليهودي)[1] حيث تحدّث عن النبوات في كتابه (تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية، والمسيحية، والإسلام) وأنقل هنا ما ذكره عن رأيه كيهودي في معجزاته عليه السلام إذ يقول:

«ثم جميع ما ينقلونه عن السيد المسيح من المعجزات وغيرها فهو عن الأفراد الذين هم أصحابه، فلا يكون متواتراً ولا موثوقاً إليه، وبتقدير صحة النقل فهو غير بعيد في العقل أن يكون واقعاً بالحيل أو بالمواطأة عليه، وإذا لم يثبت صحة نقلهم لم يتحقّق ما ادّعوه من كونهم علموا بالضرورة من رأي الحواريين والسيد المسيح أن شريعتهم لا تنسخ»[2].

ثم يضيف إلى ما ذكره في موضع آخر قوله: «والحق أن ما نقل عن أصحاب السيد المسيح من المعجزات لا نسلم أنه على وجه التواتر الذي هو موجب لليقين، كتواتر وجودهم ووجود المسيح وصلبه[3]، بل هو من قبيل ما ينشر فيشتهر فيشتبه بالمتواترات ولا يكون متواتراً على الحقيقة.

وأما كون معجزاته لا يمنع العقل أنها واقعة بالحيل والمواطأة عليها، فهم يدعون تحققهم أن ذلك التحيل وتلك المواطأة مما لم يكن ولم يقع، بل وإنه غير محتمل الوقوع، وأن لا فرق في عدم احتمال الحيلة بينها وبين معجزات موسى

---

(١) اسمه سعد بن منصور بن كمونة كان عالماً بالقواعد والقوانين المنطقية، شرح كتاب الإشارات لابن سينا، وكان من المدافعين عن اليهودية، وفي كتابه هذا حاول التصدّي لأسس الديانات الثلاث منها الإسلام بالنقل عن اليهودية، وعدم انطباق شروط النبوّة على النبي محمد عليه الصلاة والسلام، الأمر الذي أثار حفيظة الجماهير عليه فهاجمت داره عقب صلاة الجمعة، وساعده الحكّام على الهرب من بغداد.

انظر: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية د/ عبد المنعم الحفني، ط ١، ص ٣٤ـ ٣٥.

أيضاً: تنقيح الأبحاث لملل الثلاث لابن كمونة، ط دار الأنصار، ص ١١٢.

(٢) ط دار الأنصار ص ٦١، ٦٢.

(٣) لا أدري كيف تواتر صلبه عليه السلام عند ابن كمونة اليهودي؟!! هل ذكرت توراته المحرفة ذلك؟! وحسب علمي فإن كتاب العهد القديم ككل لم يصرح بشيء عن السيد المسيح عليه السلام علاوة عن أن يتواتر فيه شيء عنه وكما ذكرت ذلك في الفصل الأول من هذا البحث، إذاً يبقى التساؤل ويبقى الاستفهام كيف تواتر صلبه عليه السلام عند ابن كمونة اليهودي وما هو دليله في ذلك؟!

عليه السلام، كانشقاق البحر وما يجري مجراه، فإن من أحياه وأبرأه لم يقع شك في موته ومرضه، ولهم أن يستدلوا على صحّة ذلك بأنه لو كان مشكوكاً فيه لاشتهر بين أعدائه من اليهود أو غيرهم في زمانه ولو اشتهر في ذلك الزمان لنقل، وحيث لم ينقل، بل نسبه بعضهم إلى السحر، أو إعانة الشيطان عليه، أو إلى تعلّم الاسم الأعظم، على أنهم قد كانوا متيقنين من الحيل والتواطؤ عليه، وهذا إقناعي غير مفيد لليقين[1]، بل عسى أن يفيد ظناً غالباً، بعد تسليم تواتر نقلهم، ولكنه إذا عضد بالنظر في جملة أحوال السيد المسيح وأحوال أصحابه في زهدهم وورعهم وتحمّلهم المشاق العظيمة في إقامة هذه الدعوة وانتظام أمور هذا الدين إلى هذه الغاية، علم من جملة هذه القرائن أن أمرهم مربوط بتأييد إلٰهي وعناية ربّانية.

وأما سائر ما ذكر من كلام المخالفين فبعضه مجرّد تشنيع واستبعاد، وبعضه لا يخفى على المحصل وجه دفعه ولو بتكلف[2].

ثم يضيف ابن كمونة اليهودي إلى ما ذكره قوله: «وأكثر هذه الأجوبة لم أجدها في كلام النصارى ولكني أجبت بها نيابة عنهم وتتميماً للنظر في معتقدهم»[3].

وهكذا وكما يلاحظ القارىء الكريم كيف أن ابن كمونة اليهودي ينفي الأمر ثم يثبته، ثم يعود لينفيه!!، فهو يناقض نفسه بنفسه!!

وأما بالنسبة لنا نحن المسلمين فلدينا ـ ولله الحمد ـ كتاب الله الكريم والذي نقل إلينا عن طريق التواتر[4] المفيد لليقين والقطع والذي قد تكفل الله تعالى بحفظه ولم يكل حفظه إلى أحد من الناس ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[5]، وقد ذكر الله تعالى أولي العزم من الرسل ومنهم السيد المسيح عليه السلام وللرد

---

(١) اليقين في اللغة: العلم الذي لا شكّ معه وفي الاصطلاح اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلاّ كذا، مطابقاً للواقع، وهو نقيض الشك.
انظر: التعريفات للجرجاني ط ١٩٧٨م، ص ٢٨٠.

(٢) انظر: ابن كمونة اليهودي، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ص ٦٥، ٦٦.

(٣) نفس المصدر السابق، نفس الصحيفة.

(٤) هو انتقال الخبر الثابت على ألسنة جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب. انظر: التعريفات للجرجاني ص ٧٤.

(٥) سورة الحجر، الآية ٩.

على ابن كمونة اليهودي: فقد وضحت ذلك بالتفصيل عند ذكر دلائل وبراهين (معجزات) المسيح عليه السلام الواردة في القرآن الكريم[1].

المسألة الرابعة:

موقف اليهود من قصة القبض على المسيح عليه السلام وصلبه كما يزعمون

وقد اعتمد مؤلفو دائرة المعارف اليهودية - وهي حسب علمي أضخم وأكبر كتاب يتحدّث عنه - اعتمدوا على الأناجيل في جميع النقاط التي تتحدث عنه عليه السلام من تعميده، ومعجزاته، وقصة القبض عليه وصلبه إلى آخر ذلك، فينقلون ما شاؤوا، ويشيرون أحياناً إلى الإصحاحات والفقرات التي ينقلون منها إشارة فقط دون النقل، فاضطر إلى الرجوع إليها للتأكد من صحة إشارتهم لها، ثم أرصدها في هامش هذا البحث.

وقد تشابه عرض قصة القبض عليه وصلبه في دائرة المعارف اليهودية مع ما في كتاب (ولادة يسوع) والذي أشرت إليه - فيما سبق - ألّفه أحد كتّاب اليهود[2] باللغة العبرية، ثم ترجم إلى اللغة الفرنسية، واستطعت الحصول على النسخة الفرنسية، وأخذت منها ما وجدته مناسباً في موضوع بحثي هذا، وقد عرض قصة القبض عليه وصلبه - كما يزعمون - كل من كتاب (ولادة يسوع) ودائرة المعارف اليهودية في أن أحد أصحاب المسيح ويدعى يهوذا قد خانه، وأوشى به لدى الحكومة الرومانية آنذاك، وبعد الحكم عليه بالموت صلباً رفضت جميع الأشجار أن يُصلب عليها بأن سقطت وتكسّرت تلقائياً سوى النخلة!! في رواية كتاب (ولادة يسوع)، وسوى شجرة الكرنب!! في دائرة المعارف اليهودية، وهذا كله من غير إشارة إلى أي دليل في أي مصدر، وعندما صلب وبعد موته ودفنه سرق الجثة يهوذا البستاني أو يهوذا الاسكربوتي في رواية كتاب دائرة المعارف اليهودية، واستعملها كسد لمنع الماء من دخول حديقته!!، ونفس الرواية في كتاب (ولادة يسوع) إلا أن يهوذا البستاني قد قذفها في قناة الماء للحديقة المجاورة!! وتدعي دائرة المعارف اليهودية زوراً بهتاناً أن القرآن الكريم قد نوّه عن الإهانة التي قوبلت

---

(١) انظر: ص ٢٧٧ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) يُدعى: Josepeh Klousner.

بها جثة المسيح عليه السلام من غير إشارة إلى أي مصدر!!!.

ويدعي كتاب (ولادة يسوع) أن تلاميذ المسيح قد أتوا في اليوم الثاني للدفن فلم يجدوا الجثة فذهبوا إلى الملكة وأخبروها بأن يسوع قد قام من الأموات، فأمرت الملكة بإعدام علماء بني إسرائيل! حتى أتى أحد الكهان بعد ٤٠٠ سنة من ذلك التاريخ، واستطاع العثور على جثة المسيح وأخذها وعلقها على ذنب حصان لعرضها على الملكة وإثبات الخدعة التي دبّرها تلاميذ المسيح بإدعائهم أنه قام من بين الأموات.

ولا أدري كيف استطاعت تلك الملكة المدعوة (هيلينا) كما ورد في الكتاب المذكور أن تعيش حتى ٤٠٠ سنة بعد المسيح؟!!

ولا أدري كيف استطاع ذلك الكاهن العثور على جثمان المسيح؟!!

ثم كيف علم أنه جثمانه لا جثمان غيره؟!!

ويكمل القصة كتاب (ولادة يسوع) بأن تلاميذ المسيح قد انتشروا ـ بعد ذلك ـ في أنحاء العالم للتبشير..

وفيما يلي أنقل ترجمة للنص الفرنسي من كتاب (ولادة يسوع):

«وقد ذهب يسوع مرة ثانية إلى القدس ليتعلّم مرة أخرى الكلمة التي لا يجوز لفظها، ولكن يهوذا كان قد وشى به للأساتذة في المعبد، وأوعز لهم بأن علامة التعريف ستكون السجود أمام يسوع لتمييزه عن بقية التلاميذ الذين يرتدون نفس الملابس، وهكذا تمكّن الأساتذة من توقيف يسوع مرة ثانية وتعليقه يوم الجمعة قبل عيد الفصح على نخلة، حيث أن باقي الأشجار واعتماداً على الكلمة التي أنزلت منذ البدء قد رفضت أن تُستعمل أداة لقتل يسوع.

وفي اليوم نفسه، وقبل يوم السبت، قبر جسد يسوع فما كان من يهوذا البستاني إلا أن سحب الجثة من القبر وقذف بها في قناة للماء في الحديقة المجاورة!!

وعندما أتى التلاميذ في اليوم الثاني للدفن لم يجدوا الجثة في المقبرة، وذهبوا إلى الملكة (هيلانة) وأخبروها بأن يسوع قد قام من بين الأموات، فما كان من الملكة إلا أن أحضرت علماء بني إسرائيل وحكمت عليهم بالإعدام، وهكذا بدأ اليهود بالبكاء والنحيب والصيام، حتى أتاهم كاهن عاش حتى ٤٠٠ سنة بعد يسوع!!، واستطاع العثور على جثمان يسوع في حديقة يهوذا!! فأخذ الجثمان

معلقاً على ذنب حصان لعرضه على الملكة وإثبات الخدعة، وهكذا توزع تلاميذ يسوع بعدها على بلدان العالم ومن بينهم الاثني عشر صحابي الذين ألحقوا باليهود أضراراً بليغة»[1].

وفيما يلي أنقل ترجمة للنص الإنجليزي من دائرة المعارف اليهودية:

«وقد أخذ علماء بني إسرائيل يسوع إلى معبد طبريه وربطوه إلى عمود، وعندما حضر تلاميذه لفك وثاقه جرت معركة هزم فيها اليهود، وأخذه أتباعه إلى أنطاكية، وفي مساء عيد الفصح دخل القدس راكباً حماراً[2] متنكراً، ولكن يهوذا أحد تلاميذه السابقين قد خانه فقبض عليه، وقد أعدم في مساء عيد الفصح والذي كان يوافق مساء السبت أيضاً، ولم يتمكّن جلاّدوه من شنقه على شجرة لأنه استحلف جميع الأشجار باسم الله أن لا تقبله، ولذلك كسرت جميع الأشجار، وأخيراً قبله جذع شجرة الكرنب الكبير!![3] ودفن في نفس اليوم حسب الشريعة، وقد بكى حواريوه المترددون على قبره، وقد بحث حواريوه عن جثته في القبر ولمّا لم يجدوها اتخذوا من ذلك دليلاً أمام الملكة (هيلينا) بأنه قد قتل ورفع إلى السماء، وظهر بعد ذلك بأن هنالك رجلاً يسمّى أحياناً يهوذا البستاني، وأحياناً يهوذا الاسكربوتي، وأحياناً سيد البستان، قد أخرج الجثّة من القبر واستعملها كسد ليمنع الماء من دخول حديقته وامتلاء حديقته بالماء!!، وقد عادت السعادة إلى بني إسرائيل ثانية بعد أن أخذت الجثة للملكة في القدس، وشعر المسيحيون بالخجل.

وهناك ثلاثة نقاط تستحق الملاحظة في هذا التقرير:

١ ـ حقيقة أن الجثة قد سُرقت، وقد جاء في متى[4] أن الفريسيين طلبوا من

---

(١) انظر: ولادة يسوع Jesus De Nazareth المؤلف: Josph Klausner، ط ١٩٣٣، ص ٥٩ـ ٦٠.

(٢) ويستشهد بنص من متى «فكان هذا كله يتمّ ما قيل بالنبي القائل، قولوا لابنة صهيون هو ذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش بن أتان» ٢١: ٤ـ ٥.

(٣) انظر: ٧: ٩ Targ Sheni to Esth نقلاً عن: Jewish Encyclopedia، ص ١٧٢، ج ٧.

(٤) ويستشهد بنص من متى وهو كما يلي:

«وفي الغد الذي بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين: يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل. قال وهو حيّ إني بعد ثلاثة أيام أقوم، فمر بضبط القبر =

بيلاطس أن يضع حراسة على القبر حتى لا يسرقها حواريوه ويدعون بأن عيسى قد رُفع إلى السماء، ولكن عندما انتشر خبر قيام عيسى من بين الأموات، قام الفريسيون بإعطاء الرشوة لجنود الرومان ليقولوا بأن حواري عيسى قد سرقوا جثته[١].

٢ ـ ما ذكر عن سرقة الجثة وبأن البستاني كان خائفاً من حواري عيسى في أن يحاولوا تخريب الخس المزروع.

٣ ـ الإهانة التي قُوبلت بها جثة يسوع في شوارع القدس وقد نوّه القرآن عن ذلك!![٢].

وتضيف دائرة المعارف اليهودية في موضع آخر ما يلي:

«وفي الروايات المتأخرة وجدت محاولات تؤدّي إلى الانطباع بأن عيسى كان يعرف المصير الذي ينتظره في القدس، بينما في الروايات الأولى[٣] عرف أن حواريه لم يفهموا التلميح الغامض، وهناك ما يؤيد بأن زيارته للقدس كانت رحلة انتحارية مشرفة، ففي آخر لحظة في جشيماني[٤] حاول أن يقاوم القبض عليه[٥]، فقد كانت القدس في ذلك الوقت في حالة فوضى، فقد كانت هناك محاولة انقلاب

= إلى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات، فقال لهم بيلاطس عندكم حراس اذهبوا واضبطوه كما تعلمون» ٢٧: ٦٢ـ ٦٤.

(١) ويشير إلى نص من متى ـ أيضاً ـ «وفيما هما ذاهبتان إذا قوم من الحراس جاؤوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان، فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه، ونحن نيام، وإذا سمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين، فأخذوا الفضة وفعلوا كما علّموهم فشاع هذا القول عند اليهود إلى اليوم» ٢٨: ١١ـ ١٥.

(٢) انظر: Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ١٧٢.

(٣) ويستشهد مؤلفو دائرة المعارف اليهودية بنص من مرقس: «وخرجوا من هناك واجتازوا الجليل ولم يرد أن يعلم أحد، لأنه كان يعلم تلاميذه ويقول لهم إن ابن الإنسان يُسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه، وبعد أن يقتل يقوم في اليوم الثالث، وأما هم فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه» مرقس ٩: ٣٠ـ ٣٢.

(٤) كلمة آرامية معناها معصرة الزيت، وكان بستاناً فيه أشجار الزيتون ومعصرة لعصره وهو يقع شرق أورشليم فيما وراء وادي قدرون قرب سفح جبل الزيتون، يعتقد المسيحيون أن المسيح كان يتردّد إليه كثيراً طلباً للعزلة وترويح النفس لأنهم يعتقدون بأنه كان من مكان ألمه وتسليمه والقبض عليه. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ٢٤٩.

(٥) ويشير إلى مرقس ١٤: ٤٢، فوجدت أن ما يناسب إشارته قبل ذلك بعشر فقرات: =

وفتنة من شخص آخر يدعى عيسى باراباس[1] الذي قبض عليه وكان في السجن في ذلك الوقت[2]، ويظهر من عادة بيلاطس أن يأتي إلى القدس كل عام في عيد الفصح، والغرض من ذلك التصدّي لأي فتنة في ذلك الوقت، والتي تنادي بخلاص إسرائيل»[3].

«ويظهر أنه في الوقت الذي أحس فيه عيسى عن نوايا علية الكهنة في إلحاق الضرر به لأنه بعد احتفال العشاء الأخير أخفى نفسه في حديقة جشيماني ولكن مكان اختفائه قد عرف بعد أن وشى به أحد أتباعه المقربين وهو يهوذا الاسخريوطي.

لماذا قبض على عيسى؟ لم يعرف جواب ذلك بوضوح، فحتى لو ادّعى بأنه المسيح فإن هذا الادعاء لا يعتبر جريمة حسب القانون اليهودي.

وعند تسليم السجين عيسى إلى الحاكم بيلاطس، رفض اليهود الرسميين الدخول إلى منصّة الحكم باعتبارها منطقة محرمة على اليهود، على كل أظهروا إيمانهم في إدانة عيسى من الرومانيين، وأمام بيلاطس كانت التهمة الوحيدة ضد

= «وجاؤوا إلى ضيعة اسمها جشيماني فقال لتلاميذه اجلسوا ههنا حتى أصلي ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب، فقال لهم نفسي حزينة جداً، حتى الموت، امكثوا هنا واسهروا، ثم تقدم قليلاً وخرّ على الأرض وكان يصلّي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن، وقال يا أبا الآب كل شيء مستطاع بك، فأجز عني هذه الكأس، ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت» مرقس: ١٤ : ٣٢ـ ٣٦.

(١) رجل اشتهر بسفك الدماء وفعل المنكرات، ويعتقد المسيحيون أنه كان سجيناً أثناء محاكمة المسيح، وأنه كان من عادة الحكومة الرومانية أن تطلق أسيراً كل سنة في عيد الفصح ممّن أرادوا، وأنه قد بلغ من انحطاط تلك الأمة في ذلك الحين أنهم طلبوا من الحاكم الروماني إطلاق باراباس المجرم وتسليم مسيحها إلى الموت على الصليب.
انظر: قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ١٥٧.

(٢) ويستشهد بنص من مرقس: «فأجابهم بيلاطس قائلاً: أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود، لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً، فهيّج رؤساء الكهنة الجمع لكي يطلق لهم بالحري باراباس، فأجاب بيلاطس أيضاً وقال لهم فماذا تريدون أن أفعل بالذي تدعونه ملك اليهود، فصرخوا أيضاً اصلبه، فقال لهم بيلاطس وأي شر عمل فازدادوا جداً صراخاً اصلبه، فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع ما يرضيهم أطلق لهم بارابس وأسلم يسوع بعدما جلده ليصلب» مرقس ١٥ : ٩ـ ١٥.

(٣) انظر: Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ١٦٤.

عيسى هي الثورة ضد الأمبراطور ولسبب آخر يظهر أن الإدعاء بأنه ملك اليهود أو ملك السماء كان أمام بيلاطس من عيسى نفسه كما ظهر في الكتابة على الصليب.

وبالنسبة لبيلاطس فمشكلة عيسى تشبه موقف مسؤول هندي وثني قدم أمامه مسلم يدّعي أنه المهدي، فإذا كان صاحب هذا الادعاء اضطراب وفتنه في المنطقة التي كان فيها، فلا شك أن المسؤول الهندي يحكم بإدانته وهذا ما فعله بيلاطس، ولكن بيلاطس تردد في إصدار الحكم، فبالرغم من أنه إدانة ولكنه أعطاه الفرصة للحياة، ويظهر أن العادة أن يعفى عن المسجونين اليهود يوم الأعياد الرسمية، ولذلك طلب بيلاطس من الغوغاء والرعاع المحيطين بحلبة الإعدام أن يختاروا للعفو أحد الاثنين، عيسى الناصري، أو عيسى باراباس والذي كان قد اتهم بالثورة، ومن الواضح أن الرعاع تعاطفوا مع الثائر المجاهد ضد الرومان فطلبوا أن يعفى عنه، وتركوا عيسى الناصري الذي كان يشجع على دفع الضرائب، فتركوا عيسى الناصري لعقاب الرومانيين لصلبه مع اثنين من المجرمين، وعند الصلب رفض بكلمات قاسية[١] الشراب المخدر المكوّن من المر والخل والذي اعتادت نساء القدس تقديمه للمجرمين المحكوم عليهم بالصلب لكي يموتوا في حالة إغماء.

وقد قاسى عيسى من التعذيب الأليم للأعضاء الداخلية برباطة جأش حتى آخر لحظة حتى تلفظ في صيحة يائسة ومحزنة «يا إلٰهي لماذا خذلتني»[٢]، والذي يظهر أنه بالرغم من ثبات عزيمته وإرادته القوية إلا أن عزيمته قد خارت مما عاناه، وكلماته الأخيرة وما تدل عليه تدحض الادعاءات المبالغ فيها من اتباعه بعد موته، والعقاب نفسه الذي تعرّض له عيسى يدحض تلك الادعاءات في أعين اليهود، فليس هو بالمسيح الذي يعترف به اليهود ويعاني من مثل هذه الميتة السيئة (المشنوق ملعون من الله)[٣] وهذا فيه إهانة لمقام الإله في علم اللاهوت، وبما أن

---

(١) ويشير إلى موضع من إنجيل لوقا: «فالتفت إليهن يسوع وقال: يا بنات أورشليم لا تبكين عليّ بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن، لأنه هو ذا أيام تأتي يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثدي التي لم ترضع، وحينئذ يبتدئون يقولون للجبال اسقطي علينا وللأكام غطّينا، لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس» لوقا: ٢٣: ٢٨ـ ٣١.

(٢) «إلهي إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي عن كلام زفيري» مزامير ٢٢: ١.

(٣) ويستشهد بموضع: من سفر التثنية: «فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك =

الأناجيل التي تحتوي على معلومات قيمة كتب جميعها بروح جدلية ولغرض البرهنة على الادعاء على مسيحية عيسى ووضعه فوق المقام البشري كان من الصعب الحكم المحايد لقصة حياته، كذلك الأمر بالنسبة للتصوّر المأخوذ عن عيسى من الأناجيل والذي قدّمه الكتّاب المسيحيون المعاصرون، والذي انتقص الجزء الإعجازي عنه لأقل مقدار ممكن، فلا يعطينا فكرة قريبة عن حقيقة عيسى»[١].

وتقول دائرة المعارف للديانات وعلم الأخلاق حول تأثير عقيدة الصلب والفداء المسيحية على بعض الشعوب:

«وقد حاول اليهود والمسيحيون في الدفاع عن دينهم والترغيب فيه لدى الوثنيين معتمدين على تقبّل ديانتهم للعقل»[٢]!!، والدعوة إلى الفداء من المسيح لم تلعب دوراً هاماً في نشر الديانة المسيحية لدى اليونان الوثنيين، وإن كان لها بعض التأثير على جمهور الناس غير طبقة المتعلمين والمثقفين، ومنذ البداية كان لتأثير الثقافة اليونانية أثر كبير على الديانة المسيحية، أما في العهد الثاني للمسيحية خلال عهد الآباء والرسل فقد كان التأثير الإغريقي ضعيفاً»[٣].

المسألة الخامسة:

موقف اليهود من السيدة مريم أم المسيح عليها السلام:

يظهر رأي اليهود في أم المسيح وموقفهم منها عليها السلام من خلال مؤلفاتهم الخاصة بهم ومن خلال دوائر معارفهم، ففي كتاب (ولادة يسوع) والذي ألّفه أحد كتّاب اليهود بالعبرانية ثم ترجم إلى الفرنسية، يزعم هذا الكتاب بأن مريم عليها السلام قد تمّت خطوبتها على شخص يدعى يوحنا من بيت داود، ومع ذلك كانت معجبة بشاب آخر وسيم يدعى يوسف بانديرا!! استطاع أن يراود مريم عن نفسها فاستسلمت له وهي حائض!! ظناً منها بأنه خطيبها، ثم أخذت تلومه عندما رأته فيما بعد فعلم من حديثها معه أن شخصاً آخر قد فعل معها الفاحشة!! فهرب

= اليوم، لأن المعلق ملعون من الله، فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلٰهك نصيباً» تثنية: ٢١: ٢٣.

(١) انظر: Jewish Encyclopedia، ج ٧، ص ١٦٦، ١٦٧.

(٢) كيف يتقبّل العقل ديانتهم المحرّفة بما فيها من التعارض والتناقض فالمسيحيون مشركون ويثلثون، واليهود مشبهون ومجسمون ومشركون أيضاً.

(٣) انظر: ص ٨٧، ط ١٩٤٠، مجلد ٧، Religion and ethics.

يوحنا إلى بابل بعد أن علم بحمل مريم، فوضعت مريم الطفل فشب وكبر ودرس التوراة ولكنه شذّ عن تعاليمها حتى اتّفق أساتذة المجمع على أنه ابن سفاح!!، وهذا الكلام يشبه كثيراً ما جاء في التلمود كتاب اليهود المقدس كما أثبت ذلك في الفصل الأول حيث يلصق اليهود التهم المشينة والتي يندي لها الجين بسيدنا المسيح وأمه عليها السلام.

وفيما يلي أنقل ترجمة للنص الفرنسي من كتاب (ولادة يسوع): «شخص يدعى يوحنا من بيت داود تمّت خطوبته على مريم من بيت لحم، وهي ابنة أرملة كانت تعيش على مقربة من بيته عرفت بالبراءة والنزاهة، وقد أعجبت مريم بشاب وسيم يدعى يوسف بن بانديرا، استطاع في ليلة السبت، وهو يوم مقدّس عند اليهود أن يراود مريم عن نفسها، وظناً منها بأنه خطيبها يوحنا استسلمت له وهي في حالة الحيض، وقد تعجّبت لهذا العمل الذي أقدم عليه شخص معروف بالتقوى والنزاهة.

وقد أنّبت مريم يوحنا على فعلته هذه عندما رأته ـ فيما بعد ـ فعلم عندئذ أن شخصاً آخر قد قام بهذا العمل فأخبر يوحنا الحاخام شمعون بن يشطاع بأن لديه شك بشخص بانديرا، وبفعلته، ثم هرب يوحنا إلى بابل عندما حملت مريم لعدم قدرته على إثبات أبوة الجنين.

وضعت مريم الطفل وأسمته يشوع على اسم خالها، وقد تعلّم يسوع التوراة على أيدي أساتذة معروفين وبرز في هذا الميدان، وإن يكن شذّ عن هذه التعاليم فقد كان يمرّ أمام أساتذته دون أن يضع غطاء على رأسه، فاتّفق أساتذة المجمع على أنه ابن سفاح!! وغير طاهر»[١].

أما دائرة المعارف اليهودية فتقرر أن الاختلاف الجوهري بين المسيحية واليهودية هو عبادة مريم العذراء، وأن اليهودي يكره فقط عبادة مريم العذراء خاصة في العصور الوسطى... فيما يلي أنقل ترجمة لنص الدائرة من اللغة الإنجليزية:

«والاختلاف الجوهري لبعد المسيحية من اليهودية هو عبادة مريم العذراء كأم لله، فالمجتمعات المسيحية والكتابات في العهد الجديد ترحّب بهذه الفكرة التعبّدية وتؤيدها، فاليهودي يكره فقط عبادة مريم في العصور الوسطى، وهذه العبادة لا

---

(١) Jesus De Nazareth Joseph Klausner، طبعة سنة ١٩٣٣ ص ٥٧.

تختلف عن عبادة إيزيس(١) وابنها حورس..»(٢).

«والقصص التي لها علاقة بعيسى وجدت في الأساطير المحمدية(٣) فبينما أكّدت براءة مريم بشدّة فقد وجد كلام مماثل ومشابه جداً للقصص اليهودية، ممّا يدل بأن هذا الموضوع قد أخذ بكل تأكيد من اليهودية ووضع في القرآن»(٤).

المسألة السادسة:

مقارنة بين المسيح اليهودي والمسيح النصراني

وممّا يجدر ذكره هنا أن اليهود كانوا ولا زالوا ينتظرون مسيحاً يأتي ويخلّصهم من الويلات التي أصابتهم خلال تاريخهم الطويل، والذي سيأتي ويحكم ويكون مملكة كبيرة لليهود ويشتركون معه فيها.

ففي سفر أشعياء ما يلي:

«لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً ويكون إلٰهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام لنموّ رياسته يجلس على كرسي داود وعلى مملكته، ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد، غيره رب الجنود نصنع هذا»(٥).

ويعتقد بعض الباحثين(٦) أن عقيدة المسيح عند اليهود هذه قد نتجت من

---

(١) إلهة الحكمة والتشريع والسحر أحد آلة المصريين القدماء والتي تعتمد عليها العقيدة الرسمية عند قدماء المصريين.

انظر: مقارنات الأديان (الديانات القديمة) للإمام أبو زهرة، ط دار الفكر، ص ١٠.

(٢) انظر: Jewish Encyclopedia، ج ٦، ص ٥٣.

(٣) ليست أساطيراً وإنما هي رسالة وحقائق موحى بها من الله تعالى ومنزلة على سيدنا محمد ﷺ.

(٤) انظر: المصدر السابق، ج ٧، ص ١٧٣.

ولكن ما الذي يؤكّد بأن موضوع تبرئة مريم عليها السلام قد أخذ من القصص اليهودية ووضع في القرآن الكريم والعكس هو الصحيح، فالكتب المقدسة اليهودية ومنها التلمود، وكذلك المؤلفات ودوائر المعارف اليهودية، تلصق بالمسيح وأمه عليهما السلام أبشع التهم وأفظعها وكما وضّحنا في هذا الفصل والفصل السابق.

(٥) ٩: ٦ـ ٧.

(٦) انظر: أ.د. أحمد شلبي (اليهودية)، ط ٥، ص ٢١٨.

عقيدة أخرى سابقة لها وهي عقيدة الاختبار والامتياز لشعب بني إسرائيل على جميع الشعوب كما تنصّ على ذلك توراتهم إذ تقول:

«أنا الرب إلٰهكم الذي ميّزكم عن الشعوب، تكونون لي قدّيسيين لأني قدوس، أنا الرب وقد ميّزتكم عن الشعوب لتكونوا لي»[١].

«إنك أنت شعب مقدس للرب إلٰهك، إيّاك قد اختار الرب إلٰهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم»[٢].

«فإن اليهود وجدوا أنفسهم لا خيرة البشر كما زعموا، ولا صفوة الخلق كما أملوا، بل لم يجدوا أنفسهم في نفس المكانة التي ينعم بها الآخرون، وإنما كانوا هدفاً للبلايا والنكبات، ومن هنا اتّجه مفكروهم في عصورهم المتأخرة إلى مخلص ومنقذ ينتشلهم من هذه الوحدة ويضعهم في المكانة التي أرادوها، وأطلقوا على هذا المخلص [المسيح المنتظر] ووصفوه بأنه رسول السماء والقائد الذي سينال الشعب المختار بهديه وإرشاده ما يستحقه من سيادة وسؤدد»[٣].

وقد كتب أحد الأساتذة بالجامعة العبرية بالقدس الشريف مقالاً ـ ضمن مجموعة مقالات نشرتها مكتبة العلوم بالقدس باللغة العبرية عام ١٩٥٥م ـ يقارن فيه بين المسيح اليهودي والذي لا زال اليهود ينتظرونه، والمسيح النصراني أي المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

ومن هذه المقارنة ـ والتي سأنقل نص ترجمتها من اللغة العبرية فيما يلي ـ نستطيع أن نستنتج رأي اليهود وخاصة المحدثين منهم في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

ويُفهم من مقاله هذا بأن المسيح اليهودي بشر ككل البشر فهو من بني آدم وهو منقذ عظيم يأتي لينقذ شعب إسرائيل بشكل خاص في الأيام الأخيرة للدنيا، كما أنه سينقذ العالم كله من الانحراف والحروب وبأيامه سيعمّ السلام على العالم

---

(١) لاويون ٢٠: ٢٤، ٢٥.

(٢) تثنية ٧: ٦ ـ ٨.

(٣) James Hosmer: The Jwes، ص ٨٥، نقلاً عن: د. أحمد شلبي (اليهودية)، ط ٥، ص ٢١٨.

كله، وسيعم الرخاء والازدهار وستخرج الأرض ـ في أيامه ـ فواكه وطيبات يسعد بها الإنسان كثيراً ولن تنتهي أبداً، وأن العالم كله سيعترف بإسرائيل!! وبالتوراة وبملك المسيح اليهود، وسيكون إله إسرائيل إله للعالم كله ـ كأن لبني إسرائيل إلٰهاً خاصاً بهم وللعالم إلٰهاً خاصاً به!! فهذا اعتقاد صريح بالشرك والعياذ بالله(1).

ولم يتحدّث كاتب المقال كثيراً عن المسيح النصراني، ولكنه يؤكد اعتقاد اليهود بصلبه عليه السلام وأنه مات مصلوباً عقاباً لتمرّده وتجديفه(2) وقد ذكرنا ذلك في الفصل السابق ـ أما النصارى فلا يخفى اعتقادهم بأنه صلب ولكن لغاية أخرى وهي تكفيره عن خطيئة البشر الأزلية والتي توارثوها عن أبيهم آدم عليه السلام عند أكله من الشجرة المنهي عنها!!(3)

وفيما يلي أنقل نص الترجمة لذلك المقال من اللغة العبرية:

«الذي كان تحت عنوان [المسيح اليهودي والمسيح النصراني].

«**الملحوظة الأولى**: إن هذا المقال يحتاج إلى كتاب لتفسيره وشرحه، ومن خلال مقال قصير أستطيع فقط أن أحدد الخطوط العريضة للمشكلة الخطيرة ونقتصر فقط على أسس مهمة بذاتها.

الملحوظة الثانية: وقد كانت هناك فترات طويلة وسنين الفرق بين هذا المسيح وذاك النصراني. فالمسيح التابع ليسوع مختلف عن ذلك التابع لدانيال ولا

---

(1) وهذا ليس بغريب عليهم فقد عُرفوا بالشرك في تاريخهم الطويل، فعبدوا العجل ﴿۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [البقرة: ٩٢]، ثم سألوا موسى أن يروا الله جهره!! ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء: ١٥٣].

ثم إنهم بعد خروجهم من مصر إلى صحراء سيناء طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم أوثاناً يعبدونها عندما رأوا أناساً عاكفين على أصنام يعبدونها ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨ـ ١٣٩].

(2) ننزهه عليه السلام من الاتهامات والأقوال المشينة التي ينسبونها إليه والتجديف: هو الكلام على الله تعالى بالكفر والإهانة.

(3) انظر: ص ٤٢١ من هذا البحث وما بعدها.

يشبهه لنوعية المسيح اليهودي الذي ورد في العرائض التلمودية الأولى بالتوراة التي أتت على لسان الراميام (حاخام يهودي قديم) وبالكتب المقدسة، وهكذا الأمر بالنسبة للمسيح النصراني، فيسوع نفسه قد فهم بعثه بصورة تختلف عن تلك التي فهمها بولس[1] وقد غيّر كهّان الكنيسة تلك الصورة عمّا فسّرها بولس، وقد كان الكاثوليك واليونانيون والأرثوذكسيون والبروتستانت الأوائل من بين هؤلاء الذين غيروا من هذا المفهوم بصورة ملموسة، وهنا أسمح لنفسي بالاعتقاد على تفسير نوعية المسيح اليهودي كما ظهر في اليهودية التلمودية الأولى، وقد عمّم على كل أبناء شعب إسرائيل، أما بالنسبة لنوعية المسيح النصراني فإني أعتمد على التسجيلات المشتركة بين طوائف النصرانية الثلاث الموجودة في الوقت الحالي.

وحتى نستطيع بيان الفرق بين المسيح اليهودي والمسيح النصراني فإنني أعرض الفروق فيما يأتي:

المسيح اليهودي منقذ عظيم بقوته وبروحه، ويأتي لمعرفة النجاة في الأيام الأخيرة للدنيا، وهذا الإنقاذ سيكون سياسياً واقتصادياً وروحانياً لشعب إسرائيل بشكل خاص، ويعد المسيح اليهودي من بني آدم فهو بشر ككل البشر كما ورد على لسان «طه نون اليهودي»[2] حيث قال نحن معشر اليهود نعرف ونتوقع أن يكون المسيح بشراً من بني آدم، وهذا التعريف الإنساني للمسيح اليهودي بقي حتى يومنا هذا عالقاً بالأذهان.

وقد وردت في بعض الكتب القديمة بعض الأوصاف للمسيح اليهودي منها ابن يوسف الذي سيقتل في حرب الجوج وماجوج!! ومنها مسيح بن داوود ملك السلام والذي قيل عنه بأنه لحظة ظهور ملكه سيسعى للسلام لبني إسرائيل، ومن هذه الأسماء أيضاً مسيح السلام.

ما هي نوعية نشاط مُلك المسيح اليهودي؟

إنه سينقذ إسرائيل وينقذ العالم كله من الانحراف ومن الحروب ومن الكبائر، وبأيامه سيعم السلام على العالم بين الأمم، لأن جميع الأمم ستكون يهودية في أيام هذا المسيح اليهودي، وسينقذ هذا المسيح الإنسان من الشرور والأخطار

---

(١) لترجمته انظر هامش، ص ٢٥ من هذا البحث.

(٢) انظر: Justinus Martyr, Dialogus Cum Tryphone. نقلاً عن مجموعة مقالات بالعبرية للبروفيسور يوسف كلورند، الناشر: مكتبة العلوم بالقدس، ١٩٥٥م، ص ٢٠٥.

الموجودة في الطبيعة، ولن يتبقى حيّات وثعابين شريرة وسامه، وسيكون هناك ازدهار في هذا العالم، وستخرج الأرض فواكه وطيّبات، ويسعد بها الإنسان كثيراً والتي لا تنتهي أبداً، وبالنسبة لما يتعلّق بشعب إسرائيل فإنه لن يعيش حراً في أرضه فقط، ولكن سيتجمع كل أبنائه المتفرقين في أنحاء الأرض، وسيعترف العالم كله بإسرائيل وبالتوراة الصادقة، ويُملك المسيح اليهودي ملك الصدق، وسيكون معروفاً أيضاً باسم ملك الأمم والشعوب كما سيكون إلٰه إسرائيل إلٰهاً للعالم كله إلٰهاً واحداً أحد.

وفي الصلاة التي يصليها شعب إسرائيل ثلاث مرات يومياً يدعون فيها بأن يسرع الإلٰه في تصحيح أوضاع العالم!!، وبأن يمنح القوة والازدهار لشعبه ولأرض إسرائيل والرحمة لعبده داود وتقدير ثواب المسيح!!

ولم يذكر المسيح شخصاً بعينه في كل كتب الأنبياء فقط، بل ذكر في أسفار ناحوم، صفينة، حبقوق، ملاخي ويوئيل ودانيال إن الله وحده هو المنقز وليس كمثله أحد(١).

وبأسفار عاموس وحذقيال وعوبديا هناك مسيح جماعي أو عدد من المسحاء الذين ينقذون إسرائيل والعالم كله بواسطة صدقهم وحسن تصرفهم، وبأسفار حاجي وزكريا لم يرد ذكر المسيح وإنما أوصاف شخصية لا تتعدّى الحدود الواقعية وتكون من بيت داوود(٢).

وبأسفار دانيال ليس للمسيح شخصية خاصة وإنما هو كشعب إسرائيل عامة، وفي أغلب الكتب المحفوظة ليس هناك مسيح كشخص معين، وفي أسفار التلمود ذكر الراب هيلل(٣) أنه ليس هناك مسيح لإسرائيل، وفي كتب الراب يوسف قال إنه

---

(١) (٢) يلاحظ القارىء الكريم أن هذا اليهودي كاتب هذه المقالات مع أنه يلقب بالبرفسور، وهو أحد الأساتذة بالجامعة العبرية بالقدس الشريف إلا أنه لم يتقيّد بشروط البحث العلمي فلم يذكر أرقام الفقرات ولا حتى أرقام الإصحاحات التي نقل أو اقتبس منها مقاله فأصبح كلامه عائماً هكذا.

(٣) هو الحكيم الذي قدم إلى فلسطين من بابل، وفريقه هو الفريق السمح الودود في معاملة الأجانب، وكان شعار هيلل الاعتدال بين الزهد والمتاع وكلمته المأثورة: (إن الزيادة في اللحم زيادة في الدود) وشريعته في المعاملة أن الشريعة كلها كلمة واحدة، وهي ألا تصيب أحداً بما تكره أن تصاب به، وكل ما عدا ذلك من الأحكام المنزلة فهو تفسير وتفصيل.

انظر: موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية؛ (توحيد وأنبياء) المجلد =

يكفي لليهودي أن يكون مؤمن بوطنه ودينه وينقذ بلاده، والله القديس هو وحده المنقذ والمنجز.

وهذا الاعتقاد لم يكن مقبولاً في اليهودية لأن الإيمان بمجيء المسيح هو الأساس والمبدأ الثاني عشر من المبادىء التي نادى بها الراميام[1]، ولكن وضع اليهودية في هذا الوقت لا يسمح لها بالاعتقاد في المسيح المنقذ لأن المنقذ الوحيد هو الله تعالى[2] وأن المسيح المنقذ ما هو إلاّ آلة تنفيذ في يدي الله، فهو بشر من دم ولحم ككل بني البشر، وهو فقط مختار من الآدميين ومن الجنس البشري، وهو يتجلّى بكل الصفات الحميمة، وهذا هو المسيح الذي يجمع بين الصفات الروحانية والجسدية في آن واحد.

وفي كتاب كفيلون الاسكندروني[3] يوضح أنه لا يرى في المسيح الجانب الروحاني، وإنما يجد به القوة الجسدية ويرى به المحرر للأرض والموحّد لها، والمسيح هو الإنسان الأعلى في اليهودية، ولكن بكل عظمته فهو إنسان وبشر، وبالطبع فإن اليهودية ليست ديناً فقط وإنما هي أيضاً عالم متكوّن من أمةٍ واحدة مؤمنة بهذا الدين فقط، وبعكس باقي الأمم التي تتكون من أمم متعددة وشرائع مختلفة، حقاً إنه من الصعب أن يعم التفكير الإسرائيلي خاصة وأن هناك يهودا مفرقين ومتناثرين في جميع الأنحاء، ولكن كلهم أمل في أن يعودوا ويعيدوا أيام اليهودية الأولى لتكون ديناً وشرعاً وقومية قوية، وهذا التفكير متعلّق ومتّصل بتحرير الإنسانية كلها، ويهدف إلى تدمير الشرور والانحرافات الموجودة في العالم، ويهدف أيضاً إلى تحكّم الإنسان في الطبيعة وذلك يتمّ باتحاد العالم كله في أمة واحدة حتى تنفذ أوامر الله تعالى، أي أننا نفعل الخير ونسعى للكمال[4] وتكون

= الأول، ط ١، عام ١٩٧٠م، ص ٥٧٧، ٥٧٨.

(١) كيف يُسمح لهذا الراميام بأن يشرع ويأتي بالعقائد والشرائع ويفرضها على الناس.

(٢) لا يخفى ما في كلامه من التناقض.

(٣) لم يذكر المصدر الذي نقل عنه.

(٤) لا يخفى على أدنى باحث في علم مقارنة الأديان نفاق وافتراء هذا الكاتب لهذه المقالات ـ والتي نحن بصدد نقل نص ترجمتها، فالمطّلع على مخططات اليهود لتدمير العالم والسيطرة عليه في (بروتوكولات حكماء صهيون) يتبين له سفسطة هذا اليهودي وكذبه.

هذه مملكة السماء، وهي مملكة المسيح، وليس المسيح هنا هو الأساس وإنما له بها مكان مرموق.

وأخيراً فإن مملكة السماء تأتي في الأيام الأخيرة للدنيا، وعلى ذلك فإن الفرق بين اليهودية واليونانية القديمة هو أن اليونانية قد رأت العصر الذهبي بأول التاريخ، في حين أن اليهود رأوه في آخرها وقبل يوم القيامة[1]، أي إن الكمال يكون فقط قبل الآخرة عندما لا يكون هناك شر، وعندما يعيش الذئب مع الكبش وعندما يعرف العالم أجمع الله تعالى، وعندما تعود أرض إسرائيل، وتتوحّد الكلمة واللغة الإسرائيلية أي تعود مملكة داود، وهذا سيحدث فقط في أيام المسيح اليهودي وعلى يديه، وبعد فهذا هو المسيح اليهودي، وتلك أعماله ونشاطاته والتي ينفذها بتعاليم من ربه فهو آلة التنفيذ الربانية»[2].

وينتقل كاتب هذه المقالات من الحديث عن المسيح اليهودي ونشاطه إلى الحديث عن المسيح النصراني، وفي حديثه هذا يُلاحظ أنه يحابي النصارى ويميل إليهم أثناء رواية عقائدهم، مع أنها تخالف عقائده كيهودي، وفي الحقيقة لا أدري ما سبب ذلك؟ ولعل سببه استمالة قلوب المسيحيين، حيث أن هذه المقالات قد تنشر في أواسط مسيحية، أو بين علماء مقارنة أديان وباحثين مسيحيين قد يجيدون العبرية، وفي مقاله هذا الكثير من التناقض، وتضارب الأقوال، وفيما يلي نص الترجمة من العبرية إلى العربية:

«أولاً: المسيح النصراني:

تعتمد المسيحية كلها على شخصية السيد المسيح، وهذا شيء لا يحتاج إلى أدلّة وبراهين بدأ أبناء أنطاكية التمييز بين المؤمنين بيسوع من جانب، وبين اليهود المنتظرين للمسيح، وبين اليونانيين المتدينين من جانب آخر، فلم يجدوا لتلاميذ

---

(١) بعكس ما ورد في الفكر الإسلامي فإن الساعة لا تقوم إلاّ على شرار الناس والعياذ بالله كما ورد عنه ﷺ أنه قال: «ولا تقوم الساعة إلاّ على شرار الناس ولا المهدي إلاّ عيسى ابن مريم».
انظر: سنن ابن ماجه، ج ٢، ط٢، ١٤٠٤هـ، ص ٣٨٩.

(٢) من كتابات البروفيسور يوسف كلورند الأستاذ بالجامعة العبرية بالقدس، من مجموعة مقالات (اليهودية والإنسانية)، الناشر، مكتبة العلوم بالقدس، عام ١٩٥٥م، ص ٢٠٤-٢١١ باللغة العبرية.

يسوع اسماً أكثر ملائمة من كلمة يونانية ترجمتها المسيح، ومن البداية كان كل الفرق بين اليهود والنصارى هو هل المسيح سيأتي مستقبلاً أم أنه جاء بالفعل، ومن خلال الأدلة والبراهين فإن المسيح قد جاء بالفعل وصُلب ورفعت روحه إلى السماء، وبهذا فإنه وبالمفهوم السياسي لم ينجح في إنقاذ شعبه إسرائيل، ومن خلال الوضع السياسي المنحدر لليهود بالزمن الغابر، وبعد الخراب والخوف من نبذ الروم تولّدت عدّة أفكار:

١ ـ إن المسيح لم يأت من أجل تحسين الأوضاع السياسية والاقتصادية وإنما من أجل القضاء على الشرور الروحانية[١].

٢ ـ الانحدار السياسي هو بشكل خاص متعلق بإسرائيل والانحراف الروحاني يعمّ على العالم كله، وبهذا يكون يسوع قد جاء للإصلاح في العالم كله!! بدءاً بإسرائيل وطنه التي سيكون العالم كله مثلها في الطهارة والاستقامة، ولهذا فإن مملكة المسيح لن تكون من هذا العالم[٢].

٣ ـ صُلب المسيح ومات كمتمرّد خارج ليس إلاّ، وقد كان يسعى إلى الخير والصدق، ولهذا لم يكن كاذباً وإنما كان صادقاً مصداقاً، وإذا كان مسيحاً منقذاً فعلاً فلماذا لم يحمه الرب عندما صُلب؟ أم أنها الإرادة الإلٰهية حتى يكفر عن ذنوب العالم كله والإنسانية جمعاء؟ وبهذا ضمن الإنسانية من الخطأ[٣].

٤ ـ إن الأخطاء التي حملها المسيح بأمر من ربه وصلب تكفيرا عنها تضعه في مكان متميز بين العباد، وعند ربه سوف يُبعث أول المبعوثين ليكون قريباً من ربه[٤].

---

(١) (٢) لا يخفى ما في هذين الفقرتين من المحاباة والميل لعقائد المسيحيين إذ أن اعترافه هنا بأن يسوع جاء للإصلاح في العالم كله والقضاء على الشرور الروحانية يخالف عقائده الفاضحة في تلمودة المقدس وما وُصف به هذا النبي الكريم من أوصاف يندى لها الجبين، كما بيّنا ذلك في الفصل السابق، انظر: ص ٣٥، ٣٦ وما بعدهما من هذا البحث.

(٣) قوله بأن المسيح قد صُلب هذا تأكيد لاعتقاد اليهود بصلبه عليه السلام ولكنه يعود ليحابي المسيحيين في عقائدهم بمدحه عليه السلام بقوله: إنه كان يسعى إلى الخير والصدق ـ على خلاف اعتقاده ـ وقد تكون كلمة حق يراد بها باطل، ثم يعود ليناقض نفسه بالاستفهام الإنكاري الذي أورده: وإذا كان مسيحاً منقذاً فعلاً فلماذا لم يحمه الرب؟!!.

(٤) ويتّضح من كلامه هذا تأييده لعقيدة الصلب والفداء عند المسيحيين، ولكنه في نفس =

٥ ـ ويدعو الله المسيح بلقب: ابني إني اليوم ولدتك وقد كان يسوع في حياته كثير التحدّث عن أبيه الذي في السماء[١].

٦ ـ بعد أن ارتفع يسوع لدرجة الرب الأب فإنه للآن لم يزل المنقذ بهذا فهو لم يزل مسيحاً، ولأنه قد جاء مرة للعالم في صورة بشر فإنه أنقذ العالم فعلاً من الخطأ والذنب والشر ومن الموت والدمار وإلى الآن يسيطر الخطأ والذنب والشر على العالم، ومن المتوقّع أن تكون عودته مرة أخرى يوم الحساب، ويجلس عن يمين أبيه الرب، ويشترك في حساب البشر، وينقذ المؤمنين منهم، وحينئذٍ ينتهي الشر والخطأ ويظهر النور، ويقضي على الظلام، ويتبدّل الموت، وتظهر مملكة السماء التي بدأت في الظهور عند نزوله المرة الأولى[٢].

٧ ـ وفي هذا الزمان، وفي هذا العالم نتوجّه إلى الرب أبيه، ليتوسّط هو (أي المسيح) بين الله وبين البشر، وفي الواقع فإنه هو نفسه الرب، والوسيطة الحقيقة هي أمه مريم العذراء المقدسة (والدة الرب)[٣].

وهذا ما يستدل به من التعرّف والفهم اليهودي للمسيح النصراني

لم يكتف بكونه بشراً فقط ولكنه تعدّى الحدود البشرية وتخطاها لا لينقذ نفسه من الخطأ والشر، إنما المسيح الرب هو الذي تقمص صورة البشر لينقذ البشرية بدمه الذي أُسيل، وسوف يعود مرة ثانية لإنقاذ الإنسانية جمعاء لأن صلبه وموته لم يكف لتخليص البشرية من الشرور وجعل البشر مؤمنين[٤].

= الوقت يناقض نفسه، لأن كلامه يتضارب مع بعضه البعض، ففي الفقرة السابقة تماماً لهذه الفقرة قال: صلب المسيح ومات كمتمرد وخارج ليس إلا!!

(١) كما يتّضح في هذه العبارة تأييد كاتب المقال اعتقاد المسيحيين بنوة المسيح لله، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

(٢) وفي هذه الفقرة يؤيد كاتب المقال المسيحيين بأنه المنقذ، أنقذ العالم من الذنب والخطأ والشر، ولكنه سرعان ما يناقض نفسه، ويقرر بأن العالم مليء بالخطأ والشر والذنب، ثم يعود ليؤكد العقيدة المسيحية بأن المسيح سيجلس يوم الحساب على يمين أبيه ويشترك في حساب الناس على أعمالهم!!

(٣) وفي هذه الفقرة تأييد صريح لاعتقاد المسيحيين بأن مريم والدة الرب!! كل هذا ينقله المؤلف بل ويؤيده من غير نقد أو رد!!

وقد قمت بالرد والنقض لهذه العقيدة الباطلة في ص ٣٤٠ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٤) هنا تصريح واضح بأنه هو هذا الفهم اليهودي للمسيح النصراني وتأييداً =

إن المسيح النصراني ليس إلا صورة حديثة أو جديدة للمسيح اليهودي القديم، لأن فكرة الإصلاح أتت النصرانية من اليهودية، كما أتت فكرة المسيح المصلح يوم الحساب، وفكرة مملكة السماء(١) أيضاً، وكان تعريف المسيح من الأشياء الكثيرة المتشابهة بين المسيحية واليهودية، حتى بعد الابتعاد والانفصال بينهما، وأيضاً فإن الفرق بين المسيح اليهودي ونظيره النصراني بقي كبيراً وعظيماً.

بادىء ذي بدء فإن الإصلاح الإسرائيلي يستطيع أن يظهر ويعم بدون شخص المسيح، في حين أن ذلك غير ممكن في المسيحية فالمنقذ الوحيد هو يسوع فقط.

بدون المسيح اليهودي هناك يهودية مستقلة، وبدون المسيح النصراني ليس هناك مسيحية أبداً»(٢).

وينتقل كاتب المقالات إلى الحديث عن المسيح اليهودي، وكان حديثه عنه مختصراً اختصاراً شديداً، بعكس حديثه عن المسيح النصراني والذي أخذ فيه يحابي النصارى ويؤيد ويؤكد عقائدهم المحرفة والمنحرفة، وفيما يلي ننقل نص الترجمة لمقاله ذاك عن المسيح اليهودي:

ثانياً: المسيح اليهودي:

هو منقذ لشعبه ومنقذ للإنسانية، وليس منقذاً بدمه وإنما بأعماله البدنية، وحتى مسيح بني يوسف الذي قتل لم يكفّر بدمه عن كل البشرية، فاليهودية تعرف وتعترف بخطأ الإنسان الأول، ولكن المسيح اليهودي لا ينقذ بدمه الذنب الأول، كما أنه لا ينقذ من الموت والذي سيتخفى في أيام المسيح ولكن ليس بإرادته إنما بإرادة الله تعالى، فعلى الإنسان أن ينقذ نفسه، ولكن ليس بالإيمان وحده، وإنما بالطاعة وبالأعمال الطيبة، وعندها ينقذه الله من الموت ومن الدمار، وأن كل إنسان

= للمسيحيين ولعقائدهم المنحرفة والمحرفة بأن المسيح إله وابن إله وأنه تجسد وصُلب لينقذ البشر من الخطيئة، انظر: ص ٤٢١ وما بعدها من هذه الرسالة.

(١) لعله يقصد المملكة التي تكون آخر الزمان، والتي سيحكمها المسيح ويشترك فيها الصالحون والمؤمنون بالمسيح، حسب اعتقادهم.

(٢) انظر: مجموعة مقالات للبروفيسور يوسف كلورند، أستاذ بالجامعة العبرية بالقدس بعنوان (اليهودية والإنسانية) باللغة العبرية، الناشر: مكتبة العلوم بالقدس، عام ١٩٥٥م، ص ٢١٢ـ ٢١٦.

مسؤول عن نفسه وعن أعماله الطيبة التي يكفر بها عن سيئاته وأخطائه وعليه ألاّ يعتمد على المسيح.

ثالثاً وأخيراً: يتّضح أن المسيح ليس إلاّ صادقاً وأميناً صنع ربه ويأتي الكمال الربّاني للعالم والتقدم والإصلاح الإنساني ليس متوقف عليه، وإنما على الإنسانية نفسها، وقد ذكر هذا المعنى عدّة مرات في التوراة.

وشعب إسرائيل الذي كان أول من آمن بالإله الواحد رب الخير، وكان له أنبياء صادقون مرسلون يستطيع أن يدرك النجدة والصلاح قبل غيره من الشعوب عن طريق الطاعة، وعمل الخير، وهذا لن يكون إلاّ إذا عاد كل شعب إسرائيل إلى أرضه وعاش حراً طليقاً دون أن يكون تحت حكم أغراب ويبقى أمامه أمل مملكة السماء حلماً يراود شعب إسرائيل وهكذا نستطيع أن نقول وبدون تمييز لليهودية أن المسيح اليهودي ما هو إلاّ ذراع مساعدة للإصلاح في العالم كله»[1].

ويُلاحظ أن كاتب المقال بدأ أخيراً يعبّر عن آماله كيهودي وذلك في تكوين مملكة لا يحكمها إلاّ اليهود، ويقول بأن ذلك لن يتحقق إلاّ إذا عاد كل شعب إسرائيل حراً طليقاً في أرضه دون أن يكون تحت حكم الأغراب، وأن ذلك حلم جميل لليهود يحلمون به، ويريدون تحقيقه، وفي الحقيقة هم يريدون أن يمتلكوا العالم كله، وأن يسيطروا عليه بأسره سواءٌ أكان ذلك باسم المسيح أو باسم غيره أما الجويم[2] فلا شيء لهم، بل هم محكومون وخدام خاضعون لليهود[3].

وهنا نستطيع القول بأنه قد حصلت بالفعل نظرة تطورية من اليهود للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وهذا يظهر من خلال كتابات بعض كتابهم وذلك بسبب الظروف الاقتصادية والسياسية والعسكرية ورغبة في استمالة الرأي العام العالمي إليهم ومعظمه من النصارى، فقد خففوا من غلوائهم في العصر الحديث في نظرتهم للمسيح عليه السلام بسبب احتياجهم للنصارى، ومما هو معلوم أن النصارى أسسوا لهم أو ساعدوهم في تأسيس دولة لهم في فلسطين، وهذا هو أحد مفكريهم وكتابهم وأحد أساتذتهم في جامعتهم العبرية يميل ويحابي النصارى في

---

(١) المرجع السابق، ص ٢١٦، ٢١٧.

(٢) هم من عدا اليهود من الناس (هكذا يعبّر اليهود عمّن عداهم من الناس).

(٣) انظر: بروتوكولات حكماء صهيون فهي قرارات زعمائهم للسيطرة على العالم وحكمه بالقوة.

معظم عقائدهم إن لم نقل جميعها.

ومما هو معلوم أيضاً: «أن المجمع المسكوني في دورته الثانية والتي عقدت في عام ١٩٦٣م قد وقع وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح وذلك بعد إمضاء الكاردينال[١] الألماني رئيس سكرتارية المجمع المسكوني»[٢].

---

(١) رجل الدين المسيحي وهو الذي وصل إلى درجة معينة وجمعه كرادلة وهم الذين يُنتخب منهم البابا.

(٢) انظر: إسرائيل حرّفت الأناجيل والأسفار المقدّسة للأستاذ أحمد عبد الوهّاب، ط ١، سنة ١٩٧٢ م.

المبحث الثاني:

موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال أسفار النصارى المقدسة لديهم (العهد الجديد)[1] ورأي النصارى عامة في كتبهم ومؤلفاتهم

في بداية هذا الفصل ذكرت أن موقف اليهود من المسيح عليه السلام يظهر ويتّضح من خلال ثلاثة مباحث، وقد انتهيت في الفقرة السابقة من العرض والنقد للمبحث الأول وهو موقفهم منه عليه السلام بشهادتهم على أنفسهم من خلال كتبهم ومؤلفاتهم ودوائر معارفهم.

وفيما يلي سأعرض موقفهم منه عليه السلام من خلال هذا المبحث وهي أسفار النصارى المقدسة لديهم.

ويقول قاموس الكتاب المقدس والذي ألّفه نخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين النصارى في هذا الموضع:

---

(١) العهد الجديد هو القسم الثاني من الكتاب المقدس، أما القسم الأول فهو العهد القديم، والعهد بمعنى الميثاق، ويقدس اليهود العهد القديم فقط أي القسم الأول، أما النصارى فيقدسون العهدين القديم والجديد، لأن العهد الجديد يعتبر مبتوراً دون القديم، فالعهد القديم كمقدمة لا بد منها للجديد.

ويتكوّن العهد الجديد من سبعة وعشرين قسماً يمكن وضعها في ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم الأسفار التاريخية ويشمل هذا القسم الأناجيل الأربعة (إنجيل متى وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا) كما تشمل رسالة أعمال الرسل التي كتبها لوقا، وسمّيت هذه الأسفار الخمسة بالأسفار التاريخية لأنها تحوي قصصاً تاريخية.

٢ ـ قسم الأسفار التعليمية وتشمل إحدى وعشرين رسالة.

٣ ـ أما القسم الثالث فهو رؤيا يوحنا اللاهوتي، وتسمّى رؤيا لأنها أشبه بالأحلام ولكن يوحنا رآها في اليقظة وهي للخرافات أقرب.

انظر: د. أحمد شلبي (المسيحية) ط ٦، ص ٢٠٢، ٢٠٣ باختصار.

«وقد تمّت المقاومة ونما عداء حكام اليهود وقادتهم له (أي للمسيح عليه السلام) وسار حقدهم عليه شططاً من سيء إلى أسوأ، فقاموا بكل حيلة ووسيلة لكي يوقعوه في فخاخهم حتى يحطموا سيطرته على الجماهير وقوة تأثيره عليهم، ولكي يجدوا علة عليه ليسلموه للسلطات الرومانية لتنفيذ حكم الموت فيه[١] وقد وجه إلى أعدائه تحذيرات غاية في العمق وغاية في الهدوء والسكينة، وقد ألقى على مسامعهم تعاليم كان ينبغي أن تنفذ إلى قرارة نفوسهم لو كانوا يفقهون، وكان هدفه في هذه جميعها أن تتغيّر قلوبهم، ولكن ما كان منهم إزاء هذه التعاليم وإزاء كل أعمال الرحمة والإحسان وشفاء المرض وإقامة الموتى[٢] إلاّ أن هبّت قلوب غالبية الفريسيين والكتبة وآخرين من قادة اليهود وزعمائهم بنيران الحقد عليه والكراهية له[٣].

---

(١) ويشير إلى نص من متى: «ولما أكمل يسوع هذا الكلام انتقل من الجليل وجاء إلى تخوم اليهودية من عبر الأردن، وتبعته جموع كثيرة فشفاهم هناك، وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين له هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب» ١٩: ١ـ ٣.

ويستشهد أيضاً بنص من لوقا: «وفيما هو يكلمهم بهذا ابتدأ الكتبة والفريسيون يحنقون جداً ويصادرونه على أمور كثيرة، وهم يراقبونه طالبين أن يصطادوا شيئاً من فمه لكي يشتكوا عليه» ١١: ٥٣ـ ٥٤.

(٢) ويستشهد بنص من يوحنا: «فعرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني، ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجاً، فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل، فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب فكثيرون من اليهود الذين جاؤوا إلى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به» يوحنا ١١: ٤١ـ ٤٥.

(٣) «وأما قوم منهم فمضوا إلى الفريسيين وقالوا لهم عمّا فعل يسوع، فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً وقالوا ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة، إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا، فقال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيساً للكهنة في تلك السنة، أنتم لستم تعرفون شيئاً، ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها، ولم يقل هذا عن نفسه بل إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة، وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد، فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه» يوحنا ١١: ٤٦ـ ٥٢.

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٦٨.

«وفي سنة ٣٧ ق.م ارتقى هيرودس عرش اليهودية، وفي عهده ولد المسيح إلا أن اليهود أعادوا المعاصي التي اقترفوها من قبل، فرفضوا قبول الخلاص بالمسيح، وتحاملوا عليه وأنكروا أنه المسيح حتى طالبوا بصلبه، فانتقم الله منهم بأن أرسل لهم تيطس الروماني يؤدبهم، فاحتل تيطس القدس وأحرق الهيكل وهدم المدينة، وهكذا تمّت نبوءة المسيح[١].

وأما الرسل المسيحيون والمبشرون الأولون فكانوا عبراني الجنس، وانتشرت المسيحية أولاً بين العبرانيين وفي كل مكان قبل بعض منهم الخلاص بيسوع المسيح وأما الآخرون فرفضوه.

وكانت نكبة القدس عاملاً في تفريق الناجين من اليهود في جميع أنحاء المعمورة، ومهما تباعدت بهم الأمكنة، فلا يزالون حتى اليوم يحافظون على ديانتهم، ولا يزالون ينكرون أن يسوع هو المسيح وينتظرون مجيء مسيحهم الخاص بهم»[٢].

ويضيف قاموس الكتاب المقدس: «أما اليهود فلم يفهموا هذه النبوات فظنوا أن المسيح يكون ملكاً زمنياً يخلصهم من ظالميهم ويرقّيهم إلى أعلى درجات المجد والرفاهية حسب معنى النبوات الحرفي[٣] فلما ظهر المسيح لم يعرفوه بل عثروا فسقطوا في ضلال مبين حينما فسر لهم المسيح ذاته والرسل هذه النبوات

---

(١) ويستشهد بنص من متى فبحثت مكان إشارته فوجدت ما يلي:
«لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة، لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح، الحق أقول لكم إن هذا كله يأتي على هذا الجيل.
يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا، هو ذا بينكم يترك لكم خراباً، لأني أقول لكم إنكم لا تروني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب» متى: ٢٣: ٣٤ـ ٣٩.

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ٥٩٨.

(٣) ويستشهد بموضع من المزمور الثاني: «لماذا ارتجّت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل، قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين، لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما» مزامير ٢: ١ـ ٢.

على غير معناها الحرفي[1]، غير أن البعض من اليهود في أيام ظهور المسيح كانوا ينتظرون مجيئه وخلاصه الروحي منهم سمعان وحنة»[2]

وقد قدم قاموس الكتاب المقدّس عدّة نصوص من العهد الجديد تحدّثت عن موقف اليهود من السيد المسيح عليه السلام وبيّنت ذلك الموقف العدائي بكل وضوح، من ذلك رفضهم له أول بعثته وتدبير المكائد ضده، وبعد احتجازه أراد بيلاطس الحاكم الروماني آنذاك إطلاقه فرفضوا ذلك وطلبوا استبداله بـ (باراباس) اللص والسفّاح المشهور في ذلك الحين!! هذا ما ترويه نصوص الأناجيل، وعلى أي حال فنحن كمسلمين لا ننكر موقف اليهود العدائي من السيد المسيح عليه السلام، كما سنثبت ذلك فيما بعد من القرآن الكريم، بل كان موقفهم العدائي ذاك من جميع الأنبياء والرسل الذين قد بعثوا إليهم[3].

وفيما يلي نعرض بعض النصوص من العهد الجديد والتي تحدّثت عن موقف اليهود من السيد المسيح عليه السلام.

١ ـ رفض اليهود له عليه السلام:

«وإلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله»[4].

ويقول مفسر إنجيل يوحنا في تفسير هذا النص:

«إلى خاصته أي الأمة اليهودية دون عالم الوثنيين، وسمّيت اليهود خاصته لأن الله اختارها لنفسه، والمسيح هو الله (تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً) فاختار أولاد إبراهيم وفداهم من أرض مصر وأعطاهم أرض كنعان والشريعة والعهود

---

(١) ويشير إلى موضع في مرقس وعندما بحثت مكان إشارته وجدت ما يلي: «فأجاب وقال لهم إن إيليا يأتي أولاً ويرد كل شيء وكيف هو مكتوب عن ابن الإنسان أن يتألم كثيراً ويرذل» مرقس ٩: ١٢.

(٢) ويستشهد بنص من لوقا: «وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان، وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه، وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب» لوقا ٢: ٢٥ـ ٢٦.

(٣) يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة: ٨٧].

(٤) يوحنا ١: ١١.

والأنبياء، وسكن بينهم وكانوا خاصّته أيضاً لأن المسيح يهوه العهد القديم اعتنى بهم وحفظهم في كل طرقهم وقصد بذلك إعدادهم لقبوله حين يأتي.

جاء: أي ظهر علانية، وخاصته لم تقبله: جاء فيما سبق أن الظلمة لم تدركه، أن العالم لم يعرفه، وزاد على ذلك هنا أن خاصّته لم تقبله مع أن الله أعدّها لقبوله برموز ونبوءات وجعلها تتوقّع مجيئه، فكان عليها أن تعرفه وتقبله عند مجيئه ولكن لما ظهر بينها رفضته بل صلبته، وعلّة رفضها إياه إعماء الخطية لعيونها وعدم رضاها مخلصاً وملكاً روحياً»[1].

وهناك نص آخر من إنجيل لوقا: «فقاموا وأخرجوه خارج المدينة وجاؤوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنيةً عليه حتى يطرحوه إلى أسفل»[2].

ويقول مفسر إنجيل لوقا في تفسير هذا النص:

«الناصرة مبنية على سفح أكمة يحيط بتلك الأكمة أكمام أرفع منها، والذي يقصد الناصرة اليوم وشاهد الأكمة التي بنيت عليها يحكم بأن أهلها صعدوا بيسوع إلى قمة تلك الأكمة، وهناك علو منها نحو ثلاثين أو أربعين قدماً فقصدوا أن يطرحوه من أحدهما إلى الحضيض فيميتوه، وكان قبل هذا من عوائد الرومانيين في إهلاك الناس، وكان اليهود يفعلون كذلك أحياناً، فمعاملة أهل الناصرة ليسوع مصداق لقول البشير إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله»[3]. وهناك نص آخر من إنجيل لوقا:

«ولكن ينبغي أولاً أن يتألم كثيراً ويرفض من هذا الجيل»[4].

ويقول مفسر إنجيل لوقا في تفسير هذا النص:

«أنبأ بأنه يسبق مجيئه الثاني رفض الأمة اليهودية إياه وتألمه وقُصد بهذا الجيل الأمة اليهودية، وما ذكر هنا هو أعظم الحوادث المتعلّقة بمجيئه الأول، واستعداد لمجد مجيئه الثاني لأنه قدم نفسه اختياراً للرفض والآلام إرادة فداءَ العالم»[5].

---

(١) د. وليم إدي (الكنز الجليل في تفسير الإنجيل)، ج ٣، ص ١٤.
(٢) لوقا ٤: ٢٩.
(٣) انظر: د. وليم إدي (الكنز الجليل في تفسير الإنجيل)، ج ٢، ص ١٨٩.
(٤) لوقا ١٧: ٢٥.
(٥) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، ج ٢، ص ٣١٦.

٢ـ تدبير المكائد ضده عليه السلام

يقول إنجيل متى في ذلك:

«فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه، فعلم يسوع وانصرف من هناك وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعاً»[١].

ويقول مفسر إنجيل متى في تفسير هذا النص:

هذا أول نبأ في بشارة متى بأن الفريسيين[٢] عزموا بعد المؤامرة على قتل المسيح، وأما ما كان من أمر أهل الناصرة في أن يطرحوه من فوق الجبل فكان نتيجة هيجان الجمع على غير قصد، ولم يعزم الفريسيون على قتله إلاّ بعد أن عجزوا عن دفع حججه وهكذا ألوف من شهداء المسيح الأمناء أُبكموا بالسجن والرجم والجلد والإحراق والإغراق وسائر أنواع القتل لا بالحجّة والبرهان.

تشاوروا: المرجح أن الاجتماع للتشاور لم يكن عاماً بل حصر في فريسي المدينة التي صنعت فيها المعجزة المذكورة، والذي حملهم على ذلك أسباب دينية وسياسية وشخصية وأعظمها حسدهم المسيح على رغبة الناس فيه، وما كان من أمر هؤلاء في مشاهدتهم المعجزة يدلّنا على أن ليس للمعجزات من تأثير حسن في المشاهدين إذا كانوا من المتعصبين في آرائهم»[٣].

وهناك نص آخر من إنجيل مرقس يقول فيه:

«ثم دخل أيضاً إلى المجمع وكان هناك رجل يده يابسة، فصاروا يراقبونه هل يشفيه في السبت لكي يشتكوا عليه، فقال للرجل الذي له اليد اليابسة قم في

---

(١) متى ١٢: ١٤ـ ١٦.

(٢) الكلمة آرامية ومعناها المنعزل وهي إحدى فئات اليهود الرئيسية الثلاث التي كانت تناهض الفئتين الأخريين فئتي الصدوقيين. والاسينيين، وكانت أضيقها رأياً وتعليماً، ويرجّح أن يكون الفريسيون خلفاء الحسديين المتظاهرين بالتقوى، أما من حيث العقيدة فكانوا يقولون بالقدر ويجمعون بينه وبين إرادة الإنسان الحرة، وكانوا يؤمنون بخلود النفس وقيامة الجسد ووجود الأرواح، ومكافأة الإنسان ومعاقبته في الآخرة بحسب صلاح حياته الأرضية أو فسادها غير أنهم حصروا الصلاح في طاعة الناموس فجاءت ديانتهم ظاهرية وليست قلبية داخلية.

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ٦٧٤ باختصار.

(٣) انظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، ج ١، ص ١٨٨، ط بيروت ١٩٧٣م.

الوسط، ثم قال لهم هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر تخليص نفس أو قتل فسكتوا، فنظر حوله إليهم بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم وقال للرجل مدّ يدك، فمدها فعادت يده صحيحة كالأخرى، فخرج الفريسيون للوقت مع الهرودسيين وتشاوروا عليه لكي يهلكوه»[١].

ويقول مفسر إنجيل مرقس لتفسير هذا النص ما يلي:

«إن الهيرودسيين وافقوا الفريسيين في المؤامرة على المسيح، وبعض أنواع الغضب جائز وهو الغضب على الخطيئة إذا كان ممزوجاً بالحزن والشفقة على الخاطىء، فالمسيح لم يرد بغضبه أذى من غضب عليهم ولا الانتقام منهم.

غلاظة قلوبهم: أظهروا تلك الغلاظة بعدم تأثرهم من البراهين القاطعة على صحّة لاهوته وعدم شعورهم بتخطئة بعضهم إياه وقصدهم قتله وعدم انتباههم لدعوة المحبّة وإنذارات الدينونة، لكي يهلكوه: قصدوا ذلك لأن يسوع قدوس وهم خطاة ولأن قداسته كانت توبيخاً دائماً لهم على خطيئتهم ولأنه كشف الحجاب عن ريائهم، ولأنه علم ما ينافي تقاليدهم وبذلك نقص سلطانهم على الناس واعتبار الناس إياهم وأفحمهم قدام الشعب، ففضلوا قتل موبخهم على ترك آثامهم التي وبخهم عليها، ووافق الهيرودسيون الفريسيين على قتله لغايات سياسية علاوة على حسدهم وتعصبهم الديني لأنهم أرادوا أن يكون هيرودس انتيباس أو غيره من العائلة الهيرودسية ملكاً على اليهودية والسامرة بدلاً من بيلاطس الوالي، فخافوا أن دعوى المسيح الملك تمنعهم من نوال بغيتهم.

وكان الهيرودسيون أعداءً للفريسيين لأنهم صدقيون وأجازوا إعطاء الجزية لقيصر إرضاءً للرومانيين وحرم الفريسيون ذلك، ومع ذلك اتفق الفريقان على المسيح لإمكان الإتفاق بين كذب وكذب آخر ولكن لا يمكن أن يكون اتفاق بين الحق والكذب لأنه ليس بينهما سوى الحرب الدائمة»[٢].

ويضيف مفسر آخر لتفسير هذا النص:

«وهذا يبين المدى الذي قد يذهب إليه الفريسي في كراهيته، ففي الظروف الطبيعية كان يعامل الهيرودسيين على أنهم نجسون لا يحل له أن يتعامل معهم

---

(١) مرقس ٣: ١ ـ ٦.

(٢) انظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، ط بيروت ١٩٧٣م، ص ٢٧ باختصار.

لأنهم خونةً يعملون في بلاط ملك نجس، ولكن في سبيل تنفيذ مؤامرة ضد يسوع فإنه ـ أي الفريسي ـ يتّفق مع هؤلاء النجسين ليساعدوه على ذلك، ما أقسى الكراهية التي تتوقف عند أي اعتبار مهما كان»[١].

٣ ـ محاولة اليهود رجمه عليه السلام بالحجارة!!

ففي الإنجيل المنسوب إلى يوحنا:

«فتناول اليهود أيضاً حجارةً ليرجموه، أجابهم يسوع أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي بسبب أي عمل منها ترجمونني، أجابه اليهود قائلين لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً، أجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة... فالذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأني قلت إني ابن الله»[٢].

ويقول مفسر إنجيل يوحنا في تفسير هذا النص:

«أرادوا رجمه لأنهم حسبوا أن كلامه تجديفاً، وأرادوا أن يعاقبوه بمقتضى الناموس، ولم يقدروا أن يجروا ذلك شرعاً لمنع الرومانيين لهم لكنهم قصدوا أن يفعلوه على سبيل الهياج والشغب والظاهر أن إجابته لهم أوقفتهم وقتاً عن رجمه إياه، وخلاصة قوله: إنه لا يجيز العقل ولا الشرع أن ترجموا أحداً قبل بيان ارتكابه الذنب الموجب لذلك.

وأنت إنسان: نعم لو كان المسيح إنساناً فقط لكان كلامه تجديفاً، واستحق أن يرجم بموجب شريعتهم ولكنه مع كونه إنساناً هو الله (تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً) فكان يستحق الإيمان به والسجود له فما بقي في المسألة إلاّ أحد الأمرين وهو إما أن يعبدوا يسوع إلٰهاً وأما إن يرجموه مجدفاً[٣].

ويضيف مفسر الإنجيل المنسوب إلى يوحنا لتفسير هذا النص:

---

(١) انظر: وليم باركلي تفسير العهد الجديد (إنجيل مرقس)، ط دار الجيل، ص ٩٢.

(٢) يوحنا ١٠: ٣١ـ ٣٦.

(٣) المسيح عليه السلام كما هو معلوم لم يكن إلٰهاً فلا إلٰه إلاّ الله تعالى، ولم يدع الألوهية وحاشاه أن يفعل ذلك ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧].

انظر: ص ٣٠٥ وما بعدها من هذا البحث.

أنا قلت أنكم آلهة: هذه الآية السادسة من المزمور الثاني والثمانين والمتكلم هو الله قاضي القضاة والمخاطبون هم القضاة ودعاهم الله آلهة لأنهم رؤساء الشعب ومنزلتهم أرفع من منزلة غيرهم من الناس وعليهم مسؤولية عظيمة في سياسة الشعب»[١].

٤ ـ التآمر ضده لاغتياله أو تسليمه للحكومة الرومانية:

ونستدل على ذلك بنص من الإنجيل المنسوب إلى متى.

«ولما أكمل يسوع هذه الأقوال كلها قال لتلاميذه، تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الإنسان يسلم ليصلب، حينئذٍ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذي يُدعى قيافاً، وتشاوروا لكي يمسكوا يسوع بمكرٍ ويقتلوه، ولكنهم قالوا ليس في العيد لئلا يكون شغب في الشعب»[٢].

ويقول مفسر إنجيل متى في تفسير هذا النص:

«هذه الأقوال كلها: أي ما تكلم به لتلاميذه على جبل الزيتون، وكان ذلك جواباً لسؤال أربعة منهم، والأقوال التي أكملها كانت من متعلّقات ممارسته الوظيفية النبوية.

تعلمون: لم يتّضح أن المسيح أراد مجرد علمهم وقوع عيد الفصح بعد يومين لكنه قصد أن يخبرهم بتسليمه إلى الموت، والفصح: أي عيد اليهود الأعظم، والفصح لفظة عبرانية معناها العبور.

الكتبة: حفظة الكتب المقدسة ومفسروها.

شيوخ الشعب: أي نوابه في المجلس الكبير، وكان الحبر الأعظم رئيسه.

دار رئيس الكهنة: أي الحبر الأعظم وكان من عادة أعضاء ذلك المجلس أن يجتمعوا في إحدى ديار الهيكل لكن يجوز لهم الاجتماع في دار رئيس الكهنة.

قيافا: واسمه يوسف كما قال يوسيفوس المؤرخ.

وتشاوروا لكي يمسكوه بمكر: لأنهم لم يجسروا أن يفعلوا ذلك علانية فإنهم قصدوا قتل يسوع من وقت إقامته لعازر، والذي منعهم عنه قبلاً خوفهم من الشعب لأن كثيرين منهم حسبوه نبياً.

---

(١) انظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، ط بيروت ١٩٧٣م، ص ١٨٠ باختصار وتصرّف.
(٢) متى ٢٦: ١ ـ ٥.

ليس في العيد: كذا قصدوا أولاً بناءً على معرفتهم كثرة المجتمعين في العيد لأنهم لم ينقصوا في بعض السنين عن ثلاثة ملايين، وعلمهم وقوة الجليليين بينهم الذين أخذ المسيح تلاميذ وأصدقاء كثيرين منهم»(١).

وهناك نص آخر من مرقس يدل على تآمرهم على اغتياله عليه السلام:

«وكان الفصح وأيام الفطير بعد يومين، وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكرٍ ويقتلونه، ولكنهم قالوا ليس في العيد لئلا يكون شغب في الشعب»(٢).

ويقول مفسر هذا النص:

«الأرجح أن ذلك الاجتماع كان مساء الثلاثاء أي في أول يوم الأربعاء وذلك موافق لقول متى بعد يومين يكون الفصح، وقصدوا حينئذٍ أن لا يمسكوه إلاّ بعد العيد خيفةً من ثورة تلاميذه وأتباعه إذا أمسكوه فيه، ولكن خيانة يهوذا ثنتهم عن ذلك العزم إلى مسكه في العيد»(٣).

٥ـ احتواء الأناجيل على نصوص تدل على مدى كراهية اليهود للمسيح عليه السلام لدرجة أن بيلاطس الحاكم الروماني أراد إطلاقه بعد القبض عليه لأنه لا يستحق العقاب في نظره فهو لم يخطىء، ولكن اليهود يرفضون ذلك بكل صراحة ويطلبون إطلاق باراباس اللص والسفاح بدلاً منه!!

وفيما يلي نص متى والذي يدل على هذا المعنى:

«وكان الوالي معتاداً في العيد أن يطلق للجمع أسيراً واحداً من أرادوا، وكان لهم حينئذٍ أسير مشهور يسمى باراباس، ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس من تريدون أن أطلق لكم باراباس أم يسوع الذي يدعى المسيح، لأنه علم أنهم أسلموه حسداً، وإذ كان جالساً على كرسي الولاية أرسلت إليه امرأته قائلةً إياك وذاك البار، لأني تألمت اليوم كثيراً في حلم من أجله، ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرّضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع، فأجاب الوالي وقال لهم منْ من الإثنين تريدون أن أطلق لكم، فقالوا باراباس، قال لهم بيلاطس فماذا أفعل بيسوع

---

(١) انظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، ج ١، ص ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨ باختصار وتصرّف.

(٢) مرقس ١٤: ١ـ ٢.

(٣) انظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، ج ٢، ص ١٠٥.

الذي يدعى المسيح، قال له الجميع ليصلب، فقال الوالي وأي شرّ عمل فكانوا يزدادون صراخاً قائلين ليصلب، فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً بل بالحري يحدث شغب أخذ ماءً وغسل يديه قدام الجميع قائلاً إني بريء من دم هذا البار، أبصروا أنتم، فأجاب جميع الشعب وقالوا دمّه علينا وعلى أولادنا، حينئذٍ أطلق لهم باراباس، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب»[1].

ويقول مفسر إنجيل متى في تفسير هذا النص:

«بارابس: أحد جماعة أثاروا فتنة على الرومانيين وقتلوا بعضهم، فكان هذا الإنسان مرتكباً فعلاً ما اتهموا به يسوع كذباً وكان فوق ذلك لصاً قاتلاً.

باراباس أم يسوع: علم بيلاطس أن رؤساء اليهود سلّموا يسوع حسداً وأن العامة اعتبرته فتحوّل عن الرؤساء وسأل العامة آملاً أنهم يطلبون إطلاق يسوع فيتخلّص من إلحاح الرؤساء في طلب قتله.

وكان اختيار إطلاق الأسير للشعب لا للرؤساء فخاف الرؤساء أن يذهب كل جهدهم باطلاً ويخيب رجاؤهم إن اختار الشعب يسوع، فأسرعوا إلى خطاب الشعب واجتهدوا في أن يقنعوهم بأن يطلبوا إطلاق باراباس، ولعلهم قالوا للشعب إن باراباس محب للوطن، وأن الرومانيين قبضوا عليه لأنه سعى في تحرير اليهود وحارب لأجل حقوقهم، وأن يسوع جليلي والجليليون مبغضون من أكثر اليهود.

فماذا فعل بيسوع: في هذا السؤال تعجب وشيء من سؤال الشعب أن يعيدوا نظر الاختيار بين يسوع وباراباس، ولعله نتج عن أمله أن يطلبوا إطلاق الاثنين فيكون له حجّة لمقاومة الرؤساء وإطلاق يسوع بلا خوف من أن يشكوه إلى الأمبراطور.

ليصلب: ولعل الذين ابتدأوا يصرخون قائلين ليُصلب يسوع الذي هو أقبح طرق العقاب أمران: الأول التشفي من البغض، والثاني: أن يجعلوا اسم المسيح مكروهاً إلى هذا الحد حتى لا يلتفت أحد إلى دعواه بعد.

فقال الوالي وأي شر عمل: هذا استفهام إنكاري معناه أن يسوع لم يعمل شراً.

ليصلب: وكان قصد بيلاطس أن يجيبوه ببيان ذنب يسوع ولكنهم أجابوه

---

(١) متى ٢٧: ١٥ـ ٢٦.

بتكرار قولهم ليصلب، وهذا نتيجة عجزهم عن تبين ذنب له وإقرار بأن لا ذنب عليه.

أخذ ماءً وغسل يديه: أتى هذا العمل كناية عن أنه بريء من كل ما يجرونه بعد ذلك على يسوع.

دمه علينا: أي إذا كان باراً ويعاقب أحد بموته فذلك علينا، فخاب قصد بيلاطس بإنقاذ المسيح الواسطة لأن الشعب لم يخف أن يحمل كل مسؤولية موته طوعاً واختياراً.

وعلى أولادنا: أي العقاب الذي يترتّب على قتل يسوع أن كان برياً نأخذه ميراثاً لأولادنا كما أخذنا نصيباً لنا»[1].

وأكتفي بنقل نص آخر من إنجيل يوحنا لأن كل نصوص الأناجيل الأربعة تحمل نفس المعنى:

«فقال له بيلاطس أفأنت إذاً ملك، أجاب يسوع أنت تقول إني ملك، لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق، كل من هو من الحق يسمع صوتي، قال له بيلاطس ما هو الحق، ولما قال هذا خرج أيضاً إلى اليهود وقال لهم أنا لست أجد فيه علّة واحدة، ولكم عادة أن أطلق لكم واحد في الفصح أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود، فصرخوا أيضاً جميعهم قائلين ليس هذا بل باراباس، وكان باراباس لصاً»[2].

ويقول مفسر إنجيل يوحنا لتفسير هذا النص:

«أفأنت إذاً ملك: لا يخلو سؤاله من شيء من التعجّب كأنه يتوقّع أن يسوع ينكر أنه ملك[3].

لهذا قد ولدت ولهذا قد أتيت إلى العالم: هذا شرح لقوله إنه ملك وبيان غاية إتيانه من السماء إلى الأرض وهي إقامة مملكة الحق وإعلان حق الله الأزلي للناس.

قال لهم أنا لست أجد فيه علّة واحدة: كان على بيلاطس أن يطلق يسوع في

---

(١) انظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، ج ١، ص ٥٠٠ـ ٥٠٤ باختصار وتصرف.

(٢) يوحنا ١٨: ٣٧ـ ٤٠.

(٣) هل المسيح عليه السلام ملك؟ ليس في كلامه ما يدل على ذلك.

الحال على موجب حكمه هذا ولم يفعل ذلك خوفاً من اليهود لئلا يشكوه لطيباريوس قيصر على ذنوب كثيرة كان قد ارتكبها في محاكماته لكنه حاول أن يرفع عن نفسه مسؤولية الحكم على يسوع.

والظاهر أن بيلاطس ظن الشعب يطلبون إطلاق يسوع إذا خيّرهم بينه وبين باراباس، وترك لهم أن يحكموا بصلب أحدهما وإطلاق الآخر وقصد بذلك أن ينجو من ملامة الرؤساء، إذا أطلق يسوع بقوله إن الشعب أجبره.

وباراباس: كان قاتلاً فضلاً عن أنه لص، ولا ريب في أن بيلاطس عجب من هذا الصراخ إذ كان يتوقّع خلافه، فأظهروا أنهم أحبوا لصاً قاتلاً أكثر من يسوع المسيح البار»(١).

وكتب د. وليم باركلي في تفسيره للعهد الجديد، تحت عنوان (خطايا اليهود) بعد نقله للنص السابق من إنجيل يوحنا ما يلي:

«من أجل ذلك نحن أيضاً نشكر الله بلا انقطاع لأنكم إذ تسلمتم منا كلمة خبر من الله قبلتموها لا ككلمة أناس بل كما هي بالحقيقة ككلمة الله التي تعمل أيضاً فيكم أنتم المؤمنين، فإنكم أيها الأخوة صرتم ممتلئين بكنائس الله التي هي في اليهودية في المسيح يسوع لأنكم تألمتم أنتم أيضاً من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها كما هم أيضاً من اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياء هم واضطهدونا نحن، وهم غير مرضين لله وأضداد لجميع الناس، يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكي يخلصوا حتى يتمموا خطاياهم كل حين، ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية»(٢).

« ١ـ إنهم قتلوا الرب يسوع والأنبياء، وعندما جاء رسل الله إليهم تخلصوا منهم بالطرد أو بالقتل، إن زعماء اليهود أرادوا أن يتخلّصوا من يسوع المسيح قبل أن يتمادى في إلحاق الضرر بهم، ولكن ما من إنسان استطاع أن يوقف تأثير الرسالة بمجرّد قتل المرسل.

٢ـ إن اليهود اضطهدوا المسيحيين، ولو أنهم رفضوا رسالة الرب يسوع كانوا على الأقل يسمحون لغيرهم أن يصغي لها. ويقبلها، لكنهم لم يدخلوا ولم

---

(١) انظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، ج ٣، ص ٢٩٢، ٢٩٣ بتصرف واختصار.
(٢) اتسالونيكي ٢: ١٣ـ ١٦.

يدعوا الداخلين يدخلون»[1].

ويتحدّث أحد الكتّاب المسيحيين عن محاكمة اليهود ليسوع ويعلّق على ذلك بقوله:

«أجل! جلس حول قوس المحكمة قضاة يضمرون أعنف الحقد لرجل جعلوا منه متّهماً وهو بريء، تحجّرت ضمائرهم وألقت البغضاء على بصائرهم وشاحاً أسود، ونسوا أو تناسوا ما أمرهم به الله في كتابه وما نهاهم عنه، وتمغنطوا بفكرة واحدة تسلّطت على عقولهم: الموت ليسوع، ينبغي أن يحكموا بالموت على الناصري، إنه يقض عليهم مضاجعهم ويلقي على الناس مواعظ تدعوهم إلى المحبّة والتسامح، إنه يحدّث اليهود عن ملكوت ليس من هذا العالم، عن ملكوت الروح، ولو وقفت رسالته عند هذا الحد لهان الأمر، ولكنه ذهب إلى أبعد من ذلك، لقد دعا إلى محبّة المبغضين ومباركة اللاعنين. . وراح سلطان رؤساء الكهنة والشيوخ والفريسيين يترجرج، لقد هزّ عروشهم بعظاته وعجائبه، أفبوسعهم بعد ذلك أن يتغاضوا عن أعماله؟ أيخلون الساحة لشاب فقير حقير[2] يصول فيها ويجول؟ أيتنازلون عن حقوق ورثوها وعن امتيازات جعلتهم يرفلون في أثواب المجد والغنى؟ كلا ينبغي أن يمحى هذا الشاب من الوجود.

تلك كانت نفسية القضاة الذين اجتمعوا ليحاكموه باسم العدالة اليهودية»[3].

«تلك كانت محاكمة يسوع مأساة مهزلة لعب الدور الرئيسي فيها زعيم الأمة اليهودية المؤتمن على شريعة الله ووصاياه»[4].

«وفي تلك الأثناء كان زعماء الأمة اليهودية يحاكمون يسوع باسم العدالة اليهودية ويسومونه شتى أنواع العذاب، حتى انتهى بهم المطاف إلى إصدار حكم الموت عليه، وسرى الخبر حتى بلغ سمع يهوذا فأدرك هذا الأخير فظاعة جرمه، وضجت في أذنيه كلمات يسوع «أبقبلة تسلم ابن البشر» فغدا كمن أصيب بمس من

---

(١) انظر: تفسير العهد الجديد الرسائل إلى (فيلبي وكولوسي وتسالونيكي). د .وليم باركلي، ترجمة القس جرجس هابيل، ط ٢، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) لا أدري كيف ينعت من يعتقد أنه إلٰه بالحقارة حاشاه عليه السلام أن يكون كذلك، بل هو نبي كريم ومن أولي العزم من الرسل.

(٣) انظر: نصري سهلب (في خطى المسيح)، ط ٢، ص ٣٦١ـ ٣٦٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٦٤.

جنون. . . (فمضى وخنق نفسه).

تلك كانت نهاية الاسرخيوطي، فقد أمله بغفران يسوع فخسر العالم ونفسه.

كان يهودياً بكل ما في هذا التعبير من معنى، وحاول أن يكون مسيحياً فأخفق في منتصف الطريق»[1].

ويقول أحد الكتّاب المسيحيين تحت عنوان (اتهامات اليهود للمسيح) بعد أن نقل نصاً من الإنجيل المنسوب إلى يوحنا:

«ثم جاؤوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية، وكان صبح. ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكي لا يتنجسوا، فيأكلون الفصح، فخرج بيلاطس إليهم وقال: أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان؟ أجابوا: لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك، فقال لهم بيلاطس: خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم فقال له اليهود: لا يجوز لنا أن نقتل أحداً، ليتم قول يسوع الذي قاله مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يموت»[2].

«كانت الجريمة الأولى التي نسبها شيوخ اليهود للمسيح هي أنه يفسد الأمة، أي يثير فتنة سياسية ضد الحكومة. لكن لو صدق هذا القول لكان بيلاطس قد عرف هذا بواسطة جواسيسه دون تدخّل الرؤساء الذين لا تسيئهم الفتنة ضد الحكومة.

وكانت الجريمة الثانية: أن المسيح يمنع أن تعطى جزية لقيصر. وهذا ما حاولوا أن يجعلوا المسيح أن يقوله، لكنه رفض وقال: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

وأما الشكاية الثالثة فكانت أنه يقول إنه هو مسيح ملك. وهذا أيضاً كذب، فليس في هذه التهمة أيضاً ما يؤثر على الوالي، لأنه يعلم جيداً أن هؤلاء اليهود يفتخرون بكل من يقاوم الحكم الروماني، فلا يمكن أن يسلموا يهودياً للقتل بهذه التهمة لو كانت صحيحة.

فأجابهم الوالي بنفور وتحقير وتهكم: «خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم» مع أنه لا علاقة بين الجرائم التي ذكروها وبين ناموسهم، وكأنه يقول

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٦٥.

(٢) يوحنا ١٨ : ٢٨ـ ٣٢.

لهم: لا تستطيعون أن تفعلوا ما تشاؤون بدوني، وأنا لا أخضع لمطاليبكم بدون فحص، فاضطر الرؤساء إلى التذلل لينالوا مرامهم، فقالوا: لا يجوز لنا أن نقتل أحداً»[1].

من النصوص السابقة يتّضح موقف اليهود من المسيح عليه السلام ومدى كراهيتهم له كما حدث ذلك لجميع الأنبياء والرسل المبعوثين إليهم - وكما نوهنا - وقد تبيّن في الشعبة الأولى بشكل قاطع موقفهم العدائي منه عليه السلام وذلك من كتبهم ومؤلفاتهم ودوائر معارفهم، كما تبيّن لنا في الشعبة الثانية موقفهم العدائي منه من خلال نصوص العهد الجديد والمقدس لدى النصارى.

ومن خلال ما كتبه مؤلفوهم وكتابهم ومفسرو الإنجيل.

---

(١) انظر: سيرة المسيح لجورج فورد، ص ٤٨٤ـ ٤٨٥.

المبحث الثالث:

موقف اليهود من المسيح عليه السلام من خلال آيات الذكر الحكيم

لا يخفى على القارىء الكريم أن القرآن الكريم تحدث عن السيد المسيح عليه السلام حديثاً شيقاً وممتعاً وقد دافع عنه وبيّن اصطفاء الله له نبياً من أنبيائه تعالى ومن أولي العزم من الرسل، ووضّح الموقف الصحيح والذي يجب أن يتخذ منه عليه السلام فلا إفراط كما فعل النصارى بتأليهه أو جعله جزءً من الثالوث الإله (الآب والإبن وروح القدس) ولا تفريط كما فعل اليهود باتهامهم له ـ قاتلهم الله ـ بأبشع الاتهامات المشينة، وقذفهم إياه بأبشع القذائف هو وأمه الطاهرة مريم البتول[1] عليهما السلام.

وآيات الذكر الحكيم تحدثت عن الموقف العدائي، والذي اتخذه اليهود تجاه نبي الله عيسى عليه السلام وذلك منذ مولده وبعثه عليه السلام، ويتّضح ذلك كما يلي:

أ ـ موقفهم منذ ولادته، وقد كانت ولادته إرهاصاً[2] لنبوته حيث أنه عليه السلام ولد من غير أب فاتهمت عليها السلام بفعل الفاحشة، وقد دافع القرآن الكريم عنها وعن ابنها وبيّن حقيقتها الناصعة بآيات بينات كريمات.

قال تعالى:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ

---

(١) كما وضحنا ذلك في الفصل الأول من هذا البحث واستدللنا بنصوص من التلمود.
انظر: ص ٣٤ـ ٣٥ من هذا البحث.

(٢) الإرهاص: هو أمر خارق للعادة يظهر للنبي قبل إدعائه تمهيداً لدعواه.

يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾(١).

والشاهد في هذه الآيات الكريمات قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾.

«يقال: إنها عليها السلام لمّا ولدته ذهب الشيطان فأخبر بني إسرائيل أنّ مريم قد ولدت، فأقبلوا يشتدون فدعوها فأتت به قومها تحمله وقوله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريا، أي لمّا رأوا مريم ورأوا معها الولد الذي ولدته قالوا لها يا مريم لقد جئت بأمر عجيب، وقيل: لما رأوها ورأوه معها قالوا يا مريم جئت شيئاً فريا أي الفاحشة»(٢) أي مع أنها عليها السلام كانت قد وصفت بالتقى والصلاح والعفاف والطهر، وهي قبل ولادتها قد وُهبت من قبل أمها ـ إمرأة عمران ـ (٣) إلى بيت المقدس للخدمة فيه، وكذلك فهي من آل بيت أتقياء وأطهار، ومع ذلك كله نجد أنّ اليهود قد اتهموها وقذفوها بالفاحشة، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ب ـ عندما دعاهم عليه السلام إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد شأن

---

(١) سورة مريم، الآية ١٦ـ ٣٣.

(٢) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، ج ١٦، ص ٥٨.

(٣) لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران: ٣٥ ـ ٣٦].

جميع الأنبياء من لدن آدم ونوح إلى نبينا محمد[1] عليهم الصلاة والسلام أنكروا عليه ذلك بل كذبوه واتهموه بأنه ساحر مبين.

قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾[2].

وقوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾[3].

والشاهد في الآية الكريمة الأولى، قوله تعالى:

﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره:

«أي: واذكر نعمتي عليك في كفى إياهم عنك حين جئتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوّتك ورسالتك من الله إليهم فكذبوك واتهموك بأنك ساحر، وسعوا في قتلك وصلبك، فنجيتك منهم ورفعتك إلى وطهرتك من دنسهم وكفيتك شرهم، وهذا يدلّ على أن هذا الامتنان واقعاً يوم القيامة وعبّر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لا محالة، وهذا سر من أسرار الغيوب التي أطّلع الله عليها نبيه محمداً ﷺ»[4].

والشاهد في الآية الكريمة الثانية قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

---

(١) لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

(٢) سورة المائدة، الآية ١١٠.

(٣) سورة الصف، الآية ٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٢، ط دار المعرفة، ص ١١٥.

«وقريء هذا ساحر مبين، وأي الناس أشدّ ظلماً ممن يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين، فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر لأنّ السحر كذب وتمويه»[1].

والظاهر ـ والله أعلم ـ أنّ اليهود عندما جاءهم عيسى عليه السلام بالبينات الباهرات كخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله، واحيائه الموتى، وابرائه الأكمه والأبرص، كل ذلك بأمر الله وبإذنه تعالى، ومع أن اليهود ـ قاتلهم الله ـ يعلمون تمام العلم صدقه عليه السلام وحقيقة معجزاته تلك، وأنّ هناك فرقا بين السحر وهذه المعجزات لأن المعجزة: أمر خارق للعادة يظهر على يدي مدعي النبوة تأييداً له في دعواه، فالمعجزات حقائق ظاهرة وبينه، أمّا السحر فوجوده حقيقة ولكنه تخيّل وكذب في حقيقته كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[2].

فالسحرة يسحرون أعين الناس، أما حقيقة الأشياء فيه كما لا تتبدّل ولا تتغيّر، ومع ذلك أخذ اليهود يوهمون العوام منهم أن ما جاء به المسيح عيسى عليه السلام ليس إلاّ سحراً، وذلك كما فعل كفار قريش مع نبينا محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾[3]، وكما فعل فرعون وقومه مع نبي الله موسى عليه السلام كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧٦﴾[4].

ج ـ ينصّ القرآن الكريم على أن اليهود لا يكفيهم تكذيب الأنبياء بل إنهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون!!، ومن ضمن الذي قد تورطوا بدمائهم على حسب اعتقادهم واعتقاد إخوانهم النصارى المسيح عليه السلام وقد نجّاه الله سبحانه وتعالى من عبثهم كما هو ثابت في القرآن الكريم[5] وكونهم قاموا بالوشاية وإرشاد

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري، ط دار المعرفة، ج ٤، ص ٩٩.

(٢) سورة طه، الآية ٦٦.

(٣) سورة القمر، الآية ٢.

(٤) سورة يونس، الآية ٧٥ـ ٧٦.

(٥) لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ النساء: ١٥٧.

جنود الرومان على مكانه للقبض عليه، ومطالبتهم بقتله صلباً كما هو ثابت لديهم[1] فهذا وحده يكفي في إثبات تورّطهم في دمه.

يقول جلّ ذكره في سورة البقرة:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾[2].

والشاهد من الآية الكريمة: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾

«فقد كانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء أسوأ المعاملة ففريقاً يكذبونه، وفريقاً يقتلونه، وما ذاك إلاّ لأنهم يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم بالالزام بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها، فلهذا كان ذلك يشقّ عليهم فكذبوهم، وربما قتلوا بعضهم.

وإنما لم يقل وفريقاً قتلتم لأنه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضاً لأنهم حاولوا قتل النبي ﷺ بالسم والسحر»[3] وفي حديث السيدة عائشة: «كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم»[4].

د ـ وينصّ القرآن الكريم على أنّ اليهود كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه، بمعنى أنه إذا فعل فريق منهم المنكر ـ وهو ما نهى الله عنه ـ لا يقاتله ولا ينهاه

---

(١) انظر ص ١٩٢ من هذا البحث.

(٢) سورة البقرة، الآية ٨٧.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١، ط دار المعرفة، ص ١٢٢ـ ١٢٣.

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٣١ رواه البخاري، تعليقاً في كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ووصله البزّار والحاكم والإسماعيلي.

وقد رواه الدارمي في المقدمة باب ما أكرم به نبيه ﷺ من كلام الموتى رقم الحديث ٦٨.

رواه أحمد في المسند، ج ٦، ص ١٨ من حديث زوجة عبد الله بن كعب بن مالك عن أم مبشر.

رواه أبو داوود مرسلاً ووصله البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي هريرة.

الفريق الآخر عن ترك ذلك المنكر، وكذلك كان اليهود يتخذون الذي كفروا أولياء من دون المؤمنين، لذلك لعنهم الله تعالى على لسان داوود وعيسى ابن مريم عليهما السلام.

قال جلّ ذكره في محكم آياته:

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾[١].

والشاهد في هذه الآيات الكريمات قوله تعالى:

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾

إذاً يتّضح هنا موقفهم من المسيح عليه السلام فقد كان موقفاً قبيحاً ومشيناً وهو مخالفتهم وعصيانهم لأوامر الله التي بعث بها، لذلك فقد وجب عليهم اللعن وهو الطرد من رحمة الله على لسان داوود وعيسى ابن مريم ولكونهم لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه، وكونهم يتولون الذين كفروا من دون المؤمنين.

«ويخبر الله تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل فيما أنزله على داوود نبيه عليه السلام وعلى لسان عيسى ابن مريم بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه، قال العوفي عن ابن عباس لعنوا في التوراة والإنجيل وفي الزبور وفي الفرقان، ثم بيّن حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم. فقال تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أي كان لا ينهى أحد منهم أحداً عن ارتكاب المآثم والمحارم ثمّ ذمهم على ذلك ليحذر أن يرتكب مثل الذي ارتكبوه فقال لبئس ما كانوا يفعلون»[٢].

«وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد شريك بن عبد الله عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال، قال رسول الله ﷺ لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم، قال يزيد وأحسبه قال في

(١) سورة المائدة، الآية ٧٨ـ ٨٠.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ط دار المعرفة، ج ٢، ص ٨٢.

أسواقهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داوود وعيسى ابن مريم»[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، ج ١، ص ٣٩١.
رواه أبو داوود في كتاب الملاحم باب الأمر والنهي رقم الحديث ٤٣٣٦.
رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، الباب ٤٨ تفسير سورة المائدة رقم ٣٥٠ وحسنه.
رواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف رقم ٤٠٠٦.
رواه الطبري في تفسيره، ج ١٠، ص ٤٩١، ٤٩٣.

الباب الثاني

المسيح وأمه عليهما السلام عند المسيحيين

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول : مريم عليها السلام في العهد الجديد.

الفصل الثاني : المسيح عليه السلام: حياته ودعوته كما يصورها العهد الجديد.

الفصل الثالث : المسيح عليه السلام في نظر الفرق المسيحية.

الفصل الأول

مريم عليها السلام في العهد الجديد

ويشتمل على سبعة مباحث:

المبحث الأول : معنى لفظ مريم والعذراء.

المبحث الثاني : خطبة يوسف النجّار لمريم عليها السلام.

المبحث الثالث : بشرى الملاك للسيدة مريم وقصة وضعها لابنها المسيح عليهما السلام.

المبحث الرابع : رحلة السيدة مريم عليها السلام إلى مصر.

المبحث الخامس : السيدة مريم عليها السلام في العقيدة الكاثوليكية والأرثوذكسية.

المبحث السادس : السيدة مريم عليها السلام في العقيدة البروتستانتية.

المبحث السابع : السيدة مريم عليها السلام في أيامها الأخيرة.

الفصل الأول
مريم عليها السلام في العهد الجديد

لكي نتحدّث عن موقف النصارى من المسيح عليه السلام لا بدّ أولاً الحديث عن موقفهم من أمه السيدة مريم عليها السلام كمقدمة تمهيدية لا بدّ منها للحديث عن موقفهم منه عليه السلام.

وعند الحديث عن مريم عليها السلام في العهد الجديد يندرج تحت ذلك عدة مسائل وهي كما يلي:

المبحث الأول:

معنى لفظ مريم، والعذراء

يقول قاموس الكتاب المقدّس أن «مريم اسم عبري معناه عصيان»[1] ويقول أحد الكتاب المسيحيين في تفسير كلمة العذراء.

«إنّ كلمة العذراء في اللغة العربية هي فتاة لم يمسسها بشر ولكن حين تدخل عليها «أل التعريف» فيقال العذراء فإنما يقصد بها «مريم» ابنة الحبر الجليل «يواكيم» وزوجته حنه أو عمران وحنه.

وتأتي كلمة عذراء بالعبرية بنطقين:

- النطق الأول بتولا Betula
- والنطق الثاني ألما Alma

وتعريف كلمة Betula بالعبرية أو باريتنوس Parthenos باليونانية فتاة عذراء لم تعرف رجلاً، أمّا كلمة ألما Alma فتعني فتاة عذراء ناضجة كاملة الأنوثة لم تنجب أطفالاً ولكن يحتمل أن تكون مخطوبة»[2].

---

(١) لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ص ٨٥٦.

(٢) يوسف حلمي المصري (مريم في الإنجيل والقرآن)، الناشر: دار الهلال للطباعة، ص ٤٧.

المبحث الثاني:

خطبة يوسف النجار لمريم عليها السلام

علمت ـ بعد البحث ـ أنّ الكتاب المقدّس بما فيه العهد الجديد لم يتحدث ولم يشر إلى نشأة السيدة مريم أم المسيح عليها السلام ولا إلى عائلتها ووضعهم الاجتماعي وما إلى ذلك بل أهمل إهمالاً تاماً.

ويقول أحد الكتاب المسيحيين «يوم ولدت مريم كان والداها يواكيم وحنه قد بلغا من العمر عتياً وماتا وهي في عمر الزنبقة فنشأت يتيمة الأب والأم وعاشت في عصمة الله تستمد من السماء عطفاً وحناناً»(١).

«ومنذ حداثة مريم عقدت خطبتها على مواطن لها يدعي يوسف ينتسب مثلها إلى سبط يهوذا وسبط داوود الملك، ولم يكن يوسف سوى رجل جمع التقوى والفقر معاً، ومارس أعمال النجارة ليعيش من ريعها الضئيل، وكان زاهداً إلى أبعد حد، مستسلماً لمشيئة الله لا ينبس ببنت شفة ولو رزح تحت وطأة الألم.

وللخطبة في الشرع اليهودي تقاليد لا تختلف عن تقاليد الزواج في عصرنا الحاضر إلاّ أن الخطيبة ـ أو الزوجة ـ ما كانت لتنقل إلى بيت الزوجية إلاّ بعد فترة من الزمن تقضيها في كنف ذويها ـ وقد تكون لمدة عام واحد قبل الزواج ـ ذاك كان وضع مريم عندما اصطفاها الله، وكذلك أعدّ يوسف هو أيضاً منذ الأزل لأروع المهمات وأقدسها، فبتولة مريم كانت أمانة في عنقه كما كان يسوع وديعة بين يديه»(٢).

وفي الإنجيل المنسوب إلى لوقا ما يلي:

---

(١) الأستاذ يوسف حلمي المصري (مريم في الإنجيل والقرآن)، ص ٢٣، ولم يشر إلى المصدر الذي نقل عنه ولا إلى أي نقطة من الكتاب المقدّس!

(٢) المرجع السابق، ص ٢٦.
أيضاً انظر: قاموس الكتاب المقدّس، ص ٨٥٦.

«وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصره، إلى عذراء مخطوبة لرجلٍ من بيت داوود اسمه يوسف واسم العذراء مريم»[1]

ويقول مفسّر الإنجيل:

«وولد المسيح من امرأة لكي يشترك في الطبيعة البشرية، وولد من عذراء لكي يكون ممتازاً على غيره من الناس بولادته كما يليق بمقامه، ولكي لا يكون شريكاً في طبيعة آدم كما وجب أن يكون لو وُلد ولادة طبيعية، وولد من مخطوبة دفعاً للأوهام[2] وحفظاً لشرفها ولكي يكون لها من يعتني بها»[3].

ويقول مفسّر آخر:

«في الشهر السادس أي من وقت الإعلان الذي أعلن به زكريا بولادة يوحنّا المعمدان، وها هو جبرائيل يعود بعد هذه المدة ليعلن لمريم العذراء تلك الأخبار المفرحة، وهنا نرى الله يتمّم مقاصده الأزليّة بترتيب وإتقان، بخلاف الإنسان الذي يتعب في ضبط أعماله، كأن بعنايته قد هيأ العذراء المغبوطه بالنعمة، فكانت الحالة مناسبة لتنفيذ مقاصد الله بواسطتها لم تكن مثل أية عذراء تعيش عيشة غير لائقة، بل صالحة لتنفيذ مقاصد الله، كان لا بدّ أن تكون نقية ومتواضعة خاضعة لله، وقد كانت مخطوبة لرجل ولا شكّ أن هذا الوضع قد هيأه الرب لكي تكون وهي حبلى تحت اسم يوسف، فلا تحسب زانية وتستحق الرجم حسب شريعة موسى!!»[4].

---

(١) ١: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) السيدة مريم عندما ولدت المسيح عليهما السلام لم تكن متزوجة، وكونها مخطوبة لا ينفي عنها التهمة بقدر تبرئة الله تعالى لها كما ورد في القرآن الكريم والغريب أن الأناجيل والعهد الجديد عموماً أهمل حديث المسيح في المهد إهمالاً تاماً ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران: ٤٦] ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم: ٣٠ ـ ٣٣].

(٣) انظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، د./ وليم إدي، ج ٢، ص ١٤٥.

(٤) تفسير إنجيل لوقا، جمع وتقديم/ هلال أمين موسى، ص ٢٠.

المبحث الثالث:

بشرى الملاك للسيدة مريم وقصة وضعها لابنها المسيح عليهما السلام

وقصة حمل السيدة مريم بالمسيح عليهما السلام في الأناجيل تشبه إلى حدّ كبير ما ورد في القرآن الكريم[1] من حيث أن الملاك جبرائيل قد بشّرها بأنها ستحبل بالمسيح عليهما السلام ثمّ تعجّبت لذلك لأنها عذراء ولم تكن قد تزوجت، ثم حملت بأمر الله تعالى وكلمته لأن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

ففي إنجيل لوقا:

«فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها الرب معك، مباركة أنت في النساء، فلمّا رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية، فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع، هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داوود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية.

فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً، فأجاب الملاك وقال لها، الروح القدس يحلّ عليك قوة العلي تظلّلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله، وهوذا إليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلى بإبن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً، لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله،

---

(١) ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: ٤٥ـ ٤٧].

فقالت مريم هوذا أنا أمة الرب ليكن لي كقولك، فمضى من عندها الملاك»[1].

ويقول شارح الإنجيل:

«إنّ مجيء الملاك إلى مريم لم يكن نتيجة اختبارات خاصة أو صلوات خاصة كما في حالة زكريا، بل نتيجة فيضان نعمة الله، اتجاه السماء نحو الأرض من أجل فرح الإنسان، وهي ليست نعمة وقتيةً أو بسبب ظروف متغيّرة بالنسبة للإنسان، بل الله نفسه يتجه للإنسان في نعمة سامية تعلو فوق كل شيء، وتسمو فوق أفكار الإنسان كسمو السماء على الأرض، ولم تكن مريم كزكريا لها تفكير في الذات، الأمر الذي قاده إلى عدم الإيمان[2]!! وإذ لم يكن لها تكفير في الذات على الإطلاق سلّمت نفسها لله لكي تصبح الإناء الذي يعمل به الله بحسب أفكار نعمته الفائضة، ولذلك نراها تقول «هوذا أنا أمة الرب ليكن لي قولك» وتقول لها اليصابات «فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب»[3].

أما عن قصة وضع السيدة مريم لابنها المسيح عليهما السلام كما وردت في الأناجيل، فيروي إنجيل لوقا أنّ السيدة مريم ذهبت إلى بيت لحم وهي حبلى بصحبة يوسف، وذلك لكي يكتتبوا في مدينتهم حسب أوامر أوغسطس قيصر، فولدت ابنها البكر وقمطته واضجعته في المذود، فقام الملاك بتبشير الرعاة الذين كانوا يحرسون في تلك الليلة بأنه قد ولد لهم المخلص وهو المسيح، وعلامة ذلك أنهم سيجدونه مضجعاً في مذوّد للبقر، بعد ذلك ظهرت مجموعة من الملائكة يسبّحون الله ويمجدونه لذلك الحدث.

وفيما يلي نصّ إنجيل لوقا:

«وفي تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة وهذا الأكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والي سورية، فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد إلى مدينته، فصعد يوسف ـ أيضاً ـ من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داوود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داوود وعشيرته

---

(١) لوقا ١: ٢٦ـ ٣٨.

(٢) حاشاه عليه السلام وهو نبي من أنبياء الله أن يكون عديم الإيمان وهذه الجملة لا يجوز أن تُقال في حق رجل نقي صالح على أن تقال في حق نبي من أنبياء الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ الأنعام: ٨٥.

(٣) انظر: تفسير إنجيل لوقا (هلال أمين موسى)، ص ٢١ـ ٢٢.

ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى، وبينما هما هناك تمّت أيامها لتلد، فولدت ابنها البكر وقمطته واضجعته في المذوذ إذ لم يكن لهما موضع في المنزل.

وكان في تلك الكورة رعاة مبتدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم، وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفاً عظيماً، فقال لهم الملاك لا تخافوا فها أنا أبشّركم بفرح عظيم يكون الشعب، أنه ولد لكم اليوم في مدينة داوود مخلص هو المسيح الرب، وهذه العلامة تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً في مذود، وظهر بغتةً مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين، المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسره.

ولمّا مضت عنهم الملائكة إلى السماء قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض لنذهب الآن إلى بيت لحم وننظر هذا الأمر الواقع الذي أعلمنا به الرب، فجاءوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المذود، فلما رأوه أخبروا بالكلام الذي قيل لهم عن هذا الصبي، وكل الذين سمعوا تعجبوا ممّا قيل لهم من الرعاة، وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به في قلبها، ثم رجع الرعاة وهم يمجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم»[١].

ويقول مفسّر إنجيل لوقا:

«وكان من عوائد الرومانيين أن تكتتب النساء كالرجال إجباراً وإلاّ فما اضطرّت مريم أن تذهب إلى بيت لحم مسافة أربعة أيام وهي على تلك الحال، وقضى الله ذلك لاتمام مقاصده، ولكي لا يولد المسيح في الناصرة حيث سكنت مريم بل ليولد في بيت لحم حسب النبوءة[٢] وذهاب مريم مع يوسف إلى بيت لحم للإكتتاب أحد الأدلّة على أنها من نسل داوود.

ولنا من هذا أنه اتّفق أوغسطس وهيرودس وكيرينوس على إتمام مقاصد الله ونبوات العهد القديم المتعلّقة بالمسيح وذلك بدون أن يقصد أحد منهم سوى إجراء إرادته، ولم يخطر على بالهم أن يكونوا آلات لتأسيس مملكة تدوم بعد اضمحلال

---

(١) لوقا ٢: ١ـ ٢٠.

(٢) ويشير إلى متى ٥: ٢ وبحثت مكان إشارته فوجدت ما يلي:

«أما أنت يا بيت لحم أفراته (هكذا كتب) وأنت صغيرة أن تكوني بين الوف يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل) ميخا ٥: ٢.

المملكة الرومانية وملاشاة عبادتها الوثنية.

ولا شيء في كلام لوقا من الأدلّة القاطعة على تعيين الشهر الذي ولد فيه المسيح إلاّ أنه كان فصلاً من السنة يمكن للرعاة فيه أن يحرسوا غنمهم في البرية ليلاً، ولما ذهب المسيح إلى يوحنّا ليعتمد منه كان ذلك اليوم أول السنة الثلاثين من ميلاد المسيح وهو وفق اليوم الذي ولد فيه»(١).

وينكر المؤرّخ الأمريكي «ول ديورانت»(٢) أن يكون مولد المسيح في كهف أو في مذود للدواب كما ينكر سجود الرعاة له وعبادتهم إياه ويعتبر ذلك سخفاً يقول في ذلك:

«وتأتي شخصية مريم في القصة بعد شخصية ولدها في الروعة والتأثير: فهي تُربيه وتتحمل مسرات الأمومة المؤلمة، وتفخر بعلمه في أيام شبابه، وتدهش فيما بعد من تعاليمه، وترغب في أن تبعده عن جمع أتباعه المثيرين، وأن تعيده إلى بيته الهادىء الشافي، وشاهدته وهو يصلب، وعجزت عن إنقاذه، ثم تلقّت جسده بين ذراعيها، فإذا لم يكن هذا تاريخاً فهو الأدب السامي، لأن صلاة الآباء والأبناء تؤلف مسرحيات أعمق مما تؤلفه عاطفة الحب الجنسي، أما القصص التي أذيعت فيما بعد عن مريم وجندي روماني، فالنقاد مجمعون على أنها افتراء سخيف، وأقل من هذا سخفاً تلك القصص التي تذكر أكثر ما تذكر في الأسفار المحذوفة عن مولد المسيح في كهف أو اصطبل، وعن سجود الرعاة والمجوس له وعبادتهم إياه، وعن مذبحة الأبرياء، والفرار إلى مصر، وإن كان العقل الناضج لا يرى ضيراً في هذا الشعر الشعبي، ولا يذكر بولس ويوحنّا شيئاً عن مولده من عذراء، وأما متى ولوقا اللذان يذكرانه فيرجعان نسب يسوع إلى داوود عن طريق يوسف، بسلاسل أنساب متعارضة ويلوح أن الإعتقاد في مولد المسيح من عذراء قد نشأ في عصر متأخر عن الإعتقاد بأنه من نسل داوود»(٣).

---

(١) د./وليم إدي (تفسير الإنجيل)، ج ٢، ص ١٦١ـ ١٦٢.

(٢) لترجمته انظر: هامش ص ٤٣ من هذا البحث.

(٣) انظر: قصة الحضارة (قيصر والمسيح)، ترجمة/محمد بدران، ط ٣، ص ٢١٣ـ ٢١٤.

المبحث الرابع:

رحلة السيدة مريم عليها السلام إلى مصر

ويتحدّث الإنجيل المنسوب إلى متى عن رحلة السيدة مريم وابنها بصحبة يوسف النجّار إلى مصر وظهور الملاك ليوسف في حلم يأمره بأن يأخذ الصبي وأمه ويهرب بهم إلى مصر لأن الأمبراطور هيرودس قد نوى على قتل الصبي، فقام يوسف بتنفيذ الأمر بأخذهما إلى مصر حتى وفاة هيرودس.

وفيما يلي نص إنجيل متى:

«حينئذٍ دعا هيرودس المجوس[١] سراً وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر، ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي، ومتى وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا أيضاً وأسجد له، فلما سمعوا من الملك ذهبوا وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي، فلمّا رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً، وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه فخرجوا وسجدوا له[٢] ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً وتمراً، ثم إذ أوحي إليهم في حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس انصرفوا في طريق أخرى إلى كورتهم.

وبعدما انصرفوا إذ ملاك قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً قم وخذ الصبي وأمه

---

(١) المجوس: كلمة فارسية تعني كهنة، وقد عبدوا العناصر الأربعة: النار، والماء، والتراب، والهواء، ولكن جلّ بعادتهم انحصرت في النار، وكانوا لا يدفنون موتاهم بل يضعونهم على سطوح المنازل فتأتي جوارح الطير وتأكل لحومها، وكانوا علماء الأمة الفارسية.
انظر: قاموس الكتاب المقدّس، ط ٥، ص ٨٤٢.

(٢) كيف يعظم المسيح ويسجد له جماعة من المجوس عباد النار، هكذا دون أي سبب يذكر؟، ومن أين جاءهم نبأه؟ ومن دعاهم إليه؟ كل هذه وغيرها استفهامات ترتسم في الذهن لا يجد لها القارىء جواباً بين نصوص الأناجيل!!

واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك، لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهكله، فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر، وكان هنالك إلى وفاة هيرودس، لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل من مصر دعوت ابني.

حينئذٍ لما رأى هيرودس أن المجوس سخّروا به غضب جداً فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها من إبن سنتين فما دون بحسب الزمان الذي تحققه المجوس، حينئذٍ تمّ ما قيل بإرمياء النبي القائل، صوت سمع في الرامه نوح وبكاء وعويل كثير، راحيل تبكي على أولادها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين.

فلمّا مات هيرودس إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر، قائلاً قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل، لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي، فقام وأخذ الصبي وأمه وجاء إلى أرض إسرائيل، ولكن لما سمع أن أرخيلاوس يملك على اليهودية عوضاً عن هيرودس أبيه خاف من أن يذهب إلى هناك وإذا أوحي إليه في حلم انصرف إلى نواحي الجليل، وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصره لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعي ناصرياً»[١]

ويعلل مفسرو الأناجيل أمر ملاك الرب الذي ظهر ليوسف في حلم بالهرب إلى مصر بالذات قالوا: «لأنها قريبة إليهم، فلا تزيد المسافة إلى تخومها على ثلاثة أيام أي نحو ستين ميلاً، ولأنها لم تكن تحت سلطة هيرودس بل تابعة للرومانيين ولأن نحو عدد كبير من اليهود كانوا قاطنين هناك، ولا يعرف المكان الذي استوطنت فيه العائلة المقدسة، ويظن من التقاليد أنه كان قرب القاهرة ولكن لا دليل على ذلك»[٢].

ولكن أحد الكتاب المسيحيين يحدد المدن والأماكن التي ذهبت إليها مريم مع إبنها عليهما السلام بصحبة يوسف النجّار في مصر ويذكر أنها استقرت بأسيوط في جبل مقام حيث الدير المحرق الآن وذلك أن يذكر أي دليل على أقواله وفيما يلي نص ذلك:

«وقد سارت العائلة المقدسة إلى العريش في حمى من لا يغفل ولا ينام،

---

(١) متى ٢: ٧ـ ٢٣.

(٢) انظر: د/ وليم إدي (الكنز الجليل في تفسير الإنجيل)، ج ١، ط بيروت، ص ١٧ـ ١٨.
أيضاً: تفسير إنجيل متى لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس، ص ١٥.

ففي ظلمة الليل سار الركب العائلي في هدوء وسكنية حتى وصل إلى الفرما، وأستأنفت العائلة المقدسة السفر إلى بسطة (الزقازيق حاليا) ومنها إلى منية جناح قرب سمنود ثم سمنود فالبرس فدير المغطس، وبعدها جنوباً إلى وادي النطرون، ثم فانصنامير، ثم عدة بوق فالتمساحية السواقنا فالقوصيه وأخيراً استقرّت بأسيوط في جبل مقام حيث الدير المحرق الآن، ثم عادت من نفس الطريق إلى مصر القديمة حيث أقامت في موضع كنيسة سرجه ومنها إلى موضع شجرة العذراء مريم بالمطرية، ثم إلى موضع كنيسة العذراء بمسطرد، ثمّ تابعت العائلة المقدسة سيرها إلى فلسطين بعد أن أعلمها الملاك بوفاة من كان يطلب نفس الصبي. ولقد صمتت الأناجيل الأربعة: إنجيل متى البشير، وإنجيل لوقا الطبيب الرسام، وإنجيل مرقس صديق بطرس الرسول، وإنجيل يوحنّا الرسول الحبيب، صمتت جميعها عن ذكر أخبار الرحلة[١] حتى متى الرسول الذي أورد خبر الحلم بالهرب إلى مصر أو عن أمكنة إقامة العائلة المقدسة، أو مقدار الزمن الذي قضته في مصر»[٢].

---

(١) إذا ما هو مصدر تلك المعلومات المفصّلة عن رحلة السيدة مريم وابنها عليهم السلام بصحبة يوسف النجّار إلى مصر يا ترى؟!! هل هو مجرّد ظن؟! ولكن الظن لا يفيد علم اليقين.

(٢) انظر: يوسف حلمي المصري (مريم في الإنجيل والقرآن)، ص ٣٢.

المبحث الخامس

السيدة مريم عليها السلام في العقيدة الكاثوليكية[1] والأرثونكسيه[2]

«وتسمى العذراء مريم في العقيدة المسيحية الكاثوليكية والأرثوذكسيه «والدة الإله» أو «الأمومه الإلهية»[3].

---

(١) الكاثوليك: وكنيستهم تسمّى الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية، ومعنى الكاثوليكية أي العامة لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها، وسميت غربية أو لاتينيّة لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة إلى بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال، وإن كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم والبابوات في روما خلفاؤه.

والكنيسة الكاثوليكية تتبع النظام البابوي ويرأسه البابا والكرادلة وهم أصحاب الحق الأول والأخير في تنظيم الكنيسة، إذ يتكون منهم المجمع الكنائسي الذي يُصدر إرادات بابويه سامية هي إرادات إلهية، لأنّ البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض فهو ممثّل الله، ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدل أو المناقشة.

انظر: د .أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ٢٣٧ـ ٢٣٨.

أيضاً: محمد فؤاد الهاشمي (الأديان في كفة الميزان)، ص ٤٤.

(٢) الأرثوذكس: وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكسيه أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية، لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية على العموم كروسيا والبلقان واليونان، وكان مقرها الأصلي القسطنطينية، وقد فصّلت عن الكنيسة الكاثوليكية أيام ميخائيل كارولاريوس بطريرك القسطنطينية سنة ١٠٥٤ وهي الآن مؤلفة من عدة كنائس مستقلة.

انظر: Encyclopedia of Relngons and Ethis Vol. 3, p. 590

نقلاً عن: د .أحمد شلبي (المسيحية)، ص ٢٣٨.

(٣) كيف تكون السيدة مريم والدة الإله؟ وأي إله؟! هل هو رب العالمين وحاشاه تبارك وتعالى أن يكون له والده أو والد أو صاحبه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

وينطق بها باللغة اليونانية [سيوتوكس Theotokoc] وباللغة القبطية [سمافمي سنوتي Smavmi Souti] وباللغة اللاتينية [ديي ماتر Dei Mater] ولكن اللاتين لا يستعملون هذا المقابل الحرفي بل يستعملون [ديي جيني تركس Dei Genitirix] وهو مقابل آخر يحمل المعنى الأصلي امتداداً للمعنى الأول.

ومريم العذراء عنصر أساسي في التجسّد، وأية محاولة للتخلّص من هذه الحقيقة يخلخل الإيمان المسيحي من أساسه، يدلنا على ذلك قانون الإيمان الذي يقول «نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق السموات والأرض، كل ما يرى وما لا يُرى إلى أن يقول ونزل من السماء وتجسّد من الروح القدس ومن مريم العذراء.. كما شرح الرسول بولس إمكانية هذه الولادة في موضع آخر بقوله «أخلى نفسه آخذاً صورة عبد»!!.

وهذا السر العجيب هو معجزة التجسد(١)، فالتجسّد: هو اتحاد كامل بين الطبيعتين ويعرف ذلك في التعبير اللاهوتي (بالإخلاء) أي قدرة الله سبحانه وتعالى على إخلاء ذاته من مجد الألوهية في تواضع فائق لإمكانية الظهور للإنسان بأي صورة مبسطة!!

ومن هنا يتّضح لنا أن الكنيستين الكاثوليكيه والأرثوذكسيه يتفقان في أن مريم

أم من يكون ذلك الإله والتي هي والدته؟ هل هو المسيح؟! وإذا كان المسيح عليه السلام لم يدّع ذلك بشهادة القرآن الكريم الكتاب المهيمن على جميع الكتب السماوية يقول تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٧].

انظر: ص ٤١٤ وما بعدها من هذه الرسالة.

(١) العجيب في التجسّد هو إيمان البعض به وتصديقهم به، فكيف يتجسّد الإله خالق الأكوان ما يرى وما لا يرى؟!! ويسكن في رحم امرأة ويتغذى من جسدها، ثم تلده كما يولد أي إنسان أو حيوان!! ثم يربي في حضنها ويرضع لبنها وهو خالق الأكوان!! أي عقل هذا الذي يؤمن بهذا الهراء أو يصدقه؟! وأي ضلال هذا الذي يؤمن به ويصدقه المسيحيون؟!

هي والدة الإله، يدلّل على ذلك بترديد المصلين أثناء القداس[1] الإلهي بقولهم «بشفاعة والدة الإله القديسة مريم».

كما تتّفق الكنيستان بأن لمريم شفاعة عند الله لاتدانيها شفاعة أحد من الأنبياء أو القديسين أو الملائكة، فالمتعبدون من أهل الكنيستين يرون أنّ هناك التكريم العادي للقديسين والملائكة، ولكن هناك تكريم أكبر وأجل هو التكريم الفائق الذي تختصّ به العذراء مريم.

ويدللون على ذلك بأنّ الله عزّ وجل وقد كرمها باختيارها للرسالة السماوية دون نساء العالمين فلا بدّ إذن أن تكون لها مكانتها العالية عنده سبحانه وتعالى.

وأمومة مريم الإلهية التي حازتها بولادتها للسيد المسيح تجعلها شريكة في عملية الفداء والخلاص.

ومن قبل دحض بولس الرسول ما نادى به [نسطور Nestor] فيما بعد فقد قال الرسول بولس ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة ولكن [نسطور Nestor] أسقف القسطنطينية الذي نادى بانفصال الطبيعة الإلهية عن الطبيعة البشرية للسيد المسيح رفض لمريم هذا اللقب [والدة الإله] أي أن العذراء مريم تكون بذلك والدة الأقنوم الجسدي ذي الطبيعة الجسدية فقط ولا علاقة لها بالأقنوم الإلهي ذي الطبيعة الإلهية فسماها والدة المسيح و [والدة الإنسان].

ولكن الكنيسة تصدّت لهذا النزاع اللاهوتي الخطير في المجمع المسكوني الذي عقد في أفسس ٤٣١م برئاسة القديس كيرلس بابا الاسكندرية وأثبت اتحاد الطبيعتين في شخص المسيح اتحاداً كاملاً كليا.

وتلقيب مريم بوالدة الإله يطابق نصوص الكتاب المقدس كقول الإنجيل حين زارت العذراء مريم إبنة خالتها اليصابات زوجة زكريا إذ قالت لها اليصابات «من أين لي أن تأتي أم ربي إلي»[2].

كما يطابق نبوءات الأنبياء أشعياء النبي «لكي يعطيكم السيد نفسه آية ها

---

(١) ترديد المصلين لذلك الذي يسمى بالقداس ليس بدليل على صحته وإنما يدل على مدى ضلال المساكين المخدوعين بهذه العقيدة.

(٢) لوقا ١ : ٤٣.

العذراء تحبل وتلد»[١].

ويعترف البابا بولس السادس في توجيه منشور له إلى الأساقفه[٢] إلى أن العبادة المسيحية تمتد من الآب والإبن والروح القدس إلى أم الرب أي السيدة مريم!! ثم إلى القديسيين لأن الكنيسة تعلن فيهم سر الفصح إذ تألموا مع المسيح وتمجدوا معه وفيما يلي نص حديثه:

«يحسن أولاً وإلى أعلى حد، أن تعبر الممارسات التقويه نحو العذراء مريم، بوضوح عن طابع الثالوث وكيان المسيح الملازم لها بموجب أصلها وجوهرها، إذ أن العبادة المسيحية هي بطبيعتها عبادة تقام للآب والإبن والروح القدس، أو على الأصح حسب تعبير الطقس، للآب بالإبن في الروح القدس، ولهذا القصد تمتد العبادة بحق، ولو كان بصورة مختلفة إختلافاً جوهرياً، أولاً وبخاصة إلى أم الرب، ثم إلى القديسين، لأن الكنيسة تعلن فيهم سر الفصح إذ تألموا مع المسيح وتمجدوا معه، ففي العذراء يرجع كل شيء إلى المسيح ويتبعه إذ أنه من أجله قد اختارها الله الآب من قبل الدهور أماً فائقة القدسية، وزينها بمواهب الروح، مما لم يمنحه لأي كائن آخر»[٣].

أمّا المؤرخ المسيحي [جاد المنفلوطي] فيؤيّد القول بالاتجاه إلى العبادة المريمية في العصور الوسطى، وأنها من أهم الشخصيات التي أصبحت الجماهير تقدم لها عبادتها مع وجود المعارضين في ذلك يقول:

«ومن أهم الشخصيات التي أصبحت الجماهير تقدم لها عبادتها القديسة مريم العذراء، ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن العبادة المريمية وجدت معارضة في الفترات السابقة من تاريخ الكنيسة، وكان من هؤلاء المعارضين [أبيفانيوس] الذي كان يؤمن باستمرار عذراوية القديسة مريم بعد ولادتها ليسوع، لكنه رغم هذا كتب يقول:

---

(١) أشعياء ٧: ١٤.

انظر يوسف حلمي المصري (مريم في الإنجيل والقرآن)، ص ٤٨ـ ٥٠.

(٢) مفرده أسقف وهي مرتبة معيّنة في نظام اللاهوت المسيحي تبدأ بالبطريك ثمّ المطران ثم الأسقف ثم القسوس ويسمون بالقمامصة والقسوس ذوي المرتبة البسيطة ويطلق عليهم اسم القساوسة فقط.

انظر: الأديان في كفة الميزان، محمد الهاشمي، ص ٤٤.

(٣) انظر: البابا بولس السادس (إكرام مريم) ترجمة د .بطرس كساب، ص ٢٦.

لنكرم العذراء تكريماً يليق بها، لكن دعونا نقدم عبادتنا للإله الواحد الآب والإبن والروح القدس.

وقد اعتنق كثيرون هذه الفكرة، لكن تطوّرت الأمور بعد ذلك، حتى وصلت إلى العبادة المريمية، ثم ظهرت عقيدة الحبل بالعذراء بلا دنس، باعتبارها الإناء الذي اختاره الله ليحل فيه جسد الإبن المبارك»[١].

(١) تاريخ المسيحية في العصور الوسطى، ط دار الجيل، ص ٤٤.

المبحث السادس:

السيدة مريم عليها السلام في العقيدة البروتستانتية[1]

«ينظر البروتستانت أو الإنجيليون إلى العذراء مريم نظرة الحب والاحترام والتبجيل والإعزاز، فهم يرون أن الله قد اختارها لتكون أم المخلص يسوع من دون نساء العالم، لأنها أفضلهن.

كما يعتقدون أنها ولدت من أب وأم بالخطيئة الأصلية[2]!! «ومعصية آدم لربه» شأن بقية أبناء العالم، ويدللون على ذلك بقول مريم «وتبتهج روحي بالله

---

(١) البروتستانت: وتسمى كنيستهم الكنيسة الإنجيلية، وقصد بهذه التسمية أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره، ويفهمونه بأنفسهم، ولا يخضعون لفهم سواهم له، ولا تختص بفهمه طائفة أخرى فالكل له الحق في فهمه، وجميعهم متساوون ومسؤلون أمام هذا الكتاب، وبهذا الإتجاه يعارضون الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم الإنجيل وفقاً على رجال الكنيسة، والتي لا تعتبر الإنجيل هو المصدر الوحيد للديانة المسيحية بل تضيف إليه الإلهام والتعاليم غير المكتوبة التي يتناقلها البابوات واحد عن الآخر.

وتنتشر البروتستانتيه في المانيا وانجلترا والدانمرك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية، ولكن الإنجيلز اعتقدوا أن حركة الإصلاح حركة رشيدة عادلة وأنها الأصل فيما يجب أن تكون عليه الكنيسة.

وسمي الذين اعتنقوا مبدأ الإصلاح الكنسي، وخرجوا على الكنيسة الكاثولوكية بروتستنت، لأنهم عندما أريد تنفيذ قرار الحرمان عليهم أعلنوا احتجاجاً يسمّى بالإنجليزية برتست، فسُمي الذين أمضوا القرار بروتستنت أي المحتجين.

انظر: د .أحمد شلبي، المسيحية، ط ٦، ص ٢٤٠.

أيضاً: محاضرات في النصرانية للإمام أبو زهرة، ط دار الفكر، ص ٢٠٠.

(٢) ليست هناك خطيئة أصليّة، وليس هناك أحد يولد بها، فإن كان آدم عليه السلام قد عصا ربه فقد استغفره وقد عفا عنه سبحانه وغفر له، قال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ طه ١٢١ـ ١٢٢.

مخلصي» فهذه شهادة منها عليها السلام بأنها نالت الخلاص من المخلص أي ابنها السيد المسيح له المجد، الذي جاء إلى الأرض وصلب من أجل آثام البشرية[1].

وأما عن الشفاعة فهم يعتقدون أنّ لهم شفيعاً واحداً هو السيد المسيح ـ له المجد ـ إذ يقول: «تعالوا إليّ يا جميع المتعبين ومثقلي الأحمال وأنا أريحكم»[2].

---

(١) لنقض عقيدة الصلب والفداء عند المسيحيين، انظر ص ٤٢١ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) انظر: يوسف حلمي المصري، مريم في الإنجيل والقرآن، ص ٥١ ولكن الكاتب لم يرجع النصوص التي نقلها إلى مصادرها فحاولت الاستدلال عليها من قاموس الكتاب المقدس فلم يستطع التعرّف على مواقعها فيه.

المبحث السابع:

السيدة مريم عليها السلام في أيامها الأخيرة

بعد أن بحثت في كتاب قاموس الكتاب المقدس ثمّ في كتاب العهد الجديد لأجدِ أي ذكر عن وفاة السيدة مريم، أو أي ذكر للسيدة مريم في أيامها الأخيرة فلم أجد أي ذكر لذلك، ولكني وجدت في كتاب (مريم في الإنجيل والقرآن) مقالاً عن هذا الموضوع فأضفته هنا ليكمل الفصل الأول من هذا الباب.

يقول المقال: «لم يذكر الكتاب المقدس شيئاً عن مريم بعد دفن إبنها السيد المسيح ولكنها رجعت حسب وصيته له المجد إلى بيت يوحنا الرسول وقام المسيح في اليوم الثالث بعد دفنه، وظهر لتلاميذه طوال أربعين يوماً، وكانت مريم معهم طيلة هذه المدة، وكانت في حياتها تداوم على الصلاة والعبادة.

وكانت مريم مع الرسل في أورشليم وقت حلول الروح القدس عليهم في اليوم الخمسين من قيامة السيد المسيح، وبعد إثني عشر عاماً من انتقال السيد المسيح له المجد، أراد الله سبحانه وتعالى أن تنتقل مريم العذراء فائقة الطهر من العالم الزائل إلى الحياة الأبدية، فأرسل لها ملاكاً يحمل إليها خبر إنتقالها، ففرحت كثيراً، وطلبت أن تجتمع مع الرسل في الجثمانية حيث كانت موجودة، وبإرادة إلهية حضوراً جميعاً من أنحاء العالم ـ ما عدا توما الرسول ـ حيث كانوا يكرزون بالإنجيل، فعزّتهم وودعتهم كما حضر إبنها السيد المسيح وأسلمت روحها الطاهرة بين يديه المقدستين.

وقد روى التقليد الكنسي أن الرسل حملوا جسدها الطاهر في موكب الدفن وهم يرتلون مع الملائكة، ولكن اليهود اعترضوا طريقهم وهجموا على الفراش الذي يحمل جسد العذراء يرومون طرحه على الأرض ولكنهم نالوا القصاص الالهي، فأصيبوا بالعمى أما المعتدي قد انفصلت يداه عن جسده وعلقتا بالنعش فبكى وتاب.

فقال له بطرس الرسول «آمن أن هذه بالحقيقة هي أم السيد المسيح الذي ولد

من هذه العذراء، فصرخ معترفاً ببتولية العذراء وبأنها أم السيد المسيح ـ له المجد ـ فقربه بطرس من يديه وفي الحال التصقت يداه بجسده مرة أخرى.

ودفنها الرسل في الجثمانية بجبل يهو شافاط، وظلّ الرسل يصلون ويسبّحون أمام قبرها.

أما توما الرسول فقد كان يكرز بالإنجيل في بلاد الهند حين أرسل الله إليه سحابه لتحمله إلى بلدة الجثمانية ليلتقي بإخوانه الرسل، ورأى وهو على السحابة الملائكة تحمل جسد العذراء فاستفسر عن الحقيقة فقالوا له إنه جسد العذراء التي تَنَيَّحَت، وقد أمرنا السيد الإله أن نحمله ونصعد به إلى الفردوس النعيم، ففرح كثيراً وسجد وقبّل جسدها الطاهر.

وصلى الرسل صلاة حارة، ضارعين إلى الله أن يريهم موضع الجسد فاختطفوا في ١٦ أغسطس إلى الفردوس السماوي حيث رأوا الجسد الطاهر موضوعاً تحت شجرة الحياة انتظاراً ليوم القيامة.

وقد كانت العذراء تبلغ الثالثة عشر من عمرها حيث جاء جبرائيل عليه السلام يبشرها بميلاد المسيح له المجد.

وقد عاشت مريم مع السيد المسيح ثلاثة وثلاثين عاماً، وبعد قيامته عاشت مريم اثني عشر عاماً أي أنها بلغت من العمر حتى يوم وفاتها ثمانية وخمسين عاماً»[١].

---

(١) انظر: يوسف حلمي المصري (مريم في الإنجيل والقرآن)، ص ٤٠ـ ٤٢ بتصرّف قليل، ولم يذكر المصادر التي نقل عنها.

الفصل الثاني

المسيح عليه السلام حياته ودعوته
كما يصورها العهد الجديد

ويشتمل على تسعة مباحث:

المبحث الأول : ميلاد المسيح عليه السلام.

المبحث الثاني : طفولته وصباه ونموه عليه السلام كما يصوّر ذلك العهد الجديد.

المبحث الثالث : معموديته وتجربته عليه السلام كما ورد ذلك في العهد الجديد.

المبحث الرابع : معجزات (آيات ودلائل) المسيح عليه السلام كما وردت في العهد الجديد.

المبحث الخامس : الحديث عن القبض عليه، ومحاكمته، ثم صلبه ودفنه وقيامته، وصعوده إلى السماء كما يزعم النصارى في أناجيلهم.

المبحث السادس : صلبه كما يزعم النصارى في أناجيلهم.

المبحث السابع : تكفينه ثم دفنه كما تروى أناجيلهم.

المبحث الثامن : قيامته من قبره كما يزعمون.

المبحث التاسع : صعوده إلى السماء.

الفصل الثاني
المسيح عليه السلام حياته ودعوته كما يصورها العهد الجديد

لقد تحدث العهد الجديد، وأكثر من الحديث عن المسيح عليه السلام بل كان عليه السلام محور حديثه، فالعهد الجديد عامةً والأناجيل الأربعة خاصة كانت عبارة عن روايات تاريخية مشوشة ـ لا تخلو من التناقض والتحريف[1] عن حياة السيد المسيح عليه السلام منذ الحبل به وولادته ونشأته ودعوته حتى صلبه ودفنه وقيامته كما يزعمون.

وفيما يلي سنتحدث عن حياته ودعوته في نظر المسيحيين، وكما يصور ذلك العهد الجديد وسيشتمل على المباحث التالية:

(١) انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، رسالة ماجستير للباحثة، ص ١٠٩ وما بعدها، ص ٢١٥ وما بعدها.

المبحث الأول:

ميلاد المسيح عليه السلام

لقد تحدثنا عن ميلاده عليه السلام في الفصل السابق عند الحديث عن السيدة مريم عليها السلام في العهد الجديد، ولكنا نضيف إلى ما ذكرناه ـ سابقاً ـ الحديث عن تاريخ ميلاده عليه السلام وكيف أن هذا التاريخ قد وقع فيه خطأ، لا ندري أهو خطأ مقصود أو غير مقصود، وفيما يلي نص قاموس الكتاب المقدس:

«وإذن فميلاد المسيح تمّ إما في أواخر سنة ٥ق .م أو في أوائل سنة ٤ق .م[١] أما الاحتفال بميلاد المسيح في الخامس والعشرين من ديسمبر فقد بدأ في القرن الرابع الميلادي، ولذا فربما ميلاد المسيح في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر عام ٥ق .م، وهذا يجعله سابقاً للتاريخ الذي وضعه ديونيسيوس (أي ٢٥ ديسمبر سنة ١ ميلادية بخمس سنوات، أما تاريخ بدء خدمة المسيح ومناداته ببشارة الإنجيل فيفهم من لوقا[٢] حيث يذكر البشير أنه عند بدء خدمته كان في الثلاثين من عمره تقريباً، وقد بلغ الثلاثين من العمر في ٢٥ ديسمبر سنة ٢٦ ميلادية»[٣].

---

(١) لا ندري كيف يختلفون في ميلاد من يدعون أنه المخلص من الذنوب بل هو الإله وابن الإله تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

(٢) ويشير إلى موضع من لوقا: «ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي» ولقا ٣: ٢٣.

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ط ٦، ص ٨٦٤.

المبحث الثاني:

طفولته وصباه ونموه عليه السلام كما يصوّر ذلك العهد الجديد

ويتحدث الإنجيل المنسوب إلى لوقا عن السيد المسيح عليه السلام في طفولته وصباه ونموه عليه السلام وقد ذكر بأنه عليه السلام عندما كان صبياً ينمو ويتقوى بالروح ويمتلىء بالحكمة والنعمة، وأن أبواه ـ ويقصد بذلك السيدة مريم ـ عليهما السلام ويوسف النجّار قد نسياه مرة في أورشليم!! وقد كان عمره آنذاك اثنى عشر عاماً، وبعد مسيرة يوم رجعا ألى أورشليم ليبحثا عنه فوجدا بعد ثلاثة أيام وسط المعلمين يناقشهم وقد تعجّب منه سامعوه.

وفيما يلي نص إنجيل لوقا:

«وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه، وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح، ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم في عيد الفصح، وبعد ما أكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في أورشليم ويوسف وأمه لم يعلما، وإذ ظناه بين الرفقة ذهبا مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف، ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه، وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالساً وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم، وكل الذي سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته، فلمّا أبصراه اندهشا، وقالت أمه يا بني لماذا فعلت بنا هكذا هو ذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين، فقال لهما لماذا كنتما تطلبانني ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون فيّ ما لأبي، فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما، ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعاً لهما، وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها، وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس»[1].

---

(١) لوقا ٢: ٤٠ـ ٥٢.

ويقول المفسرون في تفسير هذا النص:

«يتّضح أن ليسوع نفساً بشرية كما أن له جسداً بشرياً، وأن عقله كان يتسع في المعرفة والعلم مع نمو جسده، وإتّساع عقله تدرجاً لا ينفي لاهوته، كما أنه لا ينفيه نموه في القامة والقوة[١]، فاختبر يسوع في حياته كل أحوال الإنسان إذ كان طفلاً ثم صبياً ثم شاباً ثم رجلاً كامل السن!! لكي يشعر مع جميع الناس صغاراً وكباراً، ولم يكن بين يسوع وأترابه فرق إلاّ بأنه كان كامل القداسة.

وكان على كل ذكور اليهود شرعاً أن يأتوا أورشليم ثلاث مرات كل سنة في الأعياد، ولم يكن ذلك مشروعاً على النساء ولا ممنوعاً، والراجح أن النساء التقيات كثيراً ما رافقن أزواجهنّ إلى هنالك، . . والأرجح أنّ مريم قصدت أورشليم حباً لله لاطوعاً لأمر ذلك المعلم اليهودي.

صعدوا: أي يوسف ومريم ويسوع، ويستنتج من هذا أن يسوع لم يصعد إلى أورشليم منذ ختانه وتقديمه للفداء، وكان في ذلك الوقت قد بلغ السن الذي اعتاد اليهود أن يأخذوا من بلغه من أولادهم إلى العيد في أورشليم ليشاركوهم في اتمام الفروض.

وكانت المسافة بين الناصرة وأورشليم نحو ثمانين ميلاً وكان يقطعها الفارس في ثلاثة أيام أو أربعة، وكان المسافرون في مثل ذلك الوقت ألوفاً. والحادثة الآتية هي الحادثة الوحيدة التي ذكرت منذ إتيانهم من مصر إلى الناصرة إلى أن بلغ سن الثلاثين وابتدأ يبشر.

بقي. . الصبي يسوع: لم يذكر لوقا كيف كان ذلك، ولا يلزم من هذا أن يوسف ومريم لم يعتنيا به الاعتناء الواجب، والأرجح أنه كان معهم جماعة من أقربائهم وأصحابهم الذين أتوا معهم من الناصرة هم وأولادهم فكان يوسف ومريم يتركان يسوع بينهم، ولا ريب في أن يسوع كان أكثر إدراكاً ونباهةً من سائر أترابه حتى لم يكن محتاجاً إلى من يعتني به كغيره»[٢].

ونلاحظ أن الشارح لهذا النص يحاول التعليل لنسيان الصبي كما يحاول إبعاد

---

(١) بل إنّ الدليل كافٍ على أنه ليس بإله ولا يمكن أن يكون إلهاً، فهو إنسان وبشر ونبي معصوم ومصطفىً من الله تعالى، فهو يتدرّج في النمو والقوة والقامة كما يتدرّج الإنسان العادي إلاّ أنّ له صفات الأنبياء ومميزاتهم.

(٢) أنظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، د .وليم إدي، ج ٢، ص ١٧٣.

تهمة عدم الإعتناء به من قبل مريم عليها السلام ويوسف.

وهناك شارح آخر لنفس النص يدعي بأنهما أي مريم عليها السلام ويوسف لم يعرفا قيمة الكنز الذي ائتمنا عليه يقول: «في هذه الحادثة نرى يوسف ومريم لا يسيران مع الأمور كما هي بحسب فكر الله، ومع أنهما من الأتقياء لم يعرفا قيمة الكنز الذي أئتمنّا عليه، ذهبا مسيرة يوم بدونه، وكان هو في ذلك الوقت في الهيكل قد يرجع الجميع بعد أن يكملوا الطقوس المطلوبة منهم، ولكن إتمام الطقوس الواجبة شيء والتعلّق بأمور الله شيء آخر»[1].

ثم يعود المفسّر مرة أخرى ليعلّل ـ بعد ذلك ـ لكيفية نسيانهم له.. وأنهم كانوا في قافلةٍ كبيرة ولم يعلموا بنسيانهم له إلاّ بعد نزول القافلة في المساء واجتماع كل عائلة على حده يقول:

«لا بدّ من أنه كان الراجعون من أوشليم إلى الناصرة قافلة كبيرة ولذلك لم يستطيعا في أول اليوم وهما مسافران في الطريق أن يتحققا أن يسوع ليس معهم ولكن عند نزول القافلة مساءً واجتماع كل عائلة على حدتها اتّضح أنه ليس في القافلة، فرجعا في الغد يسألان عنه كل من رأياه في الطريق وفحصا عنه في أورشليم يوم وصولهما ولم يجداه إلاّ صباح غده وهو اليوم الثالث فيتّضح من ذلك أنه ليس لواحد منهما قوة إدراك غير عادي وإلاّ لم يتعبا هكذا.

«وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل...»

في الهيكل: أي في أحد أروقة دار النساء حيث اعتاد علماء اليهود أن يعلموا الناس مجاناً ويفسروا الشريعة ويتباحثوا في المسائل الدينية.

المعلمين: وهم الربانيون من كتبة وفريسيين.. وأظهر يسوع بذهابه إلى الهيكل عندما ترك لنفسه وحضوره مكان التعاليم الدينية أي المواضيع التي تلذ له أعظم لذه.

وكان طريق السؤال والجواب مما اختاره المعلمون للتعليم في تلك الأيام فكان التلميذ يسأل عمّا يجهل والمعلم يسأل ليعرف ما عند التلميذ ويبني كلامه على الجواب فيزيل الخطأ ويجبر النقصان»[2].

---

(١) انظر: تفسير إنجيل لوقا جمع وتقديم هلال أمين موسى، ط ١٩٧٠م، ص ٥٢.

(٢) انظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، د. وليم إدي، ج ٢، ص ١٧٤.

ويضيف الشارح للنص السابق:

«ولا ريب في أنّ المسيح أظهر بأسئلته وأجوبته قوة عقل وصحة علم لم يشاهد الناس نظيرها من أولاد مثل سنه، وكان ذلك أشعة من النور العظيم الذي بدأ منه في تعليمه الشعب فيما بعد»[1].

ويذكر النص من إنجيل لوقا أنهما أي مريم عليها السلام ويوسف عندما أبصراه اندهشا ويعلّل الشارح سبب إندهاشهما: «بأنهما لم يتوقعا أن يجداه مطمئناً بل انتظرا أن يجداه قلقاً خائفاً من بقائه منفرداً عن أهله لكنهما رأياه هادئاً مسروراً بمعاشرة من هم أكبر منه خلافاً لما يتوقع من إبن اثنتي عشرة سنة، ويحتمل أنهما أصغيا إلى كلماته في خطاب المعلمين وتعجبا من حكمته التي لم يعهدا مثلها منه وإن كانا قد اختبرا قبل ذلك أنه حكيم»[2]

ويستنتج المفسّر للنص أن مريم عليها السلام كانت كالتي توبخ ابنها عندما سألته «لماذا فعلت بنا هكذا؟»

يقول:

«أي لماذا بقيت ونحن قد ذهبنا ولم يكن من عجب بأن تسأل مريم ابنها هذا لو كان كسائر الأولاد لكنها غفلت عن كل ما أوحي إليها به في شأن يسوع، ولا بدّ من أنه كان في سؤالها إياه شيء من التوبيخ على ظنها أنه كان يجب عليه أن يلازمها ولا يفتكر إلاّ فيها.

أبوك: هذا يدل على أن مريم اعتادت في مخاطبتها يسوع أن تسمي يوسف أباه وأتت ذلك جرياً على عادة الناس لأنهم لم يعلموا حينئذٍ أن الله أبوه[3].

معذبين: كانا معذبين لأنهما جهلا أين هو وخافا من أن يعرض له سوء أو أنه في حاجةٍ أو ضيق»[4]

ويتعجب المفسّر لإنجيل لوقا من أن مريم عليها السلام ويوسف لم يفهما ما

---

(١) نفس المصدر السابق، نفس الصحيفة.

(٢) نفس المصدر السابق، نفس الصحيفة.

(٣) تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾ [الإخلاص].

وللردّ على هذه الشبهة، انظر ص ٣٠٥ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٤) المصدر السابق، نفس الصحيفة.

قاله لهما المسيح عليه السلام بعد أن وجداه قال لهما: «ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي»

يقول. .

«نستغرب عدم فهم يوسف ومريم معنى يسوع بعد ما عرفاه من الإعلان الإلهي. . وإذا كان أبواه مع ذلك كله لم يفهما مراده فلا عجب من أن تلاميذه لم يدركوا معاني تعاليمه».

«ثم نزل. . وكان خاضعاً لهما» يقول المفسّر: هذا مثال لكل الأولاد في وجوب الطاعة لوالديهم، وذكر خضوعه لأبويه الأرضيين دفعاً لما يتوهم من بيانه أن الله أبوه الوحيد أنه أنكر نسبته إلى أنبيائه في الجسد لأن إعتباره لتلك النسبه جزء من تكميل كل بر».

ويكمل مفسّر إنجيل لوقا الحديث عن تدرج المسيح عليه السلام في النمو في صبوته فيقول:

«أي أنه كان يظهر من الأخلاق الجميلة والصفات الحسنة والأعمال الصالحة ما جعل الله يسر به ويمنح له علامات المسره بما وهبه له من المواهب الجسدية والعقليّة والروحيّة، وما ذكر جعله محبوباً إلى الناس لأنه لم يبتدىء يوبخ الناس على خطاياهم ليهيّج غضبهم عليه، وانتظار يسوع وصبره ثلاثين سنة قبل أن أبتدأ التبشير مثال لنا في التوقّع والصبر»(١).

وهناك نص آخر في الإنجيل المنسوب إلى متى يتحدث عن المسيح عليه السلام عندما جاء إلى وطنه الناصره وكان يعلم اليهود في مجامعهم حتى تعجبوا منه ومن حكمته وقوته، إذ كيف يصدر هذا كله عن بن نجار!!

وفيما يلي انقل هذا النص:

«ولما جاء إلى وطنه كان يعلمهم في مجمعهم حتى بهتوا وقالوا من أين لهذا هذه الحكمة والقوات، أليس هذا إبن النجار، أو ليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان، ويهوذا، أو ليست أخواته جميعهنّ عندنا. فمن أين لهذا هذه كلها، فكانوا يعثرون به. وأما يسوع فقال لهم ليس نبي بلا كرامة إلاّ في وطنه وفي بيته، ولم يضع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم»(٢).

---

(١) انظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، ج ٢، ص ١٧٦.

(٢) متى ١٣: ٥٤ـ ٥٨.

يقول المفسرون في تفسير هذا النص:

إنّ وطنه المقصوده هنا هي «الناصرة»[(١)].

ويضيف الشارح: «كان الشعب أقل قسوة ممّا كانوا في مجيئه الأول إليهم ولكنهم ليسوا أكثر إيماناً من ذي قبل وفي سؤالهم ضرب من الشك والاستخفاف، وقد سلموا أنه أظهر حكمة وقوة غريبه واشاروا إلى أن تلك الحكمة وتلك القوة ليستا له إنما من آخر ولعلّ بعضهم ظنهما من الشيطان.

أنهم لم ينكروا على المسيح معجزاته لكنهم لم يسلموا بأنها برهان على أنه المسيح فاكتفوا بأن عجبوا منها كأمر فوق ادراكهم ولكن تسليمهم بحكمته وقوته لم يترك لهم عذراً على عدم إيمانهم ودلّ على أن التعصّب والحسد والبغض تعمى القلب وتمنعه من تصديق ما تشهد به الحواس ويحكم به العقل»[(٢)]

ويضيف الشارح: «اتخذ أهل الناصرة معرفتهم يسوع منذ الطفولية ومعرفتهم أهله وانسباءه ومهنتهم ونسبته إليهم أي أنه واحد منهم عذراً على رفضهم دعواه أنه المسيح وهذا عذر باطل لأنه بني على التعصّب والهوى والحسد لا على استدلال عقلي»[(٣)].

ويعلّق الشارح على لفظ إبن النجار الوارد في النص:

«اشتهر المسيح بين الناس بأنه إبن يوسف النجار.. وكان كلاً من اليهود في ذلك الوقت يتعلم شيئاً من الصنائع مهما كانت وظيفته أو رتبته، فلا ينتج من دعوتهم اياه بابن النجّار أنّ النجارة كانت صناعة دنيئة أو أن يسوع صار ادنى منهم لمزوالته النجارة بل غرضهم بيان أنه كان مثلاً لهم لاحق له أن يدعي أنه اعظم منهم»[(٤)].

«أو ليست اخواته جميعهنّ عندنا..». ويعلّق الشارح على لفظ عندنا بأنها «الناصرة وهذا دلالة على أن الناصرة ما زالت مسكن أهل يسوع بعدما ذهب منها

---

(١) انظر: تفسير إنجيل متى لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس، ط مكتبة النيل المسيحية، ص ١٢٨.

أيضاً: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، ج ١، ص ٢٢٨.

(٢) انظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، ج ١، ص ٢٢٨.

(٣) المصدر السابق، نفس الصحيفة.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٢٨ـ ٢٢٩.

ومن العجب أنهم اتخذوا معرفتهم أصل يسوع وعائلته ومعرفة كل منها دليلاً على عدم صحة دعواه أنه المسيح»[1]

فكانوا يعثرون به: «هم كسائر اليهود انتظروا أن يأتي المسيح ملكاً أرضياً فيجعل الأمة اليهودية أقوى من الأمة الرومانية.. وعلى ذلك صعب عليهم أن يعتقدوا أنّ ابن النجّار إبن قريتهم أنه هو المسيح المنتظر فكان حجر عثرة لهم فانهم اعترفوا بحكمته وقوته ولكن أهوائهم منعتهم من قبول تعليمه»[2]

«ليس نبي بلا كرامة..»، «لم يتخذ المسيح رفضهم إياه اعتداءً عليه واهانة له بل تصديقاً لقول جرى عندهم مجرى المثل وهو أن الإنسان يجد من الغرباء اعتباراً لدعواه لا يجدها ممن هم أقرب إليه، وعلّة ذلك أن الغرباء يحكمون له بالنظر إلى أعماله العلنية وسيرته باعتبار وظيفته ولكن أقاربه يحكمون بالنظر إلى أمور ماضية لا طائل تحتها من جهة الأصل والسيرة»[3].

ويعلّق الشارح على آخر فقرة في النص السابق من الإنجيل المنسوب إلى متى فيقول:

«فكانت نتيجة عدم إيمانهم محزنة وهي أنه لم يصنع بينهم من المعجزات إلاّ أقل ممّا صنعه في غير قريتهم من الجليل لأنهم لم يطلبوا إليه الشفاء لعدم ثقتهم بقوته عليه، ولا دليل على أن أحداً منهم طلب أن يشفيه وطرد، فيظهر من ذلك أنّ المسيح لم يصنع المعجزات ليُقنع منكري دعواه وإلاّ جاء بأعظم المعجزات للذين هم أقل إيماناً من غيرهم ولكنه صنع المعجزات ختماً لسلطانه لمن استعدوا لقبوله بآيةٍ إلهية»[4].

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٢٩.
(٢) المصدر السابق، نفس الصحيفة.
(٣) المصدر السابق، ص ٢٣٠.
(٤) المصدر السابق، نفس الصحيفة.

المبحث الثالث:

معموديته[1] وتجربته عليه السلام كما ورد ذلك في العهد الجديد

يقول قاموس الكتاب المقدس: «عندما بلغ يسوع الثلاثين من العمر حوالي عام ٢٧ الميلادي[2] ترك الناصرة واعتمد من يوحنا المعمدان، وبعمله هذا أعلن جهاراً أنه قد تقبل عمله المجيد كالمسيا وكابن الله الوحيد[3] والمخلّص الذي مع أنه بلا خطيئة تماماً إلاّ أنه حمل خطيئة البشر»[4].

أما النص من الإنجيل المنسوب إلى لوقا والذي يتحدث عن معمودية المسيح عليه السلام فيفهم منه أن الشعب كله كان يظن أن يوحنا هو المسيح، فأفهمهم يوحنا بأنه سيعمدهم بالماء، ولكن سيأتي من هو أقوى وأشرف منه بحيث أنه ليس أهلاً لأن يحل سيور حذائه فيعمدهم بالروح القدس ونار!!، فعمد يوحنّا جميع الشعب بالماء ثم عمّد يسوع المسيح أيضاً، ثم أخذ يسوع يصلي فنزل عليه الروح القدس بهيئة الحمامة.

وفيما يلي نص إنجيل لوقا:

«وإذا كان الشعب ينتظر والجميع في قلوبهم عن يوحنا لعلّه المسيح، أجاب يوحنا الجميع قائلاً أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً

---

(١) لتعريف المعمودية، انظر: هامش ص ٧٧ من هذا البحث.

(٢) ويشير إلى (لوقا ٣: ٢٣) ولم يكن النص مناسباً لما ذكر وهو كما يلي: «ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن إبن يوسف بن هالي، بن ثابت بن لاوي بن ملكي بن ينابن يوسف، بن متاثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلي بن نجاي.. إلخ (لوقا ٣: ٢٣ـ ٢٥)، أما النص المناسب لما ذكره القاموس فهو (لوقا ٣: ١٥).

(٣) تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

(٤) لنخبة من ذوي الاختصاص، ط ٦، ص ٨٦٦.

أن أحلّ سيور حذائه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار»[١].

«ولمّا اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً، وإذ كان يصلي انفتحت السماء، ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلاً أنت ابني الحبيب بك سررت»[٢].

ويعلّق قاموس الكتاب المقدس على هذا النص بقوله:

«وهذه الكلمات تعلن أن هذا هو المسيا الذي تتحقق فيه النبوات بأنه عبد الله المطيع لإرادته المتألم لأنه يحمل خطيئة الكثيرين»[٣].

ويعلّق المفسّر لإنجيل لوقا على هذا النص قائلاً:

«وتنقسم خدمة يوحنّا إلى قسمين:

القسم الأول: الكرازه[٤] بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا.

والقسم الثاني: شهادته للمسيح كمن هو أقوى منه، وهذه الشهادة لما نطق بها ازداد تأثير خدمته على الشعب وظنّ الشعب أنه المسيح، وأتت عندئذٍ الفرصة المناسبة أمام الخادم الأمين ليشهد لسيده الذي هو مرسل أمامه «يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحل سيور حذائه» كان يوحنا عظيماً، ولم يكن إنساناً عادياً لأنه كان ممتلئاً في بطن أمه بالروح القدس[٥]، ولا شكّ أن عظمة يوحنا كانت ظاهرة أمام الجموع، فكم بالحرى الصورة التي رسمها المعمدان عن شخص المسيح؟ ولكن مهما كانت عظمة الصورة التي يرسمها المعمدان للمسيح فهي أقل من الحقيقة بكثير»[٦].

«هو سيعمدكم بالروح القدس ونار»

ويضيف المفسّر لإنجيل لوقا:

«ولنلاحظ أن معمودية الروح القدس والنار ليست شيئاً واحداً فمعمودية الروح القدس ينالها كل مؤمن وهي تعني سكنى الروح القدس في المؤمن بمجرد

---

(١) لوقا ٣: ١٥، ١٦.
(٢) لوقا ٣: ٢١ـ ٢٢.
(٣) ط ٦، ص ٨٦٦.
(٤) التبشير والدعوة.
(٥) لم يأتِ بدليلٍ على هذا الرأي.
(٦) انظر: تفسير إنجيل لوقا جمع وتقديم هلال أمين موسى، ط عام ١٩٧٠م، ص ٥٩.

الإيمان، ولكن معمودية النار ليست سوى الدينونة لغير المؤمنين»[1].

ويضيف الشارح أيضاً:

«ولما اعتمد[2] جميع الشعب» أي جميع الذين أصغوا لصوت يوحنا ومن الأناجيل الأخرى يتّضح أنّ الذين اعتمدوا كانوا على وجه الإجمال الخطاة والعشارين والزناة، أي أناساً ليس لهم شيء من بر أنفسهم يتكلون عليه، وأمّا الفريسيون والكتبه وكل من شاكلهم فرفضوا معمودية يوحنّا، إذ كانوا أبراراً عند أنفسهم، لقد جاء يوحنا في طريق البر، فكان يطلب البر العملي من الشعب، وجميع الذين اعترفوا بخطاياهم والشعب ابتدأوا بالأثمار اللائقة بالتوبة، وصاروا الخراف الذين كان المسيح يقودهم ويسمعهم صوته كالراعي الشفوق الحنون، دخل هؤلاء من باب المعمودية للتوبة، وأخذوا يسلكون في الطريق المرضيّة لله، وأصبحوا على نوع ما مفرزين عن الجانب الأكبر من الأثمة المتمردة المتقدمة نحو الغضب الآتي بخطوات سريعة.

وقد اختار الرب[3] طريق الذين اعتمدوا من يوحنا وطلب أن يعتمد بهذه المعمودية لكي ينضم إليهم جهاراً، كانوا هم خطاة سلكوا طريق التوبة، وكان هو القدوس البار، الذي ليس له حاجة إلى التوبة.

ولذلك نرى الرب يسوع وهو في المعمودية يصلي، وكان في هذا النموذج الكامل للإنسان، وهو في وضع الاعتماد الكلي على الله، ولذلك انفتحت السماء على هذا الإنسان المبارك، واستقرّ الروح القدس عليه على هيئة حمامة، إذ وجد مكان راحته في ذلك الإنسان الكامل المعتمد اعتماداً كلياً على الله»[4].

ويقول د. وليم إدي مفسّر الأناجيل في تفسير هذا النص:

«كان الناس يومئذٍ متوقعين مجيء المسيح فجراءة يوحنا وسلطانه على قلوب الناس حملا كثيرين منهم على أن يقولوا أليس هو المسيح المنتظر أي أليس اعماله وفق النبوءات المتعلّقة بالمسيح»[5].

---

(١) المصدر السابق، ص ٦٠.

(٢) يقصد: الذين عمّدهم يوحنّا بالماء من الشعب.

(٣) يقصد بذلك المسيح تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

(٤) تفسير إنجيل لوقا، هلال أمين موسى، ص ٦١.

(٥) انظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، ج ٢، ط بيروت ١٩٧٣م، ص ١٧٩.

ويضيف: «وخلاصة جواب يوحنا ثلاثة أشياء:

الأول: أنه ليس هو المسيح.

الثاني: قرب مجيء المسيح وظهوره.

الثالث: شرح عمل المسيح ومن ذلك فصل الأخيار عن الأشرار وخلاص الأولين وهلاك الآخرين.

والفرق بين عمل المسيح وعمل يوحنا هو أن الأول عمل السيد، وعمل الثاني عمل العبد، وأن معمودية الأول التي هي معمودية الروح أعظم من معمودية الثاني التي هي معمودية الجسد كما أن قوة النار على التطهير أعظم من قوة الماء عليه»[1].

أما عن تجربته عليه السلام فيقول قاموس الكتاب المقدس في ذلك:

«وبهذا اليقين في قلبه اقتيد يسوع إلى بريّة اليهودية لكي يجربه إبليس، حتى يثبّت كفايته كمخلّص البشر وأهليته لهذا العمل العظيم، فكان عليه أن يبرهن أولاً على طاعته المطلقة من غير قيد ولا شرط للآب السماوي ويدلّل على قدرته في الانتصار على المجرب، وقد رأى بعض المفسرين في ذكر التجربة في بدء خدمة المسيح الجهارية مقابلة بينها وبين قصة السقوط في تكوين ص ٣[2] وكيف أن آدم الأول سقط وهو فى أحسن الظروف المواتية للانتصار، وكيف أن آدم الثاني الرب يسوع انتصر على المجرب وهزمه بالرغم عن الظروف القاسية التي وجد فيها، وخرج من التجربة ظافراً غالباً معلناً للعالم بأنه حقيق لأن يكون إبن الله الوحيد[3] ومخلّص العالم بغير منازع»[4].

أما حديث الأناجيل عن تجربة إبليس له فيفهم من نصوصها أنه قد أُخذ عليه السلام إلى البريّة ليجرّب من إبليس وذلك بعد صيامه مدةً طويلة أربعين يوماً بلياليها، وعندما جاع أخذ إبليس يجربه بقوله إن كنت إبن الله فقل لهذه الحجارة

---

(١) لا أدري كيف تستخدم النار في تطهير الروح فالمفسّر لم يوضّح هذا الأمر وإنما زاده إبهاماً.

انظر: المرجع السابق، ص ١٨٠.

(٢) يقصد بالسقوط هنا الأكل من الشجرة المنهي عنها.

(٣) تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

(٤) لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ص ٨٦٦.

إن تصير خبزاً فأجاب: ليس بالخبز يحيا الإنسان، ثم أخذه إبليس إلى الهيكل وقال له: أن كنت إبن الله فاقذف بنفسك إلى أسفل فإن الملائكة ستحملك فلا تصدم بالحجارة، وأخيراً أخذه إبليس إلى جبلٍ عالٍ وأراه ممالك العالم ووعده بأن يملكه إياها إن سجد له، فأجابه يسوع بأن طرده بإذهب يا شيطان مكتوب للرب إلهك أن تسجد وإياه أن تعبد ثم تركه إبليس وبذلك يكون قد نجح في تجربته[1] وفيما يلي نصوص الأناجيل والتي تحكي تجربته هذه:

«ثم أُصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس، فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلةً جاع أخيراً، فتقدم إليه المجرّب وقال له إن كنت إبن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً، فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمةٍ تخرج من فم الله، ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له إن كنت إبن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك قال له يسوع مكتوب أيضاً لا تجرب الرب، ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبلٍ عالٍ جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال أُعطيك هذه جميعاً إن خررت وسجدت لي، حينئذٍ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد، ثم تركه إبليس وإذ ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه»[2].

وفي الإنجيل المنسوب إلى مرقس ما يلي:

«وللوقت أخرجه الروح إلى البرية، وكان هناك في البرية أربعين يوماً يجرب من الشيطان، وكان مع الوحوش وصارت الملائكة تخدمه»[3].

وإذا عدنا إلى شراح الأناجيل ومفسريه لتفسير نص إنجيل متى نجد ما يلي:

بعد أن نقل الشارح النص السابق لإنجيل مرقس ليستعين به في شرحه ثم يقول: «وهو بإرادته خضع لقيادة الروح، لأن الروح القدس نفسه هو روح

---

(١) لن ينسى القارىء الكريم أننا في هذا الباب في طور العرض، عرض حياة المسيح عليه السلام ودعوته كما يصورها العهد الجديد أما النقد والردّ على جميع الشبه فسيكون في الباب الأخير إن شاء الله تعالى.

انظر: ص ٣٠٥ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) متى ٤: ١- ١١.

(٣) مرقس ١: ١٢- ١٣.

المسيح»[1] وينكر شراح الأناجيل معرفة البريّة التي امتحن أو جرب فيها المسيح ويعتبرون أنّ ذلك شيء غير مهم!![2]

ثم يقول المفسّر:

«إن كلمة شيطان باليونانية لها نفس المعنى بالعبراني «شيطان» وتستعمل في بشارة مرقس بكلمة «المجرّب» أو، المشتكي، والإسم نفسه يبيّن طبيعة المعركة التي اجتازها الرب، فهو المخصص لذلك العمل وهو تأسيس ملكوت السموات على الأرض باعتبار أن ذلك هو الغرض الأعظم لرسالته الإلهية والغرض السماوي جرب بهذه الصورة المريعة، ووضع موضع الفحص والإمتحان.

وبعد أن صام مدة الأربعين يوماً وبعد أن أنهك جاع، وهنا نستطيع أن نعرف البشرية الكاملة التي للمسيح ووحدته معنا كإنسان والحقيقة الكاملة لتجاربه»[3].

ويدون مفسرو الأناجيل ملاحظات عامة لتفسير النص السابق من الإنجيل المنسوب إلى متى:

«١ ـ هذا التقرير لا بدّ وأن الرب نفسه عرف به الرسل، ممّا يدلّ على أن الأمر له أهميته الخطيرة.

٢ ـ يوضّح أيضاً عدم القابلية المطلق الذي للمسيح[4] ضد الوقوع في الخطية، واستحالة إمكانية السقوط لها كيانها في طبيعته، ولهذا وجدت شخصية الشيطان.

٤ ـ ترينا أيضاً أنّ التجربة يمكن أن تكون نوعاً من النظام الروحي الذي

---

(١) أما في الإسلام فالحقيقة أنّ روح القدس أمر مغاير لروح المسيح، فروح القدس هو الروح الأمين هو جبرائيل عليه السلام وهو الذي ينقل الوحي إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧] ولم يقل روح القدس هي روح المسيح وإنما كان تأييده بروح القدس، وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢].

(٢) انظر: تفسير إنجيل متى لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب القدس، ص ٢٨.

(٣) لا أدري كيف يستطيعون التصديق بهذا الاعتقاد إذ كيف يكون إلهاً كاملاً وبشراً كاملاً!!! وقد رددنا على هذه الشبه في الباب الأخير من هذا البحث.

انظر: ص ٤٠٢ وما بعدها.

انظر: تفسير إنجيل متى، ص ٢٨.

(٤) هكذا كتبت.

يمكن أن يسمح لنا الله به.

٥ ـ ترينا أيضاً الصور المختلفة التي يمكن أن نتنظر التجربة تلحق بنا كأتباع المسيح عند الاعتماد على الذات، وعدم الثقة بالله، وثقة الإنسان بنفسه وعدم الثقة فيما يستحسنه الله.

٦ ـ تعلمنا أيضاً أن نطرد التجربة بالحكمة في استخدام كلمات الروح القدس التي هي كلمات الله»[١].

(١) انظر: تفسير إنجيل متى لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس، ص ٣١.

المبحث الرابع:

معجزات[1] المسيح عليه السلام
كما وردت في العهد الجديد

تروي أناجيل النصارى المعتمدة حالياً[2] عدة معجزات للسيد المسيح عليه السلام وعند المقارنة بما ورد ذكره في القرآن الكريم[3] من معجزاته عليه السلام نجد أن بعضها يتّفق مع ما جاء في القرآن الكريم كإحياء الموتى وإبراء الأبرص، وتختلف في نقاط أخرى حيث أن القرآن الكريم قد ذكر عدة معجزات للمسيح عليه السلام لم تذكرها الأناجيل، وقد ذكرت الأناجيل معجزات له عليه السلام لم يذكرها القرآن الكريم.

---

(١) لتعريف المعجزة انظر: هامش ص ٧٨ من هذا البحث.

(٢) وهذه الأناجيل الأربعة منسوبة إلى متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، وهي باعترافهم ليست إنجيل المسيح عليه السلام أي لم يملها ولم تنزل عليه، وهي أسفار تاريخية محور حديثها شخصية المسيح عليه السلام من وقت الحمل به إلى وقت صلبه ـ في اعتقادهم ـ وقيامته من قبره بعد دفنه بثلاث ليال، وهي تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح والصلب والفداء في زعمهم.

ويروي لنا التاريخ أنه كانت في العصور الغابرة أناجيل أخرى كثيرة، قد أخذت بها فرق قديمة، ولكن هذه الأناجيل قد أعدم وأحرق بعضها وألغي البعض الآخر وذلك في مجمع نيفيه والذي عقد سنة ٣٢٥م من قبل أولئك الذين قرروا ألوهية المسيح في ذلك المجمع، وقد أعدمت وألغيت تلك الأناجيل والتي لا تلائم ولا تتفق وقرار ألوهية المسيح والذي ابتدعه بولس الرسول، ووافق المجمع فقط على الأسفار السبعة والعشرين والتي تكون العهد الجديد، وردّ كل ما سواه وعده كفراً بالغاً، وزيغاً يجب إفناؤه.

انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، رسالة ماجستير للباحثة، ص ٢٣، ٤٦.

أيضاً: محاضرات في النصرانية، للإمام أبي زهرة، ص ٤٨.

أيضاً: المسيحية د .أحمد شلبي، ط ٦، ص ٢٠٤.

(٣) انظر: ص ٢٧٧ وما بعدها من هذا البحث.

ويجدر بالذكر هنا أهم نقطة في هذا الموضوع تختلف فيها عقيدة النصارى مع عقيدتنا الإسلامية اختلافاً بائناً وجلياً إلاّ وهي الإعتقاد بأن حصول هذه المعجزات ووقوعها بإرادة من الله عزّ وجل، أمّا بالنسبة لعقيدة النصارى المستنبطة من أناجيلهم الحالية والمحرفة فهي الإعتقاد بأن حصول ووقوع هذه المعجزات بقدرة المسيح وإرادته وحده!! على إعتبار أنه إله وابن إله، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

ومن معجزاته عليه السلام والتي وردت في الأناجيل ما يلي:

١ ـ تحويل الماء إلى خمر وهي أولى معجزاته.

٢ ـ شفاء المرضى (البرص والمشلولين والمحمومين والعمى ومن بهم جنون).

٣ ـ تكثير صيد السمك عندما عجز غيره عن اصطياد سمكة واحدة.

٤ ـ المسيح يهدّىء العاصفة الثائرة.

٥ ـ إحياء الموتى، فقد أحيا ابنة يايرس بعد موتها.

٦ ـ تكثير الطعام، فقد أشبع خمسة آلاف شخص من طعام قليل.

٧ ـ المسيح عليه السلام يمشي على الماء.

١ ـ أولى معجزاته: تحويل الماء إلى خمر:

أمّا عن أولى معجزاته عليه السلام كما وردت في الإنجيل المنسوب إلى يوحنا فهي ـ كما ذكرنا تحويل الماء إلى خمر!! وذلك في قانا الجليل[1] في حفل عرس حضره المسيح وأمه وبعض تلاميذه، وقد فرغت الخمر المعدة للضيوف فأخبرته أمه بذلك فأخذ يوبخها بقوله «مالي ولك يا امرأه» ثم يطلب يسوع من الخدم ملء ستة أجران من الماء فملأوها حسب أمره ثم أمرهم أن يشربوا منها ويقدموا لرئيس المتكأ فتحول الماء خمراً بمجرّد أمره بالشرب منها، وشهد رئيس المتكأ بجودة ذلك الخمر!! وفيما يلي أنقل النص من الإنجيل المنسوب إلى يوحنا.

---

(١) قرية في الشمال الشرقي من الناصرة وعلى أمد نحو ساعتين منها وآثارها واسمها باقية إلى هذا اليوم.

انظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، د .وليم إدي، ج ٣، ص ٢٦.

«كان عرس قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك، ودعى أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس، ولمّا فرغت الخمر قالت أم يسوع له: «ليس لهم خمر» قال لها يسوع: «مالي ولك يا امرأة! لم تأت ساعتين بعد» قالت أمه للخدام: «مهما قال لكم فافعلوه» وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة قال لهم يسوع املأوا الأجران ماء، فملأوها إلى فوق، ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ، فقدموا، فلمّا ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمراً ولم يكن يعلم من أين هي ولكن الخدام الذين قد استقوا الماء علموا، دعا رئيس المتكأ العريس، وقال له: كل إنسان إنما يضع الخمر أولا ومتى سكروا فحينئذٍ الدون[١] أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن، هذه بداية فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه»[٢].

ويعلّق صاحب كتاب [سيرة المسيح] على النص السابق بقوله:

«وفي أثناء العرس فرغت الخمر، فعلمت مريم العذراء بذلك بسبب معرفتها القريبة بأهل العرس، لكن المدعوين لم يعلموا، فقالت أمه: «لا ليس لهم خمر» وذلك إما لأن آمالها به تجددت بواسطة الأخبار الجديدة عمّا حدث له على ضفة الأردن فقصدت أن تدعوه لكي يرى الناس مقدرة تليق بما تعلمه هي عن أصله ومقامه، أو لأنها حسبت مجيئه مع زمرة تلاميذه سبب فروغ الخمر، أو لأن روح افتخار الأمومة الطبيعي جعلها تحسب أن تعظيم ابنها ينيلها أيضاً عظمة. أو بدافع آخر نجهله نحن»[٣].

«ومن جملة الأمور التي تبّين لنا أنّ المسيح قدوة للبشر: موافقته على استعمال الخمر وتقديمه للمحتفلين بالعرس، لأنه يعلم الخفايا، وعمله قدوة لكل من يعلم علمه، فليس المقصود هنا السكر بالخمر، لأنّ السكر يؤذي الإنسان، وما نعلمه عن المسيح وعن مبادئه وتصرفاته يجعلنا نجزم بأنه لو كان في استعمال الخمر التي وضعها ضرر في حينه، لكان مستحيلاً أن يضعها لهم. ولو تحوّل التلذّذ بما هو جائز، إلى عثرة للآخرين يصير هذا التلذذ محرماً، إن شرب الخمر

---

(١) التي تسبب سكر الإنسان وغيابه عن وعيه وعدم انتباهه إلى مصيره الأبدي.
انظر: تفسير إنجيل يوحنا، جمع وتقديم هلال موسى، ص ٣٣.

(٢) يوحنا ٢: ١ـ ١١.

(٣) جورج فورد، ص ١٠٢.

خطأ لو ألجأ إلى السكر، أو لو أعثر الآخرين»[1].

٢ ـ من معجزاته عليه السلام شفاؤه للمرضى البرص والمشلولين والمحمومين والعمي ومن بهم جنون

معجزة شفائه البرص:

أمّا في معجزاته عليه السلام والتي تحدث عنها الإنجيل في شفائه المرضى، ومن أولئك شفائه البرص، وهذا ما أكّده القرآن الكريم في سورة المائدة[2].

وقصة شفائه الأبرص يحكيها الإنجيل المنسوب إلى مرقس ملخصها أنه في ذات يوم قد أتى إليه أبرص جاثياً يستجدي المسيح ليشفيه من مرضه، فمدّ المسيح عليه السلام يده إليه ولمسه وفور لمسه ذهب عنه البرص، ونهاه أن يخبر أحداً بما حدث!! وأمره أن يذهب للكاهن ليشهد بطهارته وشفائه من مرضه ـ كما هي العادة في ذلك الحين.

ويواصل إنجيل مرقس سرد تلك القصة بأنّ المريض الذي شُفي أخذ ينادي ويذيع الخبر، خبر شفائه من مرضه بواسطة المسيح عليه السلام خلافاً لما نهاه عنه، حتى أنه أي المسيح لم يستطع دخول أي مدينة من شدة ازدحام الناس عليه.

وفيما يلي أنقل نص إنجيل مرقس:

«فأتى إليه أبرص يطلب جاثياً وقائلاً له: «إن أردت تقدر أن تطهرني» فتحنن يسوع ومدّ يده ولمسه، وقال له: «أريد فاطهر» فللوقت وهو يتكلم ذهب عنه البرص وطهر، فانتهزه وأرسله للوقت، وقال له: «أنظر، لا تقل لأحد شيئاً، بل اذهب أرَ نفسك للكاهن، وقدم عن تطهّرك ما أمر به موسى شهادة لهم» وأما هو

---

(١) لست أدري كيف ينسبون إلى المسيح عليه السلام عملاً كهذا! كيف ينسب إليه عليه السلام أنه يحول سائلاً نافعاً للناس جميع الناس. بل جميع المخلوقات وهو الماء إلى سائل ضار كالخمر؟! وقد اعترف بضرره حديثاً الأطباء والمهتمين بصحة الإنسان فالخمر ضارة ـ بلا شك ـ فهي أم الخبائث لذلك حرمها الإسلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المائدة: ٩٠ـ ٩١].

(٢) انظر: ص ٢٨٠ من هذا البحث.

فخرج وابتدأ ينادي كثيراً، ويذيع الخبر، حتى لم يعد يقدر (المسيح) أن يدخل مدينة ظاهرا، بل كان خارجاً في مواضع خالية، وكان يأتون إليه من كل ناحية»[1].

معجزة شفاء مشلول:

ومن معجزاته عليه السلام والمذكورة في أناجيل النصارى المعتمدة حالياً في شفائه للمرضى حادثه وردت في الإنجيل المنسوب إلى مرقس في شفائه مشلولاً أو مفلوجاً، ويذكر مؤلف هذا الإنجيل أنّ المسيح عليه السلام بينما كان متواجداً في بيت أحدهم آنذاك، وقد احتشد حوله جمع كبير من الناس بحيث يستحيل وصول نفر من الناس إليه إلاّ بصعوبة بالغة إذ قدم نفر من الناس ومعهم مفلوجاً يحملونه

---

(١) مرقس: ١: ٤٠ـ ٤٥.

يتبيّن من كتب الشرح والتفسير للأناجيل والواردة على نص إنجيل مرقس السابق أنّ المفسرين يتحدثون عن مرض البرص الوارد في النص بأنه الجذام - والعياذ بالله منه - ثمّ يستر سلون في الحديث عن مرض الجذام وأنواعه وأعراضه إلى آخر ذلك.

انظر: تفسير العهد الجديد (إنجيل مرقس) لـ وليم باركلي ص ٦١ـ ٦٤، أيضاً الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ل د. وليم إدي، ج ٢، ص ٢٠ـ ٢١.

أيضاً: سيرة المسيح لجورج فورد، ص ١٤٩ـ ١٥٢.

وفي الحقيقة أن مرض البرص يختلف تماماً في ماهيته عن مرض الجذام.

فالجذام: هو مرض مزمن معدٍ تسببه جرثومة معيّنة والتي تهاجم الجلد والغشاء المخاطي وأعصاب الأطراف انظر: The Merck Manual ط ١٣، تأليف نخبة من الأطباء العالميين ص ١٢٦.

أما البرص: فهو مرض جلدي يعود إلى فقدان مادة الميلانيين Melanin وهي المادة الملوّنة من الجلد، والسبب غير معروف في أكثر الأحيان.

ويقول المعلّم بطرس البستاني في دائرة المعارف: «وأما العرب فقالوا: إن البرص بياض يظهر في ظاهر الجلد ويفور فإن لم يكن غائراً سُمي عندهم بالبهق، وإن كان البرص عاماً في سائر الأعضاء حتى يصير لون الجلد كله أبيض قيل هل المنتشر»، ج ٥، ص ٣٣٠.

ويذكر بعض أطباء هذا العصر: إنّ المريض المصاب بالبرص، وكذلك الأكمه (المولود أعمى) لا يوجد لهما علاج طبي معروف حتى الآن وبذلك كانت المعجزة في شفاء أمراض لا علاج لها من قبل سيدنا المسيح عليه السلام.

أما الجذام والعشى الليل (ضعف أو انعدام الرؤيا ليلاً) فهما من الأمراض التي يمكن علاجها طبياً في الوقت الحاضر بمشيئة الله تعالى، والله أعلم.

ليقدم إليه عليه السلام الشفاء ـ كما يدعون ـ فلمّا لم يستطيعوا الوصول إليه صعدوا إلى سطح المنزل وثقبوا سقفه ودلوا سرير المفلوج من ذلك الثقب!!. وعندما رأى يسوع ذلك قال مخاطباً المفلوج: يا بني مغفورة لك خطاياك، فاستنكر عليه قوم من كتبة اليهود قوله ذاك لأنه ـ على حسب علمهم ـ لا يغفر الذنوب إلاّ الله، ولكن استنكارهم ذاك في قلوبهم دون التصريح به، وشعر المسيح باستنكارهم، فطرح عليهم الاستفهام الاستنكاري: لماذا تفكرون بهذا في قلوبكم؟ ويضيف الإنجيل وأنه لكي يثبّت أن له سلطاناً على غفران الخطايا!! قال للمفلوج قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك فقام على الفور، وحمل سريره وخرج أمام ذلك الحشد من الناس.

وفيما يلي أنقل نص الإنجيل:

«ثم دخل كفر ناحوم أيضاً بعد أيام فسمع أنه في بيت، وللوقت اجتمع كثيرون حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب، فكان يخاطبهم بالكلمة. وجاءوا إليه مقدمين مفلوجاً يحمله أربعة، وإذا لم يقدروا أن يقتربوا إليه من أجل الجمع، كشفوا السقف حيث كان، وبعدما نقبوه دلوا السرير الذي كان المفلوج مضجعاً عليه، فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج: «يا بني مغفورة لك خطاياك» وكان قوم من الكتبة هناك جالسين يفكرون في قلوبهم: «لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف؟ من يقدر أن يغفر خطايا إلاّ الله وحده. فللوقت شعر يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا في أنفسهم، فقال لهم: لماذا تفكرون بهذا في قلوبكم؟ أيهما أيسر: أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال قم واحمل سريرك وامش؟ ولكن لكي يعلموا أن لإبن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا[1] قال

---

(١) يقول جورج فورد صاحب كتاب (سيرة المسيح) في التعليق على هذا النص:
«أثبت المسيح حقه في منح الغفران، فأثبت لنفسه مقاماً فوق سائر البشر وقد أثّر هذا كثيراً في الذين رأوا وسمعوا ما حدث»، ص ١٥٦، ولا يخفى على القارىء الكريم ما يثبته ديننا الإسلامي الحنيف من أنه لا يغفر الذنوب إلاّ الله سبحانه وتعالى وخاصة فيما بين العبد وبين ربه، فهو الخالق الصانع الحاكم العادل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥]، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [المائدة: ٤٠].

للمفلوج: لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك فقام للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل حتى بهت الجميع ومجدوا الله قائلين: ما رأينا مثل هذا قط!»[1].

شفاؤه المحمومة:

ومن معجزاته عليه السلام الواردة في الإنجيل شفاؤه المحمومين، الذين تصيبهم الحمى الشديدة التي أصابت حماة سمعان بطرس، فوقف المسيح وانتهر الحمى فتركتها، وفي الحال قامت من فراشها وصارت تخدمهم، ثم قام عليه السلام كما ذكر النص بشفاء الكثير من المرضى وذلك بمجرّد وضع يده على كل واحد منهم.

وفيما يلي أنقل نص الإنجيل:

«ولما قام من المجمع دخل بيت سمعان، وكانت حماة سمعان[2] قد أخذتها حمى شديدة، فسألوه من أجلها، فوقف فوقها وانتهر الحمى فتركتها، وفي الحال قامت وصارت تخدمهم، وعند غروب الشمس جميع الذين كان عندهم سقماء بأمراض مختلفة قدموهم إليه، فوضع يديه على كل واحد منهم وشفاهم، وكانت شياطين أيضاً تخرج من كثيرين هي تصرخ وتقول: «أنت المسيح إبن الله[3] فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح»[4].

---

(١) مرقس ٢: ١ـ ١٢.

(٢) سمعان بطرس وقال مرقس إنه بيت سمعان واندراوس وهما اخوان شريكان في الصيد، متى ٤: ١٨.

نقلاً عن: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، د .وليم إدي، ج ٢، بيروت ٧٣.

(٣) يقول صاحب كتاب (سيرة المسيح) في التعليق على هذه العبارة «تُرى هل شعر أهل المدينة بالخجل عندما رأوا الشياطين تسمية المسيح وابن الله؟ هل يمكن أن الأبالسة تعظم كذباً الذي يطردها؟» جورج فورد، ج ١، ص ١٤٢.

ونردّ عليه بأنه ـ وإن صدق هذا النص ـ فلأنهم شياطين سموه بالمسيح إبن الله، ولأنهم أبالسة ـ كما ذكر ـ أرادوا تضليل السامعين وليس هذا تعظيماً من الشياطين بل كذباً وافتراءً، فلم يكن إلهاً ولا إبن إله تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً. . ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٧٥﴾ [المائدة: ٧٥].

(٤) لوقا ٤: ٣٨ـ ٤١.

شفاؤه للعمى:

ومن أمثلة معجزاته عليه السلام في شفائه للعمي الواردة في الأناجيل ما ورد في إنجيل متى وفيما يلي نصه:

«وفيما يسوع مجتاز من هناك تبعه أعميان يصرخان ويقولان: «ارحمنا يابن داوود» ولما جاء إلى البيت تقدم إليه الأعميان، فقال لهما يسوع: أتؤمنان أني أقدر أن أفعل هذا؟[1] قالا له نعم يا سيد حينئذٍ لمس أعينهما قائلاً بحسب إيمانكما ليكن لكما، فانفتحت أعينهما فانتهرهما يسوع قائلاً: انظر، لا يعلم أحد لكنهما خرجا وأشاعاه في تلك الأرض كلها»[2]

ويروي إنجيل يوحنا بأن المسيح عليه السلام قد أشفى من كفّ بصره منذ ولادته[3] دون أن يُطلب منه ذلك وفيما يلي نص الإنجيل المنسوب إلى يوحنا:

«وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ ولادته، فسأله تلاميذه «يا معلّم، من أخطأ، هذا أم أبواه، حتى ولد أعمى؟ أجاب يسوع: لا هذا أخطأ ولا أبواه، ولكن لتظهر أعمال الله فيه. ينبغي أن أعمل الذي أرسلني ما دام نهار. يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل. ما دمت في العالم فأنا نور العالم.

قال هذا وتفل على الأرض وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عيني الأعمى، وقال له: إذهب واغتسل في بركة سلوام الذي تفسيره مرسل فمضى

---

(١) ويعلّق صاحب كتاب سيرة المسيح على هذه الفقرة بقوله: «تُرى لماذا أبدى المسيح عدم الإهتمام بهما أولا؟ لقد قصد أن يمتحن قوة إيمانهما به لم يسألهما إن كانا يؤمنان أنّ الله قادر، بل كان سؤاله: هل تؤمنان أني قادر؟»
انظر: جورج فورد، ص ٢٦٤.
ولكن هذا على خلاف العقيدة الإسلامية والتي قرّرها القرآن الكريم بأن جميع المعجزات التي تجري على أيدي الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام ومن بينهم المسيح عليه السلام فإن الله سبحانه وتعالى هو الخالق الصانع لها وأنها تجري بمشيئة وإرادته وحده.
انظر: الباب الثالث من هذا البحث، ص ٢٧٧ وما بعدها.

(٢) متى ٩: ٢٧ـ ٣١.

(٣) وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم بلفظ «الأكمه».
انظر: الآيات الكريمات في الباب الثالث، ص ٢٧٧، ٢٨٠ من هذا البحث.

واغتسل وأتى بصيراً»(١).

شفاؤه عليه السلام لمن بهم داء الصرع أو مسّ من الجن، كما ورد ذلك في الأناجيل:

ومن معجزاته عليه السلام في شفائه لمن بهم مسّ من جن أو داء الصرع ـ والعياذ بالله ـ كما ورد ذلك في أناجيلهم المعتمدة ما يلي:

«ولما جاء التلاميذ رأى جمعا كثيراً حولهم، وكتبة يحاورونهم، وللوقت كل الجمع لما رأوه تحيروا وركضوا وسلموا عليه، فسأل الكتبة: «بماذا تحاورونهم؟» فأجاب واحد من الجمع وقال: يا معلم قد قدمت إليك ابني به روح أخرس، حيثما أدركه ليمزّقه فيزبد ويصر بأسنانه وييبس، فقلت لتلاميذك أن يخرجوه فلم يقدروا «فأجاب أيها الجيل غير المؤمن إلى متى أكون معكم؟ إلى متى احتملكم؟ قدموه إليّ»، فلمّا رآه للوقت صرعه الروح، فوقع على الأرض يتمرغ ويزبد فسأل أباه: كم من الزمان منذ أصابه هذا؟ فقال: منذ صباه، وكثيراً ما ألقاه في النار وفي الماء ليهلكه. لكن إن كنت تستطيع شيئا فتحنن علينا وأعنا فقال له يسوع: إن كنت تستطيع أن تؤمن، كل شيء مستطاع للمؤمن، فللوقت صرخ أبو الولد بدموع وقال: أؤمن يا سيد، فأعن عدم إيماني، فلما رأى يسوع أن الجمع يتراكضون انتهر الروح النجس قائلاً له: أيها الروح الأخرس الأصم، أنا آمرك: أُخرج منه ولا تدخله أيضا، فصرخ وصرعه شديدا وخرج، فصار كميت حتى قال كثيرون إنه مات، فأمسكه يسوع بيده وأقامه، فقام، ولما دخل بيتا سأله تلاميذه على انفراد: لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه؟ فقال لهم: هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشيء إلاّ بالصلاة والصوم(٢)

«وجاءوا عبر البحر إلى كورة الجدريين، ولما خرج من السفينة للوقت استقبله من القبور إنسان به روح نجس كان مسكنه في القبور، ولم يقدر أحد أن يربطه ولا بسلاسل، لأنه قد ربط كثيراً بقيود وسلاسل، فقطع السلاسل وكسر القيود، فلم يقدر أحد أن يذلله، وكان دائماً ليلاً ونهاراً في الجبال والقبور يصيح ويجرح نفسه بالحجارة، فلما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له، وصرخ بصوت

---

(١) يوحنا ٩: ١ـ ٧.

(٢) مرقس ٩: ١٤ـ ٢٩.

عظيم وقال: مالي ولك يا يسوع إبن الله العلي؟ استحلفك بالله ألاّ تعذبني؟» لأنه قال له: أخرج من الإنسان يا أيها الروح النجس وسأله ما إسمك؟ فأجاب قائلاً: إسمي لجئون لأننا كثيرون، وطلب إليه كثيرا أن لا يرسلهم إلى خارج الكورة، وكان هناك عند الجبال قطيع كبير من الخنازير يرعى، فطلب إليه كل الشياطين قائلين: أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها فأذن لهم يسوع للوقت، فخرجت الأرواح النجسة ودخلت الخنازير، فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحر، وكان نحو الفين، فاختنق في البحر، وأمّا رعاة الخنازير فهربوا وأخبروا في المدينة وفي الضياع، فخرجوا ليروا ما جرى، وجاءوا إلى يسوع، فنظروا المجنون الذي كان فيه اللجئون جالساً ولابساً وعاقلاً، فخافوا، فحدّثهم الذين رأوا كيف جرى للمجنون وعن الخنازير، فابتدأوا يطلبون إليه أن يمضي من تخوفهم، ولما دخل السفينة طلب إليه الذي كان مجنوناً أن يكون معه، فلم يدعه يسوع، بل قال له: إذهب إلى بيتك وإلى أهلك وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك، فمضى وابتدأ ينادي في العشر المدن كم صنع به يسوع فتعجّب الجميع»[1].

٣ ـ من معجزاته عليه السلام الواردة في الأناجيل تكثير صيد السمك عندما عجز غيره من اصطياد سمكة واحدة

ومن معجزاته عليه السلام الواردة في أناجيل النصارى المعتمدة، تكثير صيد السمك، وذلك عندما كان واقفاً عند بحيرة جنيسارت فرأى سفينتين واقفتين عندها، والصيادون قد خرجوا منها وغسلوا الشباك، فأمر سمعان أن يبعد إلى العمق ويلقي الشباك، ومع أنهم قد امضوا الليل بطوله لم يصطادوا سمكة واحدة إلاّ أنهم حينذاك اصطادوا سمكاً كثيراً وملأوا السفينتين بها.

وفيما يلي نص الإنجيل المنسوب إلى لوقا:

«وإذ كان الجمع يزدحم عليه ليسمع كلمة الله، كان واقفاً عند بحيرة جنيسارت، فرأى سفينتين واقفتين عند البحيرة والصيادون قد خرجوا منها وغسلوا الشباك فدخل إحدى السفينتين التي كانت لسمعان، وسأله أن يبعد قليلاً عن البر، ثم جلس وصار يعلم الجموع من السفينة، ولما فرغ من الكلام قال لسمعان: ابعدوا إلى العمق وألقوا اشباككم للصيد. فأجاب سمعان وقال له: يا معلم قد تعبنا

---

(١) مرقس ٥: ١ـ ٢٠.

الليل كله ولم نأخذ شيئاً، ولكن على كلمتك ألقي الشبكة، ولما فعلوا ذلك أمسكوا سمكاً كثيراً جداً، فصارت شبكتهم تتخرق فأشاروا إلى شركائهم الذين في السفينة الأخرى أن يأتوا ويساعدوهم، فأتوا وملأوا السفينتين حتى أخذتا في الغرق!! فلمّا رأى سمعان بطرس ذلك خرّ عند ركبتي يسوع قائلاً: أخرج من سفينتي يا رب لأني رجل خاطىء، إذ اعترته وجميع الذين معه دهشوا على صيد السمك الذي أخذوه، وكذلك أيضاً يعقوب ويوحنا ابنا زبدي اللذان كانا شريكي سمعان، فقال يسوع لسمعان: لا تخف من الآن تكون تصطاد الناس ولما جاءوا بالسفينتين إلى البر تركوا كل شيء وتبعوه»(١).

٤ ـ من معجزاته: أنه يهدّىء العاصفة الثائرة

وقد ورد في أناجيل النصارى المعتمدة من معجزات المسيح عليه السلام في أنه كان يهدي العاصفة الثائرة ما رواه إنجيل مرقس أنه عليه السلام كان ذات مساء مع جماعة من أصحابه في سفينة في عرض البحر، فحدث أن ثارت عاصفة هوجاء وكان عليه السلام نائماً!!! فأيقظوه فانتهر الريح فسكنت، وأخذ يوبخهم لقلّة إيمانهم وفيما يلي أنقل نص إنجيل مرقس:

«وقال لهم في ذلك اليوم لما كان مساء: لنجتز إلى العبر فصرفوا الجمع وأخذوه كما كان في السفينة، وكانت معه أيضاً سفن أخرى صغيرة، فحدث نوء ريح عظيم، فكانت الأمواج تضرب إلى السفينة حتى صارت تمتلىء، وكان هو في المؤخّر على وسادة نائماً، فأيقظوه وقالوا له: يا معلم، أما يهمك أننا نهلك؟ فقام وانتهر الريح وقال للبحر: اسكت! ابكم!، فسكنت الريح وصار هدوء عظيم، وقال لهم: ما بالكم خائفين هكذا؟ كيف لا إيمان لكم؟ فخافوا خوفاً عظيماً وقالوا بعضهم لبعض: من هو هذا؟ فإن الريح أيضاً والبحر يطيعانه!»(٢).

٥ ـ أمثله من معجزاته على إحيائه الموتى:

ومن أمثلة ذلك ما حكاه الإنجيل المنسوب إلى مرقس: أنه ذات يوم جاءه رجل اسمه يايرس، وخرّ عند قدميه يرجوه أن يحيى ويشفي ابنته والتي على فراش الموت فمضى المسيح عليه السلام مع الرجل إلى داره وإذا برسول قادم من الدار

---

(١) لوقا ٥: ١ ـ ١١.

(٢) مرقس ٤: ٣٥ ـ ٤١.

يقابلهما وينبؤهما بموت الفتاة، فطمأنّ المسيح والد الفتاة، وعندما قدما الدار وجد من بها يبكون ويولولون لموتها، فدخل المسيح على الفتاة والتي قد ماتت وأمرها بأن تقوم.. فقامت لتوها تمشي ثم أوصى لها بطعام.

وفيما يلي أنقل نص الإنجيل المنسوب إلى مرقس:

«ولمّا اجتاز يسوع في السفينة أيضاً إلى العبر اجتمع إليه جمع كثير، وكان عند البحر، وإذا واحد من رؤساء المجمع اسمه ياريس جاء، ولما رآه خرّ عند قدميه، وطلب إليه كثيراً قائلاً ابنتي الصغيرة على آخر نسمة، ليتك تأتي وتضع يدك عليها لتشفى فتحيا، فمضى معه وتبعه جمع كثير وكانوا يزحمونه»[١].

«وبينما هو يتكلم جاءوا من دار رئيس المجمع قائلين ابنتك ماتت، لماذا تتعب المعلم بعد، فسمع يسوع لوقته الكلمة التي قيلت فقال لرئيس المجمع لا تخف آمن فقط، ولم يدع أحداً يتبعه إلاّ بطرس ويعقوب ويوحنّا أخا يعقوب فجاء إلى بيت رئيس المجمع ورأى ضجيجاً يبكون ويولولون كثيراً، فدخل وقال لهم لماذا تضجون وتبكون، لم تمت الصبية لكنّها نائمة.

فضحكوا عليه، أما هو فأخرج الجميع وأخذ أبا الصبية وأمها والذين معه ودخل حيث كانت الصبية مضطجعة وأمسك بيد الصبية وقال لها طليثا قومي، الذي تفسيره يا صبية لك أقول قومي، وللوقت قامت الصبية ومشت لأنها كانت ابنة اثنتي عشرة سنة، فبهتوا بهتاً عظيماً، فأوصاهم كثيراً أن لا يعلم أحد بذلك، وقال أن تعطى لتأكل»[٢].

ومن أمثلة ذلك ما حكاه الإنجيل المنسوب إلى لوقا:

أنه عليه السلام كان وتلاميذه مع جمع غفير متجهين إلى مدينة تدعى نايين[٣] وإذا به بميت محمول وهو وحيد أمه الأرملة، فلمّا رآها أشفق عليها ولمس نعش

---

(١) مرقس ٥: ٢١ـ ٢٤.

(٢) مرقس ٥: ٣٥ـ ٤٣.

(٣) اسم عبري معناه لذيذ وهي بلدة على الطرف الشمالي الغربي من جبل الوحي أو حرمون، على بعد ميلين إلى الجنوب الغربي من عين دور وعلى بعد خمسة أميال جنوب شرق الناصرة، وهي اليوم قرية صغيرة جداً، وفيها آثار تدلّ على أنها كانت ذات شأن.

انظر: قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ط ٦، ص ٩٤٨.

ابنها وأمره بالقيام، فجلس وبدأ يتكلم ثم دفعه إلى أمه.

وفيما يلي ننقل النص:

«وفي اليوم التالي ذهب إلى مدينة تدعى نايين، وذهب معه كثيرون من تلاميذه وجمع كثير، فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول، إبن وحيد لأمه، وهي أرملة، ومعها جمع كثير من المدينة، فلمّا رآها الرب تحنّن عليها، وقال لها: لا تبكي ثم تقدم ولمس النعش، فوقف الحاملون فقال: أيها الشاب، لك أقول قم فجلس الميت وابتدأ يتكلم، فدفعه إلى أمه، فأخذ الجميع خوف، ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم، وافتقد الله شعبه، وخرج هذا الخبر عنه في كل اليهودية وفي جميع الكوره المحيطة»[١].

٦ ـ تكثيره عليه السلام فقد أشبع خمسة آلاف شخص من طعام قليل

ومن أمثلة ذلك ما ورد في الإنجيل أنه عليه السلام قد أشبع آلاف كانوا في موضع خلاء وليس هناك أي طعام سوى خمسة أرغفة وسمكتان، فأمر بترتيب الأشخاص زمراً زمراً ثم أخذ يوزع الطعام عليهم حتى شبعوا وفاض الطعام.

وفيما يلي أنقل النص من الإنجيل:

«وبعد ساعات كثيرة تقدم إليه قائلين: «الموضع خلاء والوقت مضى. اصرفهم لكي يمضوا إلى الضياع والقرى حوالينا ويبتاعوا لهم خبزاً، لأن ليس عندهم ما يأكلون فأجاب وقال لهم: أعطوهم أنتم ليأكلوا فقالوا له: أنمضى ونبتاع خبزاً بمئتي دينار ونعطيهم ليأكلوا؟ فقال لهم: كم رغيفاً عندكم؟ اذهبوا وانظروا.

ولما علموا قالوا: خمسة وسمكتان. فأمرهم أن يجعلوا الجميع رفاقاً رفاقاً على العشب الأخضر، فاتكأوا صفوفاً، مئة مئة وخمسين خمسين، فأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين، ورفع نظرة نحو السماء وبارك ثم كسر الأرغفة، وأعطى تلاميذه ليقدموا إليهم، وقسّم السمكتين للجميع، فأكل الجميع وشبعوا، ثم رفع من الكسر اثنتي عشرة قفة مملوءة من السمك، وكان الذين أكلوا من الأرغفة نحو خمسة آلاف رجل»[٢].

---

(١) لوقا ٧: ١١ـ ١٧.

(٢) مرقس ٦: ٣٥ـ ٤٤.

٧ ـ المسيح عليه السلام يمشي على الماء

ومن معجزاته عليه السلام الواردة في أناجيل النصارى الحالية أنه باستطاعته أن يمشي على الماء، وهذا ما رواه إنجيل متى: أن سفينة كانت تقلّ عدداً من تلاميذه في عرض البحر الذي كان هائجاً، وكانت الرياح باتجاه مضاد للسفينة، وفي هذه الأثناء في أواخر الليل قدم إليهم المسيح ماشياً على الماء في البحر باتجاه سفينتهم لينقذهم ممّا هم فيه، ولما أبصروه ظنوه خيالاً واضطربوا وأخذوا يصرخون خائفين . .

وفيما يلي نص إنجيل متى:

«وللوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر حتى يصرف الجموع، وبعدما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفرداً ليصلي، ولما صار المساء كان هناك وحده، وأما السفينة فكانت قد صارت في وسط البحر معذبه من الأمواج، لأنّ الريح كانت مضادة، وفي الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشياً على البحر اضطربوا قائلين إنه خيال، ومن الخوف صرخوا، فللوقت كلمهم يسوع قائلاً: تشجعوا: أنا هو! لا تخافوا، فأجابه بطرس وقال: يا سيد إن كنت أنت هو فمرني أن آتي إليك على الماء، فقال: تعال، فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتي إلى يسوع، ولكن لما رأى الريح شديدة خاف، وإذا ابتدأ يغرق صرخ قائلاً: يا رب نجني، ففي الحال مدّ يسوع يده وأمسك به وقال له: يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟ ولما دخلا السفينة سكنت الريح، والذين في السفينة جاءوا له قائلين: بالحقيقة أنت إبن الله»[1].

---

(١) متى ١٤: ٢٢ـ ٣٣.

المبحث الخامس:

الحديث عن القبض عليه، ومحاكمته، ثم صلبه ودفنه وقيامته، وصعوده إلى السماء كما يزعم النصارى في أناجيلهم

لا بدّ هنا أن نجزّىء الحديث في هذه الفقرة على فقرات صغيرة أيضاً فنتحدث أولاً عن القبض عليه كما تروي أناجيل النصارى:

القبض عليه كما تروي الأناجيل:

وتتحدث أناجيل النصارى المعتمدة عن القبض على المسيح عليه السلام من قبل جنود الرومان التابعين للدولة الرومانية الحاكمة آنذاك فتذكر أنه عليه السلام قدم مع تلاميذه إلى ضيعة جثسماني وطلب منهم المكوث والسهر في انتظاره وتسجّل الأناجيل أنه كان حزيناً جداً حتى الموت!![1]. وابتدأ يصلي وأخذ يرجو الله بأن يعبّر عنه هذه الكأس، أي كأس الموت!! وعندما عاد لينظر إلى تلاميذه وجدهم نياماً فأخذ يلومهم لنومهم ثم عاد إلى الصلاة ثانيةً واستجداء الرب لاعفائه من شرب كأس هذه الميتة، ثم أخذ يصلي للمرة الثالثة مع تكرار ذلك الرجاء!! ثم عاد إلى تلاميذه وأخذ يتحدث معهم وفيما هو كذلك إذ جاء يهوذا الخائن أحد تلاميذه الاثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصي فقبله يهوذا وكانت تلك القبلة علامة بينه وبين الجنود للقبض عليه، فقبض الجنود على يسوع، فاستل أحد تلاميذ المسيح سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع اذنه، فأخذ المسيح يلومه على فعلته تلك!!

وفيما يلي نص الإنجيل:

---

(١) والغريب في هذه الأناجيل أنها تسجل حزنه الشديد جداً عند معرفته بقرب موته مع أن العظماء لا يهابون الموت وخاصة الأتقياء منهم، فكيف بمن يدعون أنه ابن للإله ـ تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً، وهذا دليل يُضاف إلى الأدلة الكثيرة على زيف هذه الأناجيل.

«حينئذٍ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جشماني، فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك، ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا ههنا واسهروا معي.

ثم تقدم قليلاً وخرّ على وجهه وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت، ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً، فقال لبطرس: أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة؟ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة، أمّا الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف، فمضى أيضاً ثانيةً وصلى قائلاً: يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبّر عن هذه الكأس إلاّ أن أشربها فلتكن مشيئتك، ثم جاء فوجدهم أيضاً نياماً، إذ كانت أعينهم ثقيلة فتركهم ومضى أيضاً وصلى ثالثةً قائلاً ذلك الكلام بعينه، ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم: ناموا الآن واستريحوا، هوذا الساعة قد اقتربت وابن الإنسان يسلّم إلى أيدي الخطاة، قوموا ننطلق[1] هوذا الذي سلمني قد اقترب.

وفيما هو يتكلم إذ يهوذا، أحد الاثني عشر، قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب، والذي أسلمه أعطاهم علامة قائلاً: الذي أقبله هو هو أمسكوه، فللوقت تقدم إلى يسوع وقال: السلام يا سيدي، وقبّله فقال له يسوع: يا صاحب، لماذا جئت؟ حينئذٍ تقدموا وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه، وإذا واحد من الذين مع يسوع مدّ يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع اذنه[2] فقال له يسوع: ردّ سيفك إلى مكانه، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون أتظنّ أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة؟ فكيف تُكمل الكتب أنه هكذا ينبغي أن يكون»[3]

---

(١) يتّضح التناقض في هذا النص من إنجيل متى إذ كيف يأمرهم بالنوم والاستراحة ثم وفي نفس اللحظة يأمرهم بالقيام والانطلاق.

(٢) يتّضح ـ أيضاً ـ أنّ هناك نقاط مهمة كثيرة وقد فاتت على كتاب الأناجيل إذ كيف يقطع أحد تلاميذ المسيح إذن عبد رئيس الكهنة بسيفه!! والذي قد اصطحب معه مجموعة كبيرة من الناس مسلحين بسيوف وعصي، وذاك العبد واقف ينظر إليه هكذا ومن معه من الناس دون أن يحرّك أحد منهم ساكناً.

(٣) متى ٢٦: ٣٦ـ ٥٤.

محاكمته:

وبدأت محاكمته كما تروي الأناجيل بسؤال رئيس الكهنة عن تعليمه فأجابه يسوع إسأل الذين قد سمعوا عني، وفيما يلي أنقل النصوص من الأناجيل:

«فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه. أجابه يسوع: أنا كلمت العالم علانية. أنا علمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً، وفي الخفاء لم أتكلم بشيء، لماذ تسألني أنا؟ اسأل الذين قد سمعوا: ماذا كلمتهم، هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا، ولما قال هذا لطم يسوع واحدٌ من الخدام كان واقفاً قائلاً: هكذا تجاوب رئيس الكهنة؟ أجابه يسوع: إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردى، وإن حسناً فلماذا تضربني؟[1] وكان حنان قد أرسله موثقاً إلى قيافا رئيس الكهنة»[2]

«وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه، فلم يجدوا مع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا، ولكن أخيراً تقدم شاهدا زور وقالا: هذا قال إني أقدر أن انقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام ابنيه، فقام رئيس الكهنة وقال له: أما تجيب شيء؟ ماذا يشهد به هذان عليك؟ وأما يسوع فكان ساكتاً، فأجاب رئيس الكهنة وقال له: استحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح إبن الله؟ قال له يسوع أنت قلت، وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون إبن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء، فمزّق رئيس الكهنة حينئذٍ ثيابه قائلاً: قد جدف! ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ ها قد سمعتم تجديفه ماذا ترون؟ فأجابوا إنه مستوجب الموت. حينئذٍ بصقوا في وجهه ولكموه وآخرون لطموه قائلين: تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك!»[3]

---

(١) من الواضح أنّ المسيح عليه السلام في هذا النص يعترض على من لطمه بقوله: «إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردى، وإن حسناً فلماذا تضربني؟»، وهذا يتناقض تناقضاً واضحاً مع نص آخر في إنجيل لوقا يقول: «من ضربك على خدك فاعرض له الآخر أيضاً» ٦: ٢٩.

(٢) يوحنا ١٨: ١٩ـ ٢٤.

(٣) متى ٢٦: ٥٩ـ ٦٨.

وهذا دليل ـ أيضاً ـ على تناقض نصوص الأناجيل واختلافها، إذ لماذا لم يعترض المسيح عليه السلام على كل هذه الأفعال المشينة من بصق ولكم ولطم وسخرية، =

وتواصل الأناجيل حديثها عن محاكمته عليه السلام فتقول:

«ولمّا كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب، رؤساء الكهنة والكتبة، وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين: «إن كنت أنت المسيح فقل لنا، فقال لهم: إن قلت لكم لا تصدقون، وإن سألت لا تجيبوني ولا تطلقونني، منذ الآن يكون إبن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله، فقال الجميع: أفأنت إبن الله؟ فقال لهم: أنتم تقولون أني هو، فقالوا: ما حاجتنا بعد إلى شهادة؟ لأننا نحن سمعنا من فمه»[١].

«فقام كل جمهورهم وجاءوا به إلى بيلاطس»[٢]

من النص السابق يتّضح أن سبب القبض عليه وصلبه هو ادعاؤه أنه إبن الله، ومع أن سياق النص يوضح بأنه لم يقرّ بذلك فعندما طرحوا عليه السؤال أفأنت إبن الله، أجابهم أنتم تقولون أنا هو فلم يقرّ عليه السلام بذلك ولكنهم اعتبروا تلك الجملة إقراراً منه بأنه إبن الله!! تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

ثم تتحدث الأناجيل عن استجواب بيلاطس للمسيح أثناء محاكمته بما يلي:

«ثم دخل بيلاطس أيضاً إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له: أنت ملك اليهود؟ أجابه يسوع: أمن ذاتك تقول هذا، أم آخرون قالوا لك عني؟ أجابه بيلاطس: العلي أنا يهودي؟ أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليّ ماذا فعلت؟ أجاب يسوع: مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتي من هنا، فقال بيلاطس: فأنت إذا ملك؟ أجاب يسوع: أنت تقول إني ملك، لهذا ولدت أنا، ولهذا قد أتيت إلى العالم لاشهد للحق، كل من هو من الحق يسمع صوتي، قال له بيلاطس: ما هو الحق؟ ولما قال هذا خرج أيضاً إلى اليهود وقال لهم: أنا لست أجد فيه علّة واحدة»[٣].

ومع أن بيلاطس الحاكم الروماني لم يجد علّة واحدة لعقاب المسيح إلاّ أن

= ولماذا لم يعترض على الصلب ذاته، وقد اعترض على تلك اللطمة من أحد الخدم ـ انظر النص السابق ليوحنا ـ ونحن كمسلمين إذ ننزهه عليه السلام عن عبث العابثين من سفهاء اليهود وغيرهم نضعه في مكانته التي قد وهبه الله إياها كنبي معصوم ومن أولى العزم من الرسل ومؤيّد بالمعجزات.

(١) لوقا ٢٢: ٦٦ـ ٧١.

(٢) لوقا ٢٣: ١.

(٣) يوحنا ١٨: ٣٣ـ ٣٨.

أعداءه من اليهود كانوا يشهدون على المطالبة بعقابه واتهامه بتسليط الشعب في كل بلاد اليهودية وذلك كما تروي الأناجيل:

«فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع: إني لا أجد علّة في هذا الإنسان، فكانوا يشددون قائلين: إنه يهيج الشعب، وهو يعلم في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل إلى هنا»[1].

ومع أن بيلاطس حاول أن ينقذ المسيح باقتراحه لهم أن يؤدّبه ثم يطلقه فقد جرت العادة بأن يطلق في كل عيد واحداً وكانوا على أبواب عيد الفصح[2] إلاّ أن رؤساء الكهنة من اليهود شددوا عليه بصراخهم ولجاجهم بأن يصلب وأن يطلق بدلاً منه «باراباس» والذي سجن بسبب جرائمه وقتله. فحكم لهم كما أرادوا وسلم يسوع ليصلب، وحتى بعد توسّط زوجة بيلاطس لانقاذه أصرّ كهنة اليهود على صلبه بازدياد صراخهم ليصلب، وعندما يأس بيلاطس هو وزوجه من إنقاذ المسيح أخذ ماء وغسّل يديه واعلن تبرأه من دمه فأجابه اليهود: دمه علينا وعلى أولادنا!!

وفيما يلي ننقل نص الأناجيل:

«فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم: قد قدمتم إليّ هذا الانسان كمن يفسد الشعب، وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد في هذا الإنسان علّة مما تشتكون به عليه، ولا هيرودس أيضاً، لأني أرسلتكم إليه وها لا شيء يستحق الموت صنع منه، فأنا أؤدبه وأطلقه، وكان مضطراً أن يطلق لهم كل عيد واحداً، فصرخوا بجملتهم قائلين: خذ هذا وأطلق لنا «باراباس»، وذاك كان قد طرح في السجن لأجل فتنة حدثت في المدينة وقتل، فناداهم أيضاً بيلاطس، وهو يريد أن يطلق يسوع، فصرخوا قائلين اصلبه اصلبه فقال له ثالثة: فأي شر عمل هذا؟ إني لم أجد فيه علّة للموت، فأنا أؤدبه واطلقه، فكانوا يلجون بأصوات عظيمة طالبين أن يصلب، فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة، فحكم بيلاطس

---

(١) لوقا ٢٣: ٤ـ ٥.

(٢) أول الأعياد السنوية الثلاثة التي كان مفروضاً فيها على جميع الرجال الظهور أمام الرب في بيت العبادة، ويعرف أيضاً بعيد الفطير، أنشىء في مصر تذكاراً للحادث الذي فيه خلاص بني إسرائيل، ويبدأ العيد مساء الرابع عشر من شهر نيسان.

انظر: قاموس الكتاب المقدس، لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ط ٦، ص ٦٧٨.

أن تكون طلبتهم، فأطلق لهم الذي طرح في السجن لأجل فتنة وقتل، الذي طلبوه، واسلم يسوع لمشيئتهم»[١]

«وإذ كان جالساً على كرسي الولاية أرسلت إليه امرأته قائلة: إياك وذلك البار[٢]، لأني تألمت اليوم كثيراً في حلم من أجله، ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلبوا «باراباس» ويهلكوا يسوع، فأجاب الوالي وقال لهم: مَنْ مِنَ الاثنين تريدون أن اطلق لكم؟ فقالوا: «باراباس» قال لهم بيلاطس: فماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح؟ قال له الجميع: ليصلب، فقال الوالي: وأي شر عمل؟ فكانوا يزدادون صراخاً قائلين: ليصلب، فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً، بل بالحرى يحدث شغب، أخذ ماء وغسّل يديه قدام الجميع قائلاً: إني بريء من دم هذا البار أبصروا أنتم، فأجاب جميع الشعب وقالوا: دمه علينا وعلى أولادنا، حينئذٍ أطلق لهم باراباس»[٣].

---

(١) لوقا ٢٣: ١٣ـ ٢٥.

(٢) تقصد المسيح عليه السلام أي ألا يصيبه بأي أذى.

(٣) متى ٢٧: ١٩ـ ٢٦.

وهناك نسخة لأسفار العهد الجديد صدرت عن (دار النشر اليهودية) بالقدس عام ١٩٧٠م.

انظر: إسرائيل حرّفت الأناجيل والأسفار المقدّسة أحمد عبد الوهاب، ط ١، ص ٤١، قامت بتحريف بعض نصوص نسخة أسفار العهد الجديد المعتمدة والمتداولة حالياً بين المسيحيين، ويهدف اليهود من ذلك تبرئة أنفسهم من دم المسيح بانكار التهمة الموجهة إليهم من قبل المسيحيين بأنهم صالبي المسيح عليه السلام.

ومن بين النصوص المحرفة النص السابق فقد ورد النص السابق في نسخة اليهودية المحرفة: «قال الوالي وأي شر عمل، فكانوا يزدادون صراخاً قائلين ليمت بدلاً من «ليصلب»، «فلمّا رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الرعاع ـ بدلاً من قدام الجميع ـ قائلاً أني بريء من دم هذا البار ابصروا أنتم.

«فأجاب الرعاع وقالوا دمه عليه» بدلاً من «فأجاب جميع الشعب وقالوا: دمه علينا وعلى أولادنا».

والعبارة في النسخة الإنجليزية المعتمدة كما يلي:

Then answered all the people and said His blood be on us and on our children.

بينما العبارة في النسخة الانجليزية المحرفة كما يلي:

Then answered the rabble and said his blood be upon him.

انظر: إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدّسة أحمد عبد الوهاب، ص ٥٣.

المبحث السادس:

صلبه[1] كما يزعم النصارى في أناجيلهم

تروي الأناجيل أنّ المسيح عليه السلام عندما أرادوا صلبه أخذه جند الوالي الروماني وعروه وألبسوه رداءً قرمزياً ووضعوا على رأسه إكليلاً من الشوك، وأخذوا يهينونه باللكم والبصق والضرب، وقد جرت العادة أن يحمل من أرادوا صلبه صليبه بنفسه، وعندما عجز عن حمله سخروا رجلاً قيروانياً ليحمله عنه، ثم صلبوه بين لصين!! واقتسموا ثيابه مقترعين عيها.

وفيما يلي ننقل نص الإنجيل:

«وأما يسوع فجلده وأسلمه ليُصلب، فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية، وجمعوا عليه كل الكتيبة، فعروه وألبسوه رداءً قرمزياً، وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه، وقصبة في يمينه، وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين: السلام يا ملك اليهود، وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه، وبعدما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب، وفيما هم خارجون وجدوا إنساناً قيروانياً اسمه سمعان، فسخروه ليحمل صليبه، ولمّا أتوا إلى موضع يقال له «جلجثه» وهو المسمى موضع الجمجمة، أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ليشرب، ولما ذاق لم يرد أن يشرب، ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها، لكي يتم ما قيل بالنبي اقتسموا ثيابي بينهم، وعلى لباسي ألقوا قرعة، ثم جلسوا يحرسونه هناك، وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة هذا هو يسوع ملك اليهود، حينئذٍ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار»[2].

وتسجّل الأناجيل أنّ المسيح عليه السلام أوصى تلميذه المحبوب بأمه مريم عليها السلام وذلك أثناء وجوده على الصليب!! يقول النص:

---

(١) لتعريف الصلب، انظر ص ٤٢٠ من هذا البحث.

(٢) متى ٢٧: ٢٦ـ ٣٨.

«وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا، ومريم المجدلية، فلمّا رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً، قال لأمه: يا امرأة هوذا ابنك، ثم قال للتلميذ هوذا أمك، ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته»[1].

«ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة، وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إلوي إلوي لما شبقتني؟ الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني؟ فقال قوم من الحاضرين لما سمعوا: هو ذا ينادي إيليا، فركض واحد وملأ إسفنجه خلا وجعلها على قصبه وسقاه قائلاً: اتركوا لنرَ هل يأتي إيليا لينزله[2].

فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح، وانشقّ حجاب إلى اثنين من فوق إلى أسفل، ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال: حقاً كان هذا الإنسان إبن الله[3]، وكانت أيضاً نساء ينظرن من بعيد بينهنّ مريم المجدليّة ومريم أم يعقوب الصغير ويوسي وسالومية اللواتي أيضاً تبعنه وخدمنه حين كان في الجليل، وأُخر كثيرات اللواتي صعدن معه إلى أورشليم»[4].

---

(١) يوحنا ١٩: ٢٥ـ ٢٧.

(٢) يريدون السخرية منه. نزهه أن يفعل به ذلك عليه الصلاة والسلام.

(٣) كيف يكون صراخ المصلوب على خشبة الصليب دليل على أنه ابن الله؟!! تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

(٤) مرقس ١٥: ٣٣ـ ٤١.

المبحث السابع:

تكفينه ثم دفنه كما تروي الأناجيل

«ثم إنّ يوسف الذي من الرامه[1]، وهو تلميذ يسوع، ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع، فأذن بيلاطس فجاء وأخذ جسد يسوع وجاء أيضاً نيقوديموس[2]، الذي أتى أولاً إلى يسوع ليلاً، وهو حامل مزيج مرّ وعود نحو مئة منا، فأخذا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب، كما لليهود عادة أن يكفنوا، وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان، وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط، فهناك وضعا يسوع لسبب استعداد اليهود، لأن القبر كان قريباً»[3].

---

(١) كان رجلاً غنياً وباراً صالحاً، وعضواً في مجلس السنهدريم، وكان القانون الروماني يجيز لذوي المحكوم عليه بالإعدام أن يطالبوا بجسده ويأخذوه، وهذا ممّا حفز يوسف على طلب جسد المسيح من بيلاطس (كما يزعم المسيحيون) ليتمكّن من دفنه قبل دخول السبت.

انظر: قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ط ٦، ص ١١١٨.

(٢) اسم يوناني معناه المنتصر على الشعب، وهو فريسي وعضو في السنهدريم، وكان واحداً من رؤساء اليهود، جاء إلى المسيح في الليل حتى لا يراه أحد ليشاوره ويباحثه، وقد اقتنع بكلام يسوع ودافع عنه في السنهدريم لما هاجمه الفريسيون ثم بعد أن مات يسوع عمل على تطبيب جسده بالمر ودفنه.

انظر: المصدر السابق، ص ٩٨٨.

(٣) يوحنا ١٩ : ٣٨ـ ٤٢.

المبحث الثامن:

قيامته من قبره

ويعتقد النصارى ـ كما تروي أناجيلهم ـ أنه عليه السلام بعدما صُلب ومات على الصليب وقبر قام من قبره، ثم مكث في الأرض يظهر لتلاميذه ومحبيه ويخاطبهم مدة أربعين يوماً.

فيما يلي ننقل النصوص الدالة على هذا المعنى:

«وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية[1] إلى القبر باكراً والظلام باق، فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر، فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه، وقالت لهما: اخذوا السيد من القبر، ولسنا نعلم أين وضعوه، فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا إلى القبر، وكان الاثنان يركضان معاً، فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولاً إلى القبر، وانحنى فنظر الأكفان موضوعه، ولكنه لم يدخل، ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الأكفان موضوعه والمنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان، بل ملفوفاً في موضع وحده، فحينئذٍ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء أولاً إلى القبر ورأى فآمن، لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغي أن يقوم من الأموات، فمضى التلميذان أيضاً إلى موضعهما»[2].

«فأجاب الملاك وقال للمرأتين: لا تخافا أنتما فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب، ليس هو ههنا لأنه قام كما قال، هلمّا انظرا الموضع الذي كان الرب

---

(١) كانت ذات ثروة وصيت حسن، وقد ابتليت بسبعة شياطين أخرجهم منها المسيح فتبعته، وثبتت إلى المنتهى فكانت معه وقت الصلب والدفن، وكانت من جملة اللواتي أتين إلى القبر ليحنطه (هذا حسب زعم المسيحيين).

انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٥٨.

(٢) يوحنّا ٢٠: ١ـ ١٠.

مضطجعاً فيه، واذهبا سريعاً قولا لتلاميذه إنه قد قام من الأموات، ها هو يسبقكم إلى الجليل، هناك ترونه، ها أنا قد قلت لكما، فخرجتا سريعاً من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه، وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه إذا يسوع لاقاهما وقال سلام لكما، فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له، فقال لهما يسوع لا تخافا، اذهبا قولا لإخواني أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني»[١].

«أمّا مريم[٢] فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي، وفيما هي تبكي انحنت إلى القبر، فنظرت ملاكين بثياب بيض، جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين، حيث كان جسد يسوع موضوعاً، فقالا لها: يا امرأة لماذا تبكين؟ قالت لهما: إنهم أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه، ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء، فنظرت يسوع واقفاً، ولم تعلم أنه يسوع قال لها يسوع يا امرأة لماذا تبكين؟ من تطلبين؟ فظنّت تلك أنه البستاني، فقالت له: يا سيد إن كنت أنت قد حملته فقل لي أين وضعته وأنا آخذه، قال لها يسوع: يا مريم فالتفتت تلك وقالت له: ربوني الذي تفسيره يا معلم قال لها يسوع: لا تلمسينني لأني لم أصعد بعد إلى أبي، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنه قال لها هذا»[٣].

وتروي الأناجيل أنّ المسيح كان يظهر لكثير من تلاميذه وذلك بعد قيامه من قبره:

«ولما كانت عشية ذلك اليوم، وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود، جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم: سلام لكم، ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه، ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب فقال لهم يسوع أيضاً: سلام لكم كما أرسلني الآب أرسلكم أنا، ولما قال هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت»[٤]

«أرادهم أيضاً نفسه حياً ببراهين كثيرة، بعد ما تألم، وهو يظهر لهم أربعين يوماً ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله»[٥].

---

(١) متى ٢٨: ٥ـ ١٠.

(٢) مريم المجدلية، انظر: هامش ص ٢٠١ من هذا البحث.

(٣) يوحنّا ٢٠: ١١ـ ١٨.

(٤) يوحنّا ٢٠: ١٩ـ ٢٣.

(٥) أعمال الرسل ١: ٣.

المبحث التاسع:

صعوده إلى السماء

تروي الأناجيل أنه عليه السلام بعد قيامه من قبره ومكوثه في الأرض يظهر لتلاميذه بين الحين والآخر أنه بعد ذلك صعد إلى السماء وجلس عن يمين الله تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

وفيما يلي نصّ من كتاب العهد الجديد:

«ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون، وأخذته سحابة عن أعينهم، وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق، إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض وقالا: أيها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء، إنّ يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء حينئذٍ رجعوا إلى أورشليم من الجبل الذي يدعى جبل الزيتون، الذي هو بالقرب من أورشليم على سفر سبت»(١).

«ثم إنّ الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله. وأمامهم فخرجوا وكرزوا في كل مكان، والرب يعمل معهم، ويثبّت الكلام بالآيات التابعة»(٢).

وقد نقل أبو محمد عبد الله الترجمان(٣) عن النصارى قولهم: أن المسيح

---

(١) أعمال ١: ٩ـ ١٢.

(٢) مرقس ١٦: ١٩ـ ٢٠.

(٣) هو عبد الله بن عبد الله الترجمان، وهو الإسم الذي اختاره بعد أن منّ الله عليه بالإسلام، في مدينة تونس بعد رحيله إليها، وقد كان يدعى قبل إسلامه (انسلم تورميدا) لقب بالترجمان لكثرة انشغاله بترجمة الرسائل التي تردّ إلى السلطان أبي العباس من قبل الفرنجة، وينسب إلى جزيرة (ميورقا) التي ولد فيها، وهي جزيرة جميلة تقع في الطرف الجنوبي الشرقي من إسبانيا وقد توفي سنة ٨٣٢هـ.

انظر: تحفة الأريب في الردّ على أهل الصليب لأبي محمد عبد الله الترجمان، =

عليه السلام بعد أن صُلب ودفن ونكث في قبره ثلاثة أيام وعاش على الأرض ثم نزل لجهنم وأخرج منها آدم وذريته وجميع الأنبياء!!!

يقول رحمه الله: «اعلموا رحمكم الله أن النصارى يعتقدون أن الله تبارك وتعالى عاقب آدم وذريته بجهنم من أجل خطيئة آدم[1] في الأكل من الشجرة ثم إنه تعالى حنّ عليهم فمّن عليهم بخروجهم من النار بأن بعث ولده فالتحم في بطن مريم بجسد عيسى، فصار إنساناً وإلهاً، إنساناً من جوهر أمه وإلهاً من جوهر أبيه ثم ما أمكنه من خروج آدم وذريته من النار إلاّ بموته، وبه يفدي جميع الخلق من الشيطان، وأنه مات بالقتل بل عاش بعد ثلاثة أيام ونزل لجهنم، وأخرج منها آدم وذريته وجميع الأنبياء.

فهذه العقيدة كفرهم البارد الغثيث ودينهم المرذول الخبيث كما مهّد لهم أوائل شياطينهم من غير استناد إلى دليل ولا نقل عن نبي ولا رسول وحاشا أنبياء الله ورسله من هذه الخسائس المضحكة والفضائح المهلكة والتناقض الواضح»[2].

ويذكر المهندس أحمد عبد الوهاب في (كتاب المسيح في مصادر العقائد المسيحية) تحت عنوان [هل نزل المسيح إلى الجحيم؟!] قوله:

«تذكر بعض المصادر المسيحية أنّ تلاميذ المسيح اجتمعوا معاً بعد رحيله ووضعوا قانوناً للايمان المسيحي يقرأ كل منهم فقرة من فقراته الإثني عشر، ويعرف هذا القانون باسم «قانون إيمان الرسل» الذي جاء في احدى صيغه المعروفة:

بطرس ـ١ : أؤمن بالله الآب القادر.

يوحنّا ـ٢ : صانع السماء والأرض.

يعقوب ـ٣ : ويسوع المسيح ابنه الوحيد، ربنا.

أندراوس ـ٤ : الذي حبل به من الروح القدس، وولد من العذراء مريم.

فيلبس ـ٥ : وتألم في عهد بيلاطس النبطي وصلب ومات ودفن.

= دراسة وتحقيق عمر وفيق الداعوق، ط ١٤٠٨هـ، ص ٢٣، ٢٤، ٢٥.

(١) انظر: ص ٤٢١ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) انظر: أبي محمد عبد الله الترجمان الميورقي (تحفة الأريب في الردّ على عباد الصليب) دراسة وتحقيق عمر وفيق الداعوق، ط ١٤٠٨هـ ـ، ص ١٤٩، ١٥٠.

توما ـ ٦: ونزل إلى الجحيم، وفي اليوم الثالث قام ثانية من الأموات.
برثولماوس ـ ٧: وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الله الآب القادر»[١].

«وقد اختلفت الآراء في حقيقة هذا القانون وقامت مطاعن كثيرة ضده، ورغم ذلك فهو يوجد بهذه الصيغة في كتاب (الصلوات للكنيسة المتحدة في انجلترا وإيرلندا) عدا تعديل طفيف يحذف أسماء الرسل ويضم الفقرتين الأولى والثانية معاً.

فمن ذلك القانون المزعوم نجد المسيح قد نزل إلى الجحيم قبل قيامته من الأموات!»[٢].

«وقد جاء في إنجيل نيقوديموس أن آدم وإبراهيم والأنبياء استقروا في الجحيم بعد الموت إلى أن نزل إليهم المسيح ثم صعد بهم إلى الفردوس في السماء حيث قابلوا ثلاثة من بني آدم لم يذوقوا الجحيم وهم: أخنوخ وإيليا واللص الذي صلب مع المسيح وكان كريما معه.

ويقول هذا الإنجيل في نزول المسيح إلى الجحيم: «جاء ملك المجد المسيح ووطأ الموت بقدميه وأمسك بأمير الجحيم وحرمه من كل قوته وأخذ أبانا الأرضي آدم معه إلى مجده»[٣].

وفي الحقيقة أنه لا يوجد أي نص يثبّت أو يدلّ على نزول المسيح عليه السلام إلى الجحيم، بعد أو قبل دفنه ـ على زعمهم ـ في الكتاب المقدس والمعتمد حالياً من قبل النصارى[٤].

هذا ما يعتقده المسيحيون في المسيح عليه السلام وهذا ما سجلته أناجيلهم

---

(١) انظر: د .أدولف هرنك (تاريخ العقيدة)، ص ٢٠٤ نقلاً عن أحمد عبد الوهاب (المسيح في مصادر العقائد المسيحية)، ط ١، ص ٣٠٦.

(٢) انظر: أحمد عبد الوهاب (المسيح في مصادر العقائد المسيحية)، ط ١، ص ٣٠٦، ٣٠٧.

(٣) ١٧ : ١٣ انظر: The lost books of the Bible, The World Publishing Company Cleveland and New York 1926, p. 85

نقلاً عن: المهندس/أحمد عبد الوهاب (المسيح في مصادر العقائد المسيحية)، ط ١، ص ٣٠٧.

(٤) وقد بحثت لذلك مستعينةً بكتاب قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتين، والذي يقرأ جدول الحوادث الرئيسية في حياة المسيح يلاحظ ذلك، ص ٨٧٠ـ ٨٨٥.

أيضاً بحثت في كتاب فهرس الكتاب المقدس، د .جورج بوست فلم أجد لهذا الموضوع أي أثر فيه.

عنه، ولا يخفى على القارىء الكريم، وعلى كل عاقل ذو نظر ثاقب زيف ما يزعمون فيه عليه السلام من تأليه له، وبنوته للإله، وصلبه فداءً عن الخليقة، ونزوله إلى الجحيم لانقاذ الأنبياء الذين نزلوا فيه!! أو صعوده وجلوسه عن يمين الله ـ تعالى الله عمّا يقوله الظالمون علواً كبيراً ـ وسنردّ على شبههم هذه بتوفيق الله تعالى في الفصل الأخير من هذه الرسالة، وسنبيّن وجهة النظر الإسلامية المستقاة والمستمدة من الكتاب والسنة في المسيح وأمه عليهما السلام في الباب الثالث من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.

الفصل الثالث

المسيح وأمه عليهما السلام في نظر الفرق المسيحية

ويشتمل على تمهيد ومبحثين:

المبحث الأول : أهم الفرق المسيحية التي ظلّت محافظة على عقيدة التوحيد.

المبحث الثاني : أهم الفرق التي إنحرفت عقائدها عن عقيدة التوحيد.

تمهيد:

قبل أن نتحدث عن الفرق المسيحية وموقفها وعقائدها في المسيح عليه السلام لا بدّ أن نتذكر حديث خير البرية عليه الصلاة والسلام والذي أخبرنا فيه وهو الصادق المصدوق عن افتراق النصارى إلى ما يقارب من اثنين وسبعين فرقة كلها في النار إلاّ واحدة.

«عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعين في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده! لتفترقنّ أُمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار، قيل: يا رسول الله مَن هم؟ قال الجماعة»[1].

ولا نستطيع الحديث عن جميع الفرق بالتفصيل، وإنما سنتحدث عنها على سبيل الحصر لأن معظمها قد باد، ولم تستوعبها المصادر والمراجع التي بين

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، واللفظ له (باب افتراق الأمم).
- (أبواب الفتن) حقّقه محمد الأعظمي، ج ٢، ط ٢، ص ٣٧٧.
- والإمام أحمد في مسنده، وبهامشه منتخب كنز العمال، ج ٣، ص ١٢٠.
- والترمذي في صحيحه، بشرح الإمام ابن العربي في أبواب الإيمان، ج ١٠، ص ١٠٩.
- والإمام الدرامي في سننه، في (كتاب السير) باب افتراق هذه الأمة، ج ٢، ص ٢٤١.
- والإمام أبي داوود في سننه، إعداد: عزّت الدعاس. عادل السيد، ط ١، ج ٥، (أول كتاب السنة)، ص ٤.

يدلّ هذا الحديث الشريف على أن جميع الأمم من يهود ونصارى أو مسلمين ستفترق إلى فرق كثيرة ومتعددة - وهذا هو المشاهد في كل العصور - ستعذب في النار - والعياذ بالله - عدا الفرقة المتمسكة بعرى التوحيد الوثقى وبالأصول التي دعا إليها جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم ونوح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أيدينا، ولكن سنتحدث ـ إن شاء الله تعالى ـ عن أهم هذه الفرق مع بيان موقف كل منها ونظرتها وعقائدها في المسيح عليه السلام وهذا هو المحور الذي سيدور عيه حديثنا عن هذه الفرق. إذ سنعرض آراء هذه الفرق عرضاً في هذا الفصل، أما الردّ والنقض فقد خصصنا له الباب الأخير من هذا البحث بمشيئة الله تعالى[1].

ويرى أحد الباحثين[2] «أن أول خلاف وقع بين النصارى وأحدث الفرقة بينهم، هو ما كان بين: برنابا[3] وبولس[4] واستطاع بولس بقوة بلاغته ودعايته أن يستميل إليه أكثر أتباع المسيح، وأن يدسّ سموم الفلسفة اليونانية والوثنية الرومانية

---

(١) انظر: ص ٢٨٩ من هذه الرسالة.

(٢) هو الأستاذ آدم عبد الله الألوي مدير مركز التعليم العربي الإسلامي (أجيجي ـ نيجيريا).

(٣) اسم أرامي معناه «ابن الوعظ» وهو لاوي قبرصي الجنس، اعتنق المسيحية في زمان الرسل فترك علاقاته العالمية وابتدأ يجاهد في نشر بشرى الخلاص في العالم، ويحث الناس على اعتناق المسيحية، وكان كبير القلب كريماً فهو الذي رحب ببولس بعدما قبل المسيح، وعرّف التلاميذ عليه لما رجع من دمشق إلى أورشليم.

انظر: قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوت، ط ٦، ص ١٧٢، بتصرف.

وينسب لبرنابا هذا إنجيل يوافق في جوهره العقيدة الإسلامية في المسيح، وفي نفس الوقت فهو يخالف العقيدة المسيحية الحالية في المسيح عليه السلام من تثليث والاعتقاد ببنوة المسيح لله ـ تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً ـ بالإضافة إلى أنه يبشّر بنبينا محمد ﷺ وقد ترجمه د/خليل سعادة من الإنجليزية إلى العربية ونشره السيد محمد رشيد رضا، منشىء مجلة المنار، ويقع الإنجيل في ٢٢٢ فصلاً.

وقد استدلّ الباحث السابق ذكره بمقدمة هذا الإنجيل على ما قاله، وفيما يلي ننقل نصاً من مقدمة هذا الإنجيل:

«أيها الأعزاء إنّ الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين، بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان، الذي أمر به الله دائماً، مجوزين كل لحم نجس، الذي ضلّ في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلاّ مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلّكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله، وعليه فاحذروا كل أحد يبشّركم بتعليم جديد، مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً».

انظر: إنجيل برنابا، ترجمة د/خليل سعادة، ص ٣.

(٤) للتعريف به، انظر: هامش ص ٢٥ من هذا البحث.

في الديانة المسيحية»[1].

ولا يخفى على القارىء المنصف الكريم بأن العقيدة المسيحية الأصلية عقيدة توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، وهي العقيدة التي دعا إليها جميع أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام ومن بينهم السيد المسيح عليه السلام.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾[2].

وعندما نستعرض فرق النصارى من المصادر التي بين أيدينا نجد أنّ بعض هذه الفرق قد حافظت على عقيدة التوحيد الأصلية في الله سبحانه وتعالى، وأن المسيح عبد الله ورسوله من أولئك فرقة أبيون وفرقة بولس الشمشاطي، وفرقة أريوس وفرقة الموحدين في عصرنا الحاضر.

وهناك فرق مسيحية كثيرة قد انحرفت عن طريق العقيدة الصحيح «إما بسبب تسرّب المعتقدات الوافدة أحياناً من فلسفات قديمة، وأحياناً من رواسب ديانات ومعتقدات كانت سائدة في البلاد التي انتشرت فيها المسيحية والتي احتكّ بأهلها المسيحيون.

فانقسم حينئذٍ المسيحيون إلى طائفتين: طائفة جنحت عقائدها إلى الشرك بالله ـ والعياذ بالله ـ وطائفة ظلّت عقائدها محافظة على التوحيد، وضمت كل طائفة من الطائفتين تحت لوائها فرقاً كثيرة»[3].

---

(١) انظر: آدم الآلوي (تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم)، ص ٢، ص ١١١.
(٢) سورة المائدة، الآية ١١٧.
(٣) انظر: د/علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ط ٣، ص ١٠٥ـ ١٠٦.

المبحث الأول:

أهم الفرق المسيحية التي ظلّت محافظة على عقيدة التوحيد

ومن أهم الفرق التي انحرفت عقائدها عن عقيدة التوحيد فرقة المرقيونيين، وفرقة البربرانية، وفرقة الاليانية، وفرقة اليعقوبيين، وفرقة الملكانية، وأتباع نسطور.

وسنبدأ الحديث ـ فيما يلي ـ عن فرق النصارى التي ظلّت عقائدها محافظة على التوحيد وإنكار ألوهية المسيح وتثبّت بأنه بشر ورسول:

[١] ـ فرقة أبيون أو الأبيونيين Ebionities

«أتباع ابيون[١] Ebion وكانت تقرّ جميع شرائع موسى، وتعتبر عيسى هو المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم، وتنكر ألوهية المسيح وتعتبره مجرّد بشر رسول، وكان لهذه الفرقة في تفاصيل عقائدها هذه إنجيل خاص مدون باللغة الآرامية، ويحتوي هذا الإنجيل على إقرار جيمع شرائع موسى، كما ينكر ألوهية المسيح ويعتبره المسيح المنتظر وأنه مجرّد بشر رسول، وهو فيما يتعلّق بشخصية المسيح يتّفق مع العقائد الإسلامية المستمدة من نصوص القرآن الكريم، وقد انقرضت هذه الفرقة في أواخر القرن الرابع الميلادي»[٢].

وتقول دائرة معارف البستاني: «كانت هذه الطائفة تنكر لاهوت المسيح وتحافظ على الختان مع استعمالها المعمودية والعشاء الرباني وتحفظ اليوم السابع الأسبوع سبتاً»[٣].

---

(١) كان يهودياً سامرياً معاصراً ليوحنا الرسول، وذهب الأكثرون إلى أنه لم يوجد شخص بهذا الإسم، ويقال إنّ أصل هذا الإسم من أبيونيم بالعبرانية ومعناه قوم فقراء.
انظر: بطرس البستاني (دائرة المعارف)، ج ٢، ص ٤٢٦.

(٢) انظر: علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ص ١٠٨، ص ٩٥.

(٣) ج ٢، ص ٤٢٦.

[٢] - فرقة بولس الشمشاطي Paul de Somosate

«وكان بولس الشمشاطي أسقفاً لأنطاكية سنة ٢٦٠م وأنكر ألوهية المسيح وقرّر أنه مجرّد بشر رسول، وقد عقد بأنطاكية من سنة ٢٦٤م إلى سنة ٢٦٩ ثلاث مجامع للنظر في شأنه، وانتهى الأمر بحرمانه وطرده، وقد بقي لمذهبه أتباع على الرغم من ذلك حتى القرن السابع الميلادي»[1].

ويذكر الإمام ابن حزم[2] في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل:

«إنّ بولس هذا كان بطريكاً بأنطاكية، وكان قوله التوحيد المجرّد الصحيح، وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام، خلقه الله تعالى في بطن مريم من غير ذكر، وأنه انسان لا إلهية فيه ألبته، وكان يقول لا أدري ما الكلمة؟ ولا روح القدس؟»[3].

ويذكر الإمام الشهرستاني[4] في كتابه الملل والنحل:

«إنّ بولس الشمشاطي يرى أن الإله واحد، وأن المسيح ابتدأ من مريم عليها السلام، وأنه عبد صالح مخلوق، إلاّ أن الله شرّفه وكرّمه لطاعته وسماه ابناً على التبني لا على الولادة والاتحاد»[5].

---

(١) انظر: د/علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ص ١٠٨، ١٠٩.

(٢) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ولد بقرطبه (٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) وكان أبوه وزيراً للحاجب المنصور، وبعد سقوط الدولة العامرية نُفي إلى (المرية) ثم إلى (بلنسيه)، وكان ابن حزم في أول أمره شافعي المذهب ثم أصبح من الظاهرية الذين يرفعون لواء الإسلام، وفي النصف الثاني من حياته وضع عدداً ضخماً من المؤلفات التاريخية والفقهية عندما وجد الأمن عند حاكم جزيرة (ميورقه) وتوفي عام ٤٥٦هـ.

انظر: مقدمة كتاب الفصل في الملل، تحقيق د/محمد نصر، د .عبد الرحمن عميرة، ط ١، ص ٣ـ ٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٩ـ ١١٠.

(٤) اسمه محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشافعي المتكلم وصاحب التأليف المشهورة، وقد وُلد شمالي خراسان ببلدة شهرستان، وإليها نسب، وبها تعلم وتربى، وساعده على هذا ما وهبه الله من ذكاء ودقة في البحث عاش ما بين ٤٧٩ـ ٥٤٨هـ.

انظر: مقدمة كتاب الملل والنحل للشهرستاني، تقديم وإعداد د .عبد اللطيف محمد العبد، ط ١، ص ٣ـ ٤.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٤٠.

«ويتبيّن من هذا أن مذهب بولس هذا كان توحيداً خالصاً، وأن عيسى ليس إلاّ رسولاً من رب العالمين، وأنه كان عرض له البحث في كلمة الله وروح القدس أمسك عن ذلك، ولم يخض فيه، وتوقف واعتصم بذلك.

ويظهر من هذا أن هاتين الكلمتين كانتا المثار الذي يثير منه أنصار ألوهية المسيح الشبهات حول التوحيد، ليلقوا الريب في نفوس معتنقية، فإذا استولى الريب عليهم ألقوا أمانيهم، ووجدوا من الحيرة والاضطراب ما يتخذونه ذريعة إلى ما يريدون»[١].

ويقول بأن البطريق[٢] في بيان مذهبه.

«إنّ المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وإن ابتداء الابن من مريم أي أنه محدث وليس قديماً.. ويقولون إنّ الله جوهر واحد وأقنوم واحد ولا يؤمنون بالكلمة (أي الإبن) ولا بروح القدس وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية وهم البولبقانيون»[٣].

[٣] - اتباع أريوس Arius

ومن فرق النصارى التي بقيت محافظة على عقيدة توحيد الله - تعالى - بالعبادة وإثبات عبودية المسيح لله تعالى، وإنكار ألوهيته، من أولئك أريوس[٤]

---

(١) انظر: مثلا (الجواب الصحيح لمن بدلّ دين المسيح)، ج ٢، ص ٣١٢.

(٢) من أشهر مؤرخي المسيحية، وهو مسيحي من رجال القرن الثالث الهجري، وكان من مترجمي الكتب في بلاط الخليفة المأمون، وقد ترجم له من اليونانية كتاب المجسطي في الفلك لبطليموس الفلكي وكتاب الأصول في الهندسة لاقليدس.
انظر: الأسفار المقدسة د/علي وافي، ص ٧٦.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٩.
أيضاً: محاضرات في النصرانية للإمام أبي زهرة، ط دار الفكر، ص ١٨١.

(٤) هو ابن أصفانوس بن بطلينس، ويلقّب برشيد قومه، وكان من علماء الروم بالعزائم، وله من الكتب: كتاب يذكر فيه أولاد إبليس، وتفرقهم في البلاد، وما يختصّ به كل جنس منهم في العلل والأرواح، وهو أكبر تلاميذ (مار بطرس) بطريك الاسكندرية، ومن خريج المدرسة اللاهوتية، وخالف أستاذه كثيراً فسخطه وطرده وجرّده من كهنوته، ولمّا مات بطرس رجع أريوس عن المخالفة فأدخله (اسكندروس) إلى الكنيسة وصيره قساً، ولكن مجمع الأساقفة قرّر نفيه فنفاه القيصر وأمر بقتله، ولكنه اختفى وظهر بعد موت القيصر.
انظر: تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ٣٢٠. =

وأتباعه «وكان هذا الرجل في مصر داعية قوي الدعاية، جريئاً فيها، واسع الحيلة، بالغ الأدب قد أخذ على نفسه مقاومة كنيسة الاسكندرية فيما تبثه بين المسيحيين من ألوهية المسيح وتدعو إليه، فقام هو محارباً بذلك، مقراً بوحدانية الله منكراً ما جاء في الأناجيل ممّا يوهم تلك الألوهية»[1].

ويقول الإمام ابن حزم عند حديثه عن هذه الفرقة الموحدة:

«والنصارى فرق، منهم أصحاب أريوس، وكان قسيساً بالاسكندرية: ومن قوله: التوحيد المجرّد، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق، وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق السموات والأرض، وكان في زمن قسطنطين الأول، باني القسطنطينية، وأول من تنصر من ملوك الروم، وكان على مذهب أريوس هذا»[2].

«ويلخّص إبن البطريق مذهب أريوس بقوله: كان يقول أن الآب وحده الله

أيضاً: خلاصة تاريخ المسيحية بمصر، ص ٨١، نقلاً عن هامش الفصل في الملل والنحل لابن حزم، ج ١، ص ١٠٩، تحقيق د/محمد نصر، د/عبد الرحمن عميره.

(١) انظر: الإمام محمد أبي زهرة (محاضرات في النصرانية)، ط دار الفكر، ص ١٤٧.

(٢) الفصل في الملل والنحل، ج ١، ط ١ تحقيق د/محمد نصر، د/عبد الرحمن عميرة، ص ١٠٩.

يتّضح خطأ النقل الذي وقع فيه الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ حيث إن قسطنطين ليس أول من تنصر، ولم يكن على مذهب أريوس، بل على العكس من ذلك كان ضد مذهب أريوس ـ وهذا ما يراه أيضاً الإمام أبي زهرة.

انظر: محاضرات في النصرانية، ص ١٨٠، إذ نصر مذهب مؤلهي المسيح على مذهب أريوس الموحد، وهذا ما حصل في مجمع نيقيه سنة ٣٢٥ م فمع أن مذهب أريوس يعتنقه الأكثرية، فقد كان اسقف مقدونيه، وأسقف فلسطين، وكنيسة أسيوط كلها على مذهب أريوس الموحّد، وضده بطريك الأسكندرية فقط، أما قسطنطين الامبراطور الروماني فلأنه وثني جنح إلى رأي مؤلهي المسيح ونصرهم بقوة السلطان مع أنهم القلة إذ كان عددهم ٣١٨ من ٢٠٤٨ من الأساقفة، وجلس في وسطهم، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي!! فباركوه وقلدوه بسيفه، وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذب عنه، فكان من نتائج ذلك المجمع أن أحرقت جميع الكتب التي تخالف رأي تأليه المسيح حتى لا تصل إلى الناس فيتبعون ما بها من آراء تخاف ما اتّفق عليه أصحاب ذلك المجمع.

انظر: محاضرات في النصرانية، ط دار الفكر العربي، ص ١٤٦ـ ١٥٤.

والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الآب حيثما لم يكن الابن»[1].

«ثم أخذ هذا المذهب يضمحل ويتناقض عدد أتباعه بعد أن حكم مجمع نيقيه سنة ٣٢٥ بطرد أريوس وكفره واصدر قراره بألوهية المسيح، وما زال يضمحل ويتناقض عدد أتباعه حتى انقرض كل الانقراض في أواخر القرن الخامس الميلادي»[2].

[٤] ـ فرقة الموحدين في العصر الحاضر Unitarians

وممّا يجدر ذكره وجود طائفة الموحدين في عصرنا الحاضر «وهذه الطائفة اسم لمجموعة دينيّة ترفض العقيدة المسيحية القديمة المألوفة للكنيسة المسيحية سواء كانت في عصر قديم، أو في عصر ما بعد التجديد.

تأسّست في القرن ١٦م في المجر ورومانيا وبولندا، وفي القرن ١٨م و ١٩م انتشرت في بريطانيا والولايات المتحدة وغيرها، وهي تؤمن بأنّ الاله واحد لا شريك له، وتنكر ألوهية عيسى وعقيدة التثليث»[3].

«موجودة الآن في أمريكا الشمالية وبريطانيا وأوربا الوسطى، وتوجد مجموعات صغيرة منها في أنحاء أخرى، وعدد افرادها ٣٠٠,٠٠٠ (ثلاثمائة ألف) ويزعم بعضهم أن عددهم يزيد على مليونين»[3].

«وفي القرن ١٧م ترجمت كتب عقائد هذه الطائفة من البولندية إلى الانجليزية ونشرت في إنجلترا، وقد تمّ إحراق نسخ منها علناً في لندن عام ١٦١٥م، وعام ١٦٥٢م، ثم انتشرت موجة التوحيدية في بريطانيا، وكذا في امريكا بين ابناء الطائفة الكالفنية Calvinists المتطهرة، وهؤلاء يدعون إلى أن الله وحده خالق العالم ومالكه، وأننا نستطيع أن نعبده جيداً بأن نتحلى بالأخلاق الفاضلة، وأنّ عيسى المسيح رسوله»[3].

«وتأسّس في عام ١٨٢٥ اتحاد التوحيديين البريطانيين والأجانب، ولا تزال هذه الطائفة موجودة في بريطانيا، وقد توحّد أعضاؤها بعد أن كانوا متفرقين في

---

(١) نقلاً عن د .علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ط دار نهضة مصر، ص ١٠٩، ولم يذكر المصدر الذي قد نقل عنه.

(٢) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٣) ملخص ومترجم من (الموسوعة البريطانية) ج ١٨، ص ٨٥٩، ٨٦٠ مادة: Unitarians.

منظّمة سُميت الجمعية العمومية لطائفة الموحدين والكنائس الحرة في عام ١٩٢٨م»[١].

«وفي بوسطن (امريكا) تأسّس اتحاد الموحدين الامريكيين في عام ١٨٢٥، وادّعى هذا الاتحاد أنّ خمسة من رؤساء جمهورية امريكا (الولايات المتحدة) وكثيراً من الشخصيات البارزة في الأدب والتربية واصلاح المجتمع والحياة العامة كانوا من طائفتهم.

وحينما انتشرت التوحيدية في مناطق الغرب الاوسط المفتوحة قريباً تحوّلت اسس ديانتها إلى نزعة إنسانية عالمية وعقائد علمية، مفضلةً ذلك على المسيحية والكتاب المقدس.

وأسس الامريكيون في عام ١٩٠٠م الاتحاد الدولي للمسيحية الحرة والحرية الدينية.

وفي عام ١٩٦١م توحّد التوحيديون والعالميون في كنيسة واحدة وهي: الاتحاد الأمريكي التوحيدي العالمي»[٢].

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٦١.

(٢) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

وأعتقد أنه من السهولة بمكان دعوة هؤلاء الموحدين إلى الإسلام، بشرح هذا الدين القويم لهم شرحاً وافياً فهم - بلا شك - قريبين منه بتوحيدهم لله تعالى ومخالفتهم عقائد المسيحيين المنحرفة، وصبرهم على الأذى والاضطهاد من قتل وتشريد وتغريب فقد حدث في «القرن ١٦م أن أعلن شخص منهم يدعي (ميشال سيرفيتوس) انكاره للتثليث فقبضوا عليه وأحرقوه عام ١٥٥٣م في جنيف، وهناك آخرون لم يؤمنوا بعقيدة التثليث تمّ القبض عليهم وإحراقهم في ذلك الحين، فهاجر بعضهم إلى بولندا، وتأسّست فيها كنيسة جديدة سمّيت الكنيسة الصغيرة المجددة (الإخوان البولنديين).

وانتشرت هذه الطائفة في ترانسيلفانيا في المجر، وأعلن زعيمها فيرنيس دافيد انكاره أن تكون الصلاة موجّهة إلى عيسى المسيح، فسجنوه ومات في السجن عام ١٥٧٩م».

انظر: المرجع السابق، ص ٨٦٠.

أما دعوة هؤلاء إلى الإسلام وشرحه وتوضيحه لهم فهو واجب يقع على أعناق الدعاة المسلمين المتمكنين من الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً وأخلاقاً، قال تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران، الآية ١٠٤].

وأعتقد أيضاً أنه يجب على أفراد هذه الطائفة البحث والتحقق من الدين الصحيح =

المبحث الثاني:

أهم الفرق التي انحرفت عقائدها عن عقيدة التوحيد

أهم الفرق التي انحرفت عقائدها عن عقيدة التوحيد، وهي كما يلي:

[١] - فرقة المرقيونيين:

«تنسب إلى مرقيون أو مرسيون Marcion وهو من رجال القرن الثاني الميلادي، وكان قسيساً، ثم حكم عليه بالطرد والحرمان، ويقوم مذهبه على الاعتقاد بوجود إلهين: أحدهما الإله العادل Dieu Juste أو الإله ديميورج Demiurge أي الخالق وهو الإله الذي اتخذ من بين إسرائيل شعباً مختاراً وأنزل عليهم التوراة، والآخر إله الخير Dieu Bon الذي ظهر متمثلاً في المسيح وخلّص الإنسانية من خطاياها، وقد كان للإله الأول السلطان على العالم حتى ظهر الإله الثاني فبطلت جميع أعمال الإله الأول وزال سلطانه، ومن ثم يقوم هذا المذهب على اطراح العهد القديم[١] (كتب اليهود المقدسة) في جملته وتفصيله، ولا يعترف كذلك بمعظم أسفار العهد الجديد، والأسفار القليلة التي يعترف بها من أسفار هذا العهد وهي إنجيل لوقا ورسائل بولس، ولا يعترف بها إلاّ بعد أن يدخل على نصوصها تغييرات كثيرة تخرجها عن أوضاعها ومدلولاتها الأولى، ويقال أنه كان لهذه الفرقة إنجيل خاص»[٢].

= الذي يوافق عقيدتهم وذلك بما منحهم الله من عقل سديد وفطرة صافية من شوائب الشرك لكي يزدادوا إيماناً على إيمانهم، ولكي يسلكوا الطريق الصحيح في أداء عبادتهم لله تعالى، وذلك لأن الدين عند الله الإسلام.

انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (رسالة ماجستير) للباحثة، ص ٣٢٦، ٣٢٧.

(١) أي تركه وعدم الاعتراف به.

(٢) انظر: د/علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ط دار نهضة مصر، ص ١٠٦.

«ومنهم من كان يقول إنّ هناك ثلاثة آلهة: صالح، وطالح، وعدل بينهم»[1].

«ولعلّ هذا المذهب متأثر بالديانة الزرادشتيه الفارسية في مراحلها الأخيرة، فقد انتهى الأمر بالزرادشتيين إلى اعتقاد بوجود الهين، إله للخير وكانوا يسمونه أهورا مزدا، وإله للشر وكانوا يسمونه أهريمان»[2].

«ويقول إبن البطريق في هذه النحلة وأصحابها: زعموا أن مرقيون هو رئيس الحورايين، وأنكروا بطرس، فالمنتحلون لهذه النحلة يزعمون أن مرقيون داعيتها والمنادي بها حواري من حواري عيسى عليه السلام بل كبير الحواريين ورئيسهم»[3].

ومن أهم ما تختّص به هذه الفرقة أنها حرّمت الزواج تحريماً باتاً على جميع أفراد نحلتها.. وعلى الرغم من الحرب الشعواء التي شنتها الكنيسة على هذا المذهب فقد انتشر وتبعه خلق كثير في ايطاليا وأفريقيا ومصر، وظلّ كذلك حتى منتصف القرن الثالث، ثم أخذ يضمحل ويتناقض أتباعه تناقضاً كبيراً، ولكنه لم ينقرض إلاّ في حوالي القرن العاشر الميلادي»[4].

إذاً نستخلص ممّا سبق أنّ هذه الفرقة تعتقد بألوهية المسيح، وبأنه إله للخير، وهو الذي خلّص الإنسانية من خطاياها وأوزارها، وقد سلب جميع حقوق الإله الأول الإله الخالق، وأصبح هوالإله ذو السلطان والمسيطر على العالم كله ـ تعالى الله عمّا يقولون الظالمون علواً كبيراً.

[٢] ـ فرقة البرابرانية:

ويروي عنهم الإمام إبن حزم ـ رحمة الله ـ قولهم: «إنّ عيسى وأمه إلهان من دون الله عزّ وجل، وهذه الفرقة قد بادت»[5].

«ويقرّر إبن البطريق مذهب هذه الفرقة فيقول: ومنهم من كان يقول إنّ

---

(١) انظر: الشيخ أبي زهرة (محاضرات في النصرانية)، ط دار الفكر العربي، ص ١٨٢.

(٢) انظر: د/علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ص ١٠٦.

(٣) الإمام أبي زهرة (محاضرات في النصرانية)، ص ١٨٢ـ ١٨٣.

(٤) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص ١٠٧ باختصار.

(٥) انظر: الفصل في الملل والنحل، ج ١، د/محمد نصر، د/عبد الرحمن عميره، ط ١، ص ١١٠.

المسيح وأمه إلهان من دون الله وهم البرابرانية، ويسمون الريمتيين»[1].

ولعلّ هؤلاء هم الذين يشير إليهم القرآن الكريم فيما يخاطب به الله تعالى عيسى إبن مريم إذ يقول: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾[2].

وإذ يرد عليهم بقوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾[3].

«وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض في نهاية القرن الرابع الميلادي، وإن كان يبدو من ذكرها في القرآن الكريم أنه كان لا يزال لمذهبها أتباع في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام (القرن السابع الميلادي).

ومهما يكن من شيء فإن الاتجاه إلى تقديس مريم قد ترك آثاراً ورواسب كثيرة في معظم الفرق المسيحية الباقية، وتتمثل هذه الآثار والرواسب في عدة معتقدات وطقوس وأعياد خاصة بالسيدة مريم تعتنقها وتقيمها جميع فرقة المسيحيين في الوقت الحاضر باستثناء فرقة البروتستانت»[4].

[٣] - فرقة اليان:

«وأما فرقة اليان فيؤخذ مما ذكره في صددها إبن البطريق والشهرستاني في الملل والنحل أنها كانت تؤله المسيح، وتقرّر أنه إبن الله، وتصوّر حقيقته وحمل أمه به وقصة صلبه في صورة خاصة، فتذهب إلى أنّ مريم لم تحمل به كما تحمل النساء بالأجنه، وإنما مرّ في بطنها كما يمرّ الماء في الميزاب، لأن الكلمة (الابن) دخلت من أذنها، وخرجت لتوها من حيث يخرج الولد، وأن ما ظهر من شخص المسيح في الأعين إنما هو خيال شبيه بالصورة التي تظهر في المرآة، فلم يكن المسيح جسماً متجسماً كثيفاً في الحقيقة، وكذلك القتل والصلب، فإنهما وقعا على

---

(١) نقلاً عن: د/علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ط دار نهضة مصر، ص ١٠٧.

(٢) سورة المائدة، الآية ١١٦.

(٣) سورة المائدة، الآية ٧٥.

(٤) انظر: د/علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ص ١٠٧.

الخيال والظن لا على الحقيقة.

وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض في نهاية القرن الرابع الميلادي وإن كان يبدو ممّا ذكره الشهرستاني في صددها إذ يقول: «وهؤلاء يقال لهم الاليانية، وهم قوم بالشام واليمن وأرمينيه»[1] أنه كان ولا يزال لهذه الفرقة أتباع في عصره (القرن السادس الهجري والثالث عشر الميلادي)[2].

[٤] - فرقة اليعقوبيين:[3]

وينقل الإمام إبن حزم - رحمه الله - في كتابه (الفصل في الملل والنحل) عن هذه الفرقة قولهم:

«إنّ المسيح هو الله تعالى نفسه وإن الله - تعالى عن عظيم كفرهم - مات وصلب وقتل، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبّر، والفلك بلا مدبّر، ثم قام ورجع كما كان، وأن الله تعالى عاد محدثاً، وأن المحدث عاد قديماً، وأنّ الله تعالى هو كان في بطن مريم محمولاً به[4].

وهم في أعمال مصر، وجميع النوبة، وجميع الحبشة، وملوك الأمتين المذكورتين»[5]

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني، تقديم وإعداد د/ عبد اللطيف محمد العبد، ط ١، ج ٢، ص ٢٤٢.

(٢) انظر: د/علي وافي (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)، ط دار نهضة مصر، ص ١٠٧- ١٠٨.

(٣) هم أتباع يعقوب البراذعي، ونسبة ذلك المذهب إلى يعقوب لا لأنه مبتدعه ومنشئه فإن ذلك المذهب اسبق من يعقوب هذا، فإن أول من أعلنه بطريك الاسكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادي، أما يعقوب فقد وجد في القرن السادس الميلادي، ويقرّر صاحب كتاب سوسنة سليمان في إطلاق اسم اليعقوبيين على أصحاب هذا الرأي، يطلق عليهم اسم يعقوبيين نسبة إلى يعقوب البراذعي، الذي أعاد هذه الشيعة ورتبها في القرن السادس للتاريخ المسيحي، بعد أن كادت تتلاشى.

انظر: الإمام أبي زهرة (محاضرات في النصرانية)، ط دار الفكر، ص ١٩٠- ١٩١.

(٤) ويظهره واضحاً بطلان وزيف وسفسطة أقوالهم قاتلهم الله أنى يؤفكون، وسيجد القارىء الكريم الردّ عليهم في الباب الرابع.

انظر: ص ٤٢١ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٥) ج ١، ط ١، تحقيق د/محمد نصر، د/عبد الرحمن عميرة، ص ١١١.

وذهب بعض اليعقوبية إلى قولهم: «انقلبت الكلمة لحماً ودماً، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده بل هو هو، وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح إبن مريم﴾[1].

ومنهم من قال: إنّ المسيح هو الله تعالى، ومنهم من قال: ظهر اللاهوت بالناسوت، فصار ناسوت المسيح مظهر الجوهر، لا عن طريق حلول[2] جزء فيه ولا على سبيل اتحاد[3] الكلمة التي هي في حكم الصفة، بل صار هو هو وهذا كما يقال: ظهر الملك بصورة إنسان، أو ظهر الشيطان بصورة حيوان وكما أخبر التنزيل عن جبريل ـ عليه السلام ـ ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[4].

وزعم أكثر اليعقوبية: أنّ المسيح جوهر واحد، أقنوم واحد، إلاّ أنه من جوهرين، وربما قالوا: طبيعة واحدة من طبيعتين، فجوهر الإله القديم، وجوهر الإنسان المحدث تركبا تركباً كما تركب النفس والبدن فصارا جوهراً واحداً، أقنوماً واحداً، وهو إنسان كله وإله كله.

فيقال: الإنسان صار إلها، ولا ينعكس فلا يقال: الإله صار إنساناً كالفحمة تطرح في النار، فيقال: صارت الفحمة ناراً، ولا يقال: صارت النار فحمة، وهي في الحقيقة لا نار مطلقة ولا فحمة مطلقة، بل هي جمرة وزعموا أن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزئي لا الكلي، وربما عبروا عن الاتّحاد بالامتزاج والادراع، والحلول كحلول صورة الإنسان في المرآة المجلوه»[5].

[٥] ـ فرقة الملكانية:[6]

قال بعضهم: «إنّ الله تعالى ـ عبارة عن قولهم ـ ثلاثة أشياء أب وابن، وروح

---

(١) سورة المائدة، الآية ٧٢.

(٢) (٣) لتعريف الحلول والاتحاد انظر ص ٣٨٧ من هذا البحث.

(٤) سورة مريم، الآية ١٧.

(٥) انظر: الإمام الشهرستاني (الملل والنحل) تقديم د/عبد اللطيف محمد العبد، ص ٢٤١.
أيضاً: الإمام الآمدي (أبكار الأفكار في أصول الدين)، تحقيق د/أحمد المهدي (رسالة دكتوراه) من جامعة الأزهر، ص ٥٤٦ـ ٥٤٧.

(٦) هي من أقدم المذاهب المسيحية، وهم أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها، وكان معظم الروم ملكانية، وهذا المذهب كان منتشراً في البلاد التي فتحها المسلمون ويبدو أنه كان المذهب الرسمي في ذلك العهد (انظر المغني ٥/ ٨٤). الملل =

القدس، كلها لم تزل، وأن عيسى عليه السلام إله تام كله، وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك، وأن مريم ولدت الإله والإنسان وأنهما معاً شيء واحد إبن الله، تعالى الله عن كفرهم»[1].

وقال بعضهم: «إنّ الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته[2] ويعنون بالكلمة: أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس: أقنوم الحياة، ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابناً، بل المسيح مع ما تدرّع به «ابن» فقال بعضهم: إنّ الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر - أو الماء - اللبن وصرحوا كذلك بإثبات التثليث وأخبر عنهم القرآن الكريم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[3].

وقالت الملكانية: إنّ المسيح ناسوت كلي لا جزئي[4] وهو قديم أزلي، من

= ٢/ ٢٧- ٢٩، نشأة الفكر الفلسفي ١/ ٩٧، ٩٨) نقلاً عن هامش أبكار الأفكار للآمدي، تحقيق د/ أحمد مهدي، ص ٥٤٤.

«الملكانية: طائفة مسيحية من الطقس البيزنطي منتشرة في سورية ومصر وفلسطين، ومنها جالية هامة في أمريكا وكنيستهم تسمّى كنيسة الروم، ويتكلم معظمهم العربية ويرأسهم بطريرك يقيم في دمشق، سموا الملكيين لأنهم أيّدوا القرار الذي اتخذه مجمّع خلقدونية عام ٤٥١م ضد بدعة أو طيخا القائلة بطبيعة واحدة للمسيح، فلقّبهم مخالفوهم ازدراءً لهم بالملكيين لوقوفهم في صف مرقيانوس الذي كان يعاضد المجمع، ومنهم كاثوليك يعترفون برياسة بابا روما، ويسمون الروم الكاثوليك (الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٧٤٢).

نقلاً عن هامش كتاب الفصل في الملل والنحل، ج ١، تحقيق د/ محمد نصر، د/ عبد الرحمن عميرة، ص ١١٠.

(١) انظر: الفصل في الملل والنحل، ج ١، ص ١١١.

(٢) اللاهوت تدرع الناسوت، أي أن ذات الله تعالى تدرعت بالمسيح، أي اتخذته درعاً كما يتدرع الإنسان ثوبه، وتعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

(٣) المائدة، الآية ٧٣.

(٤) الجزئي: هو المعنى (المفهوم) الذي يمنع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه مثل محمد والنيل، وهذا الإنسان.

والكلي: هو المعنى (المفهوم) الذي لا يمنع نفس تصوّره من وقوع الشركة فيه مثل: إنسان، ومثلث وشمس.

انظر: د/ عوض الله حجازي (المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم)، ط ٤، ص ٥٣.

قديم أزلي، وقد ولدت مريم عليها السلام إلهاً أزلياً»[١].

«واتفقوا على أن اتحاد اللاهوت بالمسيح دون مريم، وقال بعضهم: إنّ القتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معاً، واطلقوا لفظ الابن على عيسى، والأب على الله تعالى»[٢] تعالى الله عمّا يقوله الكافرون علواً كبيراً.

[٦] - أتباع نسطور:[٣]

وفي الحقيقة أني عندما أردت الكتابة عن هذه الفرقة تردّدت في وضعها في قائمة الفرق المسيحية التي انحرفت عن عقيدة التوحيد الأصلية، وذلك لأن بعض المراجع التي بين يدي تقرّر أن نسطور هذا والتي تنسب إليه هذه الفرقة كان موحداً ويرى أن مريم العذراء لم تلد الإله بل ولدت الإنسان فقط، وأن اتحاد ذلك الإنسان بالأقنوم الثاني كان اتحاداً مجازياً، وأن المسيح، عبد صالح مخلوق، وأن الله تعالى شرفّه وكرّمه لطاعته وسمّاه ابناً على سبيل التشريف، لا على سبيل البنوة الحقيقية.. إلاّ أن أتباع نسطور هم الذين انحرفوا عن الطريق الصحيح وعن مبادىء نسطور الحقيقية، وكان اختلافهم عن مبادئه اختلافاً جوهرياً في الحقيقة والمعنى لا في الشكل واللفظ[٤].

وينقل الإمام أبو زهرة عقيدة نسطور هذا فيقول:

«وقد رأى أن مريم العذراء لم تلد الإله بل ولدت الإنسان فقط، وهو بذلك يرى أن الأقنوم الثاني وهو الابن لم يتجسد وتلده مريم كما يرى غيره، بل كان يرى أن مريم ولدت الإنسان فقط، ثم اتحّد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأقنوم

---

(١) انظر: الإمام الشهرستاني (الملل والنحل) تقديم وإعداد، د/عبد اللطيف العبد، ط ١، ص ٢٣٦، ٢٣٧.

(٢) انظر: الإمام الآمدي (أبكار الأفكار) تحقيق د/أحمد المهدي (رسالة دكتوراه)، ص ٥٤٤، ٥٤٥.

(٣) هو مؤسس النسطورية وقد ظهر في أوائل القرن الثاني الميلادي، وجلس على كرسي البطريركيه في بيزنطة (القسطنطينه) وفيها أعلن مذهبه في طبيعة المسيح، وقد أثار عليه ثورة كبرى في العالم المسيحي وقتئذٍ.
انظر: هامش أبكار الأفكار للآمدي تحقيق د/أحمد المهدي (رسالة دكتوراه)، ص ٥٤٥.

(٤) لذلك فقد عنونت لهذه الفرقة (بأتباع نسطور) ووضعتها في قائمة الفرق التي انحرفت عن عقيدة التوحيد الأصلية والصحيحة.

الثاني، وليس ذلك الإتحاد بالمزج وجعلهما شيئاً واحداً، أو ذلك الإتحاد ليس اتحاداً حقيقاً، بل كان اتحاداً مجازياً، لأن الإله منحه المحبة، ووهبه النعمة، فصار بمنزلة الابن، وهذا التخريج لا شكّ يؤدي إلى أن المسيح الذي خاطبهم وكلّمهم، وحوكم وعوقب في زعمهم لم يكن فيه عنصر إلهي قط، فلم يكن إلها ولا إبن الإله.

ولمّا قال نسطور ذلك القول كاتبه كيرلس بطريرك الإسكندرية ويوحنّا بطريرك أنطاكية في ذلك الإبان ليعدل عن رأيه، فلم يصغ إليهما، ولم يجب طلبهما، فانعقد مجمع إفسس سنة ٤٣١، وقرّر لعنه وطرده، وإثبات أنّ مريم العذراء قد ولدت الإنسان والإله!!

ولقد أبعد بعد ذلك نسطور عن منصبه، ونفي فصار إلى مصر وأقام في أخميم إلى أن مات»[١].

«وقد انحرف النسطوريون عن مبادىء نسطور، لأن نسطور كما قرّرت صاحبة كتاب تاريخ الأمة القبطية وكما قرّر إبن البطريق لا يرى أن الأقنوم الثاني مازج المسيح قط[٢] بل هو يرى أن بنوة المسيح بالموهبة لا بالحقيقة، واستنبطنا كما استنبط غيرنا أنه يرى أنّ المسيح خال من العنصر الإلهي خلواً تاماً، وهو يصرّح بأن مريم ولدت الإنسان فقط بينما غيره يقرّر أنها ولدت الإله والإنسان، وهذا اختلاف جوهري في الحقيقة والمعنى لا في الشكل واللفظ، وإذا كان النسطوريون في هذا الزمان قد قالوا بامتزاج اللاهوت في الناسوت كما يقول غيرهم، فقد انحرفوا عن مقالة نسطور»[٣].

ويقول الإمام الآمدي في كتابه (أبكار الأفكار)

«ومنهم من قال بأن الإله واحد، وأن المسيح ابتدأ من مريم، وأنه عبد صالح مخلوق، إلاّ أن الله تعالى شرّفه وكرّمه لطاعته، وسمّاه ابناً على سبيل التبني، لا أنه ولد منه»[٤]

واتحدث الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لا على طريق الامتزاج كما قالت

---

(١) محاضرات في النصرانية، ط دار الفكر، ص ١٨٨.
(٢) يقصد: أنّ اللاهوت وهو الجزء الإلهي لم يمازج الناسوت أي الجزء الإنساني.
(٣) المرجع السابق، ص ١٨٩، ١٩٠.
(٤) تحقيق د/أحمد المهدي، ص ٥٤٦.

الملكانية ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبيّة، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة[1] وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم»[2].

«وزعموا أنّ الإبن لم يزل متولداً من الأب، وإنما تجسّد واتّحد بجسد المسيح حين ولد، والحدوث راجع إلى الجسد والناسوت، فهو إله وإنسان اتحدا، وهما جوهران أقنومان طبيعتان: جوهر قديم، وجوهر محدث، إله تام وإنسان تام، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم، ولا حدوث المحدث لكنهما صارا مسيحاً واحداً، طبيعة واحدة»[3].

«وقالوا: إنّ القتل وقع على المسيح، من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، لأن الإله لا تحله الآلام»[4].

أمّا الإمام إبن حزم فينقل عنهم قولهم:

«إنّ مريم لم تلد الإله وإنما ولدت الإنسان، وأن الله تعالى لم يلد الإنسان وإنما ولد الإله ـ تعالى الله عن كفرهم ـ وهذه الفرقة غالبة على الموصل والعراق وفارس وخراسان، وهم منسوبون إلى نسطور وكان بطريركاً بالقسطنطينية»[5].

تلك هي الفرق المسيحية القديمة، وقد ذاب اليوم أكثرها في الفرق أو الطوائف الآتية:

وهي كما يلي:

أ ـ **«الكاثوليك**: وكنيستهم تسمى الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية، ومعنى الكاثوليكية أي العامة لأنها تدعى أم الكنائس

---

(١) صنف من الزجاج المتقن واحدته بلوره، وهو جوهر شفاف تام الصفاء أصلب وأثقل وأكثر كسرا للضوء من الزجاج العادي.
انظر: محمد فريد وجدي (دائرة معارف القرن العشرين)، ج ٢، ط ٣، ص ٣٣٠.

(٢) انظر: الإسلام الشهرستاني (الملل والنحل) تقديم وإعداد د/عبد اللطيف محمد العبد، ط ١، ص ٢٣٩.

(٣) انظر: الإمام الشهرستاني (الملل والنحل) تقديم د/عبد اللطيف العبد، ط ١، ص ٢٤٠.
أيضاً: الإمام الآمدي (أبكار الأفكار) تحقيق د/أحمد المهدي (رسالة دكتوراه)، ص ٥٤٥.

(٤) لتعريف الحلول والإتحاد، انظر ص ٣٨٧ من هذه الرسالة.

(٥) انظر: الفصل في الملل والنحل، ج ١، تحقيق د/نصر، د/عميره، ط ١، ص ١١١.

ومعلمتها، ولأنها وحدها التي تنشر المسيحية في العالم، وسميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتين خاصة إلى بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا والبرتغال، وإن كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان، وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسوليّة لأنّ أتباعها يدعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم، والبابوات في روما خلفاؤه»[1]

ب ـ «الأرثوذكس: وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكسيه أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية، لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية على العموم كروسيا والبلقان واليونان، وكان مقرّها الأصلي القسطنطينية، وقد فُصلت عن الكنيسة الكاثوليكية أيام ميخائيل كارولايوس بطريرك القسطنطينية سنة ١٠٥٤[2] وهي الآن مؤلفة من عدة كنائس مستقلة»[3].

أما عن عقيدة هاتين الطائفتين في المسيح عليه السلام فيتفقان على عبادة الثالوث المقدم لديهم، والذي أحد عناصره المسيح عليه السلام فيعتقدون بأنه إبن الله ـ تعالى عمّا يقولون علواً كبيراً ـ والثالوث معروف لديهم وهو (الآب والإبن وروح القدس).

وتختلف هاتين الطائفتين في النقاط الآتية:

«١ ـ قالت الكنيسة الغربية إنّ روح القدس نشأ عن الله الأب، والله الابن معاً، وأصرّت الكنيسة الشرقية على أنّ روح القدس نشأ عن الله الأب فقط.

٢ ـ قالت الكنيسة الشرقية بأفضلية الإله الأب عن الإلِه الإبن، وقالت الكنيسة الغربية بالمساواة الكاملة بين الإثنين.

٣ ـ قالت الكنيسة الشرقية بأنّ المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة[4] وقالت الكنيسة الغربية بأنه طبيعتان ومشيئتان»[5]

---

(١) انظر: د/أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ٢٣٧.

(٢) Endyclopedia of Relngons and Ethics Vol. 3, p.590.

نقلاً عن د/أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ٢٣٨.

(٣) انظر: د/أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ٢٣٨.

(٤) إي أنّ اللاهوت اختلط بالناسوت اختلاطاً تاماً.

(٥) أي لاهوتي: يحيي ويميت ويشفى به، وناسوتي: يتألّم ويجوع ويعطش به.

انظر: د/أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ٢٣٧ باختصار.

ج ـ «البروتستانت:[1] وتسمى كنيستهم الكنيسة الإنجيلية وقصد بهذه التسمية إلى أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره، ويفهمونه بأنفسهم، ولا يخضعون لفهم سواهم، ولا تختص بفهمه طائفة دون أخرى، فلكل قادر الحق في فهمه، وجميعهم متساوون ومسؤلون أمام هذا الكتاب، وبهذا الاتجاه يعارضون الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم الإنجيل وقفاً على رجال الكنيسة، والتي لا تعتبر الإنجيل هو المصدر الوحيد للديانة المسيحية بل تضيف إليه الإلهام والتعاليم غير المكتوبة التي يتناقلها البابوات واحد عن الآخر»[2].

---

(١) سُمى الذين اعتنقوا مبدأ الإصلاح الكنسي، وخرجوا على الكنيسة الكاثوليكية = بروتستنت، لأنهم عندما أريد تنفيذ قرار الحرمان عليهم أعلنوا احتاجاً يسمى بالإنجيليزية بروتست، فسمى الذين أمضوا القرار بروتستنت أي المحتجين، انظر: هامش كتاب محاضرات في النصرانية للإمام أبي زهرة، ص ٢٠٠.

(٢) وتنتشر البروتسانتيه في المانيا وانجلترا والدنمارك وهولندا وسويسرا والنرويج وامريكا الشمالية.

والصراع عنيف بين هذه المذاهب في الحاضر كما في الماضي، فقد اعتبر الصليبيون الكاثوليك المسيحيين المصريين كفرة وملاحدة ومنعوهم من الحج للقدس لأنهم ارثوذكس، وقد ساد هذا الاتجاه جميع المذاهب المسيحية فكتاب القسطاس البورتستنتي يهاجم الكاثوليكية بعنف وكتاب الصخرة الأرثوذكسيه يفند تعاليم كل من الكاثوليكية والبورتستاتنيه، ولو صدقنا هذه الكتب التي دونها قادة مسيحيون لانتهينا إلى نتيجة حاسمة هي بطلان كل هذه المذاهب والقضاء على المسيحية كلها.

انظر: ميخائيل فكس: القدس عبر التاريخ، ص ٥٧.

أيضاً كتاب القسطاس البروتستنتي وكتاب الصخرة الأرثوذكسية لحبيب جرجس.

نقلاً عن: د/أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ٢٤٠، ٢٤١.

الباب الثالث

المسيح وأمه عليهما السلام في الكتاب والسنة

ويشتمل على تمهيد وفصلين:

الفصل الأول : مريم عليها السلام في الكتاب والسنة.

الفصل الثاني : المسيح عليه السلام في الكتاب والسنة.

تمهيد:

حيث أنّ الكتاب الكريم والسنّة النبوية المطهرة هما الميزانان المنصفان والعدلان اللذان يمكن للمسلمين، بل وللمحققين المنصفين أن يزنوا بهما حقيقة كل شيء لينظروا أهو من الحقيقة والصدق في شيء أم لا؟

فكتابنا العظيم، القرآن الكريم قد حفظه الله بحفظه فلم تمسه أيدي العابثين فله الحمد والمنة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[1]

وما سُمي هذا الكتاب فرقانا إلاّ لأنه يفرّق بين الحق والباطل وإن لم يكن هذا إسماً له على التخصيص ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾[2]، بل إنّ القرآن الكريم هو المهيمن على الكتب السابقة أي «الأمين عليها فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل، وقد جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب خاتمها وأشملها، وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها»[3].

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ﴾[4].

أمّا السنّة النبوية المطهرة فلا يخفى شدة إهتمام المسلمين بها، فهي المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية وذلك في جمعها وتدوينها وحفظها ودارستها، وتصنيفها، حتى أن المحدث قد يسافر مسيرة شهر أو أكثر لأجل أن يحصل أو

(١) سورة الحجر، الآية ٩.
(٢) سورة الفرقان، الآية ١.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ج ٢، ط دار المعرفة، ص ٦٥.
(٤) سورة المائدة، الآية ٤٨.

يصحّح سند حديث واحد فقط إذا عُلم له مكان رواته.

لذلك كله كان لا بدّ أن نفرد باباً خاصاً، في هذه الرسالة للحديث عن السيد المسيح وأمه الصديقة مريم إبنة عمران في كتاب الله الكريم وسنة نبيه المطهرة.

الفصل الأول

مريم عليها السلام في الكتاب والسنّة

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول : البيئة التي نشأت فيها السيدة مريم عليها السلام.

المبحث الثاني : البشارة بعيسى عليه السلام ثم الحمل به وولادته.

المبحث الثالث : فضل الصديقة مريم عليها السلام من واقع الآيات الكريمة، ثم من واقع السنّة النبوية المطهّرة.

المبحث الرابع : الآراء في القول بهجرتها عليها السلام.

المبحث الأول:

البيئة التي نشأت فيها السيدة مريم عليها السلام

إنّ الله سبحانه وتعالى، وهو المتصرّف في كونه كيفما يشاء يصطفى من عباده من يشاء، وقد بيّن لنا كتاب الله الكريم أنّ الله تعالى يصطفى من عباده أناساً تميزوا بالتقى والصلاح وطيّب المنبت وصفاء السريرة عن بقية خلقه، كأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ومن هؤلاء المصطفين آل عمران، وهم من تنتسب إليهم هذه الصديقة الطاهرة مريم عليها السلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[١].

«والاصطفاء هو الاختيار والاجتباء، واستصفى الشيء واصطفاه: أي اختاره.. والصفي الخالص من كل شيء»[٢].

يقول الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ «أنّ المراد بعمران هذا هو والد مريم بنت عمران أم عيسى ابن مريم عليها السلام، قال محمد بن إسحاق بن يسار ـ رحمه الله ـ هو عمران بن باشم بن حزقيا بن إبراهيم بن غرايا بن ناوش بن أجر بن بهوا بن نازم بن مقاسط بن إيشا بن إياز بن رخيعم بن سليمان بن داوود عليهما السلام فعيسى من ذرية إبراهيم»[٣].

وهناك رأي آخر مفاده: أن المقصود بعمران في هذه الآية الكريمة هو عمران بن يصهر أبو موسى، ولا يخفى أن هذا الرأي ضعيف ومرجوح، وذلك لأن السورة تسمى (آل عمران) ولم تشرح قصة عيسى ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة، ذكر ذلك الإمام الألوسي في تفسيره.

---

(١) سورة آل عمران: ٣٣، ٣٤.

(٢) انظر: لسان العرب، مادة صفو، ج ٤، ص ٤٦٣.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١، ط دار المعرفة، ص ٣٥٨.

يقول رحمه الله:

«والمراد بآل عمران عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه مريم بنت عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داوود عليهما السلام قاله الحسن ووهب، وقيل: المراد بهم موسى وهارون عليهما السلام فعمران حينئذٍ هو عمران ابن يصهر أبو موسى.. وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة والظاهر هو القول الأول، لأنّ السورة تسمى آل عمران ولم تشرح قصة عيسى ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة، وأمّا موسى وهارون فلم يذكر من قصتهما فيها طرف فدلّ ذلك على أن عمران المذكور هو أبو مريم، وأيضاً يرجح كون المراد به أبا مريم أن الله تعالى ذكر اصطفاءها بعد ونصّ عليه وأنه قال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾.. والمراد بالعالمين: أهل زمان كل واحد منهم أي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه، ويدخل الملك في ذلك، والتأويل خلاف الأصل»[1].

وقد وصف والد هذه السيدة الجليلة بأنه «رجل عظيم وعالم جليل من علماء بني إسرائيل»[2].

بالإضافة إلى إصطفاء الله تعالى لآل عمران ـ والد الصديقة مريم عليها السلام ـ فقد اصطفاها الله تعالى هي بذاتها مرتين، وبين هذين الاصطفائين التطهير، وذلك لتميزها وتفضيلها على نساء عالمها.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾[3].

«والمراد بالملائكة هنا جبريل وحده وهذا كقوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾[4] يعني جبريل، وهذا وإن كان عدولاً عن الظاهر إلاّ أنه يجب المصير إليه، لأنّ سورة مريم دلّت على أنّ المتكلم مع مريم عليها السلام هو جبريل عليه السلام وهو قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[5].

---

(١) انظر: روح المعاني (تفسير الألوسي)، ج ٣، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص ١٣١.

(٢) انظر: عبد الوهاب النجّار (قصص الأنبياء)، ط ٣، ص ٣٧٤.
أيضاً: الأستاذ محمد الصابوني (النبوة والأنبياء)، ط ٢، ص ١٨٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٤٢.

(٤) سورة النحل، الآية ٢.

(٥) سورة مريم، الآية ١٧. انظر: الفخر الرازي (التفسير الكبير) ج ٨، ط ٢، ص ٤٣.

«والمذكور في هذه الآية الكريمة أولاً هو الإصطفاء، وثانياً: التطهير، وثالثاً: الاصطفاء على نساء العالمين، ولا يجوز أن يكون الإصطفاء أولاً[1] من الإصطفاء الثاني، لما أن التصريح بالتكرير غير لائق، فلا بدّ من صرف الإصطفاء الأول إلى ما اتفّق لها من الأمور الحسنة أول عمرها، والإصطفاء الثاني إلى ما اتّفق لها في آخر عمرها.

أما النوع الأول من الإصطفاء فهو أمور:

أحدهما: أنه تعالى قبل تحريرها مع أنها كانت أنثى ولم يحصل مثل هذا المعنى لغيرها من الإناث.

ثانيها: قال الحسن: إنّ أمها لما وضعتها ما غذتها طرفة عين بل ألقتها إلى زكريا[2] وكان رزقها يأتيها من الجنة.

وثالثها: أنه تعالى فرغها لعبادنه وخصها في هذا المعنى بأنواع اللطف والهداية والعصمة.

ورابعها: أنه كفاها أمر معيشتها، فكان يأتيها رزقها من عند الله تعالى على ما قال الله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾.

خامسها: أنه تعالى أسمعها كلام الملائكة شفاهاً، ولم يتّفق ذلك لأنثى غيرها، فهذا هو المراد من الاصطفاء الأول.

وأما التطهير ففيه وجوه:

أحدهما: أنه تعالى طهرها عن الكفر والمعصية فهو كقوله تعالى في أزواج النبي ﷺ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3].

وثانيها: أنه تعالى طهرها عن مسيس الرجال.

وثالثها: طهرها عن الحيض قالوا: كانت مريم لا تحيض.

---

(١) هكذا كتبت وقد يُقصد بها (الأول).

(٢) لم يرد لهذا الرأي أي دليل، والظاهر ـ والله أعلم ـ أن رزقها الذي كان يأتيها من ربها جلّ وعلا كان يأتيها بعد أن أخذت تتعبد في بيت المقدس كما تدل عليه الآيات التالية في هذا الفصل.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

ورابعها: طهرها من الأفعال الذميمة والعادات القبيحة.

خامسها: طهرها عن مقالة اليهود وتهمتهم وكذبهم.

وأما الاصطفاء الثاني، فالمراد أنه تعالى وهب لها عيسى عليه السلام من غير أب، وأنطق عيسى حال انفصاله منها حتى شهد بما يدلّ على براءتها عن التهمة، وجعلها وابنها آية للعالمين فهذا هو المراد من هذه الألفاظ الثلاثة»[1].

وقد تربّت وترعرعت هذه السيدة الجليلة تحت عناية الله سبحانه وتعالى حيث أُعدّت لتكون أماً لنبي من أنبياء الله تعالى ومن أولي العزم من رسله تعالى وهو عيسى عليه السلام، ولأنها خُصّت بمزايا ومواهب عديدة، فقد أمرها الله تعالى بمزيد من الطاعات فأمرها بالقنوت والسجود والركوع.

قال تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[2].

وقد قدم ذكر السجود على ذكر الركوع لعدة وجوه:

الأول: أنّ الواو تفيد الإشتراك.

الثاني: أن غاية قرب العبد من الله تعالى أن يكون ساجداً.

الثالث: إنّ الصلاة تسمى سجوداً كما في قوله: ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ لأن أشرف أجزاء الصلاة السجود وفي قوله تعالى: ﴿ٱقْنُتِى﴾: أمر بالعبادة على العموم»[3].

وقد صرّحت آيات الذكر الحكيم بأن السيدة مريم عليها السلام كانت منذورة من قبل أمها (أمرأة عمران) قبل ولادتها للخدمة والعبادة في بيت المقدس تقرباً إلى الله تعالى، وقد أخبرنا القرآن الكريم بقبول الله تعالى لذلك النذر بقبول حسن وأنه تعالى قد أنبتها نباتاً حسناً كناية عن طيب نشأتها عليها السلام وقد قام بكفالتها ورعاية مصالحها بعد موت والدها عمران نبي الله زكريا زوج خالتها على إحدى الروايات[4].

فُهيىء لها أن تُربي في بيت نبي من أنبياء الله تعالى لكي تنجب نبياً من أنبياء الله تعالى: والذي يجد عندها الرزق الموهوب لها من خالقها سبحانه وتعالى - في

---

(١) انظر: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٨، ط ٢، ص ٤٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٤٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٤ بتصرّف قليل.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣٦٠، ط دار المعرفة.

غير حينه وذلك دليل تميزها بكرامات الله تعالى.

قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[١].

«وامرأة عمران هذه أم مريم عليها السلام وهي حنه بنت فاقوذ»[٢]

«وفي كيفية هذا النذر روايتان:

الرواية الأولى: إنها كانت عاقراً لا تلد، وكانت تغبط النساء بالأولاد ثم قالت: اللهم إن لك على نذراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس ليكون من سدنته.

والرواية الثانية: إنّ أم مريم ما كان يحصل لها ولد حتى شاخت، وكنت يوماً في ظلّ شجرة فرأت طائراً يطعم فرخاً له فتحركت نفسها للولد، فدعت ربها أن يهب لها ولداً فحملت بمريم وهلك عمران، فلمّا عرفت جعلته لله محرراً، أي خادماً للمسجد، قال الحسن البصري: إنها إنما فعلت ذلك بإلهام من الله ولولاه ما فعلت كما رأى إبراهيم ذبح ابنه في المنام فعلم أن ذلك أمر من الله وإن لم يكن وحي[٣]، كما ألهم الله أم موسى فقذفته في أليم وليس بوحي[٤].

والمحرّر الذي يُجعل حراً خالصاً يقال: حررت العبد إنما خلصته عن الرق، وحررت الكتاب إذا أصلحته، أما التفسير فقيل: مخلصا للعبادة.. وقيل خادماً للبيعه[٥].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٣٥ـ ٣٧.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١، ط دار المعرفة، ص ٣٥٩.

(٣) يشير إلى قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢].

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه: ٣٨ ـ ٣٩].

(٥) جمعها بيع والبيعة بالكسر متعبد النصارى. =

وقيل: كان المحرّر يجعل في الكنيسة يقوم بخدمتها حتى يبلغ الحلم، ثم يخير بين المقام والذهاب فإن أبي المقام أراد أن يذهب ذهب، وإن اختار المقام فليس له بعد ذلك خيار»[1].

«فتقبّل مني: أي ما نذرته والتقبل أخذ الشيء على وجه الرضا.. ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ لأن ما في بطنها في علم الله تعالى أو لأنه مؤول بالحبلة أو النفس أو النسمة.. ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشأنه وتجهيل لها بقدره أي والله أعلم بالشيء الذي وضعته وما علّق به من عظائم الأمور وجعلها وابنها آيةً للعالمين وهي غافلة عن ذلك»[2].

«ثم قال تعالى حكايةً عنها ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ وفيه قولان:

الأول: أن مرادها تفضيل الولد الذكر على الأنثى وسبب هذا التفضيل من وجوه:

أحدهما: أن شرعهم يجوز تحرير الذكور دون الإناث.

الثاني: إنّ الذكر يصحّ أن يستمر على خدمة موضع العبادة، ولا يصحّ ذلك في الأنثى لمكان الحيض وسائر عوارض النسوان.

الثالث: الذكر يصلح لقوته وشدته للخدمة دون الأنثى فإنها ضعيفة لا تقوى على الخدمة.

الرابع: أن الذكر لا يلحقه عيب في الخدمة والإختلاط بالناس وليس كذلك الأنثى.

الخامس: أن الذكر لا يلحقه من التهمة عند الاختلاط ما يلحق الأنثى فهذه الوجوه تقتضي فضل الذكر على الأنثى.

والقول الثاني: أن المقصود من هذا الكلام ترجيح هذه الأنثى على الذكر، كأنها قالت الذكر مطلوبي وهذه الأنثى موهوبة الله تعالى، وليس الذكر الذي يكون مطلوبي كالأنثى التي هي موهوبة الله تعالى، وليس الذكر الذي يكون مطلوبي

انظر: القاموس المحيط، للفيروز أبادي، ج ٣، ط دار الفكر، ص ٨، (ومن الملاحظ أنه لا يوجد نصارى آنذاك).

(١) انظر: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٨، ط ٢، ص ٢٥ بتصرف قليل.

(٢) انظر: تفسير أبي السعود، ج ٢، ط دار إحياء التراث، ص ٢٨.

كالأنثى التي هي موهوبة الله، وهذا الكلام يدلّ على أن تلك المرأة كانت مستغرقة في معرفة جلال الله عالمة بأن ما يفعله الرب بالعبد خير ممّا يريده العبد لنفسه»[1].

ويرجح عند الرأي الأول عن الثاني وهو أن مراد - أمرأة عمران أم مريم عليها السلام تفضيل الولد الذكر على الأنثى - في قول الله تعالى حكاية عنها ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ وذلك لقوة وجوهه وكثرتها.

﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ويستدلّ الإمام الفخر الرازي من هذا القول: «أن عمران قد مات حال حمل حنه، فلذلك تولّت الأم تسميتها، لأن العادة أن ذلك يتولاه الآباء»[2].

أقول: بأن هذا ليس دليلاً كافياً على موت عمران حال حمل أو ولادة حنه، فقد تتولّى الأمهات التسمية في حال وجود الآباء.

«ومريم في لغتهم العابدة، فأرادت بهذه التسمية أن تطلب من الله تعالى أن يعصمها من الآفات»[3].

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾.

«يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرة وأنه أنبتها نباتاً حسناً أي جعلها شكلاً مليحاً ومنظرا بهيجاً ويسر لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين فلهذا قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.. قال ابن اسحاق: وما ذلك إلاّ أنها كانت يتيمة، وذكر غيره إن بني إسرائيل أصابتهم سنة جدب فكفل زكريا مريم لذلك، ولا منافاة بين القولين والله أعلم، وإنما قدر الله كون زكريا كفلها لسعادتها لتقتبس منه علماً جماً نافعاً وعملاً صالحاً، ولأنه كان زوج خالتها.. وقيل: زوج أختها»[4].

وعلى ذكر كفالة نبي الله زكريا للسيدة مريم عليهما السلام هناك آية أخرى في هذه السورة الكريمة (سورة آل عمران) يفيد مضمونها أنه قد حصل اختصام ثم اقتراح بشأن كفالة هذه الصديقة الطاهرة، فلأنها بنت إمامهم وكبيرهم وعالمهم، وقد توفي وتركها - على أرجح الأقوال - فقد أخذ أتباعه يتنافسون لكفالتها لذلك

---

(١) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٨، ط ٢، ص ٢٦، ٢٧.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٧.
(٣) المرجع السابق، نفس الصحيفة.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١، ط دار المعرفة، ص ٣٦٠.

حصل الاختصام والاقتراع بشأن كفالتها عليها السلام.

يقول الله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1].

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريم:

«خرجت بها أمها ـ يعني مريم ـ فقالت لهم: دونكم هذه النذيره فإني حررتها وهي أنثى.. ولا أردها إلى بيتي فقالوا: هذه ابنة إمامنا، وكان عمران يؤمهم في الصلاة.. فقال زكريا: ادفعوها لي فإن خالتها تحتي فقالوا: لا تطيب أنفسنا هي ابنة إمامنا فذلك حين اقترعوا عليها بأقلامهم التي يكتبون بها التوراة قرعهم زكريا فكفلها، وقيل: أنهم ذهبوا إلى نهر الأردن واقترعوا هنالك على أن يلقوا أقلامهم فأيهم يثبّت في جرية الماء فهو كافلها فألقوا أقلامهم فاحتملها الماء إلاّ قلم زكريا فإنه ثبت، ويقال: إنه ذهب صاعداً يشق جرية الماء، وكان مع ذلك كبيرهم وسيدهم وعالمهم وإمامهم ونبيهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين»[2].

«كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً، قال يا مريم أنى لك هذا، قالت هو من عند الله إن شاء يرزق من يشاء بغير حساب».

وقد أشارت الآية الكريمة إلى أن رزقاً كان يأتي هذه السيدة الطاهرة مريم عليها السلام موهوباً من الله تعالى، بحيث أن كافلها نبي الله زكريا عليه السلام كلما دخل عليها المحراب يجد عندها رزقاً، عندها يسألها عن مصدر هذا الرزق تجيبه بأنه من عند الله، وقد تواترت الروايات بأنه كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف[3] والمعنى المفهوم من الآية الكريمة هو أنه

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٤٤.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١، ط دار النشر، ص ٣٦٣.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١، ط دار المعرفة، ص ٣٦٠.

أيضاً: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج ٤، ص ٧١.

أيضاً: تفسير أبي السعود، ط دار إحياء التراث، ج ٢، ص ٣٠.

أيضاً: التفسير الكبير للفخر الرازي، ج ٨، ص ٣٠.

أيضاً: الكشاف للزمخشري، ج ١، ط دار المعرفة، ص ٤٢٧.

أيضاً: روح المعاني للإمام الألوسي، ج ٣، ط دار إحياء التراث، ص ١٤٠.

كان يجد عندها رزقاً غريباً لا يمكن أن يوجد مثله عند غيرها في ذلك الوقت، وهذه كرامة لها[1].

والمحراب: أرفع المواضع وأشرف المجالس، وكانوا يتخذون المحاريب فيما ارتفع من الأرض»[2].

وانفرد الإمام الفخر الرازي ـ دون بقية الإئمة المفسرين ـ بذكر الأدلّة على صحة القول بكرامة الأولياء ضدّ من نيفيها، يقول:

«ووجه الاستدلال أنه تعالى أخبر أن زكريا كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم: أنى لك هذا؟ قالت هو من عند الله فحصول ذلك الرزق عندها إما أن يكون خارقاً للعادة أو لا يكون، فإن قلنا: إنه غير خارق للعادة فهو باطل من خمسة أوجه:

الأول: أن على هذا التقدير لا يكون حصول ذلك الرزق عند مريم دليلاً على علو شأنها وشرف درجتها وامتيازها عن سائر الناس بتلك الخاصية ومعلوم أن المراد من الآية هذا المعنى.

الثاني: أنه تعالى قال بعد هذه الآية ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ والقرآن دلّ على أنه كان آيسا من الولد بسبب شيخوخته وشيخوخة زوجته، فلمّا رأى انخراق العادة في حق مريم طمع في حصول الولد فيستقيم قوله ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ أما لو كان الذي شاهده في حق مريم لم يكن خارقاً للعادة لم تكن مشاهدة ذلك سبباً لطمعه في انخراق العادة بحصول الولد من المرأة الشيخة العاقر.

الثالث: أن التنكير في قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ يدلّ على تعظيم حال ذلك الرزق كأنه قيل: رزقاً أي رزق غريب عجيب، وذلك إنما يفيد الغرض اللائق لسياق هذه الآية لو كان خارقاً للعادة.

الرابع: هو أنه تعالى قال: ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ ولولا أنه ظهر عليهما من الخوارق، وإلا لم يصح ذلك.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال: المراد من ذلك هو أن الله تعالى خلق لها

---

(١) الكرامة: أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبد ظاهر الصلاح كرامة له.

(٢) انظر: القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ١١، ط دار إحياء التراث، ص ٨٤، ٨٥.

ولداً من غير ذكر؟ قلنا: ليس هذا بآية، بل يحتاج تصحيحه إلى آية، فكيف نحمل الآية على ذلك[1]، بل المراد من الآية ما يدلّ على صدقها وطهارتها، وذلك لا يكون إلا بظهور خوارق العادات على يدها كما ظهرت على يد ولدها عيسى عليه السلام.

الخامس: ما تواترت الروايات به أن زكريا عليه السلام كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، فثبت أن الذي ظهر في حق مريم عليها السلام كان فعلاً خارقاً للعادة فتقول: إما أن يقال: إنه كان معجزة لبعض الأنبياء أو ما كان كذلك والأول باطل لأن النبي الموجود في ذلك الزمان هو زكريا عليه السلام، ولو كان ذلك معجزة له لكان هو عالماً بحاله وشأنه، فكان يجب أن لا يشتبه أمره عليه وأن لا يقول لمريم ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ وأيضاً فقوله تعالى ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ مشعر بأنه لما سألها عن أمر تلك الأشياء ثم أنها ذكرت له أن ذلك من عند الله فهنالك طمع في انخراق العادة في حصول الولد من المرأة العقيمة الشيخة العاقر وذلك يدلّ على أنه ما وقف على تلك الأحوال إلاّ باخبار مريم، متى كان الأمر كذلك ثبت أن تلك الخوارق ما كانت معجزة لزكريا عليه السلام فلم يبق إلاّ أن يقال: إنها كانت كرامة لعيسى عليه السلام أو كانت كرامة لمريم عليها السلام وعلى التقديرين فالمقصود حاصل، فهذا هو وجه الاستدلال بهذه الآية على وقوع كرامات الأولياء»[2].

---

(١) أي: أنّ المقصود بالآية في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ظهور خوارق العادة لديها كوجود الرزق، وليس المقصود أنه تعالى خلق لها ولداً من غير ذكر، لأن هذا ليس بآية معجزة، بل يحتاج تصحيحه إلى آية لأن قومها ـ قاتلهم الله ـ اتهموها بالفاحشة عندما أتت بعيسى فاحتاج إلى آية أخرى وهي انطاقه في المهد.

(٢) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٨، ص ٣٠ـ ٣١.

المبحث الثاني:

البشارة بعيسى عليه السلام ثم الحمل به وولادته

وقد بشّر الله تعالى هذه السيدة الطاهرة بواسطة سيّد الملائكة جبريل عليهما السلام بأنها سترزق بنبي من أنبيائه تعالى المصطفين الأخيار، قد تضمّنت البشارة التصريح بلقبه واسمه ونسبتهُ إليها (المسيح عيسى ابن مريم)، وأخذت تتعجّب من هذه البشارة حيث أنها غير ذات زوج ولم يمسسها بشر، ولكن الله تعالى، ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾

قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾[1].

«والبشارة كل خبر صدّق يتغيّر به بشرة الوجه ويستعمل في الخير والشر وفي الخير اغلب»[2].

ولتفسير الكلمة في هذه الآية الكريمة عدة وجوه:

الأول: «أن كل علوق وإن كان مخلوقاً بواسطة الكلمة وهي قوله (كن) إلاّ أن ما هو السبب المتعارف كان مفقوداً في حق عيسى عليه السلام وهو الأب، فلا جرم كان إضافة حدوثه إلى الكلمة أكمل وأتم فجعل بهذا التأويل كأنه نفس الكلمة كما أن من غلب عليه الجود والكرم والإقبال يقال فيه على سبيل المبالغة إنه نفس الجود، ومحض الكرم، وصريح الإقبال فكذا ههنا.

الثاني: إنّ السلطان العادل قد يوصف بأنه ظلّ الله في أرضه، وبأنه نور الله،

---

(١) سورة آل عمران، سورة ٤٥ـ ٤٧.

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني، ص ٤٦.

لما أنه سبب لظهور العدل، ونور الإحسان فكذلك كان عيسى عليه السلام سبباً لظهور كلام الله عزّ وجل بسبب كثرة بياناته وإزالة الشبهات والتحريفات عنه فلا يبعد أن يسمى بكلمة الله تعالى على هذا التأويل»[1].

الثالث: «إنّ المراد بالكلمة التكوين لا كلمة الوحي، ذلك أنه لما كان أمر الخلق والتكوين وكيفية صدوره عن الباري عزّ وجل ممّا يعلو عقول البشر عبر عنه سبحانه بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ فكلمة (كن) هي كلمة التكوين، وههنا يقال أن كل شيء قد خلق بكلمة التكوين فلماذا خصّ المسيح باطلاق الكلمة عليه وأجيب عن ذلك بأن الأشياء تنسب في العادة والعرف العام في البشر إلى أسبابها ولما فقد في تكوين المسيح وعلوق أمه به ما جعله الله سبباً للعلوق هو تلقيح ماء الرجل لما في الرحم من البيوض التي يتكون منها الجنين أضيف هذا التكوين إلى كلمة الله وأطلقت الكلمة على المكون إيذاناً بذلك أو جعل كأنه نفس الكلمة مبالغة.

الرابع: أنه اطلق عليه لفظ الكلمة لمزيد إيضاحه لكلام الله الذي حرفه قومه اليهود حتى أخرجوه عن وجهه وجعلوا الدين مادياً محضاً»[2].

الخامس: «أنه اطلق على المسيح للإشارة إلى بشارة الأنبياء به فهو قد عرف بكلمة الله أي بوحيه لأنبيائه.

السادس: إنّ المراد بالكلمة كلمة البشارة لأمه فقوله بكلمة منه معناه بخبر من عنده أو بشارة وهو كقول القائل ألقى إلى فلان كلمة سرني بها بمعنى أخبرني خبراً فرحت به، واستشهد له بقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ يعني بشرى الله مريم بعيسى ألقاها إليها»[3].

وهناك من يحاول تقريب موضوع حبل مريم بالمسيح عليه السلام من غير

---

(١) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٢، ص ٤٧، ٤٨.
أيضاً: الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦٠.

(٢) انظر: تفسير المنار (محمد رشيد رضا) ويقول: إنه قد أخذ هذا الرأي عن الإمام الرازي، وقد رجعت لتفسير الرازي فلم أجد ذكراً لليهود عند تفسيره للكلمة في هذه الآية الكريمة، ولعلّه قد أخذه من كتبه الأخرى.
تفسير المنار، ج ٣، ط ٢، ص ٣٠٤.

(٣) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

ذكر لأذهان الناس فيأخذ بآراء غريبة ومادية محضه فيبتعد بذلك عن الحقيقة والتي صرّح بها الحق سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾[1].

ومن تلك الآراء ما ذكره الإمام الرازي في تفسيره يقول:

«إنّ التخيلات الذهنية كثيراً ما تكون أسباباً لحدوث الحوادث الكثيرة أليس أن تصوّر المنافي يوجب حصول كيفية الغضب، ويوجب حصول السخونة الشديدة في البدن، أليس اللوح الطويل إذا كان موضوعاً على الأرض قدر الإنسان على المشي عليه ولو جعل كالقنطرة على وهدة لم يقدر على المشي عليه، بل كلما مشى عليه يسقط[2]، ما ذاك إلاّ أن تصوّر السقوط يوجب حصول السقوط، وقد ذكروا في كتب الفلسفة أمثلة كثيرة لهذا الباب، وجعلوها كالأصل في بيان جواز المعجزات والكرامات، فما المانع من أن يقال إنه لما تخيّلت صورته عليه السلام كفى ذلك في علوق الولد في رحمها، وإذا كان كل هذه الوجوه ممكناً محتملاً كان القول بحدوث عيسى عليه السلام من غير واسطة الأب قولاً غير ممتنع»[3].

واعتراضي مُنصب على قول الإمام الرازي ـ يرحمه الله ـ «فما المانع أن يقال إنه لما تخيّلت صورته عليه السلام كفى ذلك في علوق الولد في رحمها» وما دخل التخيلات والصور الذهنية في عملية الحمل وعلوق الولد في الرحم، ويكفي أنه قول ليس له دليل لا من العقل ولا من النقل وليس التخيلات والصور الذهنية سبباً لوقوع الحوادث في جميع الأحيان، بل هو مجرّد رأي وَاهِنْ يستند على ركيزة واهية، وحمل السيدة مريم بعيسى عليهما السلام مجرّد أمر من الله تعالى، والذي باستطاعته أن يخرق السنن الكونية المتعارف عليها في أي وقت ومكان يشاؤه سبحانه وتعالى.

وقد قال تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾[4].

---

(١) سورة يس، الآية ٨٢.

(٢) ها هم لاعبي السيرك في بلاد كثيرة يمشون على القناطر الرفيعة بل وعلي الحبال ـ كما رأيناهم ـ دون أن يسقطوا فلا ينطبق هذا المثل على جميع الناس كما هو مشاهد في هذا العصر.

(٣) التفسير الكبير، ج ٨، ط ٢، ص ٤٨، ٤٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٥٩.

وقد عجبت للأستاذ محمد رشيد رضا ـ وهو مفسّر معاصر ـ يأخذ بهذا الرأي فيقول:

«يمكن تقريب هذه الآية الإلهية من السنن المعروفة في نظام الكائنات بوجهين:

أحدهما: أن الأعتقاد القوي الذي يستولي على القلب ويستحوذ على المجموع العصبي يحدث في عالم المادة من الآثار ما يكون على خلاف المعتاد، فكم من سليم اعتقد أنه مصاب بمرض كذا وليس في بدنه شيء من جراثيم هذ المرض فولد له اعتقاده تلك الجراثيم الحية وصار مريضاً، وكم من امرىء سقي الماء القراح أو نحوه فشربه معتقداً أنه سم ناقع فمات مسموماً به، والحوادث في هذا الباب كثيرة أثبتتها التجارب، وإذا اعتبرنا بها في أمر ولادة المسيح نقول: إنّ مريم لما بشرت بأن الله تعالى سيهب لها ولداً بمحض قدرته، وهي على ما هي عليه من صحة الإيمان وقوة اليقين انفعل مزاجها بهذا الاعتقاد إنفعالاً في الرحم فعل التلقيح كما يفعل الاعتقاد القوي في مزاج السليم فيمرض أو يموت، وفي مزاج المريض فيبرأ وكان نفخ الروح الذي ورد في سورة أخرى متمماً لهذا التأثير»[1].

وينقل د/ حسن عز الدين الجمل النص السابق ويضيف إليه قوله: «وإذا ترجمنا هذا الكلام إلى لغة الطب نقول: انفعل مزاجها ـ بإذن الله ـ ثم بهذا الاعتقاد، انفعالاً فعل في البويضة فعل الإنقسام والتوالد»[2].

ونحن لا ننكر أن الحالة النفسية للإنسان تؤثّر في صحته لذلك يعمد الأطباء إلى الاستبشار أمام المريض بتحسن حالته الصحية حتى ولو لم تكن كذلك، والعكس صحيح، فإذا توّهم الإنسان السليم الأمراض قد يُصاب بها، ولكننا لا نجزم بذلك، والتخيّل والتصوّر والتوهّم لطفلٍ لا يوجب الحمل به، وهذا ـ في رأيي ـ يختلف تماماً عن النفخ الذي ورد في سورة التحريم[3] والذي بمثابة الخلق والإنشاء من قبل الحق سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر: تفسير المنار ط ٢، ج ٣، ص ٣٠٩.

(٢) (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم)، ط ١، ص ٦٧.

(٣) ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

أما الإمام الألوسي ـ يرحمه الله ـ فإنه ينقل ما ذكره الإمام الرازي ثم يعلّق عليه بقوله:

«وليس بشيء[1] لأنه يعود بالنقص لحضرة البتول، وأنها لتنزه ساحتها عن مثل هذا التخيّل كما لا يخفى، وفي جواب هذه الظاهرة ليوسف النجّار ما يؤيّد ما قلناه، فقد أخرج إسحاق بن بشر، وابن عساكر عن وهب أنه قال: لما استقرّ حمل مريم وبشرها جبريل وثقت بكرامة الله تعالى واطمأنت وطابت نفساً، وأول من اطّلع على حملها ابن خالٍ لها يقال له يوسف، واهتم لذلك وأحزنه وخشي البلية منه لأنه كان يخدمها فلمّا رأى تغيّر لونها وكبر بطنها عظم عليه ذلك فقال معرضاً لها: هل يكون زرع من غير بذر؟! قالت: نعم، قال: وكيف يكون ذلك، قالت: إنّ الله تعالى خلق البذر الأول من غير نبات وأنبت الزرع الأول من غير بذر، ولعلّك تقول: لم يقدر أن يخلق الزرع الأول إلاّ بالبذر؟ ولعلّك تقول: لولا أن استعان الله تعالى عليه بالبذر لغلبه حتى لا يقدر على أن يخلقه ولا ينبته؟ قال يوسف: أعوذ بالله أن أقول ذلك قد صدقت وقلت بالنور والحكم، وكما قدر أن يخلق الزرع الأول وينبته من غير بذر يقدر أن يجعل زرعاً من غير بذر فأخبريني هل ينبت الشجر من غير ماء ولا مطر؟ قالت: ألم تعلم أن للبذر والماء والمطر، والشجر خالقاً واحداً فلعلّك تقول لولا الماء والمطر لم يقدر على أن ينبت الشجر؟ قال أعوذ بالله تعالى أن أقول ذلك قد صدقت فأخبريني خبرك قالت: بشرني الله تعالى ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فعلم يوسف أن ذلك أمر من الله تعالى لسبب خير أراده بمريم فسكت عنها فلم تزل على ذلك حتى ضربها الطلق فنوديت أن اخرجي من المحراب فخرجت»[2].

«أما قوله تعالى ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ فلفظة (من) ليست للتبعيض ههنا إذ لو كان كذلك لكان الله تعالى متجزئاً متبعضاً متحملاً للإجتماع والإفتراق وكل من كان كذلك فهو محدث وتعالى الله عنه، بل المراد من كلمة (من) ههنا ابتداء الغاية وذلك لأن في حق عيسى عليه السلام لما لم تكن واسطة الأب موجودة صار تأثير كلمة الله تعالى في تكوينه وتخليقه أكمل وأظهر فكان كونه كلمة الله مبدأ لظهوره

(١) يقصد الرأي القائل بأن التصورات والتخيلات الذهنيّة توجب حدوث الحوادث ومن هذا القبيل كان حمل مريم بعيسى عليها السلام عندما تخيّلت صورته!!

(٢) انظر: روح المعاني، ط ٢، ج ٣، ص ١٦٥.

ولحدوثه أكمل فكان المعنى لفظ ما ذكرناه»[1].

والسيدة مريم ـ عليها السلام ـ إذ تتعجب من بشارة جبريل لها بالولد لم تستعبد من قدرة الله تعالى شيئا.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ ﴿قَالَتْ رَبِّ﴾ أي يا سيدي تخاطب جبريل عليه السلام لأنه تمثل لها قال لها: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ فلمّا سمعت ذلك استفهمت عن طريق الولد فقالت: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾؟ يشمل الحرام والحلال، نقول: العادة الجارية التي أجراها الله في خلقه أن الولد لا يكون إلاّ عن نكاح أو سفاح وقيل: وما استبعدت من قدرة الله تعالى شيئاً، ولكن أرادت كيف يكون هذا الولد: أمن قبل زوج في المستقبل أم يخلقه الله ابتداءً؟»[2].

﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أي أراد شيئاً فالأمر: واحد الأمور والقضاء في الأصل الإحكام، وأطلق على الإرادة الإلهية القطعية المتعلّقة بإيجاد المعدوم وإعدام الموجود وسميت بذلك لإيجابها ما تعلّقت به البته ويطلق على الأمر، ومنه ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي فهو يكون أي يحدث وهذا عند الأكثرين تمثيل لتأثير قدرته في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور من يغر امتناع وتوقف»[3].

وفي الآيات الكريمات من السورة المسماة باسمها.. تحكي قصة هذه السيدة الطاهرة عندما قابلها سيد الملائكة جبريل عليهما السلام وتمثل لها بشراً سويا، ففزعت منه وظنته يريد أن يمسها بسوء، فقد كانت في خلوتها منعزلة لا يوجد من يحميها سوى خالقها جلّ وعلا، ولكنه عليه السلام طمأنها ـ على الفور ـ وبشرها بغلام زكي نبي.. وقد أخذت عليها السلام تتعجب من بشارة الملك لها بالغلام من غير أن يمسها بشر، وهي نفي عام للنكاح الشرعي وغيره، وهي في تعجبها لم تنكر قدرة الله تعالى، فأجابها رسول ربها بأن ذلك عليه هين، وأنه تعالى جعل هذا الغلام آية ومعجزةً ورحمةً منه، ثم تواصل الآيات الكريمات سرد بقية القصة لهذه

---

(١) انظر: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٨، ط ٢، ص ٤٩.

(٢) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ٤، المجلد الثاني، ط دار إحياء التراث (بيروت)، ص ٩٢.

(٣) انظر: الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦٤.

السيدة الجليلة حيث حملت بالغلام الزكي النبي بقدرة الله تعالى من غير ان يمسسها بشر.

ومع اختلاف المفسرين في مدة الحمل إلاّ أن الثابت انها حملت به والراجح أن حملها كحمل النساء المعتاد إذ لم يرد في سياق الآيات الكريمات ما يخالف ذلك.

وعندما جاءتها آلام المخاض الشديدة والتي تنتاب كل والدة، تمنّت أنها قد ماتت قبل ذلك اليوم وكانت نسياً منسيا، وفي ذلك دليل على تمني الموت حين الخوف في الوقوع في الفتن، وتمنيها للموت يظهر أنه خوف من إتهام قومها لها بالفاحشة كما ثبت فيما دلّت عليه الآية الكريمة، أو لخوفها من وقوع الناس في البهتان بسببها..

فطمأنها (من تحتها) فمنهم من فسّره بأنه جبريل عليه السلام، ومنهم من فسّره بأنه إبنها عيسى عليهما السلام.

ثمّ تذكر الآيات الكريمات بأنه طُلب منها بأن تهز النخلة ويقال أنها كانت نخلةً يابسة قد ماتت، وكرامة لهذه السيدة الطاهرة وإرهاصاً لابنها نبي الله عيسى عليهما السلام عادت إلى النخلة الحياة ونبت البلح فيها ثم استوى وصار رطباً، ثم تساقط رطباً جنياً كل ذلك في لحظات، ثم أمرت بالأكل من الرطب والشرب من السري وهو النهر الذي أجراه الله من تحتها أو بالقرب منها، من ذلك استدلوا بعظيم فائدة الرطب للنفساء، ثم أمرت بأن تصوم صمتاً بأن تمتنع عن الكلام لأن الله تعالى سيضع لها كرامة أخرى وإرهاصاً لابنها النبي عليهما السلام حيث أنها ستشير إليه عند اتهام قومها لها، ثم ينطقه الله وهو في مهده فيتكلم ببراءتها..

وفميا يلي ننقل نص الآيات الكريمات من السورة المسماة باسمها (سورة مريم).

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ

نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾[1].

والنبذ أصله الطرح والإلقاء، وانتبذت أي تنحّت وتباعدت على سرعة إلى مكان ناحية الشرق»[2].

وبمعنى آخر: «اعتزلت وانفردت من أهلها وأتت مكانا شرقيا من بيت المقدس أو من دارها لتتخلّى هناك للعبادة»[3].

﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾.

«قيل: هو روح عيسى عليه السلام لأن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد، فركب الروح في جسد عيسى عليه السلام الذي خلقه في بطنها، وقيل هو جبريل وأضيف الروح إلى الله تعالى تخصيصاً وكرامة، والظاهر أنه جبريل عليه السلام لقوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ أي تتمثل لها الملك بشراً مستوي الخلقة»[4].

«ولأن جبريل عليه السلام يسمى روحاً قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، وسمى روحاً لأنه روحاني وقيل خلق من الروح وقيل لأن الدين يحيا به، أو سماه الله تعالى بروحه على المجاز محبة له وتقريباً كما تقول لحبيبك روحي»[5].

﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ «سوي الخلق كامل البنيه لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئاً، وقيل تمثل في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس، وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يُلقى إليها من كلماته تعالى إذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته، وأما ما قيل من أن ذلك لتهييج شهوتها فتنحدر نطفتها إلى رحمها فمع مخالفته لمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾ فإنه شاهد عدل بأنه لم يخطر

---

(١) سورة مريم، الآية ١٧ـ ٢٦.

(٢) انظر: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٢، ط ٢، ص ١٩٦.

(٣) الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ١٦، ص ٧٤.

(٤) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، المجلد ٦، ج ١١، ص ٩٠.

(٥) انظر: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٢، ص ١٩٦.

ببالها شائبة ميل ما إليه فضلاً عما ذكر من الحالة المترتبة على أقصى مراتب الميل والشهوة، نعم كان تمثيله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف مالا غاية وراءه، وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ أي تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به»[١].

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ «يريد عليه الصلاة والسلام إني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وإنما أنا رسول ربك الذي استعذتِ به ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا﴾ أي لأكون سبباً في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز أن يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيّده القراءة باليا (ليهب) والتعرّض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرها (لك) لتشريفها وتسليتها والإشعار بعلّة الحكم فإن هبة الغلام لها من أحكام تربيتها»[٢].

(زكيا) أي طاهراً من الذنوب وقيل: نبياً وقيل: نامياً على الخير أي مترقياً من سن إلى سن على الخير والصلاح»[٣].

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾

«وقد ذكرت هذا تأكيداً لأن قولها لم يمسسني بشر يشمل الحلال والحرم، وقيل: ما استبعدت من قدرة الله تعالى شيئاً ولكن أرادت كيف يكون هذا الولد؟ من قبل الزوج في المستقبل أم يخلقه الله ابتداءً؟ وروي أن جبريل عليه السلام حين قال لها هذه المقالة نفخ في جيب درعها وكمها.. وقال ابن عباس: أخذ جبريل ردن قميصها بإصبعه فنفخ فيه فحملت من ساعتها بعيسى»[٤].

﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً﴾ «دلالةً على قدرتنا العجيبة ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي لمن آمن به ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ مقداراً في اللوح مسطوراً.

﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي تنحّت بالحمل إلى مكان بعيد، قال ابن عباس: إلى أقصى الوادي وهو وادي بيت لحم.. وإنما بعدت فراراً من تعيير قومها إياها بالولادة من غير زوج»[٥].

---

(١) (٢) انظر: الإمام أبي السعود (التفسير)، ج ٥، ص ٢٦٠

(٣) انظر: الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ١٦، ص ٧٧.

(٤) (٥) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ١١، ط دار إحياء التراث العربي، ص ٩١، ٩٢ بتصرّف.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ «المخاض: بفتح الميم أو بكسرها وهو الطلق وشدة الولادة وأوجاعها، والجذع ساق النخلة اليابسة في الصحراء الذي لا سعف عليه»[1].

«وقيل: كان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمر ولا خضرة، وكان الوقت شتاءً والتعريف (النخلة) إما إن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم والصدق كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة مشهور عند الناس، فإذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون سواه، وإما أن يكون تعريف الجنس أي إلى جذع هذه الشجرة خاصة كأنّ الله أرشدها إلى النخلة ليطعمها الرطب الذي هو أشد الأشياء موافقة للنفساء»[2].

﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾

«تمنّت مريم عليها السلام الموت من جهة الدين لوجهين:

أحدهما: أنها خافت أن يظن بها الشر في دينها وتعير فيفتنها ذلك.

ثانيهما: لئلا يقع قوم بسببها في البهتان والنسبة إلى الزنى وذلك مهلك، وعلى هذا الحد يكون تمني الموت جائزاً.. قيل: وقد سمعت عليها السلام نداء من يقول: أخرج يا من يُعبد من دون الله فحزنت لذلك.

﴿نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ «النسي في كلام العرب الشيء الحقير الذي شأنه أن ينسى ولا يتألّم لفقده»[3].

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾.

﴿مِن تَحْتِهَا﴾ «قرأت من بالفتح وبالكسر وقيل: إنّ المنادي هو عيسى عليه السلام قد انطقه الله تعالى، وقيل: إنه جبريل عليه السلام»[4] ولا نستطيع ههنا الترجيح بدون مرجح. ﴿سَرِيًّا﴾ وهو النهر والجدول وذلك لأن الماء يسري فيه، وقيل: هو عيسى عليه السلام والسري هو النبيل الجليل»[5].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٢١، ص ٢٠٣.

(٣) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ١١، ص ٩٢.

(٤) انظر: (التفسير الكبير)، ط ٢، ص ٢٠٤.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص ٢٠٥.

والراجح ـ والله أعلم ـ المعنى الأول يؤيّده قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي﴾.

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾.

«وهز الشي تحريكه إلى الجهات المتقابلة.. (إليك) إلى جهتك (تساقط) أي تسقط النخلة عليك إسقاطاً متواتراً حسب تواتر الهز.. (جنيا) صفة له وهو ما قطع قبل يبسه، أي رطباً مجنياً أي صالحاً للإجتناء»(١).

وأخذت إرشادات من ناداها (من تحتها) تتوالي عليها بأن لا تحزن وبأن تأكل من ثمار النخلة وتشرب من السري الذي أجراه الله من تحتها، وبأن تقرّ عينها بالطمأنينة والرضا من الله تعالى، وبالنظر إلى وليدها والذي وصف بأنه غلام زكي.

﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ «أي طيبي نفساً وارفضي ما أحزنك»(٢).

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ «أي آدمياً كائناً من كان(٣).

﴿فَقُولِىٓ﴾ له إن استنطقك: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾، قيل: المراد الصوم عن المفطرات المعلومة وعن الكلام، وكانوا لا يتكلمون في صيامهم، وكان قربة في دينهم فيصح نذره، وقد نهى النبي ﷺ عنه فهو منسوخ في شرعنا..

وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه دخل على إمرأة قد نذرت أن لا تتكلم فقال: إنّ الإسلام هدم هذا فتكلمي»(٤).

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ «روي أن مريم لما اطمأنّت بما رأت وعلمت أن الله تعالى سيبيّن عذرها، أتت به تحمله من المكان القصيّ الذي إنتبذت فيه.. وقيل، ولدت حيث لم يشعر بها قومها ومكثت أربعين يوما للنفاس، ثم أتت قومها تحمله، فلما رأوها ومعها الصبي حزنوا وكانوا أهل بيت صالحين، فقالوا منكرين: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ أي جئت بأمر عظيم كالآتي بالشيء يفتريه، قال مجاهد «فريا» أي عظيماً، وقيل: أي مختلفاً مفتعلاً، وقيل: لما أتت به قومها تحمله تسامع بذلك بنو إسرائيل، فاجتمع رجالهم ونساؤهم، فمدّت إمرأة يدها إليها لتضربها فأجف الله شطرها فحملت كذلك، وقال آخر: ما أراها إلاّ زنت فأخرسه الله تعالى: فتحامى الناس من أن يضربوها، أو يقولوا لها كلمة تؤذيها، وجعلوا

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود، ج ٥، ص ٢٦٢.

(٢) (٣) انظر: الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ١٦، ص ٨٦

(٤) انظر: الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ١٦، ص ٨٦.

يخفضون إليها القول ويلينون، فقالوا: ﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ أي عظيما.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ إختلف الناس في معنى هذه الأخوة، ومن هارون؟ فقيل: هو هارون أخو موسى، والمراد من كنا نظنها مثل هارون في العبادة تأتي بمثل هذا، قيل على هذا كانت مريم من ولد هارون أخي موسى فنسبت إليه بالأخوة لأنها من ولده كما يقال للتميمي: يا أخا تميم، وللعربي يا أخا العرب.

وقيل: كان لها أخ من أبيها اسمه هارون، لأن هذا الإسم كان كثيراً في بني إسرائيل تبركاً باسم هارون أخي موسى، وقيل، هارون هذا رجل صالح في ذلك الزمان تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا.. وقيل: كان في ذلك الزمان في بني إسرائيل عابد منقطع إلى الله عزّ وجل يسمى هارون فنسبوها إلى إخوته من حيث كانت على طريقته قبل، إذ كانت موقوفة على خدمة البيع، أي يا هذه المرأة الصالحة ما كنت أهلا لذلك»[1].

(١) انظر: الأمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ١١، ص ٩٩- ١٠٠.

المبحث الثالث:

فضل الصديقة مريم عليها السلام من واقع الآيات الكريمة، ثم من واقع السنة النبوية المطهّرة

فبالإضافة إلى الآيات الكريمة السابقة والتي تحدثت عن البيئة التي عاشت فيها هذه السيدة الطاهرة، وتحدثت عن بشارة الملائكة لها بأن الله تعالى سيهب لها غلاما زكيا هو نبي الله عيسى عليهما السلام.

بالإضافة إلى تلك الآيات الكريمة فإن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة احتوتا على نصوص عديدة تدلّ على فضل هذه السيدة الطاهرة.

ولأننا الآن في هذا الباب (المسيح وأمه عليهما السلام في الكتاب والسنّة) في مجال العرض والتنبيه لما احتواه القرآن الكريم، واحتوته السنة النبوية المطهرة لفضل هذه السيدة الطاهرة، بل من خيرة نساء العالمين على الإطلاق،

لذا فإننا نذكر بعض تلك الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة على سبيل الإجمال:

أولاً: الآيات الكريمة

قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾[1].

ويقول الإمام ابن كثير في تفسيره هذه الآية الكريمة:

﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي حفظته وصانته، والإحصان هو العفاف والحرية.

﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أي بواسطة الملك وهو جبريل فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليهما السلام، ولهذا قال

---

(١) سورة التحريم، الآية ١٢.

تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ أي بقدره وشرعه[1] في أن وهبها تعالى هذا الغلام الزكي من غير زوج.

وقوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾[2].

«أي أنّ المسيح عليه السلام له أسوة أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه وأنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام «وأمه صديقه» أي مؤمنة به مصدقة له وهذا أعلى مقاماتها فدلّ على أنها ليست بنبية كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب إلى نبوة سارة أم إسحاق ونبوة أم موسى ونبوة أم عيسى إستدلالاً منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم.. وهذا معنى النبوة عندهم، والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبيا إلاّ من الرجال قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ﴾[3].

وقد حكي الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله الإجماع على ذلك»[4]

ثانياً: الأحاديث الشريفة:

وبالإضافة إلى الآيات الكريمة والتي صرّحت بلفظ اسم السيدة مريم عليها السلام وامتدحتها بأن رفعت ذكرها في أشرف وأصدق كتاب نزل به الروح الأمين على يد ولد آدم عليه الصلاة السلام، بالإضافة إلى ذلك فقد ورد ذكرها صريحاً في السنة النبوية المطهرة في أصدق وأصح كتابين بعد القرآن الكريم (صحيح البخاري ومسلم).

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٤، ط دار المعرفة، ص ٣٩٤.

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٥.

(٣) سورة يوسف، الآية ١٠٩.

(٤) انظر: ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، ط دار المعرفة، ج ٢، ص ٨١.

وهذا ما أرجحه لقوة أدلّة وصحتها، فالنبوة مقصورة على الرجال دون النساء، فالمرأة عاجزة عن أن تحمل أعباء النبوة فهو حمل ثقيل عليها ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المزمّل: ٥]، وكل صور الخطاب من الملائكة للسيدة مريم عليها السلام أو لغيرها من النساء كأم إسحاق وأم اسماعيل لا تخرج عن حدود الإلهام أو البشارة أو التثبيت وإلاّ فأين الأمر بالتبليغ؟ وما هي معجزاتها؟ وإلى من بعثت؟! وهذا بحث يطول، وليس له مكان في هذه الأطروحة فهو خارج عن صميم موضوعها.

وفيما يلي أذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل السيدة البتول:

١ ـ «عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلاّ آسية امرأة فرعون، ومريم إبنة عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»(١).

٢ ـ «عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ما من مولود يولد إلاّ نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلاّ ابن مريم وأمه ثم قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾(٢)

٣ ـ عن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد قال أبو كريب وأشار وكيع إلى السماء والأرض»(٣).

«وأراد وكيع بهذه الإشارة تفسير الضمير في نسائها أن المراد به جميع نساء الأرض أي كل ما بين السماء والأرض من النساء والأظهر أن معناه أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها، وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه»(٤).

٤ ـ قال أبو هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نساء قريش خير نساء ركبن الإبل أحناه على طفل وأرعاه على زوج في ذات يده قال يقول أبو هريرة

---

(١) انظر: صحيح البخاري (فتح الباري) كتاب الأنبياء، ج ٦، ص ٤٤٦، رقم الحديث ٣٤١١.

أيضاً: سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، ج ٢، ص ١٠٩١، رقم الحديث ٣٢٨٠.

أيضاً: أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (بشرح النووي) ج ١٥، ص ١٩٨ ـ ١٩٩ ك فضائل الصحابة.

أيضاً: سنن الترمذي، ك الأطعمة ب ٣١ رقم الحديث ١٨٣٤، ج ٤، ص ٢٧٥.

(٢) صحيح البخاري (فتح الباري) ج ٦، ص ٤٦٩، رقم الحديث ٣٤٣١، كتاب الأنبياء.

أيضاً: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢٨٨.

(٣) صحيح مسلم (بشرح النووي) ج ١٥، ص ١٩٨، باب فضائل خديجة.

أيضاً: صحيح البخاري (فتح الباري) ج ٦، ص ٤٧٠، رقم الحديث ٣٤٣٢ ك الأنبياء.

أيضاً: سنن الترمذي ك المناقب ب (٦٢) رقم الحديث ٣٨٧٧، ج ٥، ص ٧٠٣.

أيضاً: مسند الإمام أحمد، ج ١، ص ٨٤.

(٤) شرح النووي، ج ١٥، ص ١٩٨.

على إثر ذلك لم تركب مريم بنت عمران بعيرا قط»[1].

٥ ـ عن ابن عباس قال خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط قال تدرون ما هذا؟ فقالوا الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسيا بنت مزاحم إمرأة فرعون ومريم إبنة عمران رضي الله عنهن أجمعين»[2].

٦ ـ عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وفاطمة سيدة نسائهم إلاّ ما كان لمريم بنت عمران»[3].

---

(١) صحيح مسلم (بشرح النووي) ج ١٦، ص ٨٠، باب فضائل نساء قريش.
أيضاً: صحيح البخاري (فتح الباري) ج ٦، ص ٤٧١، رقم الحديث ٣٤٣٤ كتاب الأنبياء.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٢٩٣.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ٦٤.

المبحث الرابع:

هجرتها عليها السلام ووفاتها

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾[1]

هذه الآية الكريمة تدلّ بداهةً على أنّ السيدة مريم وابنها عليهما السلام قد انتقلا من مكان إلى مكان آخر، وهذا الإنتقال أو هذه الهجرة بالطبع جزء من تاريخ حياتهما، ولم يحدّد القرآن الكريم صراحة هذا المكان، وذلك لأنّ القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ فقد أكّد وركّز على لب القصة ومواضع العبرة منها. وترك ما لا يفيد ذكره منها.

وقد اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة والتي وردت في هذه الآية الكريمة، فمنهم من فسرها بأنها مدينة الرملة، ومنهم من قال انها بيت المقدس، ومنهم من قال إنها دمشق لوجود نهر فيها والتي تقضي بوجود الربى.

وفي القاموس المحيط: (والرابية والرباه ما أرتفع من الأرض)[2].

«وعن إبن عباس: الربوة المكان المرتفع من الأرض، وهو أحسن ما يكون فيه النبات وكذا قال مجاهد وعكرمة.. ثم اختلف المفسرون في مكان الربوة من أي أرض هي؟ فقال عبد الرحمن بن زيد: ليس الربى إلاّ بمصر والماء حين يسيل يكون الربى عليها القرى ولولا الربى لغرقت القرى.. وروي عن سعيد بن المسبب في قوله: «وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين» قال هي دمشق»[3].

«وروي عن أبي هريرة أنه قال: هي الرملة من فلسطين»[4]

«وروي عن ابن عباس وابن سلام أنها دمشق، وقال كعب وقتادة: أنها بيت

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٥٠.

(٢) الفيروز أبادي، ص ٣٣٢.

(٣) (٤) انظر: الإمام ابن كثير (تفسير القرآن الكريم) ج ٣، ط دار المعرفة، ص ٢٤٦.

المقدس»[1].

«ذات قرار: أي مستوية يستقر عليها ذات ثمار ولأجل الثمار يستقرّ فيها الساكنون، «ومعين» ماء جار ظاهر للعيون»[2].

وقد ذكر الإمام الطبري في تاريخه: أنّ مريم عليها السلام قد فاجأها المخاض وهي في طريقها إلى مصر، وقد كانت بصحبة يوسف النجّار يقول:

«فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له، ليس بينها حين ركبت الحمار وبين الإكاف شيء، فانطلق يوسف بها، حتى إذا كان متاخماً لأرض مصر في منقطع بلاد قومها أدرك مريم النفاس وألجأها إلى آري حمار - يعني مزود الحمار - في أصل نخلة، وذلك في زمان شتاء، فاشتدّ على مريم المخاض، فلمّا وجدت منه شدة التجأت إلى النخلة، فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة، قاموا صفوفاً محدقين بها»[3].

والراجح - والله أعلم - أن المراد بالربوة في هذه الآية الكريمة هي (بلاد مصر) وذلك لوجود نهر النيل فيها وهو كما لا يخفى من أطول أنهار العالم فيقضي بوجود الربى فيها، أيضاً لوجود الكثير من الآثار والتي تدلّ على هجرتها مع ابنها عليهما السلام إلى مصر مثل «وادي النطرون ويوجد بها دير أبو مقار، والأنبابشوي، والسيدة العذراء، منطقة عين شمس، منطقة جبل الطير، ومنطقة قوسقام»[4].

وهناك بعض الباحثين[5] قد أوصل هذا القول بهجرة السيدة مريم وابنها إلى مصر إلى مرتبة التواتر وهذا خطأ، لأنّ التواتر: هو رواية جمع عن جمع في عصر من العصور يستحيل تواطؤهم على الكذب وهذه الروايات والتي تقول بهجرتها مع ابنها عليهما السلام إلى مصر لم تصل إلى حد التواتر.

---

(١) (٢) انظر: (الجامع لأحكام القرآن)، ج ١٢، ص ١٢٦.

(٣) ط ١، ج ١، ص ٣٥٠.

(٤) انظر: المؤتمر الخامس للآثار في البلاد العربية، القاهرة، ١٩٦٩م صادر عن جامعة الدول العربية الأمانة العامة، الإدارة الثقافية ص ٧٠٠ـ ٧٠٨ نقلاً عن لولو جفري (مريم في الكتاب والسنّة) (رسالة ماجستير) ص ٢٩٨.

(٥) انظر: مريم في الكتاب والسنّة (رسالة ماجستير)، للأخت لولو جفري، ص ٢٩٩.

أما كتب السنّة النبوية المطهّرة فلم تذكر أي شيء - فيما نعلم - عن هجرتها عليها وعلى ابنها أفضل الصلاة والسلام.

وكذلك وفاتها عليها السلام فلم يذكر القرآن الكريم ولا حتى السنّة النبوية المطهّرة - فيما نعلم - أي شيء عن وفاتها، وكما ذكرت - سابقاً - لأنّ القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ فهو يسكت دائماً عمّا لا يفيد وهو يركز على لب القصة لاستخلاص العبر والمواعظ منها.

الفصل الثاني

المسيح وأمه عليهما السلام في الكتاب والسنّة

ويشتمل على أربعة مباحث وهي:

المبحث الأول : صفاته وميزاته عليه السلام الواردة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني : آيات ودلائل نبوته (معجزاته) عليه السلام.

المبحث الثالث : فضل عيسى بن مريم عليه السلام من واقع السنّة النبوية المطهّرة.

المبحث الرابع : نزوله آخر الزمان كشرط من أشراط الساعة.

المبحث الأول:

صفاته وميزاته عليه السلام الواردة في القرآن الكريم

وبما أنّ القرآن الكريم هو المهيمن على الكتب السابقة والأمين عليها ـ كما ذكرت سابقاً ـ فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل، لذلك فإني سأكمل في هذا الفصل ـ إن شاء الله تعالى ـ ما بدأته في الفصل السابق عن السيدة مريم عليها السلام بالحديث عن ابنها هذا النبي الكريم والتي وردت صفاته وميزاته في القرآن الكريم.

وقد ذكرت في الفصل السابق الآيات الكريمات من سورة آل عمران عند الحديث عن السيدة مريم عليها السلام وبشارة الملائكة لها بعيسى عليه السلام وسأكرّر ذكر الآيات هنا ـ في هذا الموضع ـ لاستنباط صفاته عليه السلام منها.

قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾(١).

ومن صفاته الواردة في هذه الآيات الكريمات:

أولاً: أنه كلمة الله، وقد سبق وأن تحدثت عن معنى الكلمة في الفصل

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٤٥ـ ٤٩.

السابق[1].

ثانياً: تلقيبه وتسميته عليه السلام من قبل الله تعالى وهذا شرف ما بعده شرف، وهو شرف يليق بنبي ورسول بل ومن أولي العزم من الرسل، وذلك كما صدرت تسميات من الله تعالى لبعض أنبيائه كإسحاق ويعقوب[2] ويحي[3].

قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾.

«والمشهور أنّ المسيح لقبه عليه السلام وهو له من الألقاب المشرفة كالفاروق، وأصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك، وقيل: معناه الصديق»[4]، «وقيل إنه اسم موضوع وقيل: إنه مشتق وهذا هو ما عليه الأكثرون ثم ذكروا فيه وجوهاً:

١ ـ قال ابن عباس: إنما سُمي عيسى عليه السلام مسيحاً لأنه ما كان يمسح بيده ذا عاهة إلاّ برىء من مرضه.

٢ ـ لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها.

٣ ـ لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله تعالى.

٤ ـ أنه مسح من الأوزار والآثام.

٥ ـ لأنه ما كان في قدمه خمص.

٦ ـ لأنه كان ممسوحاً بدهن طاهر يمسح به الأنبياء.

٧ ـ لأن جبريل عليه السلام مسحه بجناحه وقت ولادته. ليكون ذلك صوناً له عن مس الشيطان، وعلى هذه الأقوال يكون المسيح بمعنى الممسوح فعيل بمعنى مفعول»[5].

---

(١) انظر: ص ٢٩١ من هذا البحث.

(٢) قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود: ٧١].

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾ [مريم: ٧].

(٤) انظر: الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦١.

(٥) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٣، ط ٢، ص ٤٩.

أما لفظ عيسى فهو «معرب أيسوع ومعناه السيد»[1].

وقيل في عيسى: «إنه مشتق من العيسى وأنه إنما سُمي به عليه السلام لأنه كان في لونه عيسى أي بياض تعلوه حمره»[2].

«قيل: وإن جعل عربياً كان مشتقاً من عاسه يعوسه إذا ساسه وقام عليه»[3].

ثالثاً: وصف الله تعالى له بأنه وجيهاً في الدنيا والآخرة.

«ومعنى الوجيه ذو الجاه والشرف والقدر يقال: وجه الرجل، يوجه وجاهةً فهو وجيه، إذا صارت له منزلة رفيعة عند الناس والسلطان، وقال بعض أهل اللغة: الوجيه: هو الكريم، لأن أشرف أعضاء الإنسان وجهه فجعل الوجه استعارة عن الكرم والكمال.. وللمفسرين في ذلك أقوال:

الأول: كان وجيهاً في الدنيا بسبب النبوة، وفي الآخرة بسبب علو المنزلة عند الله تعالى.

الثاني: أنه وجيه عند الله تعالى في الدنيا بسبب أنه يستجاب دعاؤه ويحيى الموتى ويبري الأكمه والأبرص، ووجيه بسبب أنه يجعله شفيع أمته المحقين ويقبل شفاعته[4] فيهم كما يقبل شفاعة أكابر الأنبياء عليهم السلام.

الثالث: أنه وجيه في الدنيا بسبب أنه كان مبرأ من العيوب التي وصفه اليهود بها، ووجيه في الآخرة بسبب كثرة ثوابه وعلو درجته عند الله تعالى.

فإن قيل: كيف كان وجيهاً في الدنيا واليهود عاملوه بما عاملوه، قلنا: وقد سمى الله تعالى موسى عليه السلام بالوجيه[5] مع أنّ اليهود طعنوا فيه، وآذوه إلى أن برأه الله تعالى مّما قالوا، وذلك لم يقدح في وجاهة موسى عليه السلام فكذا هنا»[6].

رابعاً: أن الآية الكريمة من سورة آل عمران تصف نبي الله عيسى عليه

---

(١) انظر: الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ٣، ط ٢، ص ١٦١.
(٢) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ٤، ص ٩٠.
(٣) المرجع السابق، نفس الصحيفة.
(٤) وبذلك قال الإمام ابن كثير ـ يرحمه الله ـ انظر: التفسير، ج ١، ٣٦٤.
(٥) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب: ٦٩].
(٦) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٨، ط ٢، ص ٥٠، ٥١.

السلام بأنه من المقربين:

وفي تفسير ذلك عدة وجوه:

«**أحدها**: أنه تعالى جعل ذلك كالمدح العظيم للملائكة فألحقه بمثل منزلتهم ودرجتهم بواسطة هذه الصفة.

وثانيها: أنّ هذا الوصف كالتنبيه على أنه عليه السلام سيرفع إلى السماء وتصاحبه الملائكة[1].

وثالثها: أنه ليس كل وجيه في الآخرة يكون مقرباً لأن أهل الجنة على منازل ودرجات»[2].

خامساً: وصف الله تعالى لنبيه عيسى عليه السلام بأنه ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾.

وقد تكلّم نبي الله عيسى عليه السلام بأمر من الله تعالى وهو في مهده ليدرأ عن أمه الطاهرة البتول شبهة اليهود القذرة، باتهامهم إياها قاتلهم الله باتيان الفاحشة عندما أتت بنبي الله عيسى وهي لم تكن ذات زوج.

قال تعالى:

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾[3].

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾

المهد هو إما حجر أمه أو المكان المعد لنوم الرضيع.

والكهل في اللغة: «ما اجتمع قوته وكمل شبابه أي الكمال التام وأكمل أحوال الإنسان إذا كان بين الثلاثين والأربعين، وقيل إنه يكون كهلاً بعد أن ينزل

---

(١) وبمثل هذا الرأي قول الإمام الألوسي انظر: (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦٢.
وأيضاً: الإمام أبي السعود، انظر التفسير، ج ٢، ص ٣٧.

(٢) انظر: الإمام الرازي (التفسير الكبير)، ج ٨، ط ٢، ص ٥١.

(٣) سورة مريم، الآية ٢٧ـ ٣٣.

من السماء في آخر الزمان ويكلّم الناس[1] ويقتل الدجّال»[2].

سادساً: وصف الله تعالى له بأنه من الصالحين.

والصلاح كما لا يخفى أهم ميزةٍ يتّصف بها المؤمن، وهي من أكبر نعم الله تعالى، فالصلاح يمتد خيره من الدنيا إلى الآخرة ليكون سبباً في دخول النعيم المقيم والنجاة من الجحيم، وكيف لا يكون صالحاً وهو النبي المصطفى المختار بل ومن أولي العزم من الرسل.

«**فإن قيل**: كون عيسى كلمة الله، وكونه ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ وكونه من المقربين عند الله تعالى، وكونه مكلّماً للناس في المهد، وفي الكهولة كل واحد من هذه الصفات أعظم وأشرف من كونه صالحاً فلم ختم الله تعالى أوصاف عيسى بقوله ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

قلنا: إنه لا رتبة أعظم من كون المرء صالحاً لأنه لا يكون كذلك إلاّ ويكون في جميع الأفعال والتروك مواظباً على النهج الأصلح، والطريق الأكمل، ومعلوم أن ذلك يتناول جميع المقامات في الدنيا والدين في أفعال القلوب، وفي أفعال الجوارح، فلما ذكر الله تعالى بعض التفاصيل أردفه بهذا الكلام الذي يدلّ على أرفع الدرجات»[3].

سابعاً: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾.

«والمراد من الكتاب تعليم الخط والكتابة»[4]. «وروى عن ابن عباس أنه قال: أعطى الله عيسى عليه السلام تسعة أجزاء من الخط وأعطى سائر الناس جزءً واحداً، وذهب أبو علي الجبائى إلى أن المراد بعض الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه عليهم السلام سوى التوارة والإنجيل مثل الزبور وغيره، وذهب كثيرون إلى أن ـ أل ـ فيه للجنس والمراد جنس الكتب الإلهية إلاّ أن المأثور هو الأول»[5].

---

(١) وهذا ما نقله الإمام الألوسي في تفسيره (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦٤.
وأيضاً: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ٤، ص ٩٠.

(٢) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٨، ص ٥١ـ ٥٢ باختصار.

(٣) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٨، ص ٥٣.

(٤) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٨، ص ٥٤.

(٥) انظر: الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦٦.

«والحكمة أي الفقه وعلم الحلال والحرام قاله ابن عباس، وقيل: جميع ما علمه من أمور الدين وسنن الأنبياء عليهم السلام، الصواب في القول والعمل، وإتقان العلوم العقلية»[1] «وقيل: المراد بالحكمة تعليم العلوم وتهذيب الأخلاق لأنّ كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به ومجموعهما هو المسمّى بالحكمة، ثم بعد أن صار عالماً بالخط والكتابة ومحيطاً بالعلوم العقليّة والشرعيّة، يعلّمه التوراة، وإنما أخر تعليم التوراة عن تعليم الخط والحكمة لأن التوراة كتاب إلهي وفيه أسرار عظيمة، والإنسان ما لم يتعلم العلوم الكثيرة لا يمكنه أن يخوض في البحث عن أسرار الكتب الإلهية، ثم قال في المرتبة الرابعة والإنجيل، وإنما أخر ذكر الإنجيل عن ذكر التوراة لأن من تعلّم الخط ثمّ تعلّم علوم الحق، ثمّ أحاط بأسرار الكتاب الذي أنزله الله تعالى على من قبله من الأنبياء فقد عظمت درجته في العلم فإذا أنزل الله تعالى عليه بعد ذلك كتاباً آخر وأوقفه على أسراره فذلك هو الغاية القصوى، والمرتبة العليا في العلم، والفهم والإحاطة بالأسرار العقليّة والشرعيّة»[2].

ثامناً: قوله تعالى ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

«وهذه الآية تدلّ على أنه ﷺ كان رسولاً إلى كل بني إسرائيل بخلاف قول بعض اليهود إنه كان مبعوثاً إلى قوم مخصوصين منهم»[3].

وفي الآيات الكريمات من سورة مريم، وصف نبي الله عيسى عليه السلام نفسه بثمان صفات وهي كما قال تعالى:

﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾﴾[4].

الصفة الأولى: وهي قوله عليه السلام ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ فكانت أول صفة وصف بها نفسه بأنه لا يعدو أن يكون عبداً لله.

والعبودية أسمى درجات العبادة، بل هي أرفع منازل الإيمان والشرف،

---

(١) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٢) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٨، ص ٥٤.

(٣) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٤) سورة مريم، الآية ٣٠ ـ ٣٣.

والإعتراف بالعبودية لله تعالى أول مقام المؤمنين وفيه ردّ على من يزعم بألوهيته أو بأنه ابن للإله تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

وقد يخطر في ذهن القارىء الكريم هذا الاستفهام، وهو: لماذا بدأ عليه السلام بالإقرار بعبوديته لله تعالى مع أن المقام يتطلّب نفي التهمة عن أمه عليها السلام؟

ويجيب عن ذلك الإمام الفخر الرازي فيقول:

«إنّ الذي اشتدّت الحاجة إليه في ذلك الوقت إنما هو نفي تهمة الزنا عن مريم عليها السلام ثمّ إنّ عيسى عليه السلام لم ينصّ على ذلك وإنما ينص على إثبات عبودية نفسه كأنه جعل إزالة التهمة عن الله تعالى[١] أولى من إزالة التهمة عن الأم، فلهذا أول ما تكلّم إنما تكلّم بها.

والتكلّم بإزالة هذه التهمة عن الله تعالى يفيد إزالة التهمة عن الأم لأنّ الله سبحانه لا يخص الفاجرة بولد في هذه الدرجة العالية والمرتبة العظيمة، وأمّا التكلم بإزالة التهمة عن الأم فلا يفيد إزالة التهمة عن الله تعالى فكان الاشتغال بذلك أولى»[٢].

الصفة الثانية: قوله تعالى ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾

«روى عكرمه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال المراد بأن حكم وقضى بأنه سيبعثني من بعد ولما تكلّم بذلك سكت وعاد إلى حال الصغر ولما بلغ ثلاثين سنة بعثه الله نبيا»[٣].

الصفة الثالثة: قوله تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾.

وقد كان عليه السلام نبياً رسولاً، خاصة وأن الله تعالى قد قرن نبوته باتيانه الكتاب لأنّ النبوة والرسالة بينهما عموم وخصوص مطلق فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا.

الصفة الرابعة: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾.

---

(١) يقصد بذلك ـ والله أعلم ـ إتهام النصارى قاتلهم الله بشركة المسيح لله تعالى في ملكه وألوهيته، أو أنه أي المسيح ابن لله تعالى، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

(٢) التفسير الكبير، ج ٢١، ص ٢٠٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٢١٣.

أيضاً، انظر: الإمام الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، ج ١٦، ص ٦٠.

«مباركاً أي نفاعاً، وقيل: كانت بركته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[1].

«وقيل: إنما كان مباركاً لأنه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم إلى طريق الحق فإن ضلوا فمن قبل أنفسهم لامن قبله»[2].

الصفة الخامسة: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾

أي: «يقول: وقضى أن يوصيني بالصلاة والزكاة يعني بالمحافظة على حدود الصلاة وإقامتها على ما فرضها عليّ وفي الزكاة معنيان **أحدهما**: زكاة الأموال أن يؤديها، **والآخر**: تطهير الجسد من دنس الذنوب فيكون معناه: وأوصاني بترك الذنوب واجتناب المعاصي، وقوله: ما دمت حياً يقول: ما كنت حياً في الدنيا موجوداً وهذا يبيّن عن أن معنى الزكاة في هذا الموضع تطهير البدن من الذنوب لأن الذي يوصف به عيسى صلوات الله وسلامه عليه أنه كان لا يدخر شيئاً لغد فتجب عليه زكاة المال إلاّ أن تكون الزكاة التي كانت فرضت عليه الصدقة بكل ما فضل عن قوته فيكون ذلك وجهاً صحيحاً»[3].

الصفة السادسة: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾.

«إشارة إلى تنزيه أمه عليها السلام عن فعل الفاحشة إذ لو كانت كذلك لما كان مأموراً بالبر بها وتعظيمها»[4].

والأنبياء ـ كما لا يخفى ـ هم قدوة البشر جميعاً في أقوالهم وأفعالهم، كما أن برّ الوالدين من أوجب الواجبات التي فرضها الله تعالى على المؤمنين.

الصفة السابعة: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾

«أي لم يقض عليّ سبحانه بذلك في علمه الأزلي، وقد كان عليه السلام في غاية التواضع يأكل الشجر ويلبس الشعر ويجلس على التراب، ولم يتّخذ مسكناً، وكان عليه السلام يقول: سلوني فإني لين القلب صغير النفس»[5].

وكما هو معلوم فإنّ التواضع ولين الجانب من أهم صفات أنبياء الله تعالى،

---

(١) انظر: الإمام الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، ج ١٦، ص ٦١.
(٢) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٢١، ص ٢١٤.
(٣) انظر: الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، ج ١٦، ص ٦١.
(٤) الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٢١، ص ٢١٤، اقتباساً.
(٥) انظر الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ١٦، ص ٩٠.

وكذلك يجب أن يتصف بها الدعاة إلى الله تعالى: فالدعوة إلى سبيل الله تعالى تتطلّب التواضع ولين الجانب، والصبر على الصعوبات التي تعترض طريق الداعي، وكذلك فإنّ التجبّر والتكبّر من الصفات التي تنفر من الدعوة وصاحبها..

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1].

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾[2].

الصفة الثامنة: قوله تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام.

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾

«وفي هذا إثبات منه لعبوديته لله عزّ وجل، وأنه مخلوق نبي من خلق الله تعالى، يحيا ويموت ويبعث كسائر الخلائق، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد صلوات الله وسلامه عليه»[3].

ويعرض الإمام الفخر الرازي شبهة النصارى[4] ضد نطق المسيح عليه السلام في مهده والتي تحدث عنها القرآن الكريم ويردّ عليها فيقول:

«اعلم أن اليهود والنصارى ينكرون أنّ عيسى عليه السلام تكلم في زمان الطفوليّة[5] واحتجوا عليه بأن هذا من الوقائع العجيبة التي تتوفر الدواعي على نقلها فلو وجدت لنقلت بالتواتر ولو كان ذلك لعرفه النصارى لا سيما وهم من أشدّ الناس بحثاً عن أحواله وأشدّ الناس غلواً فيه حتى زعموا كونه إلهاً، ولا شكّ أن الكلام في الطفوليّة من المناقب العظيمة والفضائل التامة فلما لم تعرفه النصارى مع شدة الحب وكمال البحث عن أحواله علمنا أنه لم يوجد ولأن اليهود أظهروا عداوته حال ما أظهر ادعاء النبوة فلو أنه عليه السلام تكلم في زمان الطفولية وادعى الرسالة لكانت عداوتهم معه أشدّ ولكان قصدهم قتله أعظم فحيث لم يحصل شيء من ذلك علمنا أنه ما تكلم، أما المسلمون فقد احتجوا من جهة العقل على أنه

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٢١٥.

(٣) ابن كثير (التفسير)، ج ٣، ص ١٢٠.

(٤) ذكرت هذه الشبهة هنا وذلك لإكمال الحديث عن نطق المسيح عليه السلام في المهد، ولأنها شبهة فرعيّة وليست من الشبه الكبيرة والتي يختصّ بها الباب الأخير من هذا البحث.

(٥) يقصد نطق المسيح عليه السلام في مهده.

تكلم فإنه لولا كلامه الذي دلّهم على براءة أمه من الزنا لما تركوا إقامة حد الزنا عليها ففي تركهم لذلك دلالة على أنه عليه السلام تكلّم في المهد، وأجابوا عن الشبهة الأولى بأنه ربما كان الحاضرون عند كلامه قليلين فلذلك لم يشتهر وعن الثاني لعلّ اليهود ما حضروا هناك وما سمعوا كلامه فلذلك لم يشتغلوا بقصد قتله»[1].

(١) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٢١، ص ٢١٦.

المبحث الثاني:

آيات ودلائل نبوته (معجزاته) عليه السلام

من المعلوم أنّ الله سبحانه وتعالى قد أيّد أنبياءه الذين اصطفاهم واختارهم لكيونوا رحمة للناس لانقاذهم من الضلال والانحلال، وقد أيّدهم بدلائل ومعجزات تدلّ على صدقهم فيما يدعون إليه من توحيد وإيمان وسير في طريق الحق المستقيم، وذلك ضدّ اتهامات وشكوك خصومهم من الكفرة والملحدين، وإلا فأخلاقهم وصفاتهم وسيرتهم عليهم السلام تكفي لأن يكونوا قدوة ومثلاً أعلى لجميع من خلق من البشر في زمانهم وليس لأقوامهم فحسب.

وقد تحدث القرآن الكريم عن دلائل نبوة نبي الله عيسى عليه السلام (معجزاته) بكل بيان ووضوح، وقيّد حدوث تلك الدلائل بأنها بإذن الله سبحانه وتعالى وإرادته فهو الخالق والمصور الأصلي لكل شيء، وإنما النبي يقدّر ويصوّر فقط، وقد صدر هذا الإقرار في القرآن الكريم على لسان المسيح عليه السلام وهذا من الأمور التي يمتاز ويختلف فيها القرآن الكريم عن أناجيل النصارى الحالية والمحرفة فهي تذكر أنه عليه السلام هو الخالق والصانع الأصل لمعجزاته تلك[1]!! ولا غرو فإنهم يزعمون ألوهيته كما يزعمون بأنه ابن للإله تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً[2].

ودلائل نبوته عليه السلام الواردة في القرآن الكريم خمس منها وردت في سورة آل عمران والسادسة في سورة المائدة.

قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ

(١) انظر ص ١٧٩ من هذا البحث.

(٢) للردّ على شبهة تأليه وبنوة المسيح لله تعالى.
انظر الباب الأخير من هذا البحث ص ٣٠٥ وما بعدها.

﴿وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾(١).

ويتبيّن من هذه الآية الكريمة خمس من دلائل نبوته (معجزاته) عليه الصلاة والسلام وهي كما يلي:

النوع الأول: أنه عليه السلام يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيصير طيراً فيطير بجناحيه في الهواء أمام قومه، وهذا بأمر الله تعالى وبإذنه فهو الخالق والصانع الحقيقي.

«والمراد بالخلق ـ هنا ـ التصوير والإبراز على مقدار معين لا الإيجاد من العدم»(٢)، «والهيئة هي الصورة المهيئة من قولهم هيأت الشيء إذ قدرته، وقوله (فانفخ فيه) أي في ذلك الطين المصوّر»(٣).

«وروي عنه عليه الصلاة والسلام لما أدعى النبوة وأظهر المعجزات طالبوه بخلق الخفاش فأخذ طيناً وصوره ونفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض، قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب من أعينهم سقط ميتاً ليتميّز من خلق الله تعالى (بغير واسطة) قيل: إنما طلبوا خلق الخفاش لأنه أكمل الطير خلقاً وأبلغ دلالةً على القدرة له ثدياً وأسناناً وهي تحيض وتطهّر، وتلد كسائر الحيوان، وتضحك كما يضحك الإنسان، وتطير بغير ريش، ولا تبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل، وإنما ترى في ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر، وقيل: خلق أنواعاً أخرى من الطير»(٤).

النوع الثاني: أنه يبرىء الأكمه.

«ذهب أكثر أهل اللغة أن الأكمه الذي ولد أعمى، وقال الخليل وغيره هو

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٤٩.

(٢) انظر: الألوسي (روح المعاني)، ج ٣، ص ١٦٨.

(٣) انظر: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٧، ص ٥٦.

(٤) انظر: أبو السعود (التفسير)، ج ٢، ص ٣٩.
أيضاً: الامام الالوسي (روح المعاني) ج ٣، ط ٢، ص ١٦٨.
أيضاً: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ٧، ص ٥٦.
أيضاً: القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ٤، ص ٩٤.
والحقيقة أن كل هذه الآراء اجتهادات للمفسرين ليس لها أي سند من الكتاب والسنة.

الذي عمي بعد أن كان بصيراً، وعن مجاهد هو الذي لا يبصر بالليل»[1].

النوع الثالث: يبرىء الأبرص.

أي أنه عليه السلام يبرىء المريض المصاب بالبرص بأمر الله وبإذنه، والبرص: مرض جلدي معروف يذهب بجمال البشرة وبلونها الأصلي إلى اللون الأبيض الباهق.

وفي دائرة معارف البستاني عرف البرص بأنه:

«بياض يظهر في ظاهر الجلد ويفور فإن لم يكن غائراً سُمي عندهم بالبهق، وإن كان البرص عاماً في سائر الأعضاء حتى يصير لون الجلد كله أبيض قيل له المنتشر»[2].

النوع الرابع: احياؤه للموتى بإذن الله تعالى:

«قيل: كان عليه السلام يحيى الأموات بيا حي يا قيوم وأحيا عاذر وكان صديقاً له، ودعا سام بن نوح من قبره فخرج حيا، ومرّ على ابن ميت لعجوز فدعا الله فنزل عن سريره حياً، ورجع إلى أهله وولد له، وقوله «بإذن الله» رفع لتوهم من اعتقد فيه الإلهية»[3].

النوع الخامس: إنه عليه السلام ينبىء قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة:

«أنهم لما أحيا لهم الموتي طلبوا منه آية أخرى، وقالوا: أخبرنا بما نأكل في بيوتنا وما ندخر للغد، فأخبرهم فقال: يا فلان أنت أكلت كذا وكذا، وأنت أكلت كذا وكذا وادخرت كذا وكذا، فذلك قوله «وانبئكم»، وعن قتاده: أخبرهم بما أكلوه من المائدة وما ادخروه منها خفية»[4].

النوع السادس: إنزال المائدة من السماء بطلبٍ من الحواريين لتطمئن قلوبهم

---

(١) انظر: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٧، ص ٥٧.

(٢) المجلّد الخامس، ط دار المعرفة، ص ٣٣٠.

(٣) انظر: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ٧، ص ٥٧.

ولا يخفى على القارىء الكريم أن القول باحيائه لهؤلاء الأفراد لم يكن يستند على أساس من الكتاب والسنّة، وإنما هو اجتهاد ونقول للأئمة المفسرين فحسب.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ٩٥.

ويعلموا أن قد صدقهم ويكونوا عليها من الشاهدين.

قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾[1].

اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ لأنه طلب واستفهام صادر من الحواريين أتباع نبي الله عيسى عليه السلام وقد امتدحهم الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة لهذه الآيات قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ فالبعض منهم فسرها بـ «هل تستطيع أن تسأل ربك؟، أو هل تستطيع سؤال ربك؟، وهناك من فسرها على ظاهر الآية بأنهم بالفعل كانوا شاكين متوقفين فان هذا القول لا يصدر عمن كان كاملاً في الإيمان، وقالوا: ونعلم أن قد صدقتنا وهذا يدلّ على مرض في القلب وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم اتقوا الله إن كنتم مؤمنين يدلّ على أنهم ما كانوا كاملين في الإيمان»[2].

ونحن لا نستطيع الترجيح بين هذين الرأيين بدون مرجح.

«والمائدة: كل ما يُمد ويبسط»[3].

ويقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة:

«والمعنى كأنهم لما طلبوا ذلك، قال عيسى عليه السلام لهم: إنه قد تقدمت المعجزات الكثيرة فاتقوا الله في طلب هذه المعجزة بعد تقدم تلك المعجزات القاهرة، فأجابوا وقالوا: إنا لا نطلب هذه المائدة لمجرّد أن تكون معجزة بل لمجموع أمور كثيرة: **أحدها**: إنا نريد أن نأكل منها فإن الجوع قد غلبنا ولا نجد

---

(١) سورة المائدة، الآية ١١٢ـ ١١٥.

(٢) انظر: الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ط ٢، ج ١٢، ص ١٢٩ بتصرّف واختصار.
أيضاً: الألوسي (روح المعاني)، ج ٧، ص ٥٨ـ ٥٩ بتصرّف واختصار.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٩.

طعاماً آخر، **وثانيها**: إنا وإن علمنا قدرة الله تعالى بالدليل ولكنا إذا شاهدنا هذه المعجزة ازداد اليقين والعرفان وتأكّدت الطمأنينة.

وثالثها: أن جميع تلك المعجزات التي أوردتها كانت معجزات أرضية وهذه معجزة سماوية وهي أعجب وأعظم فإذا شاهدناها كنا عليها من الشاهدين، نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل، ونكون عليها من الشاهدين لله بكمال القدرة ولك بالنبوة»[1].

﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ أي نتخذ اليوم الذي تنزل فيه المائدة عيداً نعظمه نحن ومن يأتي بعدنا، ونزلت يوم الأحد فاتخذه النصارى عيداً، والعيد في اللغة اسم لما يعود إليك في وقت معلوم»[2].

﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

«قال ابن عباس: يعني مسخهم خنازير وقيل: قردة وقيل جنساً من العذاب لا يعذب به غيرهم، قال الزجاج: ويجوز أن يكون ذلك العذاب معجلاً لهم في الدنيا، ويجوز أن يكون مؤخراً إلى الآخرة، وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ يعني عالمي زمانهم»[3]

«وروي أن عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء لبس صوفاً، ثم قال: ﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا﴾ فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين، غمامة فوقها وأخرى تحتها، وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عليه السلام وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثله وعقوبة»[4].

ويتحدث الإمام أبي زهرة ـ يرحمه الله ـ عن الحكمة في كون معجزاته عليه السلام من ذلك النوع فيقول:

«الحق إنّ الذي نراه تعليلاً مستقيماً لكون معجزات المسيح عليه السلام جاءت على ذلك النحو هو مناسبة ذلك النوع لأهل زمانه، لا لأنهم أطباء فناسبهم أن تكون المعجزة مما يتصل بالشفاء والأدواء، بل لأن أهل زمانه كان قد سادهم

---

(١) (التفسير الكبير)، ج ١٢، ص ١٣١.
(٢) المرجع السابق، نفس الصحيفة.
(٣) المرجع السابق، ص ١٣٢.
أيضاً: (روح المعاني)، ج ٧، ص ٦٢.
(٤) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج ١٢، ص ١٣٣.

إنكار الروح في أقوال بعضهم، وأفعال جميعهم، فجاء عليه السلام بمعجزة هي في ذاتها أمر خارق للعادة، مصدق لما يأتي به الرسول وهي في الوقت ذاته إعلان صادق للروح، وبرهان قاطع على وجودها، فهذا طين مصور على شكل طير، ثم ينفخ فيه فيكون حياً، ما ذاك إلاّ لأن شيئاً غير الجسم وليس من جنسه فاض عليه، فكانت معه الحياة، وهذا ميت قد أكله البلى وأخذت أشلاؤه في التحلل، وأوشكت أن تصير رميماً أو صارت يناديه المسيح عليه السلام فإذا هو حي يجيب نداء من ناداه، وما ذاك إلاّ لأن روحاً غير الجسم الذي غيره البلى حلّت فيها بذلك النداء، ففاضت عليه بالحياة، وهكذا، فكانت معجزة عيسى عليه السلام من جنس دعايته وتناسب أخص رسالته، وهو الدعوة إلى تربية الروح، والإيمان بالبعث والنشور، وأن هناك حياة أخرى يجازى فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته إن خيراً فخيراً، وإنّ شراً فشراً، وهل ترى أنّ معجزة إحياء الموتى تسمح لمنكر الآخرة بالاستمرار في إنكاره أو تسمح لجاحد البعث والنشور أن يستمر في جحوده»[1].

---

(١) انظر: محاضرات في النصرانية، ط دار الفكر، ص ٢٥ـ ٢٦.

المبحث الثالث:

فضل عيسى ابن مريم عليه السلام
من واقع السنة النبويّة المطهّرة

ومن الأحاديث الواردة في فضله وصفاته عليه الصلاة والسلام ما يلي:

١ - «عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءه[١]، ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً، مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الراس»[٢].

أخرجه البخاري في صحيحه[٣]

والإمام مسلم في صحيحه[٤]

٢ - «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ، ليلة أسري به: لقيت موسى قال فنعته فإذا رجل حسبته قال مضطرب[٥] رجل الرأس كأنه من رجال شنوءه، قال ولقيت عيسى، فنعته النبي ﷺ فقال: ربعه أحمر، كأنما خرج من ديماس[٦] يعني الحمام..»[٧].

---

(١) قبيلة معروفة ويقال إنها من اليمن.

(٢) أي الشعر المسترسل ليس فيه تكسر، ورجلاً مربوعاً: أي متوسط الطول انظر: شرح النووي، ط دار الفكر، ج ٢، ص ٢٢٦، ٢٢٧.

(٣) فتح الباري، ط دار المعارف، ج ٦، ص ٣١٤، كتاب بدء الخلق، رقم الحديث ٣٢٣٩.

(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٦، ط دار الفكر، ص ٢٢٧.
أيضاً: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٢٤٥.

(٥) مضطرب: وهو طويل الجسم.

(٦) قوله: خرج من ديماس: يعني في نضارته وكثرة ماء وجهه كأنه خرج من كن.
انظر: شرح النووي، ج ٢، ص ٢٣٢.

(٧) أخرجه الشيخان، انظر: فتح الباري، ج ٦، ص ٤٧٦، رقم الحديث ٣٤٣٧.
أيضاً: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢، ص ٢٣٢.

٣ - «عن أبي هريرة رضي الله عنه «قال: قال النبي ﷺ «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه باصبعيه حين يولد، غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب»[١]

٤ - «عن ابن عباس قال: ليس من مولود إلاّ يستهل واستهلاله بعصر الشيطان بطنه إلاّ عيسى بن مريم عليه السلام»[٢].

٥ - «عن عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من شهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنّ عيسى عبد الله ورسوله وكلمته[٣] ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[٤].

٦ - «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[٥].

٧ - «عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعلميها، ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران»، وإذا آمن بعيسى ثم آمن بي فله أجران، والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري كتاب بدء الخلق، ج ٦، ص ٣٣٧، رقم الحديث ٣٢٨٦، ط دار المعرفة.

(٢) انظر: سنن الدارمي، ج ٢، ص ٣٩٣، ط دار الكتب العلمية.

(٣) لتفسير الكلمة انظر ص ٢٤٥ فما بعدها من هذا البحث.

(٤) انظر: فتح الباري، ج ٦، ص ٤٧٤ رقم الحديث ٣٤٣٥، ط دار المعرفة.
أيضاً: صحيح مسلم، ج ١، ص ٥٧، رقم الحديث ٤٦.
أيضاً: مسند الإمام أحمد، ج ٥، ص ٣١٤.

(٥) صحيح البخاري فتح الباري، ج ٦، ص ٤٧٨ رقم الحديث ٣٤٤٣.
أيضاً: صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٤٥.
أيضاً: سنن أبي داوود، ج ٥، ص ٥٥، رقم الحديث ٤٦٧٥.
أيضاً: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٤٨٢.

(٦) صحيح البخاري، ج ٦، ص ٤٧٨، رقم الحديث ٣٤٤٦.
أيضاً: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٣٩٥.

المبحث الرابع:

نزوله آخر الزمان كشرط من أشراط الساعة

وقد دلّ على نزول المسيح ـ عليه السلام ـ آخر الزمان كشرط من أشراط الساعة قول الله تعالى: ـ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾[1]

وقد وردت أحاديث صحيحة تدلّ على نزول نبي الله عيسى عليه السلام آخر الزمان كعلامة أو شرط من أشراط قيام الساعة، واقتراب انتهاء الحياة كليّة على هذه البسيطة.

١ ـ «عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان[2] والدجال[3] والدابة[4] وطلوع الشمس من مغربها ونزول

---

(١) سورة الزخرف، الآية ٥٧ـ ٦١.

(٢) دخان يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام. . انظر: شرح النووي، ج ١٨، ص ٢٧.

(٣) الدجّال: يقال إنه شيطان وله فتنة عظيمة ومن صفاته أنه أعور العين اليسرى وجعد الشعر ومعه جنة ونار فناره جنة، وجنته نار.

(٤) هي دابة عظيمة تخرج من صدع في الصفا، قال تعالى: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝٨٢﴾ [النحل: ٢٧]، قيل لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وتسم الناس سواء منهم المؤمن والكافر، فأمّا المؤمن فيرى وجهه كأنه كوكب دري ويكتب بين عينيه مؤمن، وأمّا الكافر ـ والعياذ بالله ـ فتنكت بين عينيه نكتةً سوداء ويكتب بين عينيه كافر، انظر: محمد السفاريني (المسيح الدجال وأسرار الساعة)، ص ١٢٥ـ ١٣٣.

عيسى ابن مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج[1] وثلاثة خسوف خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[2].

وتدلّ الأحاديث الصحيحة بأنه عليه السلام سيحكم بشريعة الإسلام عند نزوله، فيكون حكماً مقسطاً عدلاً ـ ولا عجب فهو نبي ورسول من رسل الله تعالى ـ فيكسر الصليب بدليل على إنكاره له، ويقتل الخنزير دليل على كراهته وإهانته ويضع الجزية، ويكثر المال حتى يفيض فلا يقبله أحد.

٢ ـ «عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمّكم منكُم فقلت لابن أبي ذئب إنّ الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع عن أبي هريرة وإمامكم منكم، قال اين أبي ذئب تدري ما أمّكم منكُم قلت تخبرني قال فأمّكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ».

أخرجه البخاري في صحيحه[3]، ومسلم في صحيحه[4].

٣ ـ «عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول:

---

(١) يقال أنهم أناس من بني آدم مؤذون باستطاعتهم أن يشربوا كل ماء البحار والأنهار، وأن يأكلوا كل ما يصادفوه من وحوش وحيوانات وطيور!! وقد أعان الله ذي القرنين على أن يحبسهم ببنائه السدّ عليهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف: ٩٤ـ ٩٨].

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٨، ص ٢٧، ط دار الفكر.

أيضاً: سنن أبي داوود، كتاب الملاحم، ج ٤، ص ٤٩١، رقم الحديث ٤٣١١.

أيضاً: سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، ج ٢، رقم الحديث ٤٠٥٥.

أيضاً: مسند الإمام أحمد، ج ٤، ص ٦.

(٣) انظر: فتح الباري، ج ٦، ص ٤٩١، رقم الحديث ٣٤٤٩.

(٤) بشرح النووي، ج ٢، ص ١٩٣، واللفظ له.

أيضاً انظر: مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٣٣٦.

أميرهم تعالى صلّ لنا فيقول لا إنّ بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة»[1].

٤ ـ «عن أبي هريرة قال. قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب[2]، ويقتل الخنزير[3]، ويضع الجزية[4] ويفيض المال حتى لا يقبله أحد[5]»

أخرجه البخاري في صحيحه[6]، وأخرجه مسلم في صحيحه[7].

٥ ـ «عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[8].

٦ ـ «عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ لينزلنّ ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرنّ الصليب وليقتلنّ الخنزير وليضعنّ الجزية ولتتركنّ القلاص[9] فلا يسعى

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢، ص ١٩٣، ١٩٤ ط دار الفكر.
أيضاً: مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٣٨٤.

(٢) معناه: يبطل ما يزعمه النصارى من تعظيمه..
انظر: شرح النووي، ج ٢، ص ١٩٠.

(٣) أي يأمر بإعدامه مبالغة في تحريم أكله، وفيه توبيخ عظيم للنصارى الذين يدعون أنهم على طريقة عيسى ثم يستحلون أكل الخنزير ويبالغوه في محبته.
انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٤، ص ٤١٤.

(٤) أي أنه لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام أو القتل.

(٥) أي تكثير البركات والخيرات بسبب العدل وعدم التظالم.
انظر: شرح النووي، ج ٢، ص ١٩٠.

(٦) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٤، ص ٤١٤، رقم الحديث ٢٢٢٢، ط دار المعرفة.

(٧) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢، ص ١٨٩ـ ١٩٠، ط دار الفكر.
أيضاً: سنن الترمذي، ج ٤، ص ٥٠٦، رقم الحديث ٢٢٣٣.
أيضاً: مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٢٧٢.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري، ج ٥، ص ١٢١، رقم الحديث ٢٤٧٦، ط دار المعرفة.
أيضاً: سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٣٦٣ رقم الحديث ٤٠٧٨.

(٩) كالفتاة من النساء والحدث من الرجال ومعناه أن يزهد فيها ولا يرغب في اقتنائها لكثرة الأموال وقلّة الآمال.

عليها ولتذهبنّ الشحناء[1] والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد»[2]

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه[3]

٧ ـ «عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: الأنبياء اخوة لعلات دينهم واحد وأمهاتهم شتى وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وأنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فأنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض سبط كأنه رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل بين ممصرتين[4] فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويعطّل الملل حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجّال الكذاب، وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الابل مع الأسد جميعاً والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضرّ بعضهم بعضاً فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه»[5]

٨ ـ «عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء[6] حاجاً أو معتمراً أو ليثنينهما»[7].

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه[8]

٩ ـ «عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إني لأرجو إن طالت بي الحياة أن ادرك عيسى ابن مريم عليه السلام فإن عجل بي موت فمن أدركه فليقرئه مني السلام»[9].

---

(١) أي العداوة والبغضاء.

(٢) لكثرة الأموال، وقصر الآمال وعدم الحاجة وقلّة الرغبة للعلم بقرب الساعة.
انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢، ص ١٩٢، ١٩٣، ط دار الفكر.

(٣) المصدر السابق، نفس الصحيفة.

(٤) الممصر من الثياب الملون بالصفرة.

(٥) انظر: مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٤٣٧، ط المكتب الإسلامي.
أيضاً: سنن أبي داوود، ج ٤، ص ٤٩٨، ٤٩٩، رقم الحديث ٤٣٢٤، كتاب الملاحم، ط دار الحديث.

(٦) بين مكة والمدينة قال كان طريق رسول الله ﷺ إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام حجة الوداع.

(٧) أي يقرن بينهما وهذا يكون بعد نزوله عليه السلام من السماء في آخر الزمان.

(٨) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٨، ص ٢٣٤، ط دار الفكر.

(٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢٩٨، ط المكتب الإسلامي.

الباب الرابع

إبطال شبهات اليهود والنصارى حول المسيح وأمه عليهما السلام

ويشتمل على تمهيد وفصلين:

الفصل الأول : إبطال شبهات اليهود حول المسيح وأمه عليهما السلام.

الفصل الثاني : إبطال شبهات النصارى حول المسيح وأمه عليهما السلام.

تمهيد:

لليهود ـ قاتلهم الله ـ شبه كثيرة ومشينه يطلقونها ضدّ السيد المسيح عليه السلام وقد فصّلنا ـ الحديث عنها في الباب الأول من هذه الأطروحة، حيث كالوا له ولأمه عليهم السلام الاتهامات والسباب والشتائم حتى وصفوه بأوصاف تدلّ على انحطاط أخلاقهم مثل قولهم: إنه أحمق ومجنون وغشّاش بني إسرائيل، وتمادوا في طغيانهم حتى زعموا بأنه ابن غير شرعي أتت به أمه عن طريق الفاحشة من العسكري بانديرا!! وكذلك زعموا بأنّ معجزاته كانت عن طريق السحر وبذلك هم يطعنون في نبوته ورسالته وبمعجزاته الظاهرة التي أيّده الله بها، وهذا ما احتواه تلمودهم[1] المقدّس، بالإضافة إلى دوائر معارفهم ومؤلفاتهم.

أمّا النصارى فقد أطروه ونزّهوه ثم قدّسوه حتى رفعوه إلى مقام الألوهية!! وزعموا بأنه الإله ابن الإله ـ تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً ـ بل إنّ فرقاً منهم قد ألّهت أمه العذراء مريم عليها السلام ثم زعموا بأنه جزء من الثالوث المقدّس الآب والإبن وروح القدس[2] كما يزعمون ويعتقدون بنزوله وتجسّده وصلبه للتكفير عن خطيئة البشر التي انتقلت إليهم من أبيهم آدم عندما أكل من الشجرة المحرّمة[3]!!

«وروي عن علي رضي الله عنه قال قال لي النبي ﷺ فيك مثل عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالنزّلة التي ليس به، ثم قال يهلك فيّ رجلان محب مفرط يقرظني بما ليس فيّ ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني»[4].

وفي هذا الباب سنقوم ـ بعون الله تعالى ـ بنقض شبههم تلك والردّ عليها

---

(١) لتعريف التلمود، انظر: ص ٣١ من هذا البحث.

(٢) انظر: ص ٣٤٣ من هذا البحث.

(٣) انظر: ص ٤٢١ من هذا البحث.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ١، ص ١٦٠، ط المكتب الإسلامي.

يقصد بالطائفة التي أحبّت عليا رضي الله عنه وأفرطت في حبه الشيعة، أمّا =

سواء أكان مصدرها اليهود أم النصارى وسواء أكانت من كتبهم المقدّسة أم من دوائر معارفهم ومؤلفاتهم ومن الله المعونه والسداد وعليه الاتكال.

= مبغضية والذي يتهمونه بما ليس فيه فهم الخوارج، وكتب الفرق الإسلامية كثيرة والتي تتحدث بإسهاب عن هاتين الفرقتين.

الفصل الأول

إبطال شبهات اليهود
حول المسيح وأمه عليهما السلام

ويشتمل على مبحثان:

المبحث الأول : إبطال شبهات التلمود حول المسيح عليه السلام.

المبحث الثاني : إبطال شبهات اليهود من مؤلفاتهم ودوائر معارفهم.

المبحث الأول:

إبطال شبهات التلمود حول المسيح وأمه عليهما السلام

وكما ذكرنا في الباب الأول من هذه الأطروحة أن التلمود كتاب جد مقدّس عند اليهود فهو أقدس من التوراة المنزّلة على موسى عليه السلام في اعتقادهم، والتلمود هو الروايات الشفويّة لحاخاماتهم فدوّنت عندما خيف عليها من الضياع[1].

وقد كال هذا التملود أبشع السباب والشتائم والاتهامات لسيدنا المسيح وأمه عليهما السلام زوراً وبهتاناً.

وقد ذكرت ـ سابقاً ـ أن كتاب (فضح التلمود) للآب آي بي برانايس العالم الروماني[2]، قد احتوى على افتراءات وادعاءات التلمود ضدّ المسيح وأمه عليهما السلام في ثلاث مقالات:

المقالة الأولى: ما يتعلّق بأسماء يسوع المسيح في التلمود:

وعلى سبيل التحقير والإزدراء يدعى يسوع في التلمود: نجار ابن نجار أو بابن الحطاب أو الرجل الذي شنق أو (جيشو) أي ليمحوا اسمه وذكره.

كل هذه ألقاب حقيرة تدلّ على حقارة من أطلقها على سيدنا المسيح عليه السلام وعلى لؤمه وحقده ضد نبي من أنبياء الله تعالى، وسخرية الكفره وإيذاء المشركين ولذلك أمثلة كثيرة تكاد لا تحصى لصدّ دعوة أنبيائه ورسله ـ تعالى ـ وهم منزهون عن جميع تلك النقائص بتنزيه الله تعالى إياهم لاصطفائه سبحانه وتعالى لهم من دون جميع خلقه، واختياره لهم دليل على نزاهتهم ونظافة ساحتهم من كل خبث ورذيلة.

---

(١) انظر: ص ٣١ من هذا البحث.

(٢) انظر: هامش ص ٣٣، ٣٤ من هذا البحث.

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾[1].

وهم يقصدون بابن النجّار أو ابن الحطاب بأنه ابن غير شرعي كما ورد ذلك صريحاً في تلمودهم البغيض، وإلاّ فالنجارة والاحتطاب عملان شريفان لا ضير فيهما، ولكن أعداء الله يقصدون معنى آخر كما ذكرنا.

أمّا بالنسبة لقولهم: «الرجل الذي شنق» ويقصدون به المسيح عليه السلام فلم يذكر التاريخ ـ فيما نعلم ـ سواء التاريخ اليهودي أو التاريخ المسيحي بأنه شنق، فاعتقاد المسيحيين بأنه صُلب والصلب غير الشنق كما هو معلوم.

أمّا في المقالة الثانية: حياة المسيح عليه السلام في التلمود فحدث ولا حرج عن كثرة الشبه والإدعاءات والتهم القذرة ضد المسيح وأمه عليهما السلام وضد المسيحين أيضاً[2] ولا أدري كيف يتجرأون على نبي من أنبياء الله تعالى بكل هذه الإفتراءات الباطلة والمزيفة؟!! كيف يكون أحد أنبياء الله تعالى ابنا غير شرعي؟! وهل يختار الله سبحانه وتعالى أنبياءه عليهم السلام من هذا الصنف؟!

ولكن المصيبة الكبرى بأن ـ أعداء الله ـ لا يعترفون بنبوته ولا برسالته ولا حتى بصلاحه أو بشرعية إنجابه؟! وإلاّ فكيف يدّعون زوراً وبهتاناً بأنه موجود في لجات الجحيم بين القار والنار؟!! وما هو دليلهم في ذلك؟!! أأطلعوا الغيب أم لهم عند الرحمن عهدٌ؟!!

أمّا ما نقله الأب براناتيس عن كتاب زوهار[3] في كتابه (فضح التلمود)، فقد نقل أبشع الألفاظ عن كتاب التلمود اليهودي البغيض وهي أن يسوع المسيح والمسيحيين بالإضافة إلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام كل هؤلاء ماتوا كالبهائم ودفنوا في أكوام الأقذار.

ولكن القرآن الكريم يصرّح بما يفعله هؤلاء اليهود ـ قاتلهم الله ـ بالأنبياء، قال تعالى:

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ٧٥.

(٢) انظر: ص ٣٤ـ ٣٥ من هذا البحث.

(٣) انظر: ص ٣٦ من هذه الرسالة.

ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾[1].

إذاً فهم لا يقتصرون على سبهم وشتمهم والسخرية بهم وتكذيبهم وضربهم وإيذائهم بل إنهم لا يتورعون عن قتلهم[2]!!

والمقالة الثالثة من كتاب [فضح التلمود] هي في تعاليم المسيح عليه السلام.

يزعمون أن النصارى ـ ويقصدون به المسيح عليه السلام ـ يبتدع أعمالاً كاذبة ثم ينعتونه بألفاظ قبيحة قذرة كما هي عادتهم.. مثل أحمق ومجذوم، غشاش بني إسرائيل وأنه ابن الجندي بنديرا، ثم زعموا بأن المعجزات التي قام بها كانت بقوة السحر الذي تعلمه في مصر[3]!!.

وقد ردّدت الأسطر السابقة على ادعاءاتهم وافتراءاتهم وقذفهم ضد سيدنا المسيح عليه السلام فلن أكرّر ذلك.

أمّا بالنسبة لزعمهم بأنه عليه السلام كان يقوم بمعجزاته التي أيّده الله بها[4] بقوة السحر فهذا غير صحيح البته، وذلك لأن السحر يختلف تماماً عن المعجزة، فالسحر موجود، ولكنه في الحقيقة تخيّل وافتراء وليس بحقيقة في ذاته.

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾[5] فهو كالخيال أو التخيّل الذي لا حقيقة له بخلاف المعجزة والتي هي: أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد مدعي النبوة تأييداً له في دعواه.

فوجود المعجزة حقيقة وخرقها للعادة حقيقة، فالطير الذي خلقه عيسى عليه السلام ونفخ فيه صار طيراً بإذن الله تعالى وليس سحراً وخيالاً، وكذلك القول في إحيائه للموتى وإبرائه للأبرص والأكمه وجميع معجزات الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام[6].

أمّا ما يتعلّق بحديث التلمود عن الصلب، فالعقيدة الإسلامية تنفي الصلب

---

(١) سورة البقرة، الآية ٨٧.
(٢) انظر: ص ١٣٠ من هذه الرسالة.
(٣) انظر: ص ٣٥، ٣٧ من هذا البحث.
(٤) انظر: ص ٢٧٧ من هذا البحث.
(٥) سورة طه، الآية ٦٦.
(٦) وقد سبق أن رددت على زعمهم ذاك في ص ٢٧٨، ٢٧٩ من هذا البحث.

وما يترتّب عليه من أمور أخرى، وسنتحدث عن ذلك في المبحث الرابع من الفصل الثاني من هذا الباب بإذن الله تعالى[١].

ومن نسخة التلمود البابلي والتي قد أحضرتها من المكتبة العامة في مدينة نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية[٢] نقلت نصوصاً كلها تدور حول الإتهامات والإفتراءات المشينة التي يلصقها اليهود ـ أعداء الله ـ بنبي الله عيسى عليه السلام وفي هذه النصوص يتهمونه بأنه عكف على طوبه!!! أو أنه صنع من حجر المغنطيس صنماً كهيئة العجل وعبده!!! أو أنه مارس السحر وقاد إسرائيل إلى الضلال، وقد ذكرت بأنها نصوص ركيكه وملفقة من التلمود، وليس لها أساس من الصحة، ولا دليل يقوم عليها، إذ كيف يتجرؤن فيتهمون نبياً من أنبياء الله يدعو إلى توحيد وإلى عبادة الله وحده لا شريك الله كسائر الأنبياء ـ عليهم أفضل الصلاة والسلام ـ بأنه يعبد طوبه؟!! أو يصنع صنماً ويعبده؟!! كل هذه إتهامات وافتراءات ظاهرة البطلان والتزييف ولا تستحق تصديقها بل ولا النظر إليها.

وقد نقلت في الفصل الأول من الباب الأول في هذه الأطروحة ذهاب بعض المفكرين الغربيين مثل «ول ديورانت»[٣] إلى إنكار وجود شخصية المسيح عليه السلام ويشبهها هذا المؤرّخ الأمريكي بالخرافة أو الأسطورة مثل أساطير كرشنا وأوزيس.

ونحن نعترض على هذه الأقوال بل ننكرها وذلك لوجود قصة نبي الله عيسى عليه السلام وقصة أمه العذراء السيدة مريم عليها السلام في آيات كثيرة وعديدة من الذكر الحكيم[٤] القرآن الكريم الكتاب المحفوظ بحفظ الله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[٥].

---

(١) انظر: ص ٤٢١ من هذه الرسالة.

(٢) انظر: ص ٣٨ وما بعدها من هذا البحث.

(٣) للتعريف به انظر: هامش ص ٤٣ من هذا البحث.

(٤) انظر الباب الثالث من هذه الأطروحة. ص ٢٢٩.

(٥) سورة الحجر، الآية ٩.

المبحث الثاني:

إبطال شبهات اليهود من مؤلفاتهم ودوائر معارفهم

من دائرة المعارف اليهودية مقال بعنوان (عيسى الناصري في التاريخ) ويكرّر هذا المقال القول بأسطورية وخرافة وجود المسيح عليه السلام ويضيف القول: بأن شخصيته خطيرة إلاّ أنه له تأثير ضعيف على مجرى التاريخ[(١)].

وللردّ عليهم: بأنه لو كان تأثير شخصيته ضعيفاً ـ كما يقولون ـ أو أن شخصيته أسطورة أو خرافة لما خُلد ذكره إلى هذه العصور الحالية، ولما تحدث عنه القرآن الكريم[(٢)]، ولما تحدث عنه الكتّاب والمؤلفون، ولو كان الأمر كما يدعون لما اتّبع دينه ملايين الناس، ومع أن معظمهم على الباطل في اتباعهم له لتحريف الأسفار المقدسة من الأناجيل وغيرها[(٣)] فهذا كله يدلّ على أن شخصيته عليه السلام غير خرافية وغير أسطورية وغير ضعيفة التأثير على مجرى التاريخ بل هو نبي معصوم مؤيّد بالمعجزات عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

وفي دائرة المعارف اليهودية تكرار باتهامه عليه السلام بالكذب وبأنه ساحر وقد أتى بمعجزاته بقوة السحر.. وقد رددت على هذه الشبه في المبحث الأول من هذا الفصل[(٤)].

وتتهم دائرة المعارف اليهودية عيسى عليه السلام بأنه اغتصب النبوة من يوحنّا المعمدان عندما سجن، فاستغلّ تلك الفرصة وأخذ يدعو لنفسه كنبي[(٥)]!!.

والنبوة لا تؤخذ من أحد بالقوة، ولا يمكن أن تغتصب بل هي هبة ربانيّة

---

(١) انظر: ص ٥١، ٥٢ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) انظر: الفصل الثاني من الباب الثالث من هذه الرسالة، ص ٢٦٥.

(٣) انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (رسالة ماجستير للباحثة).

(٤) انظر: ص ٢٩٧ من هذه الرسالة.

(٥) انظر: ص ٥٥، ٥٦ من هذا البحث.

تقوم على الاختيار والاصطفاء من الله تعالى لعيّنة مميّزة من عباده الأخيار، وإلاّ فكيف ستقوم المعجزات الباهرات علي يديه تأكيداً له في دعوته؟!

أمّا دائرة معارف الديانات وعلم الأخلاق فتحدثت تحت عنوان (المسيح عيسى عليه السلام في اليهودية).

وتقول شبهتها: «إن قدوم المسيح كان خيراً وبركة على الأميين ـ أي غير اليهود ـ ولكنه كان نذير سوء ومعاناة قاسية وطويلة لليهود لم يشهدها تاريخهم الماضي!! لذلك فلا عجب أن يكتب اليهود ضد المسيح عليه السلام»[1].

وللردّ عليهم: لماذا تعتقدون أن المسيح نذير سوء على اليهود؟! وما هو دليلكم على ذلك؟ وهل يمكن أن يكون أحد أنبياء الله تعالى مصدر شقاء لأحد؟.. فلو أطاعوه لسعدوا سعادة الدارين، ولكنهم عصوه فهم الذين جلبوا الشقوة لأنفسهم.

وفي دائرة المعارف اليهودية شبهة تقول: إن عيسى عليه السلام كان تأثيره بين أهله وجيرانه متبايناً وقد اعتبره بعضهم بأنه مجنون مختلّ العقل وأنهم لم يتبعوا دينه إلاّ بعد موته[2].

نقول: بأن الكثير من الأنبياء إن لم يكن جميعهم اتهموا من قبل قولهم بهذه المزاعم الباطلة إمّا لإيذائهم، وإمّا لتنفير العوام منهم وهذه مجرّد مزاعم وافتراءات باطلة ليس لها أساس من الصحة ولا يقوم عليها أي دليل، لأن أنبياء الله تعالى عليهم أفضل الصلاة والسلام ـ أرجح الناس عقلاً وأكثرهم حكمةً وأكرمهم أخلاقاً، أمّا قولهم: بأنه لم يتّبع دينه إلاّ بعد موته فهذا ليس بصحيح ـ أيضاً ـ لأننا نعرف من التاريخ العام ومن الأناجيل ومن القرآن الكريم أن هناك من يسمون بالأنصار والحواريين، وهؤلاء كانوا أتباعه وغيرهم كثير، وقد زاد عدد أتباعه بعد رفعه عليه السلام ويا ليتهم استمروا على أصول دعوته.

وتزعم دائرة المعارف اليهودية: أن المسيح عليه السلام كان يدعو إلى «أبوة الإله» واعتقد أن المقصود بذلك أبوة الإله أبوة نسبية بمعنى أنه ابن للإله كما يزعم النصارى[3] أيضاً ـ تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

---

(١) انظر: ص ٦٢ وما بعدها من هذا البحث.
(٢) انظر: ص ٦٧ وما بعدها.
(٣) انظر: ص ٦٨ من هذا البحث.

ولماذا يدعي المسيح عليه السلام ذلك؟ أين دليلهم على ذلك؟ وهل يحتاج الله تعالى إلى أن يتخذ إبناً، وسأردّ على هذه الشبهة في المبحث الأول من الفصل الثاني من هذا الباب عند الردّ على شبه النصارى إن شاء الله تعالى(١).

وهناك شبهة أخرى لدائرة المعارف اليهودية فقد زعمت هذه الدائرة زوراً وبهتاناً عندما اخذت تروي قصة القبض على السيد المسيح عليه السلام وصلبه ـ كما زعموا ـ قالت: إنّ الجثة قد أخذت بعد الصلب ودفنت، ثم جاء شخص يدعي «يهوذا البستاني» وسرق الجثة من القبر واستعملها كسدّ لمنع الماء من دخول حديقته!! وليس ذلك فحسب بل إن القرآن الكريم نوّه عن الإهانة التي قوبلت بها جثة يسوع في شوارع القدس عندما سحبت الجثة ـ بعد ذلك ـ إلى الملكة «هلينا» لتراها وليشعر المسيحيين بالخجل(٢)!!!.

ونقول لهم: ما هذا الهراء؟! وما هذا الكذب والإفتراء؟! وما هذا الإفك المبين؟! فالقرآن الكريم أمامكم وبين أيديكم فتصفحوه بل تمعنوه، وابحثوا فيما بين دفتيه وأمعنوا النظر في محتواه فأتوا بآية واحدة دلّت على إهانة للمسيح عليه السلام إن استطعتم، ولن تستطيعوا أبداً لأنّ القرآن الكريم لا يهين أنبياء الله، كما هو حاصل عندكم ـ أيها اليهود ـ بل هو يثني عليهم ويمجدهم ويعرض قصصهم للاقتداء بهم وأخذ العبرة والموعظة منها.

ونحن لا ندري كيف يتجرأون على الكذب على كتاب إلهي رباني ـ محفوظ ما بين دفتيه ـ بكل هذه الوقاحة؟!!.

وإذا اتهم اليهود ـ قاتلهم الله ـ بأن عيسى عليه السلام ابن سفاح أو ابن غير شرعي فهم في الوقت ذاته يتهمون والدته العذراء السيدة مريم عليها السلام بالفاحشة وقد كان هذا موقفهم منها بالفعل وهذا ما احتواه كتاب (ولادة يسوع) والذي ألّف بالعبرانية ثم ترجم إلى الفرنسية(٣) فقد اتهمت عليها السلام بأنها قد استسلمت لرجل يدعى «يوسف بانديرا» وقد كانت معجبة به وهي في حالة حيض ظناً منها بأنه خطيبها يوحنّا من بيت داوود!! وفي اليوم التالي أخذت تلوم خطيبها والذي من كلامها علم ما حدث لها والذي هرب منها إلى بابل بعد أن علم بحملها!!.

---

(١) انظر: ص ٣٠٥ من هذه الرسالة.

(٢) انظر: ص ٩٢، ٩٣ من هذا البحث.

(٣) انظر: ص ٩٦، ٩٧ من هذا البحث.

وهذه هي التهمة الكاذبة التي اتهمت بها في تلمود اليهود المقدس.

وللردّ على هذه الشبهة الدنيئة نحيل القارىء الكريم إلى الفصل الأول من الباب الثالث من هذه الرسالة[1] ليطلع ما ذكره الإسلام في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية المطهّرة عن هذه العذراء الطاهرة والتي وصفها الله سبحانه وتعالى بأنها صديقة، ووصفتها السنة النبوية المطهرة بأنها من خيرة نساء العالمين.

وإذا اتهم كهنة اليهود عيسى عليه السلام بأنه عندما كبر وشبّ شذّ عن تعاليم التوراة.. فذلك لأنه وجدها تخالف الدين الصحيح والذي تلقاه عن ربه عندما حرفت فهو عليه السلام أعلم منهم بالإله الواحد الأحد وبتعاليم الدين الصحيح.

---

(١) انظر: ص ٢٣٣ من هذه الرسالة.

الفصل الثاني

إبطال شبهات وعقائد النصارى
حول المسيح وأمه عليهما السلام

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول : إبطال عقيدة بنوة المسيح وألوهيته.

المبحث الثاني : إبطال عقيدة التثليث.

المبحث الثالث : إبطال عقيدة الحلول والاتحاد والتجسّد.

المبحث الرابع : إبطال عقيدة الصلب والفداء.

المبحث الأول

إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته

ويندرج تحت هذا المبحث المسائل التالية:

المسألة الأولى: بولس ودوره في تحريف العقيدة المسيحية الأصلية.

المسألة الثانية: مجمع نيقيه وفرضه لعقيدة تأليه المسيح بقوة السلطان.

المسألة الثالثة: إبطال دعوى اتخاذ كيفية وجود المسيح عليه السلام ومعجزاته دليلاً على ألوهيته وبنوته لله تعالى.

المسألة الرابعة: ردود ومناقشات علماء ومقارنات الأديان على زعم النصارى بألوهية المسيح عليه السلام.

المسألة الخامسة: إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته عقلاً.

المسألة السادسة: إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته نقلاً:

أ - من نصوص القرآن الكريم.

ب - من السنة النبوية المطهّرة.

ج - من إنجيل برنابا.

د - من العهد الجديد.

المسألة السابعة: بطلان تأليه السيدة مريم والدة المسيح عليهما السلام.

المبحث الأول:

إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته

المسألة الأولى:

بولس ودوره في تحريف العقيدة المسيحية الأصلية.

وقد كان لبولس[1] شاؤول اليهودي دور كبير في تحريف العقيدة المسيحية ونقلها من التوحيد إلى تأليه المسيح، وقد كان لبولس هذا أربعة عشر رسالة وهي تشكل جزءاً كبيراً من العهد الجديد ومن يكتب هذه المجموعة من الرسائل والتي تبلغ مجموع إصحاحاتها (فصولها) مائة (١٠٠) إصحاح مع ثبوت تحريفه للعقيدة والشريعة[2]، فإنه لا بدّ وأن يكون له هدف.

أمّا هدفه فهو واضح كوضوح الشمس في رابعة النهار، إن هدفه هو هدم المسيحية وتقويضها من الداخل بتحريفها والابتداع في عقيدتها وشريعتها، بعد أن فشل في هدمها ومحوها تماماً من الخارج كعدو ومعذّب مضطهد، لأن الاعتداء بالمواجهة يضع عادة. «رد فعل» والاعتداء بالحيلة والخداع واختلاق القصص المثيرة قد يكون أسهل بكثير من المواجهة من الخارج، ومّما ساعد على ذلك عدم وجود كتاب محفوظ بحفظ الله تعالى وقد حفظت العقيدة الصحيحة بداخله كما هو حاصل للقرآن الكريم.

وقد جاء في رسالة أعمال الرسل ما يلي:

«وكان شاؤول مع التلاميذ الذين في دمشق أياماً، وللوقت جعل يكرز في

---

(١) لترجمته انظر هامش ص ٢٥، ٢٦ من هذه الأطروحة.

(٢) من تحريفاته للعقيدة ما نحن بصدد إثباته، ومن تحريفاته للشريعة الغاؤه فريضة الختان، وإختلاقه لشعيرة العشاء الرباني، انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربع (رسالة ماجستير) للباحثة، ص ٩٧ـ ١٠٠.

المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله»[1]

وقد جاء في رسالته إلى العبرانيين:

«فإذ لنا رئيس كهنة قد اجتاز السموات يسوع ابن الله فلنتمسّك بالإقرار»[2]

المسألة الثانية:

مجمع نيقيه وفرضه تأليه المسيح بقوة السلطان

ولا بدّ من أن نشير هنا إلى أمر هام وهو المجمّع الذي قرّرت فيه عقيدة تأليه المسيح وفرضت على جميع المسيحيين آنذاك بطريقة رسمية، وهو مجمّع نيقيه[3] «والذي عقد سنة ٣٢٥م أي في القرن الرابع الميلادي، وفيه رفضت عقيدة آريوس الموحد والذي ينادي ويدعو إلى عقيدة توحيد الله وأن المسيح لا يعدو إن يكون بشراً رسولاً بل إنه طرد وأخرج من حظيرة المسيحيين، وأحرقت في هذا المجمّع جميع الأناجيل والأسفار التي تقول بالتوحيد، وأن المسيح عبد الله ورسوله، وقرّرت الكتب الأخرى والتي تقول بتأليه المسيح!!، وكان هذا كله بتدخّل من قسطنطين الأمبراطور الروماني، والذي كان يرأس هذا المجمّع ـ ومع أنه كان وثنياً ـ أقرّ ما أراده ونفى وأبعد ما لم يوافق هواه، ومع أن عدد الموحدين في ذلك المجمّع أضعاف عدد مؤلهي المسيح، فقد كان عدد الموحدين (١٧٠٠) أسقف، وكان عدد مؤلهي المسيح (٣١٨)[4] فيا عجباً من أمة تقرر عقائدها عن طريق المجامع وبقوة السلطان الجائر!!!.

ويقول المؤرخ المسيحي «ول ديورانت»[5]:

«وصدر مرسوم امبراطوري يأمر بإحراق كتب آريوس جميعها، ويجعل إخفاء أي كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام»[6].

---

(١) أعمال الرسل ٩: ١٩ـ ٢٠.

(٢) ٤ : ١٤.

(٣) اقتضى الأمر أن نشير إليه في هامش ص ٢٥٢ من هذه الرسالة.

(٤) انظر مثلاً: محاضرات في النصرانية للإمام أبي زهرة، ط دار الفكر، ص ١٤٦ـ ١٥٤.
أيضاً د/ رؤوف شلبي (يا أهل الكتاب)، ج ١، ط ١، ص ٢١٨ وكذلك: حبيب سعيد (فجر المسيحية)، ص ١٥٠.

(٥) لترجمته، انظر هامش ص ٤٣ من هذا البحث.

(٦) قصة الحضارة، المجلد الثالث ١١، ط ٣، ص ٣٩٦.

«ويتّضح من رسائل قسطنطين التي بعث بها إلى الأساقفه المسيحيين أنه لم يكن يتردّد في القضاء على الانشقاق محافظة على وحدة الأمبراطورية، وقد كان في أثناء حكمه كله يعامل الأساقفه على أنهم أعوانه السياسيون، فكان يستدعيهم إليه، ويرأس مجالسهم ويتعهّد بتنفيذ ما تقرّه أغلبيتهم من آراء، ولو أنه كان مسيحياً لاحقاً لكان مسيحياً أولاً وحاكماً سياسياً بعدئذٍ، ولكن الآية انعكست في حال قسطنطين، فكانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية»[١].

المسألة الثالثة:

إبطال دعوى اتخاذ كيفية وجود المسيح عليه السلام ومعجزاته دليلاً على ألوهيته وبنوته لله تعالى.

ولا يخفى بطلان هذه الدعوى إذ أن خلق المسيح عليه السلام من أم دون أب لا توصله إلى درجة الألوهية ولا إلى البنوة لله تعالى، وإلاّ لكان آدم عليه السلام أحق بهذه الدعوى وهو أبو البشر جميعاً وقد خلق من غير أب ولا أم، وقد سجد الملائكة لآدم ولم يسجدوا لعيسى عليهما السلام ـ قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾[٢].

وكذلك لكانت أمنا حواء عليها السلام وهي المرأة الأولى في الخليقة، وأم البشر جميعاً، أحق من المسيح ومن أمه عليهما السلام بالألوهية، فقد خلقت قبلهما من الأب دون الأم لما روي عن ابن عباس «أنها خلقت من ضلعه الأقصر الأيسر وهو نائم ولأم مكانه لحماً»[٣] ومصداق ذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[٤].

ولم يثبت كما نعلم أن أحداً أدعى أن آدم أو حواء عليهما السلام إلهين من دون الله ولم يكونا كذلك، فما بالهم يدعون أن المسيح إله وابن إله؟!! تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٨٧.

(٢) سورة ص، الآية ٧٣، ٧٤.

(٣) انظر: الإمام ابن كثير (البداية والنهاية) ج ١، ص ٧٤، ط ٢.

(٤) سورة النساء، الآية ١.

﴿فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾[1].

«أجمع المفسرون على أن هذه الآية الكريمة نزلت عند حضور وفد نجران على الرسول ﷺ، وكان من جملة شبههم أن قالوا: يا محمد، لما سلمت أنه لا أب له من البشر، وجب أن يكون أبوه هو الله تعالى، إن آدم ما كان له أب ولا أم ولم يلزم أن يكون ابناً لله تعالى، فكذا القول في عيسى عليه السلام وأيضاً إذا جاز أن يخلق الله تعالى آدم من التراب فلم لا يجوز أن يخلق عيسى من دم مريم؟ بل هذا أقرب إلى العقل، فإن تولد الحيوان من الدم الذي يجتمع في رحم الأم أقرب من تولده من التراب اليابس»[2].

أمّا من يدعي ألوهية المسيح عليه السلام أو نبوته لله تعالى باتخاذ معجزاته دليلاً على هذه المزاعم، فجوابه: بأن لجميع رسل الله تعالى وأنبيائه معجزات اختصوا بها منها ما هي أعظم وأشهر من معجزات المسيح عليه السلام ومع ذلك لم يزعم أحد حسب علمنا بألوهيتهم ومن أولئك نبي الله موسى عليه السلام ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾[3] فإنّ تحويل العصا الجامدة إلى حيّة تسعى وتسيرَ أمام أعين الناس لهو أعظم من إحياء الميت الذي خلق سابقاً ولكنه قد فقد الروح فتعاد له بإذن الله تعالى، وكذلك فإن تحويل العصا إلى حيّة تسعى أعظم من إبراء الأكمه والأبرص، فما بالهم إذا يؤلهون المسيح عليه السلام؟!!.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة في معرض ردوده على النصارى: «فلو قال القائل: إن موسى بن عمران كان هو الله، لم يكن هذا أبعد من قول النصارى، فإنّ معجزات موسى كانت أعظم، وانتصاره على عدوه أظهر»[4].

«والمعجزات التي احتججتم بها للمسيح قد وجدت لغير المسيح ولو قدر أن المسيح أفضل من بعض أولئك، فلا ريب أن المسيح عليه السلام أفضل من جمهور الأنبياء، أفضل من داوود وسليمان وأصحاب النبوات الموجودة عندكم وأفضل من الحواريين ولكن مزيد الفضل يقتضي الفضيلة في النبوة والرسالة، كفضيلة إبراهيم وموسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه، وذلك لا يقتضي

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٥٩.

(٢) الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير) ج ٨، ط ٢، ص ٧٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٠٧.

(٤) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٣، ص ١٧٤.

خروجه عن جنس الرسل»[1] كما قال تعالى:

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾[2].

«فليس للمسيح اختصاص بشيء من هذه الألفاظ[3]، وإنما يوجد اختصاصه بلفظ (الكلمة) وكونه تجسّد من روح القدس وهذا هو الذي خصّه به القرآن الكريم»[4].

فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[5].

وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[6].

«فهذا الذي خصّه به القرآن الكريم، هو الذي خصّته به الكتب المتقدّمة، إذ كان القرآن الكريم مصدّقاً لما بين يديه ومهيمناً عليه»[7].

ويعلّل شيخ الإسلام ابن تيميّة اختصاص المسيح وتسميته (كلمة الله) دون سائر البشر بما يلي:

«إنما خصّ المسيح بتسمية كلمة الله دون سائر البشر لأنّ سائر البشر خلقوا على الوجه المعتاد في المخلوقات بخلق واحد من ذرية آدم من نطفة، ثم من

---

(١) المرجع السابق، ص ١٩٧.

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٥.

(٣) يقصد: ألوهيته أو بنوته لله تعالى كما يزعمون.

(٤) انظر: الجواب الصحيح، ج ٣، ص ١٩٨.

(٥) سورة النساء، الآية ١٧١.

(٦) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٦، ط دار المعرفة، ص ٤٧٤، باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾، رقم الحديث ٣٤٣٥.
أيضاً: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١، ط دار الفكر، ص ٢٢٧، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٧) الجواب الصحيح، ج ٣، ص ١٩٨.

علقة، ثم من مضغة، ثم ينفخ فيه الروح، وخلقوا من ماء الأبوين: الأب والأم.

والمسيح عليه السلام لم يخلق من ماء الرجل، بل لما نفخ روح القدس في أمه حبلت به، وقال الله له، كن فكان، ولهذا شبهه الله تعالى بآدم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝﴾[1] فإن آدم عليه السلام خلق من تراب وماء، فصار طيناً ثم أيبس الطين، ثم قال له: كن فكان، وهو حين نفخ الروح فيه صار بشراً تاماً، لن يحتج بعد ذلك إلى ما احتاج إليه أولاده بعد نفخ الروح، فإنّ الجنين بعد نفخ الروح يكمل خلق جسده في بطن أمه، فيبقى في بطنها نحو خمسة أشهر ثم يخرج طفلاً يرتضع، ثم يكبر شيئاً بعد شيء، وآدم عليه السلام حيث خلق جسده قيل له كن فكان بشراً تاماً بنفخ الروح فيه، ولكن لم يسم كلمة الله لأنّ جسده خلق من التراب والماء، وبقي مدة طويلة يقال: أربعين سنة، فلم يكن خلق جسده إبداعياً في وقت واحد، بل خلق شيئاً فشيئاً، وخلق الحيوان من الطين معتاد في الجملة.

وأمّا المسيح عليه السلام فخلق جسده خلقاً إبداعياً بنفس نفخ روح القدس في أمه، قيل له: كن فكان، فكان له من الإختصاص بكونه خلق بكلمة الله، ما لم يكن لغيره من البشر، ومن الأمر المعتاد في لغة العرب وغيرهم أن الاسم العام إذا كان نوعان خصّت أحد النوعين باسم وأبقيت الاسم العام مختصاً بالنوع كلفظ الدابة والحيوان، فإنه عام في كل ما يدب، وكل حيوان، ثم لما كان للآدمي اسم يخصه بقي كلفظ الحيوان يختص به البهيم.

«ولفظ الدابة يختص به الخيل والحمير ونحو ذلك.. فلمّا كان لغير المسيح ما يختص به، أبقي اسم الكلمة العامة مختصاً بالمسيح»[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٥٩.

(٢) انظر: الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٦٥ـ ١٦٦.

المسألة الرابعة:

ردود ومناقشات علماء مقارنات الأديان على زعم النصارى بألوهية المسيح عليه السلام

وقد ناقش الدكتور أحمد شلبي ادعاء النصارى بألوهية المسيح عليه السلام وبنوته لله تعالى بنقله لأقوال وتقارير كبار كتاب وعلماء مقارنات الأديان، وقد رتبها على النقاط الآتية:

أولاً: «أبان الكاتب الكبير kaltheff أن الاعتقاد بألوهية المسيح سبق كتابة الأناجيل، فالاعتماد على الأناجيل لإثبات ألوهية المسيح عمل بعيد عن الصواب، يقول kaltheff إنّ صورة المسيح كل معالمها وملامحها أعدّت قبل أن يكتب سطر واحد من الأناجيل، وإن هذه الصورة هي من إنتاج الفلسفة العقلية (الميتافيزيقية) التي كانت ذات سيطرة وكانت آراؤها شائعة وتكاد تكون عامة أو عالمية»(1).

ثانياً: يثبت plliecderer المصادر الحقيقة للاعتقاد بألوهية المسيح فيقول: إن معالم التنبؤ عند اليهود، وعظات الأحبار، والخيال الشرقي، والفلسفة الإغريقية قد اختلطت كل ألوانها، ومن هذه الأصباغ جاءت صورة المسيح التي ظهرت في العهد الجديد، وكل ما يمكن تقريره دون تردّد هو أن تصوّر المسيح ورسمه كان الهدف الوحيد للمسيحية في عهدها الأول كما كان هدف دعاتها»(2).

ثالثاً: إن ما يرويه متى أو يوحنا لا يمكن أن يعتبر دليلاً على مثل هذا الأمر الخطير، وخاصة إذا اتّضح لنا أن هذه الأناجيل من صنع هؤلاء أو قل إنها على الأقل من صنع الأجيال المتعاقبة ونسبت لهم، لأن الصلة بين إنجيل عيسى وهذه الأناجيل مقطوعة، والصلة بين هذه الأناجيل والذين نسبت إليهم تكاد تكون مقطوعة أيضاً(3).

رابعاً: «إن كلمة ابن الله أو قول الله تعالى: هذا ابني الحبيب لو صحّ هذا أو ذاك لما كان دليلاً على ألوهية المسيح فإنه استعمال مجازي معناه التكريم.

---

(1) Der Brewer Radikalianmus p.101 نقلاً عن د. أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٤٧.

(2) Der Brewer Radikaliamus p.101 نقلاً عن: المصدر السابق نفس الصحيفة.

(3) لمزيد من الإيضاح انظر: مثلاً: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (رسالة ماجستير للباحثة، ص ٥٣ وما بعدها.

ويقول H.D.A.Maior ينبغي أن يلاحظ أن عيسى لم يدّع أنه ابن الله من الناحية الحسيّة الجسمانية، ولا من الناحية الفكرية العقلية، وإنما من الناحية العامة التي تضع كل الناس من الله بمنزلة الأبناء من الأب في التعلّق به والإعتماد عليه والحاجة إليه»[1].

خامساً: وردت في هذه الأناجيل عبارات كثيرة تقرّر توحيد الله وتفيد بوضوح أن المسيح بشر رسول وإليك بعض هذه العبارات.

يروي متى عن المسيح قوله: «ولا تدعوا لكم أباً على الأرض إن أباكم واحد الذي في السموات»[2].

«فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلمّا رأى أنه أجابهم حسناً سأله أيّة وصية هي أول الكل، فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد»[3].

وقد ورد في إنجيل متى قوله:

«ولمّا دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة من هذا، فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل»[4].

وقد ورد في إنجيل لوقا قوله:

«فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم»[5].

«فلمّا رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم»[6].

«ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله»[7].

---

(١) Islamic Review Vol, IX, No.S, p.p. 276-277 نقلاً عن: د/أحمد شلبي (المسيحية)، ص ١٤٨.

(٢) ٢٣: ٩.

(٣) ١٢: ٢٧ـ ٢٩.

(٤) متى ٢١: ١٠ـ ١١.

(٥) لوقا ٧: ١٦.

(٦) يوحنا ٦: ١٤.

(٧) يوحنا ٨: ٤٠.

ويروي يوحنا في إنجيله كذلك عن عيسى عليه السلام:
«إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم»[١].

سادساً: إنّ بولس[٢] استعمل هذا التركيب استعمالاً مجازياً فقد ورد في رسالة كورنثوس الأولى قول بولس عن تيموثاوس «أرسلت إليكم تيموثاوس الذي هو ابني الحبيب»[٣].

سابعاً: يقول Harnack ما يلي عن شخصية المسيح عليه السلام «ووصف المسيح إله السماء والأرض بأنه إلهه وأبوه وبأنه الأعظم والإله الواحد، وأن المسيح يعتمد عليه في كل شيء، وإن خضوعه له تام ويدخل عيسى نفسه ضمن الناس معلناً أنه من طبيعة البشر التي تختلف عن طبيعة الله»[٤].

ثامناً: ورد في دائرة المعارف البريطانية ما نصّه: «ولم يدّع عيسى قط أنه من عنصر فوق الطبيعة، ولا أن له طبيعة أسمى من طبيعة البشر، وكان قانعاً بنسبه العادي ابناً لمريم منسوباً من جهة الأب إلى يوسف النجار»[٥].

تاسعاً: نشرت جريدة التايمز بتاريخ ١٥ يوليو ١٩٦٦م وثيقة دينية اكتشفت حديثاً، وقد جاء فيها ما ترجمته: تعتقد المسيحية أن عيسى ابن الله المقدس ولكن مؤرخي الكنيسة يسلمون بأن أكثر أتباع المسيح في السنوات التالية لوفاته اعتبروه مجرّد نبي آخر لبني إسرائيل»[٦].

---

(١) يوحنا ٢٠: ١٧.

(٢) للتعريف به، انظر: هامش ص ٣ من هذا البحث.

(٣) كورنثوس الأولى ٤: ١٧.

(٤) What is Christianity p.126 نقلاً عن د/أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٤٩.

(٥) Encyclopaedia Britannica Vol. 5, p.636.
نقلاً عن د/أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٥٠.

(٦) نقلاً عن د/أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٥٠.

المسألة الخامسة:

إبطال شبهة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته عقلاً.

ونعتقد أن هذه الشبهة لا تحتاج إلى مجهود عقلي كبير للرّد عليها وذلك لأن العقل والفطرة السليمين ينفيان تماماً البنوة لله تعالى، إذ أنّ الخالق غير المخلوق، والفارق جدٌ كبير بينهما، فإذا كان من المخلوقات من هو محتاج إلى الإبن لأنه قد يمتد به السن إلى أن يكبر ويهرم ويحتاج إلى من يشد عضده ويساعده في كبره[1] فإن الإله الخالق غير ذلك، فهناك فارق كبير بين الخالق والمخلوق، فالحق سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى الإبن لكي يتخذ إبناً، ولا إلى الصاحبة لك يتخذ صاحبه، فهو القوي القدير العليم الحكيم السميع البصير العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عمّا يصفون.

يقول الله تعالى على لسان الجن:

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾[2].

كما أنّ القول بوجود إلهين أو أكثر يؤدي إلى متاهات عقلية حالكة الظلام والإنسان العاقل بغنى عنها، فأيهما أقدم وأيهما أقوى إذاً أيهما أحق بالألوهية ومن ثم بالعبادة إلى آخر ما هنالك من المتاهات العقلية المظلمة.. وهذا تتضمنه عقيدة النصارى الحالية فكيف يكون للعالم إلهين أو أكثر إذا كان لا يمكن لقبيلة من القبائل أو دولة من الدول حاكمين اثنين وإنما ينفرد بذلك شخص واحد؟ فكيف يكون لهذا الكون الكبير الهائل الدقيق في أنظمته وقوانينه إلهان اثنان؟!!.

ألا يمكن أن يتخاصم هذان الإلهان فأحدهما يريد إحياء هذا والآخر يريد إماتته، أحدهما يريد إغاثة هذا والآخر لا يريد ذلك!! وقد قال تعالى:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾[3]

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[4].

---

(١) كما لا يخفى على القارىء الكريم أن الأبناء يحققون إرضاء غريزة الأمومة والأبوة في الإنسان وفي بعض المخلوقات، كما أنهم زينة الحياة الدنيا.

(٢) سورة الجن، الآية ٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٢٢.

(٤) سورة لقمان، الآية ١٣.

ويقول صاحب كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق) في الرّد على النصارى لادّعائهم بنوة المسيح لله تعالى.

«فأما جعل المسيح ابن الله أي مولوداً منه كما أطلقتم ذلك فإنه مردود عقلاً ونقلاً:

أما من جهة العقل فإنّ الإله يجب أن يكون واجب الوجود لذاته فولده إمّا أن يكون أيضاً واجب الوجود أو لا يكون، فإن كان واجب الوجود لذاته كان مستقلاً بنفسه قائماً بذاته لا تعلّق له في وجوده بالآخر، ومن كان كذلك لم يكن مولوداً البته لأن المولوديّة تشعر بالفرعيّه والحاجة، وإن كان ذلك المولود ممكن الوجود لذاته فحينئذٍ يكون وجوده بإيجاد واجب الوجود لذاته، ومن كان كذلك فيكون مخلوقاً لا ولداً فثبت أن من عرف أن الإله ما هو امتنع أن يُثبّت له الولد.

ثمّ إنّ الولد يحتاج أن يقوم مقام والده بعد فنائه وهذا إنما يعقل في حق من يفنى، أمّا من تقدّس عن ذلك فلا يعقل الولد في حقه.

ثمّ إنّ الولد لا بدّ وأن يكون متولّداً من جزء من أجزاء الوالد وهذا لا يعقل إلاّ في حق من يكون مركباً، ويمكن انفصال بعض أجزائه عنه، وهذا في حق الواحد الأحد الفرد الواجب لذاته محال.

ثمّ إنّ هذا في حق امتناع الولد على الله مطلقاً مع عموم من يقول بذلك، وأمّا النصرانية التي تقول أن عيسى حدث من غير أب ولا نطفة فنقول مسلم لكم ذلك إلاّ أن الله تعالى أخرجه إلى الوجود من غير سبق الأب فقد حدث ودخل في الوجود.

ويقال لهم: إمّا أن تريدوا بكونه ولداً لله تعالى أنه أحدثه على سبيل الإبداع من غير نطفة والد.

وإمّا أن تريدوا لكونه ولد الله تعالى كما يكون الإنسان ولدا لأبيه.

وإمّا أن تريدوا بكونه ولد الله تعالى أمراً ثالثاً مغايراً لهذين المفهومين.

أمّا الأول: فباطل لأنه تعالى يحدث الحوادث في مثل هذا العالم الأسفل بناءً على أسباب معلومة، والنصارى يسلمون إن العالم جميعه محدث فليلزم الاعتراف بأنه تعالى خلق السموات والأرض من غير سابقة مادة، فإذا كان كذلك وجب أن يكون احداثه للسموات والأرض إبداعاً، فابداعه لعيسى عليه السلام مثله، ولو وجب أن يكون والداً له بهذا الإبداع لزم أن يكون والداً للسموات والأرض لكونه

أبدعهما كإبداع عيسى.

وأمّا الثاني: وهو أن يكون مرادهم من الولادة الأمر المعتاد في الحيوانات فهذا أيضاً باطل لأن تلك الولادة لا تصحّ إلاّ ممن كانت له صاحبة وشهوة، وينفصل عنه جزء ويحتبس في الرحم، وهذا لا يثبت إلاّ في حق الجسم الذي يصحّ عليه الاجتماع والإفتراق وغيرهما من الأعراض وذلك على خالق العالم محال.

«وأمّا إثبات الولد لله تعالى بناء على أمر ثالث مغاير لهذين المفهومين فذلك باطل لأنه غير متصور ولا مفهوم عند العقل فثبت بالبداهة بطلان ما ذهبت إليه النصارى»[(١)].

والنصارى إن اعتقدوا بألوهية المسيح فإنهم بذلك يوجبون القول بمماثلته لله تعالى، كما يوجبون القول بوجوب وجوده وقدمه فهما إذاً على اعتقاد النصارى متماثلين يجب لأحدهما ما يجب للآخر ويمتنع عن أحدهما ما يمتنع عن الآخر، ولكن المسيح عليه السلام ممكن الوجود لأنه قد كان زمان لم يكن فيه موجوداً فليزم من قولهم بألوهيته القول بأنه قديم وحادث وأنه واجب الوجود وممكن الوجود في نفس الوقت وهذا جمع بين النقضين وهو محال.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة:

«ويدل العقل على أن المثلين اللذين يسدّ أحدهما مسدّ الآخر يجب لأحدهما ما يجب للآخر، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، ويجوز عليه ما يجوز عليه، فلو كان للخالق مثل للزم أن يشتركا فيما يجب، ويجوز ويمتنع».

والخالق يجب له الوجود والقدم ويمتنع عليه العدم فليزم أن يكون المخلوق واجب الوجود قديماً أزلياً لم يعدم قط، وكونه محدثاً مخلوقاً يستلزم أن يكون معدوماً، فيلزم أن يكون موجوداً معدوماً قديماً محدثاً، وهو جمع بين النقيضين يمتنع في بداهة العقول وأيضاً فالمخلوق يمتنع عليه القدم، ويجب له سابقة العدم، فلو وجب للخالق القديم ما يجب له لوجب كون الواجب القدم واجب الحدوث بعد العدم، وهذا جمع بين النقيضين، فالعقل الصريح يجزم بأن الله ليس كمثله

---

(١) العلامة عبد الرحمن الباجه جي زاده، تصحيح: عبد المنعم درويش، ط ١٤٠٧هـ، ص ١١٧- ١١٨.

شيء»[1].

«وأنتم أيضاً تلعنون من قال: إنّ المسيح ليس هو إله حق من إله حق، ولا هو مساوي الأب في الجوهر، ومن قال: إنه ليس بخالق ومن قال إنه ليس بجالس عن يمين أبيه»[2].

«وتلعنون أيضاً مع قولكم إنه الخالق من قال: إنه الأب، والأب هو الخالق، فتلعنون من قال هو الأب الخالق ومن قال: ليس هو الخالق، فتجمعون بين النقيضين»[3].

والنصارى يفرّقون بين الكلمة والتي يفسرونها بالعلم والحكمة ويقصدون بها المسيح عليه السلام!! وبين صفة فيعتقدون بأن (صفة العلم والحكمة) مولودة منه غير مخلوقة من قبل كل الدهور.

أمّا الأخرى وهي صفة الحياة فيرون بأنها ليست مولودة من الأزل، وإنما هي منبثقة منه، ولا يخفى على القارىء الكريم بأن ذلك تفريق بين صفتين متماثلتين وفي هذا التعبير ما لا يخفى من التناقض الظاهر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة:

«فيقال: مَنْ مِنْ الأنبياء سمّى شيئاً من صفات الله مولوداً قديماً أزلياً؟ فكيف يكون مولود قديم أزلي؟ وهل يعقل مولود إلاّ محدثاً؟!.

وأيضاً فإذا جاز أن تكون الكلمة التي سيفسرونها بالعلم أو الحكمة مولودة منه، فكذلك الحياة تكون مولودة منه، وإن كانت حياته منبثقة منه فكلمته منبثقة منه.

فجعل إحدى الصفتين الأزليتين مولودة من الأزل غير منبثقة، والأخرى ليست مولودة من الأزل، بل منبثقة، مع كونه باطلاً، فهو متناقض وتفريق بين المتماثلين.

فإنه إن جاز أن يقال للصفة القديمة الأزليّة: إنها مولودة منه فالحياة مولودة، وإن جاز أن يقال: إنها منبثقة، فالكلمة منبثقة.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ج ٢، ص ١٠٣، مطابع المجد.
(٢) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ج ٣، ص ١٧٧.
(٣) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

«وأيضاً فكون الصفة إلهاً خالقاً، وإثبات ثلاثة آلهة خالقين مع قولهم: إنّ الخالق واحد تناقض آخر»(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيميّة في الرّد على النصارى لزعمهم أن كلمة الله تعالى والتي يقصدون بها المسيح عليه السلام هي الخالقة، ويثبت رحمه الله فساد قولهم وأنهم يتكلمون بما لا يفهمونه، ويقولون بالكذب والكفر المتناقض، يقول ما نصه:

قولكم: «بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شيء» وقد نطقت الكتب بأن الله يخلق الأشياء بكلامه فيقول لها: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ هكذا في القرآن والتوراة وغيرها.

لكن الخالق هو الله تعالى يخلق بكلامه، ليس كلامه خالقاً.

ولا يقول أحد قط: إنّ كلام الله خلق السموات والأرض.

والتوراة كلام الله، والإنجيل كلام الله، ولا يقول أحد: إن شيئاً من ذلك خلق السموات والأرض، ولا يقول أحد: يا كلام الله إغفر لي وارحمني.

فقول هؤلاء: إن كلمته هي الخالقة وإنه خلق بها، كلام متناقض.

فإنها إن كانت هي الخالقة، لم تكن هي المخلوق به، فالمخلوق به ليس هو الخالق.

وقولكم «كلمة الله الخالقة» أهي كلام الله كله، أم هي بعض كلام الله، أم هي المعنى القائم بالذات الأزلي.. أم حروف وأصوات قديمة أزليّة كما يقول بعض الناس، أم هي الذات المتكلمة؟

فإن كانت هي الذات المتكلمة فهي الأب والرب، وتكون هي الموصوفة بالحياة، فلا يكون هناك كلام مولود، ولا كملة أرسلت ولا غير ذلك ممّا ذكروه، وهذا خلاف قولهم كلهم، فإن الكلمة المتحدة بالمسيح ليست هي الأب عندهم وإن قالوا: بل هي كلام الله كله.

قيل لهم: فيكون المسيح هو التوراة، والإنجيل، والقرآن، وسائر كلام الله وهذا لا يقولونه، ولم يقله أحد ولا يقوله عاقل.

وإن قالوا: إنها هي المعنى الواحد القديم الأزلي، أو الحروف والأصوات

---

(١) الجواب الصحيح، ج ٣، ص ٥٨.

القديمة الأزليّة.

قيل لهم: هذان القولان وإن كانا باطلين، فإن قلتم بهما لزمكم أن يكون المسيح هو كلام الله كله، فإنّ هذين عند من يقول بهما ـ هما جميع كلام الله.

والتوراة، والإنجيل، وسائر كلام الله، عبارة عن ذلك المعنى القائم بذات الله، وهو الحروف، والأصوات القديمة القائمة بالذات عند من يقول بهذين.

وإن قلتم: إنّ المسيح بعض كلمات الله، فحينئذٍ لله كلمات أخر غير المسيح، فاجعلوا كل كلمة خالقاً، كما جعلتم الكلمة المتّحدة بالمسيح خالقاً، إذ كنتم تقولون: «الكلمة هي الخالقة بها» فقولوا سائر كلمات الله: إنها خالقه مخلوق بها، وحينئذٍ فيتعدد الخالق بتعدد كلمات الله.

وإذا كانت كلمات الله لا نهاية لها، كان للخلق خالقون لا نهاية لهم، وهذا غاية الباطل والكفر.

وبالجملة أي شيء فسّروا به الكلمة تبيّن فساد قولهم، ولكنهم يتكلمون بما لا يفهمونه، ويقولون الكذب والكفر المتناقض، وإنما عندهم تقليد من أضلهم. كما قال تعالى:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧﴾[1].

وينقض شيخ الإسلام ابن تيميّة ادعاءات ومزاعم النصارى، بأنّ الصفة القديمة الأزليّة (صفة العلم) لله تعالى ولدت مرتين! ولادة قديمة أزليّة، وولادة حادثة من مريم!! ويثبّت ـ يرحمه الله ـ بأن هذا كذب وافتراء، ولم ينقل أحد عن أنبياء الله تعالى أنهم قالوا ذلك.

وفيما يلي نصّ حديثه:

«ويقال لهم: ما لم يعلم بالمعقول، فليس في المنقول ما يدلّ عليه، وأنتم لا تدعون أنكم عرفتموه بالعقل، ولكن بما نقل عن الأنبياء وأنتم قد فسرتم كلمته بعلمه وحكمته، وروح القدس بحياته فعن أي نبي تنقلون أن علم الله وحكمته

---

(١) سورة المائدة. الآية ٧٧.

انظر: الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ج ٣، ص ٥٤ـ ٥٦.

مولودة منه وأنه يسمّى ابناً»[1].

«وليس في الأنبياء من سمّى شيئاً من صفات الرب ولداً له ولا ابناً، ولا ذكر أن الله شيئاً من صفاته، فدعواكم أن صفته القديمة الأزليّة ولدت مرتين، مرة ولادة قديمة أزليّة، وولادة حادثة من فرج مريم، كذب معلوم على الأنبياء لم يقل أحد منهم: إنّ الله ولد، ولا إن شيئاً من صفاته ولده، لا ولادة روحانيّة، ولا ولادة جسمانيّة»[2].

«ويزعم النصارى أن الله سبحانه وتعالى بعث كلمته الخالقة ـ والتي يقصدون بها المسيح عليه السلام فاحتجبت بإنسان مخلوق، ويقصدون به ناسوت المسيح لزعمهم أنه يتكون من جزئين لاهوتي وناسوتي.

ويزعم النصارى أن الله تعالى جعل الكلمة الخالقة احتجبت بإنسان مخلوق لنفسها بمسرّة الأب وموازرة روح القدس خلقاً جديداً.

وإذا كانت هي الخالقة بمسرّة الأب الخالق على الخلق، فالأب لم يخلقه بل سرّ بذلك، وروح القدس وازرت ذلك، والخالق خلق الخلق.

ومعلوم أنه إذا كان للخالق من يوازره على الخلق، لم يكن مستقلاً بالخلق بل يكون له فيه شريك.

فهذه الكلمة، تارة يقولون: هي الخالقة، وتارة يقولون: خلق بها الخلق فخلقت، وتارة يقولون: إنّ روح القدس وازرها في الخلق، فهذه أربعة أقوال ينقض بعضها بعضاً.

فإن كان الله هو الخالق لكل شيء فالخالق واحد، فليس هناك خالق آخر ولا شريك له في الخلق.

والخالق إذا خلق الأشياء بقوله ﴿كُن﴾ لم يكن كلامه خالقاً، ولو كانت كل كلمة إلهاً خالقاً، لكان الآلهة الخالقون كثيرين لا نهاية لهم»[3].

«وأنكم إذا جعلتم الله نفساً ساكناً في المسيح، فوزانه أن تكون الشمس نفسها ساكنة في موضع صغير من الأرض.

وهذا التمثيل يبطل قولكم: إنّ الله أعلا وأعظم وأجل وأكبر، والله أجل

(١) (٢) المرجع السابق، نفس الصحيفة.
(٣) المرجع السابق، ص ٥٧ـ ٥٨.

وأكبر وأعظم من كل شيء، والشمس آية من آياته، ومخلوق من مخلوقاته، ومع هذا فلو قال قائل: إنّ الشمس سكنت في جوف امرأة وخرجت من فرج تلك المرأة، لكان كل عاقل يعلم فساد قوله، وينسبه إلى الجهل العظيم أو الجنون، وسواء قال: إنّ الشمس نفسها نزلت، أو لم تنزل.

وأنتم تقولون: إنّ رب العالمين سكن في بطن مريم، ويقول أكثركم - كالملكية واليعقوبيّة[1]: إنه خرج من فرج مريم.

ولو قال قائل عمّا هو أصغر مخلوقات الله كوكب من الكواكب، أو جبل من الجبال، أو صخرة عظيمة: إنّ ذلك كان في بطن إمرأة وخرج من فرجها، لضحك الناس من قوله، فكيف بمن يدّعي مثل ذلك في رب العالمين[2]؟!!».

«ومن جوز عقله أن يكون رب العالمين خرج من فرج مريم وهي بكر فقد جعل رب العالمين يخرج من ثقب صغير، وهذا أعظم ما يكون من الامتناع.

ومن جوّز عليه هذا، جوز عليه أن يخرج من كل ثقب مثل ذلك الثقب وأكبر منه، وجوز أن يخرج رب العالمين من فم كل حيوان وفرجه، ومن شقوق الأبواب وغير ذلك من الثقوب.

وإن قالوا: ذاك مكان طاهر، قيل: أفواه الأنبياء والصالحين أطهر من كل فرج في العالم، فيجوز أن يخرج من فم كل نبي وولي لله، ومن أذنه، ومن أنفه، فإنّ هذه الخروق والثقوب أفضل من فروج النساء، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

فهؤلاء النصارى يقولون إن كون الله مولوداً من فرج مريم، غير كونه مولوداً في الأزل من الأب، بل هما ولادتان، روحانيّة وجسمانيّة.

وهم إذا طولبوا بتفهّم ما يقولونه وقيل لهم: هذا لا يتصور أن يكون رب العالمين يخرج من ثقب ضيق، لا فرج، ولا فم، ولا أذن، ولا غير ذلك من الأثقاب، قالوا: هذا فوق العقل، واعترفوا بأن هذا لا يتصوره العقل.

فيقال لهم: هذا الكلام لم يقله نبي من الأنبياء، ولم ينطق نبي من الأنبياء بأن مريم حملت برب العالمين وولدته، بل ولا نطق نبي من الأنبياء بأن الله مولود

---

(١) انظر: ص ٢٢١، ٢٢٢ فما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٧.

ولا شيء من صفاته مولود، لا علمه، ولا حياته، ولا غير ذلك»[1].

ويلزم النصارى بمقتضى اعتقادهم (ببنوة المسيح لله تعالى) يلزمهم بأن عقيدتهم هذه توجب القول بوجود الصاحبة لله تعالى - تعالى الله عمّا يقوله الظالمون علواً كبيراً - وذلك لأنّ القول بوجود الإبن يلزم القول بوجود الصاحبة على أي معنى فسّرت هذه الولادة، ولذلك فكيف إذاً يثبت الفرع الملزوم بدون ثبوت الأصل اللازم؟

«يوجد كثير من عوام النصارى يعتقدون أنّ المسيح ابن الله البنوة المعروفة في المخلوقات، ويقولون: إنّ مريم زوجة الله، وهذا لازم لعامة النصارى وإن لم يقولوه فإن الذي يلد لا بدّ له من زوجه.

ولهذا قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

«وجعل الرب والد المولود أنكر في العقول من إثبات صاحبة له سواء فسّرت الولادة بالولادة المعروفة أو بالولادة العقليّة التي يقولها علماء النصارى، فإنّ من أثبت صاحبة له يمكنه تأويل ذلك كما تأولوا هم الولد، ويقولون: إنّ الأب ولدت منه الكلمة، ومريم ولد منها الناسوت، واتّحد الناسوت باللاهوت، فكما أنّ الأب أب باللاهوت لا بالناسوت، ومريم أم للناسوت لا للاهوت، فكذلك هي صاحبة للأب بالناسوت، واللاهوت زوج مريم بلاهوته، كما أنّه أب للمسيح بلاهوته، وإذا اتّحد اللاهوت بناسوت المسيح مدة طويلة فلماذا يمتنع أن يجتمع اللاهوت بناسوت مريم مدةً قصيرة، وإذا جعل الناسوت الذي ولدته ابناً للاهوت فلأي شيء لا تجعل هي صاحبة وزوجة للاهوت فإنّ المسيح عندهم اسم لمجموع اللاهوت والناسوت، وهو عندهم إله تام وإنسان تام، فلاهوته من الله وناسوته من مريم، فهو من أصلين: لاهوت وناسوت، فإذا كان أحد الأصلين أباه والآخر أمه فلماذا لا تكون أمه زوجة أبيه بهذا الاعتبار، مع أنّ المصاحبة قبل البنوّه؟ فكيف يثبت الفرع الملزوم بدون ثبوت الأصل اللازم؟[3]».

«فأمّا ما يقوم بالموصوف من صفاته اللازمة له، فهذا أبعد شيء عن أن

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، ج ٣، ص ٤٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠١.

(٣) الجواب الصحيح، ج ٢، ص ٩٦.

يسمى هذا الملزوم ولادة، بل لا تكون الولادة إلاّ عن أصلين.

وكل من قال: إن لله ولداً، لزمه أن تكون له صاحبة بأي وجه فسّر الولادة، وأن يكون له ولد حادث، ولهذا قال تعالى:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾[1].

فاستفهم - تعالى - استفهام إنكار، يبيّن امتناع أن يكون له ولد، إذا لم تكن له صاحبة فإنّ الولد لا يكون إلاّ من أصلين، وهذا مّما ينبغي أن يتفطن له، فإن جعل ما يلزم الشيء الواحد متوالداً عنه، لا يعرف، لا سيما صفاته القائمة به اللازمة له كعلمه، وحياته، لا سيما الصفات القديمة الأزلية لذات رب العالمين، الذي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها، فإنّ صفات العبد اللازمة له، كحياته، وقدرته ونحو ذلك، ليست متولّدة عنه عند جميع العقلاء»[2].

«وسائر الطوائف الذين أثبتوا لله ولداً، جعلوه حادثاً منفصلاً عنه.

فأما جعل صفته القائمة به ولداً له ومولوداً، فهذا لا يعرف عن غير النصارى فإذا أثبتوا له ولداً وابناً غير مخلوق، والصفة القائمة به اللازمة له، لم تتولد عنه،

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٩٩، ١٠٠.

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ في معنى الكناية وفيها قولان: أحدهما أنها تعود إلى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن يكون شريك الله من هو محدث مخلوق والقول الثاني: أنّ الكناية تعود إلى الجاعلين لله شركاء فيكون المعنى: وجعلوا لله الذي خلقهم شركاء لا يخلقون شيئاً وهذا كالدليل القاطع بأن المخلوق لا يكون شريكاً لله، وكل ما في الكون محدث مخلوق، والله تعالى هو الخالق لجميع ما في الكون فامتنع أن يكون لله شريك في ملكه.

﴿وَخَرَقُوا لَهُ﴾ أي اختلقوا وكذبوا، يقال اختلق واخترق على فلان إذا كذب عليه، وذلك أنّ النصارى وطائفة من اليهود ادّعوا أن لله ابناً، وكفار العرب ادّعوا أن الملائكة بنات الله، وكذبوا على الله جميعاً فيما ادعوه.

وقوله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ كالتنبيه على ما هو الدليل القاطع على على فساد هذا القول لأن الولد جزء من الأب، والله سبحانه وتعالى لا يتجزأ، فثبت بهذا فساد قول من يدعي أن لله ولداً ثم نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد، وعن هذه الأقاويل الفاسدة».

انظر: تفسير الخازن، ج ٢، ص ٤٠، ط دار المعرفة بيروت.

(٢) انظر: الجواب الصحيح، ج ٣، ص ١٨٠، ١٨١.

ولا تسمّى ابناً ولا ولداً عند أحد من الأنبياء وغيرهم، تعيّن أن يكون الولد، إمّا جزءاً منفصلاً عنه، وإمّا معلولاً له صادراً عنه بغير قدرته ومشيئته، وأي من القولين قالوه، فهم فيه كفار مضاهئون لقول الذين كفروا من قبل»[1].

وينقل صاحب كتاب (منحة القريب المجيب في الرّد على عباد الصليب) مناظرة وقعت بين أحد العلماء وبين بعض النصارى، وفيها يزعم النصراني المناظر بأن عيسى عليه السلام ليس نبياً وإنما هو الهاً ـ تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً ـ.

«قال النصراني: إني لا أقول في عيسى أنه كان نبياً، بل أقول كان إلهاً، فقلت له: هذا الذي تقوله باطل، لأنّ الإله هو واجب الوجود لذاته، وعيسى هو هذا الشخص البشري الذي وجد بعد أن كان معدوماً، وقتل ـ على قولك ـ بعد أن كان حياً، فكان أولاً طفلاً، ثم صار مترعرعاً، ثم صار شاباً، وكان يأكل ويشرب ويحدث، وينام، ويستيقظ، وقد تقرر في بداية العقول أن المحدث لا يكون قديماً، والمحتاج لا يكون غنياً، والممكن لا يكون واجباً، والمتغيّر لا يكون دائماً»[2].

ويقول الإمام أبي عبيده الخزرجي في كتابه الذي أجاب فيه على قسيس من القوط[3] كتب إليه يدعوه إلى الدخول في النصرانية المحرفة ويؤمن بأنّ المسيح ابن الله!! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً:

«أخبرني أيها المخدوع عن هذين الربّيْن:

من خلق منهما صاحبه؟ فالمخلوق منهما ضعيف عاجز، ليس بإله، وإذا أراد أمراً، لمن الحكم منهما؟ فان كان أحدهما مضطراً إلى مشاورة الآخر، ومساعدته، كان المضطر عاجزاً مقهوراً ولم يكن الهاً قادراً، وإن كان قادراً على مخالفته، ومدافعته فهو اذن إله مداهن، ويكون الآخر ضعيفاً عاجزاً مقدوراً عليه.

أمّا تعلم أيها المغرور أنه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[4].

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨٦.

(٢) نقلاً عن الشيخ عبد العزيز بن حمد آل معمر، ط ٢، ص ١٦٤.

(٣) من القبائل الأوربية وحدث ذلك في مدينة قرطبة الإسبانية.
انظر: أبي عبيدة الخزرجي (بين الإسلام والمسيحية)، تحقيق: د .محمد شامه، ص ٥٣.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٢٢.

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾[١].

وتذكر مجلة The Jerusalem quarterly والتي تصدر في القدس باللغة الإنجليزية: أن الذي قاد إلى تأليه المسيح تقديسه في العهد الجديد، وأنّ عوام المسيحيين كان لديهم اعتقادات قديمة بآلهة من أصل بشري.

وفيما يلي ترجمة النص من اللغة الانجليزية:

«وفي العهد الجديد نجد أن تقديس المسيح قد قاد المسيحية إلى الاعتقاد بألوهية المسيح، ومئلفو العهد الجديد كان لا يزال لديهم الرادع الذاتي اليهودي الذي منعهم من الاعتقاد بالألوهية الكاملة للمسيح[٢] ولكن بالنسبة للمسيحيين من الأميين لم يكن لديهم هذا الرادع لأن اعتقادهم بالإله مرن[٣] وذلك لاعتقادهم بعدة آلهة كان بعض تلك الآلهة من أصل بشري، وفي الواقع حتى في أوائل القرن الثاني كانت ألوهية عيسى غير متبلّورة، فكما جاء عن (اجناشيس) أسقف انطاكية بأن عيسى كان الهاً وقد تجسّد[٤] وظهر على هيئة إنسان بينما (بولي كارب) اسقف سيميرنا، والزمل الأصغر (لاجناشيس) لم يقل بأنّ عيسى إله، ولكنه سمّاه ابن الله»[٥].

ويواصل كاتب المقال حديثه: «والمؤكّد أن الأفكار والإعتقادات المسيحية التي اتجهت نحو تأليه عيسى إنما كانت لأنّ وضع عيسى كإله هو الذي يكسب تبجيل واحترام الأميين»[٦].

ويلاحظ القارىء الكريم في هذا المقال شهادة من كتاب اليهود على النصارى بأنهم قد اقتبسوا عقيدة تأليه المسيح من أقوام قد سبقوهم إليها كانوا يعتقدون بآلهة

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ٩١.
انظر: المرجع السابق، ص ١٨٧، ١٧٩.

(٢) ما عدا كاتب إنجيل يوحنا فقد صرح ببنوة المسيح وألوهيته، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. انظر مثلاً يوحنا ١٤: ١٠- ١٢.

(٣) الأحرى به أن يقول منحرف.

(٤) للحديث عن التجسّد انظر ص ٣٨٧ من هذه الرسالة.

(٥) انظر: Summer, Vol. 24, 1982, p.78.

(٦) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

من أصل بشري.

كما أن تقديس المسيح في الأناجيل الحالية قد قاد المسيحيين إلى تأليهه - كما يقول المقال السابق - إذاً فلم تكن عقيدة بنوة المسيح أو ألوهيته عقيدة أصلية في المسيحية، وإنما هي عقيدة مقتبسة ومأخوذة من أقوام قد سبقوهم إليها[1].

وقد أوردنا المقال السابق لإثبات شهادة كتاب اليهود ضد عقيدة النصارى في ألوهية المسيح ليس إلاّ، وإنما العقيدة الأصليّة للمسيحية وهي عقيدة التوحيد الخالصة لله تعالى قد أثبتها القرآن الكريم وأكّد عليها في كثير من آياته كما يستضح ذلك فيما يلي.

المسألة السادسة:

إبطال (عقيدة) بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته نقلاً

أولاً: من القرآن الكريم:

فبالإضافة إلى الآيات السابقة والتي ذكرناها في معرض إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته عقلاً، فهناك الكثير من آيات الذكر الحكيم، والتي تبطل هذه الشبهة.

من هذه الآيات قوله تعالى في سورة التوبة:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾[2].

«والقائلون بهذا المذهب بعض اليهود إلاّ أن الله نسب ذلك القول إلى اليهود بناء على عادة العرب في إيقاع اسم الجماعة على الواحد»[3].

ويقول الإمام الفخر الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة:

---

(١) انظر: ص ٣٠٥ من هذه الرسالة.

(٢) سورة التوبة، الآية ٣٠- ٣٢.

(٣) انظر: الإمام الفخر الرازي (التفسير الكبير) ج ١٦، ط ٢، ص ٣٣.

«وأمّا حكاية الله عن النصارى أنهم يقولون: المسيح ابن الله، فهي ظاهرة لكن فيها إشكال قوي، وهي أنا نقطع أن المسيح صلوات الله عليه وأصحابه كانوا مبرئين من دعوة الناس إلى الأبوة والبنوة، فإن هذا أفحش أنواع الكفر، فكيف يليق بأكابر الأنبياء عليهم السلام؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف يعقل إطباق جملة محبي عيسى من النصارى على هذا الكفر؟ ومن الذي وضع هذا المذهب الفاسد؟ وكيف قدر على نسبته إلى المسيح عليه السلام؟

فقال المفسرون في الجواب على هذا السؤال: إن أتباع عيسى عليه السلام كانوا على الحق بعد رفع عيسى حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود، وكان في اليهود رجل يقال له بولس قتل جمعاً من أصحاب عيسى، ثم قال لليهود إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا، ونحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار، وإني احتال فأضلّهم وأظهر الندامة ممّا كان يصنع ووضع على رأسه التراب، وقال نوديت من السماء ليس لك توبة إلاّ أن تتنصر، وقد تبت فأدخله النصارى الكنيسة، ومكث سنة لا يخرج وتعلّم الإنجيل فصدقوه وأحبوه، ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم رجلاً اسمه نسطور، وعلّمه أنّ عيسى ابن مريم والإله كانوا ثلاثة، وتوجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت، وقال ما كان عيسى إنساناً ولا جسماً ولكنه الله، وعلم رجلاً آخر يقال له يعقوب ذلك، ثم دعا رجلاً يقال له ملكاً فقال له: إنّ الإله لم يزل ولا يزال عيسى، ثم دعا لهؤلاء الثلاثة وقال لكل واحد منهم أنت خليفتي فادع الناس إلى إنجيلك، ولقد رأيت عيسى في المنام ورضى عني، وأني غداً أذبح نفسي لمرضاة عيسى، ثم دخل المذبح فذبح نفسه، ثم دعا كل واحد من هؤلاء الثلاثة الناس إلى قوله ومذهبه، فهذا هو السبب في وقوع الكفر في طوائف النصارى»[1].

ويضيف الإمام الفخر الرازي:

«والأقرب عندي أن يقال لعلّه ورد لفظ الابن في الإنجيل على سبيل التشريف، كما ورد لفظ الخليل في حق إبراهيم على سبيل التشريف، ثم إن القوم[2] لأجل عداوة اليهود ولأجل أن يقابلوا غلوهم الفاسد في أحد الطرفين[3]

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٤.

(٢) يقصد: النصارى.

(٣) أي أنّ النصارى أرادوا أن يقابلوا غلو اليهود في ادعاء عزيز إبن الله بغلو آخر من =

بغلو فاسد في الطرف الثاني، بالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية، والجهال قبلوا ذلك، وفشا هذا المذهب الفاسد في أتباع عيسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة الحال»[1].

وحين يستجوب الله سبحانه وتعالى المسيح عليه السلام وهو علاّم الغيوب فيما إذا كان قد دعا إلى أن يتخذه الناس وأمه إلهين من دون الله فيجيب من فوره بعد تنزيهه لله تعالى بأنه ما يكون له أن يقول ذلك ويجيب وهو في مقام الخضوع والذل من الله تعالى، وأكّد عليه السلام بأنه قد أمرهم بعبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد:

يقول الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾[2].

ويقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية:

«واعلم أنّ الله تعالى لما سأل عيسى هل قلت كذا لم يقل عيسى بأني قلت أو ما قلت بل قال ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، وهذا ليس بحق ينتج ما يكون لي أن أقول هذا الكلام، ولمّا بيّن أنه ليس له أن يقول هذا الكلام شرع في بيان أنه هل وقع هذا القول منه أم لا فلم يقل بأني ما قلت هذا الكلام، لأن هذا يجري مجرى دعوى الطهارة والنزاهة، والمقام مقام الخضوع والتواضع، ولم يقل بأني قلته بل فوّض ذلك إلى علمه المحيط بالكل.

فقال: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ وهذا مبالغة في الأدب وفي إظهار الذل

= طرفهم في ادعاء المسيح ابن الله من قولهم علواً كبيراً.

(١) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٢) سورة المائدة، الآية ١١٦ ـ ١١٩.

والمسكنة في حضرة الجلال وتفويض الأمور بالكليّة إلى الحق سبحانه»[1].

وفي الآية الكريمة التالية بين الله سبحانه وتعالى بأنّ المسيح ليس إلاّ رسول كبقيّة رسل الله تعالى، وأمه الصديقة الطاهرة، وقد كانا يأكلان الطعام، وفي هذا كناية عن الحدث، لأنّ كل من أكل الطعام احتاج إلى التخلّص من بعض عناصره الضارة فلا بدّ أن يحدث، إذا فهما متساويان مع بقية البشر في هذه الصفات، وفي ذلك دليل على بشريتهما.

يقول الله تعالى:

﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٧٥ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٧٦﴾[2].

ويقول الإمام الألوسي في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

«وهو كناية عن قضاء الحاجة لأن من أكل الطعام احتاج إلى النقض، وهذا أمرّ ذوقاً في أفواه مدعي ألوهيتهما لما في ذلك من الدلالة على الاحتياج المنافي للألوهية بشاعة عرفيّة، وليس المقصود سوى الرّد على النصارى في زعمهم المنتن واعتقادهم الكريه، قيل: والآية في تقديم ما لهما من صفات الكمال وتأخير ما لأفراد جنسهما من نقائص البشرية»[3].

وفي الآية الكريمة التالية تأكيد على أن المسيح عبد من عبيد الله تعالى، وقد أنعم الله عليه وشرّفه بالنبوة والرسالة، كما أكّد الله تعالى بأنه علم للساعة أي أن نزوله في آخر الزمان علامة من علامات قيام الساعة وشرط من أشراطها[4].

قال تعالى:

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝٥٩ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ۝٦٠

---

(١) التفسير الكبير، ج ١٢، ط ٢، ص ١٣٤.

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٥ـ ٧٦.

(٣) روح المعاني، ج ٦، ص ٢٠٩.

(٤) انظر: ص ٢٨٥ وما بعدها من هذه الرسالة.

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾[1].

ويقرّر الله تعالى بأنّ المسيح عليه السلام نفسه لن يستكبر ولن يأنف أن يكون عبداً من عبيد الله تعالى يعبده ولا يشرك به شيئاً كما كان يدعو عليه السلام إلى ذلك

قال تعالى:

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَٰٓئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾[2].

«والاستنكاف استفعال من النكف وأصله نكفت الشيء نحيته»[3] والاستنكاف تكبر في تركه أنفه.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لن يستكبر المسيح «أن يكون عبداً لله» من أن يكون عبداً لله تعالى مستمراً على عبادته تعالى وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وأن ذلك أقصى مراتب الشرف[4].

وقد أثبت الحق عزّ وجل في سورة الإخلاص بأنه الله الواحد الأحد «الذي لا نظير له ولا شبيه ولا نديد»[5] والأحد صفة خاصة به وأنه تعالى الصمد «وهو السيد الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجهم»[5].

وقد أثبت سبحانه وتعالى في هذه السورة الكريمة بلفظ صريح بأنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ لأن كل مولود فهو حادث «ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة.. وهو مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه، تعالى وتقدس وتنزه»[5].

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[6].

وكانت أول جملة نطق بها عليه السلام وهو في مهده.

---

(١) سورة الشورى، الآية ٥٧ـ ٦١.
(٢) سورة النساء، الآية ١٧٢.
(٣) أنظر: الإمام الألوسي (روح المعاني) ج ٦، ص ٣٧.
(٤) المرجع السابق نفس الصحيفة.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ط دار المعرفة، ج ٤، ص ٥٧٠.
(٦) سورة الإخلاص.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾[١].

وهذا تأكيد منه عليه السلام بأنه لا يعدو أن يكون عبداً من عبيد الله الصالحين وممن أنعم الله عليهم وشرفهم بالنبوة والرسالة «فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى وبربوبيته، رداً على من غلا من بعده في شأنه»[٢].

ثانياً: إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته من السنة النبوية المطهّرة

وقد وردت عدة نصوص من السنة النبوية المطهّرة تنفي شبهة النصارى في اتخاذ الله الولد ـ تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً ـ ، والنص عام في نفي الولد عن الحق عزّ وجل سواء قصد بالابن المسيح عليه السلام أو غيره.

«عن سعيد بن جبير عن أبي عبد الرحمن السُلمي عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ليس أحد ـ أو ليس شيء ـ اصبر على أذى سمعه من الله إنهم ليدعون له ولداً، وإنه ليعافيهم ويرزقهم»[٣].

«عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأمّا تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أُعيده كما كان، وأمّا شتمه إياي فقوله لي ولد فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولداً»[٤].

ثالثاً: إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته من إنجيل برنابا[٥]:

ونحن إذ ننقل بعض النصوص من إنجيل برنابا ليس لأننا في حاجةٍ إليه أو إلى ما يماثله لكي ندعم حقيقة عقيدتنا الإسلامية، لأن في كتابنا الكريم ودستورنا العظيم ما يغنينا وما يثلج صدورنا لكي لا نلجأ إلى غيره، ولأننا نستدلّ بالقرآن

---

(١) سورة مريم، الآية ٣٠.

(٢) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ط دار إحياء التراث، ج ١١.

(٣) انظر: فتح الباري (شرح صحيح البخاري)، ط دار المعرفة، ج ١٠، كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى، ص ٥١١.

(٤) انظر: فتح الباري (شرح صحيح البخاري)، ط دار المعرفة، ج ٨، كتاب تفسير القرآن، باب (وقالوا اتخذ الله ولد سبحانه)، ص ١٦٨.

(٥) للتعريف بـ (برنابا) وإنجيله، انظر هامش ص ٢١٠ من هذه الرسالة.

لإنجيل برنابا، والعكس غير صحيح، وإنما غرضنا هو الدفاع عن عقيدة المسيح عليه السلام الحقيقة وهو أنه عبد الله ورسوله.

ويؤكّد النص التالي من إنجيل برنابا على أن المسيح عليه السلام لا يعدو إلاّ أن يكون نبياً لله تعالى، كما يؤكّد على أن بولس اليهودي[1] هو السبب في نشر تعاليم الكفر والتي تتضمن دعوى أن المسيح ابن لله تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً وقد وصف برنابا ذلك بأنه «تعليم شديد الكفر» وهو يحذرهم أن يستمعوا إلى تعاليم تخالف وتضاد ما كتبه في إنجيله هذا.

يقول ما نصّه:

«أيها الأعزاء إنّ الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان، الذي أمر به الله دائماً، مجوزين كل لحم نجس، الذي ضلّ في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلاّ مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد، مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً»[2].

وفي نص آخر في إنجيل برنابا وردت محاورة بينه عليه السلام وبين بعض جنود الرومان الوثنيين - كما يظهر ذلك من سياق النص - وفي نهاية الحوار أخذ المسيح عليه السلام يتحداهم بأن تخلق آلهتهم ذبابة واحدة، فإذا لم تقدر تلك الآلهة على ذلك فإنه لن يترك عبادة الإله الواحد الذي مجرّد ذكر اسمه يروع جيوشاً.

والنص من إنجيل برنابا كما يلي:

«فلمّا جاء يسوع إلى أورشليم ودخل الهيكل يوم سبت اقترب الجنود ليجربوه ويأخذوه وقالوا: «يا معلم أيجوز اصلاء الحرب؟».

أجاب يسوع: «إن ديننا يخبرنا أن حياتنا حرب عوان على الأرض»، قال

---

(١) للتعريف ببولس، انظر هامش ص ٢٥، ٢٦ من هذا البحث.

(٢) إصحاح ١: ٢- ٩.

الجنود: أفتريد إذا أن تحولنا إلى دينك أو تريد أن تترك جم الآلهة (فإن لرومية وحدها ثمانية وعشرين ألف إله منظور) وأن نتبع إلهك الأحد»[1] «أجاب يسوع لو كنت خلقتكم كما خلقكم إلهنا لحاولت تغييركم.

أجابوا: «إذا كان لا يعلم أين إلهك فكيف خلقنا؟، أرنا إلهك تكن يهوداً».

فقال حينئذٍ يسوع: لو كان لكم عيون لأريتكم إياه ولكن لما كنتم عمياناً فلست بقادر على أن أريكم إياه.

أجاب الجنود: حقاً لا بدّ أن يكون الاكرام الذي يقدمه لك الشعب قد سلبك عقلك لأن لكل منا عينين في رأسه وأنت تقول إننا عميان.

أجاب يسوع: إنّ العيون الجسدية لا تبصر إلاّ الكثيف والخارجي فلا تقدرون من ثم إلاّ على رؤية آلهتكم الخشبية والفضية والذهبية التي لا تقدر أن تفعل شيئاً، أمّا نحن أهل يهوذا فلنا عيون روحية هي خوف إلهنا؟ ودينه، ولذلك يمكن لنا رؤية إلهنا في كل مكان.

أجاب الجنود: إحذر كيف تتكلم لأنك إذا صببت احتقاراً على آلهتنا سلمناك إلى يد هيرودس الذي ينتقم لآلهتنا القادرة على كل شيء.

أجاب يسوع: إن كانت قادرة على كل شيء كما تقولون فعفواً لأني سأعيدها.

ففرح الجنود لما سمعوا هذا وأخذوا يمجدون أصنامهم. فقال حينئذٍ يسوع: لا حاجة بنا هنا إلى الكلام بل إلى الأعمال، فاطلبوا لذلك من آلهتكم أن تخلق ذبابة واحدة فأعبدها.

فراع الجنود سماع هذا ولم يدروا ما يقولون، فقال من ثم يسوع: إذا كانت لا تقدر أن تضع ذبابة واحدة فإني لا أترك لأجلها ذلك الإله الذي خلق كل شيء بكلمة واحدة الذي مجرّد اسمه يروع جيوشاً»[2].

رابعاً: إبطال عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته من العهد الجديد

هناك عدة شواهد ونصوص تدلّ على عبودية المسيح عليه السلام لله تعالى ونحن إذ نورد بعضاً من هذه النصوص ليس لأننا معترفون بصحتها وحجيتها، بل

---

(١) ١٥٢: ١ ـ ٤.

(٢) ١٥٢: ٧ ـ ٢١.

إنّ الهدف أن نسوق نصوصاً من الكتاب الذي يؤمن به النصارى ويقدسونه دعماً للأدلّة السابقة[١].

وفيما يلي ننقل بعض النصوص وعلى سبيل المثال هناك نص من إنجيل متى:

«ثم أصعد يسوع إلى البريّة من الروح ليجرب من إبليس، فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً، فتقدم إليه المجرّب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً، فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمةٍ تخرج من فم الله، ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل، وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك، قال له يسوع مكتوب أيضاً لا تجرب إلهك، ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي، حينئذٍ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد»[٢].

«وهذه القصة شاهدة على عبودية المسيح لله سبحانه وتعالى من عدة وجوه:

الأول: إرسال الروح إياه إلى البرية ليختبر من إبليس هل يثبت على التوحيد أم لا.

الثاني: صومه تلك المدة، فإنه من جملة القرب التي يتقرّب بها الصالحون خصوصاً الأنبياء.

الثالث: جوعه عليه السلام فإنه ينافي الربوبية.

الرابع: قول إبليس له: «إن كنت ابن الله» فإنّ هذا يدلّ على أنه غير الله، لأن الابن غير الآب، والنصارى يقولون: إن الله عبارة عن الآب والابن والروح القدس إله واحد، ولو كان الإله كما يقولون لقال: إن كنت ابن الآب الذي هو

---

(١) لن ينسى القارىء الكريم أننا قد ذكرنا في الفصل الأول من هذا البحث بأننا قد بحثنا أي ذكر للمسيح عليه السلام في العهد القديم فلم نجد له أي ذكر فيه. انظر ص ٣ من هذا البحث.

(٢) ٤: ١ـ ١٠.

أحد أقانيم الإله، أو إن كنت أقنوماً في الله أو نحو ذلك.

الخامس: قول المسيح جواباً عمّا طلب إبليس من تصيير الحجارة خبزاً مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكلمة تخرج من فم الله، يعني أنه إنسان لا يحيا بالخبز وحده بل به وبالوحي الإلهي المنزل عليه من عند الله تعالى فالأول غذاء بدنه والثاني غذاء روحه.

السادس: إعترافه بأنّ الله واحد، وبأنه لا يعبد أحد سواه، وذلك في قوله «لأنه مكتوب للرب الهك تسجد، وإياه وحده تعبد».

هذا ومن سفه الرأي وشطط القول أن يقال: إن إله العالمين أصعده الروح القدس إلى البرية ليجرب من إبليس أبغض خلقه إليه، فجعل ينقله من مكان إلى مكان حتى صعد به إلى جبل شاهق، وأراه ممالك العالم، ومناه باعطائها له أن سجد له فيا عجباً كيف ينحصر الإله في يد بعض خلقه يصرفه كيف يشاء، وهو خاضع له ممتثل لأوامره، وكيف يصير إنساناً ينقله إبليس من مكان إلى مكان، وكيف يعرض عليه ممالك العالم، وهو يعلم أن بيده ملكوت كل شيء؟!!.

فليس في الدنيا مهزأه أعظم من هذه الخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان»[1].

وهناك نص آخر يقول على لسان المسيح عليه السلام:

«وأمّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد، ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن ـ يعني نفسه ـ إلاّ الآب»[2].

«فهذا القول شهادة بيّنة على أنه عبد مربوب إذ لو كان إلهاً بمقتضى الاتحاد والحلول[3] لما خفي عليه علم الساعة، وليس للنصارى أن يقولوا: إنه نفى عن نفسه باعتبار الناسوت لا اللاهوت لأنا نقول لهم: إنه قصر علمها على الآب، ونفاه عن نفسه وعن غيره من الخلق، فدلّ ذلك على أن لفظ الابن إنما يقع على الناسوت فقط إذ لا يجوز نفي العلم عن اللاهوت لأن اللاهوت يعلم

---

(١) انظر: موقف القرآن من عقيدة التثليث ص ١١٩، ١٢٠ نقلاً عن د/ محمود كريت (إنجيل برنابا بين الإسلام والنصرانيّة)، رسالة دكتوراه، ص ١٢٨ـ ١٣٠.

(٢) مرقس ١٣ : ٣٢.

(٣) انظر: ص ٣٨٧ من هذا البحث.

كل شيء»[١].

وقد جاء بالنص على لسان المسيح عليه السلام قوله:

«أنا إنسان قد كلّمكم بالحق الذي سمعه من الله»[٢].

«والأركان في هذا النص ثلاثة: كلام مسموع وهو الحق» الله الذي أسمع هذا الحق للمتكلّم به، والإنسان الذي تكلّم بالحق الذي سمعه من الله. وكل من الثلاثة غير الآخر، وانظر إلى تعريفه إيّاهم بنفسه في قوله: «أنا إنسان» وهذا بيان ما بعده بيان، فلو كان غير ذلك لوضّح وقال، ولكنه لم يقل، ولو كان غير ذلك ولم يوضّح لكان كاذباً ومخادعاً لأنه تكلّم بغير الحق الذي أخفاه.

ونحن نعتقد أنّه صادق في التعريف بنفسه «أنا إنسان» ما دام ذلك يتّفق مع حقيقة ماهيته كإنسان، وهكذا كان في نظر غيره من معاصريه»[٣]«فخرج بيلاطس إليهم وقال أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان»[٤]«هو ذا إنسان»[٥].

وقد أجاب الأعمى الذي أبصر على يدي المسيح سائليه عمّن شفاه بقوله: «إنسان يقال له يسوع»[٦].

كما جاء بالنص على لسان المسيح عليه السلام اعترافه بأنّه ابن الإنسان يقول:

«من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان»[٧].

وإذا كانت هذه النصوص من الأناجيل تؤكّد أنّه عليه السلام إنسان وابن إنسان فهذا بلا شك ينافي دعواهم ببنوته لله تعالى وألوهيّته فهو عبد مربوب ورسول كريم.

---

(١) انظر: موقف القرآن والكتب المقدسة من عقيدة التثليث، ص ١٢١، ١٢٢ نقلاً عن د/ محمود كريت (إنجيل برنابا بين الإسلام والنصرانية)، رسالة دكتوراه، ص ١٣١.

(٢) يوحنّا ٨: ٤٠.

(٣) انظر: د/ محمد زهران (إنجيل يوحنا تاريخاً وموضوعاً)، رسالة دكتوراه من كلية أصول الدين بالقاهرة، ص ٤٤٤.

(٤) يوحنّا ١٨: ٢٩.

(٥) يوحنّا ١٩: ٥.

(٦) يوحنّا ٩: ١١.

(٧) يوحنّا ١: ٥١.

وقد ورد نص في إنجيل يوحنا بأنّ المسيح عليه السلام يتعب ثم يجلس ليستريح من عناء السفر.

«فإذا كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر»[١].

«وهذا يؤيّد عجزه وضعفه، وإنّه عرضة كغيره للإرهاق والتعب وينفي ألوهيّته المزعومه، لأنّ الله القوي لا يتعب ولا يضعف.. وإنما تعب المسيح عليه السلام وجلس بعد التعب ليستريح لأنه إنسان جسد من جسد»[٢].

وهناك نصوص إنجيليّة أخرى تدل على أنّه عليه السلام لا يستطيع فعل شيء من ذاته:

«أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً»[٣].

«لستِ أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي»[٤].

«فها هو هنا يقول: «أنا لا أقدر أن أفعل..» وأنا بمفهومها الذي يعنيه ويميزه عن سواه، دليل قاطع على بشريته فإن نفي القدرة يستلزم العجز والضعف وذلك من صفات البشر، وهو بذلك يعرب عن ذاته ويعرفنا بقدرته المحدودة بمشيئة الله، كبشر لا يملك فعل شيء، إلاّ إذا شاء الله القوي القادر على كل شيء وكذلك قوله في النص الثاني: «لست أفعل شيئاً من نفسي» ولو كان الله ـ سبحانه وتعالى هو المسيح لما جاز أن يقول ذلك بحال، لأنّ الله تعالى قوي يفعل كل شيء باختياره ومن نفسه وهو على كل شيء قدير، ومع ذلك فلو كان هو الله تعالى وقال ذلك كان كاذباً ومجدفاً ومخادعاً، لأنه يقول بخلاف حقيقته وعكس صفاته ويستلزم ذلك كذب المسيح لو كان الله سبحانه وتعالى فيه كله أو بعضه.

ولكن القائل بذلك لا يكون صادقاً إلاّ إذا كان قوله مطابقاً للواقع عن بيّنة وبرهان، وهو صادق عندنا لأن هذا القول الصادر منه مطابق للواقع عن بينةٍ وبرهان وهو أنه إنسان وابن إنسان»[٥].

وهنا قد يرتسم في ذهن القارىء الكريم هذا الاستفهام إذ كيف نوفق بين هذه

---

(١) يوحنا ٤: ٦.
(٢) انظر: د/ محمد زهران (إنجيل يوحنا تاريخاً وموضوعاً)، رسالة دكتوراه، ص ٤٤٦.
(٣) يوحنا ٥: ٣٠.
(٤) يوحنا ٨: ٢٨.
(٥) انظر: د/ محمد زهران (إنجيل يوحنا تاريخاً وموضوعاً)، رسالة دكتوراه، ص ٤٤٩.

الأدلّة وغيرها فهي غيض من فيض تدلّ على بشرية المسيح وعدم بنوته لله تعالى وألوهيته، وبين النصوص الكثيرة والتي تفيض بها الأناجيل والتي تشعر نصوصها بألوهيته وبنوته لله تعالى[1]، تعالى الله عمّا يقوله الظالمون علواً كبيراً؟؟

ونستطيع القول بأنه لا يخفى أن نصوص الأناجيل قد ثبت تحريفها وتناقضها[2] واختلافها فيما بينها، إذاً فمن الطبيعي أن يظهر هذا التناقض في العقيدة، فبعض النصوص تشعر بألوهيته وبنوته لله تعالى، وبعض النصوص ـ كما ذكرنا آنفا ـ تثبت إنسانيته وبشريته.

«إنّ كل ما ورد في الأناجيل والرسائل ممّا يشعر بألوهية عيسى عليه السلام أو بنوته لله تعالى لا يصلح دليلاً إلاّ على عدم صحتها، ولا يحتج به إلاّ عليها، لأنّ الأصل فيها أنها من وضع من نسبت إليهم، وأنه لم يوجد ولن يوجد من يستطيع إثبات تنزيلها من الله أو أنها من وحيه وإلهامه، لذلك فإن كل احتجاج بها مرفوض إلاّ لمن أراد أن يثبت تناقضها وتحريفها»[3].

المسألة السابعة:

بطلان تأليه السيدة مريم والدة المسيح عليها السلام

ومن الفرق النصرانية المؤلهة لأم المسيح عليهما السلام فرقة البربرانيّة ويسمون الريمتيين[4].

وقد يكونون هم المقصودين في قوله تعالى من سورة المائدة:

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ

---

(١) هناك بعض النصوص نشير إليها على سبيل المثال لا الحصر: يوحنا ١: ١٤، يوحنا ٥: ٢٥، لوقا ١: ٣٥، لوقا ٤: ٤١، مرقس ٥: ٧، رسالة بولس إلى العبرانيين ٤: ١٤.

(٢) ولأن ما يثبت على الجزء يثبت على الكل وما جاز لأحد المثلين جاز للآخر وقد ثبت للترحيف والتناقض للأناجيل الأربعة في بحثنا السابق (رسالة ماجستير) فيثبّت بذلك تحريف الكتاب المقدس كله.

(٣) انظر: إبراهيم الجبهان (معاول الهدم والتدمير والنصرانية والتبشير)، ط ٢، ص ٨٥.

(٤) للتعريف بها، انظر: ص ٢١٩، ٢٢٠ من هذا البحث.

اَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾[1].

«ومنهم من يجعل مريم إلهاً مع الله كما جعل المسيح إلهاً فإن قالوا بذلك، جعلوا لله صاحبة وولداً، وجعلوا المسيح بن مريم وأمه إلهين من دون الله، كما فعل ذلك من فعله منهم.

فإنهم يعبدون مريم، ويدعونها ما يدعون به الله سبحانه والمسيح، ويجعلونها إلهاً كما يجعلون المسيح إلهاً.

فيقولون: يا والدة الإله، اغفري لنا وارحمينا ونحو ذلك فيطلبون منها ما يطلبون من الله عزّ وجل!!.

ومنهم من يقول عن مريم: إنها صاحبة الله سبحانه وتعالى»[2].

وقد أثبتنا ـ فيما سبق ـ بطلان ألوهية المسيح عليه السلام عقلاً ونقلاً فيثبّت بذلك بطلان ألوهية أمه السيدة مريم عليها السلام فمن باب أولى أن تبطل ألوهيتها ببطلانه فهو أشهر منها، وقد اشتهرت معجزاته عليه السلام وتعددت من إحيائه للموتى وإبرائه للأكمه والأبرص وشفائه للمرضى، وجميع الأدلّة العقليّة والنقليّة التي أوردناها على بطلان ألوهيته تصلح أن تكون دليلاً على بطلان ألوهيتها، فينتفي القول بألوهيتها حسب زعم بعض الفرق المسيحية القائلة بذلك.

ولا يخفى على القارىء الكريم بأنّ العقيدة الإسلامية تؤكّد بأن لا إله إلاّ الله دائماً وأبداً ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[3].

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾[4].

وإن من ألّه غير الله سبحانه وتعالى فسيضيع في متاهات عقليّة ونفسيّة مظلمة لا سبيل إلى الخروج منها إلاّ بتوحيد الله عزّ وجل بالعبادة توحيد ألوهيةٍ وربوبيّة فهو سبحانه الخالق الرازق البارىء، وهو سبحانه وحدة المستحق للعبادة لا المسيح ولا أمه ولا سواهما فالكل مخلوق مربوب له سبحانه والكل خاضع ذليل عابد تحت سلطانه سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

---

(١) سورة المائدة، الآية ١١٦، ١١٧.
(٢) انظر: شيخ الإسلام ابن تيميّة (الجواب الصحيح)، ج ٣، ص ١٩٣.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٦٣.
(٤) سورة طه، الآية ٩٨.

ويظهر واضحاً أنّ النصارى اقتبسوا عقيدة تأليه العذراء أم المسيح عليهما السلام من الوثنيات والفلسفات القديمة، وقد أثبت ذلك الأستاذ/ محمد طاهر التنير في كتابه (العقائد الوثنيّة في الديانة النصرانية) يقول:

«وأمّا قول النصارى عن مريم العذراء أنّها والدة الإله مثل والدات الآلهه عند الوثنيين فهو أشهر من نارٍ على علم حتى أنّهم ينشدون الأناشيد تعظيماً لها ويتضرّعون إليها في أيام مخصوصة يسمونها «الأيام المريميّة» ويلقبونها السماء ووالدة الإله الممتلئة نعمةً»[1].

«كما نجد عند الوثنيين والدات للآلهه يعظمونهنّ ويلقبونهنّ بألقاب التمجيد والتفخيم كذلك نجد عند النصارى والدة للإله يعظمونها ويلقبونها بالألقاب التي يلقّب الوثنيون بها والدات آلهتهم، يؤكّد ذلك الرسوم التي يصور الوثنيون بها والدات آلهتهم تماماً»[1].

ويمكن مقابلة الرسوم التي يقدّسها النصارى للمسيح وأمه بتلك الصور والتماثيل عند الوثنيين القدماء مع ملاحظة تلك القرون الطويلة التي كانت بين آلهة الوثنيين كبوذا وكرشنا وغيرهما، وبين عيسى إله النصارى، وأيضاً فإنّ الصينيين يضعون صورة الإله «شينمو» إلههم في أحسن محل من البيت ويجلّلونها بغطاء من الحرير كما يفعل أكثر النصارى بصورة العذراء مريم.

وكان المصريون القدماء يلقبون والدة الإله إيسيس أو والدة المخلص هورس بأسماء عديدة منها «السيدة» «ملكة السماء» «نجمة البحر» «والدة الإله» «الشفيعة» «العذراء». . الخ ويصورونها واقفة على الهلال يحيط بها عشرة نجوم كما يصوّر النصارى مريم العذراء واقفة على الهلال يحيط بها اثنتا عشرة نجمة، غير أنّ تصوير الوثنيين لوالدات آلهتهم بهذا الشكل سابق لتصوير النصارى لمريم العذراء بقرون عديدة فتدبر!»[1].

«وأهالي بابل وآشور عبدوا عذراء زعموا أنّها والدة إله وصوروها وعلى يدها ولدها الإله كما هي الحال عند النصارى تماماً»[1].

(١) ط ١، ص ٧١، ٧٢، ٧٣.

المبحث الثاني

إبطال عقيدة التثليث

ويندرج تحت هذا المبحث ست مسائل:

المسألة الأولى: معنى التثليث.

المسألة الثانية: أهم النصوص التي يستدل بها النصارى على التثليث وإبطال الاستدلال بها.

المسألة الثالثة: المجمع القسطنطيني الأول وأثره في إقرار عقيدة التثليث.

المسألة الرابعة: إقتباس النصارى عقيدة التثليث من أقوام قد سبقوهم إليها.

المسألة الخامسة: بطلان عقيدة التثليث عقلاً.

المسألة السادسة: بطلان عقيدة التثليث نقلاً.

المبحث الثاني:

إبطال عقيدة التثليث

المسألة الأولى:
معنى التثليث

يقول قاموس الكتاب المقدس:

«الثالوث الأقدس (التثليث): عرّف قانون الإيمان لهذه العقيدة بالقول: «نؤمن بإله واحد الآب والإبن والروح القدس إله واحد جوهر واحد متساويين في القدرة والمجد».

وفي طبيعة هذا الإله الواحد تظهر ثلاثة خواص أزليّة، يعلنها الكتاب في صورة شخصيات (أقانيم) متساوية، ومعرفتنا بهذه الشخصية المثلثة الأقانيم ليست إلاّ حقاً سماوياً أعلنه لنا الكتاب في العهد القديم بصورة غير واضحة المعالم، لكنه قدمه في العهد الجديد واضحاً ويمكن أن نلخّص العقيدة في هذه النقاط التالية:

١ ـ الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله (تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً).

٢ ـ هؤلاء الثلاثة يصفهم الكتاب المقدس بطريقة تجعلهم شخصيات متميّزة الواحدة عن الأخرى.

٣ ـ هذا التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتاً أو ظاهرياً بل أبدي وحقيقي.

٤ ـ هذا التثليث لا يعني ثلاثة آلهة بل إنّ هذه الشخصيات الثلاثة جوهر واحد.

٥ ـ الشخصيات الثلاث الآب والإبن والروح القدس متساوون.

٦ ـ ولا يوجد تناقض في هذه العقيدة، بل بالأحرى أنها تقدم لنا المفتاح لفهم باقي العقائد المسيحية»[1].

---

(١) لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ط ٦، حرف ث، ص ٢٣٢.

وما نلاحظه جلياً أن الغموض والتناقض يكتنفان هذا النص والذي لخّصت فيه العقيدة المسيحية الحالية، وكاتب هذه الأسطر يناقض نفسه بنفسه، فيقول في الفقرة الأولى أنّ الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله (تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً) ثم يقول في الفقرة الثانية إنّ هذه الشخصيات متميّزة الواحدة عن الأخرى، وفي الفقرة الرابعة يقول أن هذا التثليث لا يعني ثلاثة آلهة بل إنّ هذه الشخصيات جوهر واحد، إذ كيف يصفهم في الفقرة الثانية بأنهم شخصيات متميّزة الواحدة عن الأخرى أي يمتاز ويختلف أحداهما عن الأخرى. ثم يقول في الفقرة الرابعة إن هذه الشخصيات جوهر واحد؟!! ثم يعود فيقول إنّ هذه الشخصيات الآب والإبن والروح القدس متساوون!!! ثم يعود لينفي التناقض عن هذه العقيدة في الفقرة السادسة!! كأن نفيه للتناقض والغموض في هذه العقيدة سيلغيه.

«ويرى فلاسفة المسيحية أنّ الله سبحانه وتعالى يتكون من ثلاثة أقانيم[1] أي ثلاثة عناصر أو أجزاء، وهذه الأقانيم أو العناصر الثلاثة هي الذات والنطق والحياة.

فالله موجود بذاته.

ناطق بكلمته.

حي بروحه.

وكل خاصية من هذه الخواص أو العناصر التي يتكون منها الله تعطيه وصفاً معيناً أو مظهراً خاصاً.

فإذا تجلّى الله بصفته ذاتاً سمي الآب.

وإذا نطق فهو الإبن.

وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس.

ويرى فلاسفة المسيحية أن الإنسان خلق على صورة الله ومثاله، فكما أن الله مثلث الأقانيم كذلك فالإنسان مكون من ثلاثة عناصر.

فكما أن الله ذات كونيّة كذلك فالإنسان بذاته كائن على صورة الله ومثاله.

---

(١) الأقانيم كلمة سريانية الأصل مفردها أقنوم وهي تعني شخص أو كائن مستقل بذاته انظر: محمد مجدي مرجان (الله واحد أم ثالوث) ص ٩.

وكما أن الله ناطق كذلك فالإنسان ناطق على صورة الله ومثاله.

«وكما أن الله حي كذلك فالإنسان حي على صورة الله ومثاله»[1].

«وهكذا ينظر دعاة الثالوث إلى الله العظيم الذي ليس كمثله شيء والمنزّه عن مشابهة الكائنات فيمثلونه بأحد مخلوقاته الضعيفة وهو الإنسان، وأنّ الله في نظر فلاسفة المسيحية له كيان قائم بذاته كالإنسان تماماً، والله ناطق بكلمته كالإنسان كذلك وهو حي كالإنسان أيضاً، ومن هذه الأقانيم أو العناصر الثلاثة يتكون الله كما يتكون الإنسان تماماً، الذات والنطق والروح، ومع ذلك فإن الباحث المتأمل يلاحظ أن فلاسفة المسيحية قد أعطو للإنسان صفات ضنوا بها على الله، فالإنسان به عناصر وأجزاء كثيرة لا تقل أهمية عن العناصر الثلاثة السابقة، هذا إذا لم تكن تفوقها أهمية، ومنها مثلاً أن الإنسان مبصر بعينه سميع بأذنيه رحيم بقلبه، مفكّر بعقله، مشير بيده، وهكذا نستطرد في ذكر العناصر والأجزاء التي يتكون منها الإنسان المخلوق فنجد أنه قد يفوق فيها على خالقه (تعالى الله عمّا يقوله الظالمون علواً كبيراً).

بل أكثر من ذلك أن هذه العناصر الثلاثة التي تفضل دعاة الثالوث بمنحها لله تعالى وهي الكيان والنطق والروح قد منحوها له بشروط وأوضاع خاصة، فهم قد قسموا الله ثلاثة أقسام منحوا كل قسم صفة من الصفات منعوها عن القسم الآخر، في حين أنّ تلك العناصر والصفات تجتمع كلها في الإنسان الواحد ولا تجتمع في الله (تعالى الله عن قولهم).

«فبينما نجد الإنسان كائناً بذاته دائماً، وناطقاً بكلمته دائماً وحياً بروحه دائماً، نجد أنّ الله تعالى لا يكون كائناً بذاته إلاّ حين يسمى الآب، فبصفته كائن بذاته فهو الله الآب، فإذا تخلّت عنه صفة الأبوة وتحول فأصبح إبناً تتخلى عنه صفة الكينونة والذات ويصبح فقط ناطقاً بكلمته، كذلك إذا تحول الله (تعالى) إلى روح قدس تخلّت عنه الصفتان السابقتان وصار فقط حياً بروحه، وهكذا يتحول الله ويتغيّر طبقاً للدور الذي يظهر به وتبعاً للإسم الذي يخلع عليه»[2].

---

(١) انظر: محمد مجدي مرجان (الله واحد أم ثالوث) ص ٩، ١٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤، ١٥.

المسألة الثانية:

أهم النصوص التي يستدلّ بها النصارى على عقيدة التثليث وإبطال الإستدلال بها

يحاول المسيحيون أن يستدلوا بالتوارة على عقيدتهم المحرفة (عقيدة التثليث) مع أن التوراة تصرح في كثير من المواضع منها بنصوص التوحيد المطلق لله تعالى.

أمّا النصوص التي يستدلّ بها النصارى على التثليث فلا تدل مطلقاً على هذه العقيدة لذلك يلجأ المسيحيون إلى القول بأنّ التثليث ظهر ضمناً في التوراة ثم صُرح به في الإنجيل!! ويعترف أحد قساوستهم بذلك حيث يقول:

«بعد ما خلق الله العالم وتوّج خليقته بالإنسان لبث حيناً من الدهر لا يعلن سوى ما يختص بوحدانيته كما يتبيّن ذلك من التوراة، على أن المدقق لا يزال يرى بين سطورها إشارات وراء الوحدانية، لأنك إذا قرأت فيها بإمعان تجد هذه العبارة: (كلمة الله، أو حكمة الله، أو روح القدس ولم يعلم من نزلت إليهم التوراة ما تكنه هذه الكلمات من المعاني لأنه لم يكن قد آن الوقت المعيّن الذي قصد الله فيه إيضاحها على وجه الكمال والتفضيل، ومع ذلك فمن يقرأ التوراة في ضوء الإنجيل يقف على المعنى المراد، إذ يجدها تشير إلى أقانيم في اللاهوت»[(١)].

وللرّد عليه نقول: بأن هذا زعم ليس له أساس من الصحة فالتوراة نزلت على نبي الله موسى عليه السلام فهل يدعي هذا القس بأنه فهم التوراة بطريقة أصح وأفضل من النبي الموحى إليه بها؟!! وإلاّ فإنه لم يرد عن موسى عليه السلام ولا عن أحد من أحبار اليهود أن المقصود بهذه الألفاظ ما يدعيه هذا النصراني، ولا يخفى على القارىء الكريم بأن هذا محضّ إفتراء والله المستعان على ما يصفون.

ومن الأدلّة التي يستدلّ بها النصارى من العهد القديم ما ورد في سفر الخروج في خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام.

«ثم قال أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب»[(٢)].

وينقل شيخ الإسلام ابن تيميّة عنهم شبههم هذه يقول: «فقد كرّر اسم الإله

---

(١) القس بوطر (رسالة الأصول والفروع) ص ٤٣ـ ٤٥، نقلاً عن د/ أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٣٧.

(٢) ٣: ٦.

ثلاث دفوع قائلاً:

«أنا إله وإله وإله لتحقق مسألة الثلاث أقانيم في لاهوته»[1].

«والجواب: أن الاحتجاج بهذا على الأقانيم الثلاثة من أفسد الأشياء وذلك يظهر من وجوه:

أحدهما: أنه لو أُريد بلفظ الإله أقنوم الوجود، وبلفظ الإله مرة ثانية أقنوم الكلمة، وبالثالث أقنوم الحياة لكان الأقنوم الواحد إله إبراهيم، والأقنوم الثاني إله اسحاق، والأقنوم الثالث إله يعقوب فيكون كل من الأقانيم الثلاثة إله أحد الأنبياء الثلاثة، والأقنومين ليسا بإلهين له.

وهذا كفر عندهم، وعند جميع أهل الملل، وأيضاً فيلزم من ذلك أن يكون الآلهة الثلاثة ثلاثة، وهم يقولون: إله واحد، ثم هم إذا قالوا: كل من الأقانيم إله واحد، فيجعلون الجميع إله كل نبي، فإذا احتجوا بهذا النص على قولهم لزم أن يكون إله كل نبي، ليس هو إله النبي الآخر، مع كون الآلهة ثلاثة.

الوجه الثاني: أنه يقال: إن الله رب العالمين، ورب السموات ورب الأرض ورب العرش ورب كل شيء، فليلزم أن يكون رب كل شيء، ويقال: إله موسى وإله محمد، مع قولنا: إله إبراهيم وإسحاق.

أفتراه أثبت إلهين: أحدهما إلهه، والآخر إله الثلاثة؟!»[2].

ومن الأدلّة التي يستدلّ بها المسحيون على عقيدة التثليث من العهد القديم ما يروى عن النبي أشعياء قوله:

«وهـذا نـادى ذاك وقـال قـدوس قـدوس ربّ الـجـنـود مـجـده مـلء كـل الأرض»[3].

«وكذلك شهد «أشعياء» بتحقق الثالوث بوحدانية جوهره وذلك بقوله: «رب القوّات» وبقوله: «رب السموات والأرض» ومثل هذا القول في التوراة والمزامير شيء كثير حتى اليهود يقرأون هذه النبوات، ولا يعرفون لها تأويلاً، وهم مقرّون بذلك، ولا ينكرون منه كلمة واحدة، وإنما قلوبهم مغلقة عن فهمه لقساوتها على

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ط مطابع المجد، ج ٢، ص ٢٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤٠.

(٣) أشعياء ٦: ٣.

ما ذكرنا من قبل، وأنهم إذا اجتمعوا في كنيستهم كل سبت يقف الحران أمامهم ويقول كلاماً عبرانياً هذا تفسيره ولا يجحدونه:

«نقدّسك ونعظّمك، ونثلث لك تقديساً مثلثاً كالمكتوب على لسان نبيّك».

فيصرخ الجميع مجاوبين «قدوس قدوس قدوس، رب القوات ورب السموات والأرض»[(١)].

وللرد على شبهتهم هذه نقول: إنّ النص السابق من سفر أشعياء لا يدل مطلقاً على عقيدة التثليث المسيحيّة، لأنّ تكرار لفظ التقديس لا يدل على تعدّد الآلهة أو تعدّد الأرباب بل هو مجرّد تكرار للفظ التقديس، كما يقول المسلم سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، أو الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله، هل هذا يدل على تعدد الآلهة، أو تعدد الأرباب؟!! أبداً إنما يدل على تكرار التسبيح والتنزيه والتحميد لله تعالى.

«أما ما في كتب الأنبياء ـ عليهم السلام ـ من تسمية اسم الرب عند إضافته إلى مخلوق آخر فهو من نمط تسميته اسم الإله، وهذا لا يقتضي تعدد الأرباب والآلهه، ولهذا لا يقتضي جعلهم اثنين وأربعة إذا ذكر اللفظ مرتين وأربعة.

فكذلك إذا كان ثلاث مرات لا يقتضي أن الأرباب ثلاثة، وهم أيضاً لا يقولون بثلاثة أرباب وثلاثة آلهة تدل على نقيض قولهم، بل هم يزعمون أنهم إنما يثبتون إلهاً واحداً، ولكنهم يتناقضون فيصرحون بثلاثة آلهة، ويقولون إله واحد.

والكتب لا تدل على قولهم المتناقض بوجه من الوجوه، وأما ما ذكروه من اعتراف اليهود بألفاظ هذه النبوات، ودعواهم أنهم لا يعرفون لها تأويلاً، فإن أراد بالتأويل تفسيرها وما يدل عليه لفظها، فهذا ظاهر لا يخفى على الصبيان من اليهود وغيرهم.

ولكن النصارى ادّعوا ما يدل عليه اللفظ، فهذا إنما يحتاج إليه إن أرادوا بالتأويل معنى يخالف ظاهر اللفظ، فهذا إنما يحتاج إليه ـ إن كان يحتاج إليه ـ إذا كان ظاهره معنى باطلاً، لا يجوز إرادته وليس ما ذكر هنا من هذا الباب، بل الكتب الإلهية يكثر فيها مثل هذا الكلام عند أهل الكتاب وعند المسلمين، ولا يفهم منها ثلاثة أرباب أو ثلاثة آلهة إلاّ من اتبع هواه بغير هدى من الله، وقال قولاً

---

(١) نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيميّة (الجواب الصحيح)، ج ٢، ص ٢٤١، ٢٤٢.

مختلفاً يؤفك عنه من أفك، ومثل هذا موجود في سائر الكلام، فقال: هذا أمير البلد الفلاني، وأمير البلد الفلاني، وأمير البلد الفلاني، وهو أمير واحد.

ويقال: هذا رسول إلى الأميين، ورسول إلى أهل الكتاب، ورسول إلى الجن والإنس، وهو رسول واحد»(١).

ومن النصوص التي يستدلّ بها النصارى على شبهة التثليث من الأناجيل هذا النص من إنجيل متى:

«فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس»(٢).

وللردّ عليهم: وإذا كان هذا النص عمدتكم التي اعتمدتم عليه فهو ضمن الأناجيل الحالية والتي ثبت ـ بما لا شكّ فيه ـ تحريفها وتناقض نصوصها فيما بينها، وبذلك يثبت عدم حجيتها على صحة العقائد المسيحية، وقد أثبتنا ذلك في دراستنا السابقة(٣).

وننقل هنا ردود شيخ الإسلام ابن تيميّة بعد أن أورد النص السابق من الإنجيل وأخذ يرد عليه بقوله:

«فيقال لهم: هذا عمدتكم على ما تدعونه من الأقانيم الثلاثة وليس فيه شيء يدل على ذلك لا نصاً ولا ظاهراً، فإن لفظ الإبن لم يستعمل قط في الكتب الإلهية في معنى صفة من صفات الله، ولم يسم أحد من الأنبياء علم الله ابنه، ولا سموا كلامه ابنه، ولكن عندكم أنهم سموا عبدَه أو عبادة إبنه، أو بنيه، وإذا كان كذلك فدعواكم أن المسيح أراد بالعلم ابن الله وكلامه دعوى في غاية الكذب على المسيح، وهو حمل لفظ على ما لم يستعمله هو ولا غيره فيه لا حقيقة ولا مجاز فأي كذب وتحريف لكلام الأنبياء أعظم من هذا، ولو كان لفظ الإبن يستعمل في صفة الله لسمّيت حياته إبناً، وقدرته ابناً فتخصيص العلم بلفظ الإبن دون الحياة خطأ ثاني لو كان لفظ الإبن يستعمل في صفة الله، فكيف إذا لم يكن كذلك، وكذلك روح القدس لم يستعملوها في حياة الله، ولا أرادوا بهذا اللفظ حياة الله

---

(١) المرجع السابق: ص ٢٤٢، ٢٤٣.

(٢) ٢٨ : ١٩.

(٣) التحريف والتناقض في الأناجيل (رسالة ماجستير) للباحثه.

هي صفته، وإنما أرادوا بذلك ما ينزله على الصدّيقيين والأنبياء.. وروح القدس يراد به الملك، ويراد به ما يجعله في القلوب من الهدى والقوة»[1].

«وتبيّن أن ما ثبت عن الأنبياء فهو حق موافق لما أخبر به محمد ﷺ خاتم الأنبياء لا يتناقض مع شيء من كلام الأنبياء، كما أنه لا يناقض شيء من كلامهم صريح المعقول، وتبيّن أنهم حملوا كلام الأنبياء في لفظ الإبن وروح القدس وغيره ما لم يوجد استعمال هذا اللفظ فيه، وتركوا حمله على المعنى الموجود في كلامهم، فكيف يجوز أن يحمل لفظ روح القدس على معنى لم يستعمله فيه الأنبياء ولا أرادوه به، ويترك حمله على المعنى المعروف الذي يستعملونه فيه دائماً.

وهل هذا إلاّ من فعل من يحّرف كلام الأنبياء، ويفتري عليهم؟ بل ظاهر هذا الكلام أن يعمد وهم باسم الأب الذي يريدون به في لغتهم الرب، والإبن الذين يريدون به في لغتهم المربي، وهو هنا المسيح وهو الروح القدس الذي أيّد الله به المسيح من الملك والوحي وغير ذلك، وبهذا فسّر هذا الكلام من فسّره من أكابر علمائهم»[2].

«فهذا ما ذكروه في كتابهم يحتجون بها على ما يعتقدونه من الأقانيم الثلاثة قائلين: إن تسمية الله أنه أب وابن وروح القدس أسماء لم نسمه نحن النصارى بها من ذات أنفسنا بل الله سمى لاهوته بها.

وقد تبيّن أنه ليس فيما ذكروه عن الأنبياء ما يدلّ لا نصاً ولا ظاهراً على أن أحداً من الأنبياء سمى الله، ولا شيئاً من صفاته ابناً ولا روح قدس.

وتبيّن أن تسميتهم لعلم الله وكلامه ابناً، وتسميتهم لحياته روح القدس أسماء ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان، وأنه ليس معهم على ما ادعوه من الأقانيم حجة أصلاً لا سمعية ولا عقليّة وأنه ليس قولهم بالتثليث وحصرهم لصفات الله في ثلاثة مستند شرعي.

كما تبيّن أنه ليس له مستند عقلي وأن القوم ممن قيل فيهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠﴾[3]، وممن قيل فيهم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ج ٢، ص ١٣١، ١٣٢، ط مطابع المجد.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٣) سورة الملك، الآية ١٠.

﴿أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[1].

ولو فرضنا صحة هذا النص وغيره من النصوص في هذا المعنى، فإنها تؤول بما يتناسب مع النصوص الأخرى والتي تدلّ على وحدانية الله سبحانه وتعالى والتي امتلأت بها الأناجيل ـ كما ذكرنا في المبحث الأول من هذا الفصل[2] ولأمر جد مهم وهو أن توحيد الله بالعبادة قد دعا إليه جميع الأنبياء من لدن آدم ونوح ـ عليهما السلام ـ إلى نبينا محمد ﷺ.

ويناقش الإمام القرطبي ـ يرحمه الله تعالى ـ النصارى في شبهتهم هذه فيقول:

«وأمّا استدلالاته على اعتقاد وجود الآب والإبن والروح القدس، وإطلاق القول بذلك بما قاله عيسى للحوراريين فلا حجة لك فيه، إذ ليس بنص قاطع، بل هو ممّا تقولون أنتم فيه متشابه فإنه يحتمل أن يكون مراده به: عمدوهم على تركهم هذا القول، كما يقول القائل: كل على اسم الله، وامش على اسم الله، أي على بركة اسم الله، ولم يعيّن الآب والإبن معاً من هما؟ ولا ما المعنى المراد بهما؟ فلعلّه أراد بالأب هنا: الملك الذي نفخ في مريم أمه الروح، إذ نفخه سبب علوق أمه وحبلها به، وأراد بالابن: نفسه، إذ خلقه الله تعالى من نفخة الملك، فالنفخة له بمثابة النطفة في حق غيره.

ثم لا يبعد أيضاً في التأويل ـ إن صحّ عن عيسى عليه السلام ـ أنه كان يطلق على الله لفظ الأب ـ أي يكون مراده به: أنه ذو حفظ له، وذو رحمة وحنان عليه، وعلى عباده الصالحين، فهو لهم بمنزلته الأب الشفيق الرحيم، وهم له في القيام بحقوقه وعبادته بمنزلة الولد البار، ويحتمل أن يكون تجوز بإطلاق هذا اللفظ على الله تعالى، لأنه معلمه وهاديه ومرشده، كما يقال: «المعلم أبو المتعلم» ومن هذا قوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[3].

ومن هذين التأويلين: يصح حل ما وقع في أناجيلهم، من هذا اللفظ، بل هذان التأويلان ظاهران، وسائغان فيها، ويشهد لهذين التأويلين: قول عيسى

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٤٤.
انظر: الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٣٤.

(٢) انظر: ص ٣٣٥ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٣) سورة الحج، الآية ٧٨.

للحواريين، على ما جاء في (سورة الوصية) حيث قال لهم:

«إذا صليتم، فقولوا: يا أبانا السماوي، تقدس إسمك، وقرّب ملكك»[١] ثم قال بعد كلام ووصايا: «فإذا كنتم أنتم على شرتكم تعرفون اعطاء الخيرات أولادكم، فكيف أبوكم السماوي»[٢].

من الأدلّة التي يستدلّ بها النصارى على شبهة عقيدة التثليث ما ورد في رسالة يوحنا الأولى من العهد الجديد:

«فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الأب، والكلمة، والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد»[٣].

ويثبت الإمام رحمة الله العثماني في كتابه «إظهار الحق» إلحاقية هذا النص بمعنى أنه لم يكن ضمن العهد الجديد وأضيف إليه فيما بعد ذلك بزمن لم يحدد، ويعضد رأيه هذا يرحمه الله بشهادة عدد من كتاب وعلماء النصارى المشهورين يقول ما نصّه:

«وهي أي هذه العبارة ملحقة يقيناً.. وهورن مع تعصبه قال إنها إلحاقية واجبة الترك، وجامعو تفسير هنري واسكات اختاروا أقوال هورن، وآدم كلارك أيضاً مال إلى الحاقيتها وأكستاين الذي كان أعلم العلماء المسيحيين التثليثيين في القرن الرابع، من القرون المسيحية، وهو إلى الآن مستند أهل التثليث أيضاً كتب على هذه الرسالة عشر رسائل، وما نقل في رسالة من هذه الرسائل هذه العبارة وهو كان من معتقدي التثليث، وكان مناظراً مع فرقة أيرين التي تنكر التثليث، فلو كانت هذه العبارة في عهده لتمسّك بها ونقلها في إثباته»[٤].

---

(١) النص: (فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات، ليتقدس إسمك ليأت ملكوتك) متى ٦: ٩ـ ١٠، ولوقا ١١: ٢.

(٢) النص: (فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحرى أبوكم الذي في السموات يهب خيرات للذين يسألونه) متى ٧: ١١.

انظر: الإمام القرطبي (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام)، تحقيق: د/ السقا، ص ٦٤، ٦٥.

(٣) ٥: ٧.

(٤) ج ١، ص ٣٩٥، ط قطر.

المسألة الثالثة:

المجمع القسطنطيني الأول وأثره في إقرار عقيدة التثليث

علمنا من دراستنا لمجمع نيقيه والذي عقد عام ٣٢٥م[(١)] والذي فرضت فيه عقيدة تأليه المسيح بقوة السلطان!! ومن ثم أحرقت جميع الأسفار والأناجيل التي تقول بتوحيد الله تعالى، وأن المسيح عليه السلام لا يعدو أن يكون بشراً رسولا!!

علمنا من تلك الدراسة أن المسيحيين يأخذون أهم عقائدهم وأخطرها من مجامعهم والتي يترأسها أساقفتهم، وهم بشر معرضون للخطأ والنسيان وللإكراه.

وهذه المجامع تقرر العقيدة التي يجب أن يعتنقها المسيحيون وتفرضها عليهم بقوة السلطان.

ونحن الآن بصدد الحديث عن المجمّع القسطنطيني الأول والذي عقد عام ٣٨١م، وعندما فرضت فيه عقيدة تأليه روح القدس اكتملت في هذا المجمّع عقيدة التثليث!! وأصبح النصارى مثلثون رسمياً!! وزيدت في أمانتهم التي قرّروها من قبل والتي يتلوها في صلواتهم هذه العبارة:

«نؤمن بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والإبن مسجود له، وممجّد، وأثبتوا أن الآب والإبن وروح القدس ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه، وثلاث خواص، وحدية في تثليث، وتثليث في وحديه، كيان واحد في ثلاثة أقانيم إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة»[(٢)].

ويتحدث الإمام أبو زهرة عن هذا المجمع فيقول:

«أخذ يجاهر رجل اسمه مقدنيوس بأن الروح القدس ليس بإله ولكنه مخلوق مصنوع، وشاعت مقالته بين الناس، ولم يجدوا فيها نكراً، ولا أمراً لا يقره العقل أو تأباه المسيحية: فاجتمع إلى الملك ذوو الأمر من وزرائه وقواده وبلغوه أن العامة قد فسدوا، فهم ما زالوا متأثرين بوحدانية أريوس[(٣)]، واعتنقوا مذهب مقدنيوس في أن الروح القدس ليس بإله قديم، بل هو مخلوق مصنوع، وحرّضوه

---

(١) انظر: ص ٣٠٨ وهامش ص ٢١٥ من هذه الرسالة.

(٢) انظر: الإمام أبي زهرة (محاضرات في النصرانيّة) ط دار الفكر، ص ١٦١. أيضاً: د/أحمد شلبي (المسيحية) ط ٦، ١٥٣.

(٣) تحدثنا عنه عند الحديث عن مجمع نيقيه انظر: ص ٣٦٦ من هذا البحث.

على أن يجمع جمعاً من الأساقفة يثبتون عقيدة المجمع النيقوي، ويدحضون قول مقدنيوس، فاجتمع في القسطنطينية خمسون ومائة أسقف، وكان المقدم فيها بطريرك الإسكندرية ويظهر أن ذلك العدد لم يكن ممثلاً لكل الكنائس.

واجتمع هذا المجمع في القسطنطينية، وتذاكر المجتمعون فيمن هو أولى بالرياسة فقرّ رأيهم على أن تكون الرياسة لأسقف القسطنطينية، وبذلك نُحي عنها رئيس كنيسة الإسكندرية، ولكن مع إبعاده عن مكان الرياسة إلاّ أنه كان المقدم في المناقشة، وتقرير الرأي الذي أجمع عليه المؤتمر بعد ذلك.

قال ثيموتاوس بطريق الإسكندرية:

«ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق، فقد قلنا إن حياته مخلوقه، وإذا قلنا إن حياته مخلوقه، فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به، ومن كفر به وجب عليه اللعن».

ثم اتفقوا على لعن مقدنيوس، فلعنوه هو وأشياعه، ولعنوا البطاركة الذين يقولون بمقالته.

ونريد أن نستطرد استطرادة صغيرة عاجلة، وهي أن ننظر في تلك السلسلة الفكرية التي ساقها في شكل دليل شرطي كثرت مقدماته، وكثرت تالياته، وإن نظرة سريعة فاحصة إلى الأساس الذي قامت عليه السلسلة ترينا أنه جعل روح القدس هي روح الله، وهذا يسلمه له مخالفة، ولا يستطيع هو أن يقيم عليه دليلاً.

إن روح القدس خلقه الله، واتخذه ليكون رسولاً بينه وبين من يريد أن يلقي عليه وحياً من خلقه أو أمراً كونياً، فهي ليست روح الله المتعلّقة بذاته، وليس عنده من دليل على ما قال، ولكن هكذا ساق السلسلة وهكذا اقتنع سامعوه، وبذلك تمّ له الثالوث الذي يتشابه تماماً مع فلسفة الإسكندرية وقد أعلنها بطريرك الإسكندرية، وزادوا بذلك على مجمّع نيقيه هذا الأقنوم»[1].

---

(١) انظر: محاضرات في النصرانيّة، ط دار الفكر العربي، ص ١٥٩ـ ١٦١.

المسألة الرابعة:

إقتباس النصارى عقيدة التثليث من أقوام قد سبقوهم إليها

عند الإطّلاع على المصادر والمراجع في موضوعات مقارنات الأديان وجدت حقيقة واضحة وهي أن عقيدة التثليث ليست بدعاً في المسيحية، ولم يكن المسيحيون هم أول من قال بالتثليث، بل إن التثليث أو عبادة ثلاثة آلهة قد اعتقد به أو أعتنقه الكثير من الوثنيين في عصور ومن شعوب وبيئات مختلفة، كالهنود والصنيين والفراعنة وغيرهم.

وقد سبق هؤلاء الوثنيون المسيحيون بالقول «بعقيدة التثليث» قد سبقوهم قرابة آلاف السنين، لذلك فإن أول ما يخطر بذهن الباحث المنصف في هذا المجال، بل وفي ذهن القارىء الكريم هو أن المسيحين قد أخذوا أو اقتبسوا هذه العقيدة «عقيدة التثليث» من أولئك الوثنيين والعكس غير صحيح.

وقد يكون التثليث تحديداً أو تطويراً لعبادة الآلهة الكثيرة والتي كانت تخضع لها وتعبدها تلك الشعوب الوثنية.

وممّا لا شك فيه أن الشعوب والأمم عندما تتجاوز وتختلط بعضها بالبعض الآخر فإن الأفكار والمعتقدات تنتقل فيما بينها بسهولة ويسر، وكما هو معلوم فإن المسيحين لم يكن لديهم الكتاب المحفوظ بحفظ الله تعالى وقد حفظت العقيدة الصحيحة بداخله كما هو حاصل للقرآن الكريم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[1] بل إن الله تعالى وكّلهم بحفظ كتابهم فلم يحفظوه بل ضيعوه وحرفوه[2].

ويعتقد الدكتور أحمد شلبي أن التثليث ظهر كجملة عند المسيحيين قبل القول بألوهية المسيح وألوهية روح القدس، ويذكر أنهم أخذوه من الثقافات المحيطة بهم، وفيما يلي نص حديثه:

«والاعتقاد بالتثليث ظهر قبل القول بألوهية المسيح وقبل القول بألوهية الروح القدس.

قد يكون العكس هو الطبيعي أي أن تثبت لدي المسيحيين ألوهية المسيح، فينتقلوا من الوحدانية إلى الثنوية، ثم تثبت لهم ألوهية الروح القدس فينتقلوا من

---

(١) سورة الحجر، الآية ٩.

(٢) انظر مثلاً: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (رسالة ماجستير) للباحثة، ص ٦٦.

الثنوية، إلى التثليث، أو تثبت لهم ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس دفعة واحدة فينتقلوا من الوحدانية للتثليث دفعة واحدة، قد يكون ذلك هو الطبيعي، ولكن الواقع غير ذلك[1] الواقع أنّ التثليث كجملة ظهر أولاً عند المسيحيين، أخذوه من الثقافات المحيطة بهم، تلك الثقافات التي أثّرت على مسيحيّة بولس[2] ونقلتها إلى عبادة ثالوث مقدّس، فأصبحت هذه الحقيقة مسلماً بها، وأصبح الاتجاه العام وبخاصة بين الجماهير هو الإيمان بثالوث مقدّس قريب الشبه بالثالوث الذي كانوا يؤمنون به قبل أن يدخلوا المسيحية.

ولكن الإيمان بهذا الثالوث خلق لهم مشكلة، تلك هي محاولة التوفيق بين الوحدانية التي هي سمة الأديان السماوية، والتي قالت بها التوراة بصراحة وبين القول بعبادة الثالوث، وحينئذٍ جدّ جدهم، وجندوا جنودهم، وأعملوا عقولهم وقالوا كلاماً يوفقون به بين الوحدانية والتثليث، ولكنهم عندما قالوا ذلك لم يكونوا يقنعون به، وصرّحوا بعدم اقتناعهم أحياناً[3] ولكن على كل حال لم يكن بد من الاستمرار في القول بالتثليث وافق العقل أو لم يوافقه وعندما ثبت القول بالتثليث بدأت المرحلة الثانية، مرحلة البحث عن أفراد هذا الثالوث»[4].

«أما موضوع تعدد الآلهة فموضوع يكاد يكون عاماً في جميع الثقافات القديمة، قال به المصريون القدماء، وقال به الأشوريون والبابليون والفرس والهنود والصينيون واليونان على اختلاف في عدد الآلهة ومكانتهم واختلاف في تصوّر صلة الآلهة بعضهم ببعض أو صلتهم بالبشر»[5].

«أمّا التثليث فلعلّه كان تحديداً لهذا التعدد الذي بولغ فيه أحياناً، ويمكن

---

(١) هذا رأي خاص ب د/أحمد شلبي ولم يأت بدليل منطقي أو تاريخي عليه، لأن قصة المجامع المسيحية المسكونية (مجمع نيقيه، والمجمع القسطنطيني الأول) تؤيّد الرأي الآخر وهو التدرّج حين الأخذ بعقيدة الثالوث، والله أعلم.

(٢) عرفناه في هامش ص ٢٥، ٢٦ من هذا البحث.

(٣) وقد نقل الدكتور أحمد شلبي الكثير من الأمثلة على تصريحاتهم تلك انظر: المسيحية ط ٦، ص ١٣٥ـ ١٣٩.

(٤) المرجع السابق، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٥) انظر: تاريخ الفلسفة، د/إبراهيم مدكور، ص ٦ـ ١٩، نقلاً عن: د/أحمد شلبي (المسيحية) ط ٦، ص ١٣٠.

القول بأنّ تحديد الآلهة بثلاثة، عمل له صلة بعبادة الأبطال، تلك العبادة التي بدأت منذ فجر التاريخ والتي لا يزال لها بقايا في عالمنا الحاضر»[١].

«ولعلّ البابليين هم أول من قال بالثالوث وذلك في الألف الرابع قبل الميلاد، فقد كان البابليون يدينون بتعدد الآلهة، ولكنهم نظّموا هؤلاء الآلهة أثلاثاً أي جعلوها مجموعات متميّزة المكانة والقدر، كل مجموعة ثلاثة، فكانت المجموعة الأولى على رأس الآلهة، وتتكون هذه المجموعة من إله السماء، فإله الأرض، فإله البحر، أمّا المجموعة الثانية فإله القمر وإله الشمس وإله العدالة والتشريع . .»[٢].

«تدل الرموز التي اكتشفت عن الثالوث المقدّس عند قدماء المصريين على مشابهته تماماً للثالوث المسيحي سواء في عدد الأقانيم أو في خاصية كل أقنوم منها.

ويتكون الثالوث الفرعوني من ثلاثة آلهة أو ثلاثة أقانيم إلهيّة وهي:

١ـ الإله أوسيري ويسمى الآب.

٢ـ الإله هور ويسمى الإبن أو النطق أو الكلمة.

٣ـ الإله إيس وتسمى الأم أو الوالدة»[٣].

«ويقرر أحد الباحثين[٤] وجود تشابه كبير الثالوث الهندي والثالوث المسيحي، ويضيف أنه ذكر في الكتب الهندية القديمة التي ترجمت إلى الإنجليزية شارحة عقيدة الهنود القدماء ما نصّه: (نؤمن بسافتري أي الشمس، إله واحد، ضابط الكل، خالق السموات والأرض وبابنه الوحيد آني أي النار، نور من نور مولود غير مخلوق، تجسد من فايو أي الروح في بطن مايا العذراء، ونؤمن بفايو الروح المحيي المنبثق من الآب والإبن الذي هو مع الآب والإبن يسجد له ويمجّد».

ويلاحظ هنا التشابه التام بين هذا القانون الإيماني وبين قانون الإيمان المسيحي، والثالوث الهندي وهو بسافتري (الشمس) أي الآب السماوي وآني

---

(١) انظر: الأبطال وعبادة البطولة لكارليل نقلاً عن د/أحمد شلبي (المسيحية) ص ١٣٠.

(٢) د/إبراهيم مدكور (تاريخ الفلسفة)، ص ٦، نقلاً عن: د/أحمد شلبي (المسيحية) ص ١٣١.

(٣) انظر: محمد مجدي مرجان (الله واحد أم ثالوث)، ط دار النهضة العربية، ص ٧٨، ٧٩.

(٤) الأستاذ مالفير انظر: الرجع السابق، ص ٨١.

(النار) أي الإبن وهو النار المنبثقة من الشمس وفايو (نفحة الهواء) أي الروح، هذا الثالوث هو أساس المذاهب عند الشعوب الهندية القديمة»[1].

«وهناك ثالوث هندي آخر «فهم يقولون بأن هناك إله ذو ثلاثة أقانيم وهي: براهمة الخالق، وفشنو الحافظ، وسيفا المهلك.

ويعتبرونها ثلاثة أقانيم غير منفكين عن الوحدة ويرمزون عن هذه الأقانيم الثلاثة بثلاثة أحرف وهي الألف والواو والميم ويلفظونها (أوم) ولا ينطقون بها إلاّ في صلاتهم ويحترمون رمزها في معابدهم احتراماً عظيماً»[2].

«وقد جاء في الكتب الدينية الصينية أنّ أصل كل شيء واحد وهذا الواحد الذي هو أصل الوجود اضطر إلى إيجاد ثان والأول والثاني انبثق منهما ثالث ومن هذه الثلاثة صدر كل شيء»[3].

«وكان الفرس يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم مثل الهنود تماماً وهم أورفرد ومترات وأهرامان، فاورفرد (الخلاق) ومترات (ابن الله المخلص والوسيط) وأهرمان (المهلك) ويوجد في كتابات زوستر سانن: الشرائع الفارسية هذه الجملة (الثالوث) اللاهوتي مضيء في العالم ورأس هذا الثالوث موناد، وكان الآشوريون والفينقيون يعبدون آلهة مثلّثة الأقانيم»[4].

«والتتر والوثنيون عبدوا إلهاً مثلّث الأقانيم وعلى أحد نقودهم الموجودة في متحف بطرسبرج صورة هذا الإله المثلّث الأقانيم المقدسة»[5].

«أما مدرسة الإسكندرية الحديثة والتي قامت عقب إنشاء مدينة الإسكندرية سنة ٣٣١ق م وورثت حضارات مختلفة، أخذت تنشر مبادئها وثقافاتها حتى ميلاد المسيح عليه السلام وبعده، من أشهر فلاسفتها (أفلوطين ٢٠٥ـ ٢٧٠) وقد عُرف مذهبه بالأفلاطونية الحديثة وخلاصته: الإيمان بثالوث في قمة الوجود وهو:

١ـ الواحد أو الأول: هو جوهر كامل فياض.

---

(١) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٢) انظر: محمد طاهر التنير (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) تحقيق: محمد بن إبراهيم الشيباني، ط ١، ص ٣٦، باختصار.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٣٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٤.

٢ـ العقل وهو شبيه به وهو مبدأ الوجود.

٣ـ النفس وتفيض فتصدر عنها الكواكب والبشر أو بعبارة سهلة موجزة ثلاثة في واحد، وواحد في ثلاثة (الواحد العقل النفس)(١).

ويطرح الدكتور أحمد شلبي هذا السؤال ثم يجيب عليه:

«كيف إنتقلت هذه الأفكار إلى المسيحية؟.

والجواب على ذلك سهل يسير، فقد مرّت بالمسيحية عهود ضعف واضطهاد(٢) وطبيعة هذه الهزائم أضعفت المقاومة، وقضت أن يستتر المسيحيون، أو على الأقل يكتموا دينهم بين أضلاعهم، فلا يعرفه أحد، وامتد الإضطهاد إلى إنجيل عيسى فالتهمه وقضى عليه(٣) وهكذا فقدت المسيحية كثيراً من رجالها وعلمائها، وفقدت أكثر مراجعها الأصلية، فأصبح مصدر المسيحية واهناً أو معدوماً»(٤).

«ويعترف النصارى بأنّ العالم قديماً كان يعرف عقيدة التثليث، ولكنهم مع اعترافهم يقولون: بأنّ هناك مغايرة تامة بين عقيدة التثليث عندهم، وبين عقيدة التثليث في العالم، وأننا نسلم لهم بهذه المغايرة، لأنّ الذي يقتبس فكرة لغيره ليضع فيها مبادىء دعوته، قد لا يسلم من أن يضيف إليها شيئاً أو ينقص منها شيئاً»(٥).

«وقد تأخذنا الدهشة كيف بثالوث الشعوب الوثنية يتسرّب إلى الديانة المسيحية؟ كيف بوثنية الأرض تتسلل إلى ديانة السماء؟ إنّ المسيحية رسالة سماوية نزلت إلى عيسى عليه السلام من عند الله فنادى بوحدانية الله ودعا الناس إلى صالح الأعمال، فكيف بالوثنية تشوّه تلك الصورة الحلوة لهذه الرسالة العظيمة»(٦).

---

(١) انظر د/ إبراهيم مدكور (تاريخ الفلسفة) ص ٦٥، نقلاً عن: د/ أحمد شلبي (المسيحية) ط ٦، ص ١٣٢، ١٣٣ بتصرف واختصار.

(٢) للحديث عن اضطّهادات المسيحيين انظر: (التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة) رسالة ماجستير للباحثة، ص ٧٠.

(٣) للحديث عن إنجيل عيسى عليه السلام، انظر: المرجع السابق، ص ٥٨.

(٤) انظر: د. أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٣٣.

(٥) د/ أحمد حجازي السقا (أقانيم النصارى)، ط دار الأنصار، القاهرة، ص ٨٧، ٨٨.

(٦) انظر: محمد مجدي مرجان (الله واحد أم ثالوث)، ص ٧٢.

المسألة الخامسة:

بطلان عقيدة التثليث عقلاً

وببداهة العقول السليمة الخالية من التعصّب والميل إلى الهوى تبطل عقيدة التثليث هذه، فقد أثبتنا ـ في المبحث السابق ـ بطلان دعوى تأليه المسيح عليه السلام وهو أحد اقطاب أو أقانيم التثليث فينتفي بذلك التثليث[1] وتثبت وحدانية الله تعالى، مع أن وحدانية الله تعالى لا تحتاج إلى إثبات لأنّ كل ما في الكون يدلّ على وجوده ووحدانيته وربوبيته ومن ثم استحقاقه للعبادة وحده دون سواه سبحانه وتعالى عمّا يشركون.

وبلا شك فإن التثليث يؤدي إلى التعدد أو هو التعدد بذاته وتعدد الآلهة هو الشرك بعينه، وقد وصف الله تعالى الشرك بأنه ظلم عظيم: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[2].

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[4].

وإذا كان الظلم ممقوت ومحرّم في حق المخلوقين فمن باب أولى أن يكون ممقوتاً ومحرماً في حق الخالق الواحد سبحانه وتعالى عمّا يشركون.

والمسحيون يتناقضون في عقائدهم وفي أقوالهم إذ هم يحاولون باستماته أن يثبتوا مع اعتقادهم بالتثليث وعبادتهم لثلاثة ذوات آلهة (الآب والابن وروح القدس) يحاولون أن يخلطوا بين التثليث والتوحيد مع أن الفارق بينهما أكبر من الفارق بين السماء والأرض ـ فهم كمن يقول فلان حاضر وغائب في آن ومكان واحد ـ فالتوحيد ينافي التثليث والعكس صحيح فالقارىء والمطلع على كتبهم والتي تحوي عقائدهم هذه بل والسامع منهم أحاديثهم عن عقيدتهم (عقيدة التثليث) يجد

---

(١) انظر: ص ٣٠٥ من هذه الرسالة.

(٢) سورة لقمان، الآية ١٣.

(٣) سورة المائدة، الآية ٧٢.

(٤) سورة النساء، الآية ٤٨.

إستفهاماً جد كبير، فكيف يكون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً؟!!! وإذا استعصى عليهم فهم هذه العقيدة فإنهم مع ذلك يؤمنون بها ويرجئون فهمها إلى اليوم الذي تنكشف فيه الحجب لكي يفهمونها في ذلك اليوم.

ويقول أحدهم[1].

«قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا، ونرجو أن نفهمه أكثر جلاء في المستقبل حين ينكشف الحجاب.. وأمّا في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية»[2].

«قالوا: والثلاثة أسماء فهي إله واحد ورب واحد، وخالق واحد، ومسمى واحد لم يزل ولا يزال حياً ناطقاً، أي الذات والنطق والحياة.

فالذات عندنا: الأب الذي هو ابتداء الإثنين.

والنطق: الإبن الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل.

والحياة: هي الروح القدس»[3].

ويظهر تناقض أقوال النصارى الواضحاً جلياً وللردّ عليهم:

هم يقولون إن الأب هو ابتداء الإثنين، وما دام كذلك فهو متقدم على الإبن، فهو أقدم منه فهو الأول، إذاً فهو المستحق للعبادة لأنه مصدر كل شيء.

وما دام النطق وهو الإبن مولود منه أي من الآب أي منبثق عنه، فالأب هو المصدر له، فهو أقدم منه، إذاً فهو المستحق للعبادة، فبذلك تبطل شبهة النصارى هذه.

وقد انبرى كثير من أئمة وعلماء المسلمين إلى دحض عقيدة التثليث خاصة وعقائد النصارى عامةً في مختلف العصور من أولئك شيخ الإسلام ابن تيميّة، والإمام ابن حزم، والشيخ رحمه الله الهندي وغيرهم كثير.

ويفند شيخ الإسلام ابن تيميّة شبهة النصارى هذه بردودٍ فلسفية فريدة، قال يرحمه الله:

«**الأول**: إن أسماء الله تعالى متعددة كثيرة، فإنه:

---

(١) القس بوطر، انظر د .أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٩.

(٣) نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيميّة (الجواب الصحيح)، ج ٢، ص ١١٢.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[1].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنّ لله تسعةً وتسعين اسماً مائة إلاّ واحداً من أحصاها دخل الجنة»[2].

وهذا معناه في أشهر قولي العلماء وأصحها أن من أسمائه تعالى تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة، وإلاّ فاسماؤه تبارك وتعالى أكثر من ذلك.. وإذا كانت أسماء الله كثيرة كالعزيز والقدير وغيرها، فالاقتصار على ثلاثة أسماء دون غيرها باطل، وأي شيء زعم الزاعم في اختصاص هذه الأسماء دون غيرها فهو باطل.

الوجه الثاني: قولهم الأب الذي هو ابتداء الاثنين، والابن: النطق الذي هو مولود منه، كولادة النطق من العقل كلام باطل، فإنّ صفات الكمال لازمة لذات الرب عزّ وجل أولاً وآخراً، ولم يزل ولا يزال حياً عالماً قادراً، لم يصر حياً بعد أن لم يكن حياً، ولا عالماً بعد أن لم يكن عالماً.

فإذا قالوا: إن الأب الذي هو الذات، هو ابتداء الحياة والنطق، اقتضى ذلك أن يكون الأب قبل الحياة والنطق، فإن ما كان ابتداء لغيره يكون متقدماً عليه أو فاعلاً له[3].

وكذلك قولهم: إن النطق مولود منه كولادة النطق من العقل، فإن المولود من غيره متولد منه، فيحدث بعد أن لم يكن، كما يحدث النطق شيئاً فشيئاً، سواء

---

(١) سورة الحشر، الآية ٢٢ـ ٢٤.

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي. ج ١٧، ط ٣، كتاب الذكر والدعاء باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، ص ٥.

أيضاً: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ١١، ط دار المعرفة، باب: (لله مائة اسم غير واحد) رقم الحديث ٦٤١٠، ص ٢١٤.

(٣) أي هذا بإعتراف منكم بأن الأب ابتداء للنطق ـ ويقصدون به الإبن أي المسيح عليه السلام والحياة ويقصدون بها روح القدس فالآب ابتداء لهما فهو إذا متقدم عليهما وبذلك يكون فاعلاً لهما أي خالقاً لهما.

أريد بالنطق العلم أو البيان فكلاهما لم يكن لازماً للنفس الناطقة، بل حدث فيها واتصفت به بعد أن لم يكن، وإن كانت قابلة له ناطقة له بالقوة فإذا مثلوا النطق من الرب كتولده عن العقل لزم أن يكون الرب كان ناطقاً بالقوة، ثم صار ناطقاً بالفعل فيلزم أنه صار عالماً بعد أن لم يكن عالماً، وهذا من أعظم الكفر وأشدّه استحالة فإنه لا شيء غيره[1] لجعله متّصفاً بصفات الكمال بعد أن لم يكن متّصفاً بها، إذ كل ما سواه فهو مخلوق له وكماله منه، فيمتنع أن يكون هو[2] جاعل الرب سبحانه وتعالى كاملاً.

وذلك دور[3] ممتنع في صريح العقل، إذ كان الشيء لا يجعل غيره متّصفاً بصفات الكمال، حتى يكون هو متصفاً بها، فإذا لم يتّصف بها حتى جعله غيره متصفاً بها لزم الدور الممتنع مثل كون كل من الشيئين فاعلاً للآخر وعلّة له، أو لبعض صفاته المشروطة في الفعل فتبيّن بطلان كون نطقه متولداً عنه، كتولّد النطق من العقل، كما بطل أن يكون لصفاته اللازمة له ما هو مبدأ لها متقدم عليها أو فاعل لها.

الوجه الثالث: أن قولهم في الإبن أنه مولود من الله ـ تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً ـ إن أرادوا به أنه صفة لازمة له، فكذلك الحياة صفة لازمة لله، فيكون روح القدس أيضاً ابناً ثانياً، وإن أرادوا به أنه حصل منه بعد أن لم يكن، لزم أن يكون عالماً، بعد أن يكن عالماً، وهذا مع كونه باطلاً وكفراً فيلزم مثله في الحياة وهو أنه صار حيّاً بعد أن لم يكن حياً.

الوجه الرابع: إنّ تسمية حياة الله روح القدس أمر لم ينطق به شيء من كتب الله المنزّلة، فإطلاق روح القدس على حياة الله من تبديلهم وتحريفهم»[4].

الوجه الخامس: «إنّ العلم أيضاً صفة والصفة لا تخلق ولا ترزق، والمسيح نفسه ليس هو صفة قائمة بغيرها باتفاق العقلاء»[5].

---

(١) أي الآب والمقصود به الحق سبحانه وتعالى.

(٢) هو أي النطق ويقصدون به المسيح عليه السلام كما أسلفنا.

(٣) الدور: هو توقّف الشيء على نفسه أي يكون هو نفسه علّة لنفسه، بواسطة أو بدون واسطة، والدور مستحيل بالبداهة العقليّة.

انظر: ضوابط المعرفة للشيخ عبد الرحمن الميداني، ط ١، ص ٣٣٣.

(٤) انظر: الجواب الصحيح، ج ٢، ط مطابع المجد، ص ١١٢ـ ١١٥ بتصرف قليل.

(٥) المرجع السابق، ص ١١٥.

وينكر شيخ الإسلام ابن تيميّة على النصارى تأليه المسيح واعتباره أحد أقطاب الثالوث المؤلّه باعتباره كلمة الله تعالى فيقول:

«فلو قال قائل: يا حياة الله، أو يا علم الله، أو يا كلام الله اغفر لي، وارحمني واهدني كان هذا باطلاً في صريح العقل، ولهذا لم يجوز أحد من أهل الملل أن يقال للتوارة أو الإنجيل وغير ذلك من كلام الله اغفر لي وارحمني، وإنما يقال للإله المتكلّم بهذا الكلام: اغفر لي وارحمني.

والمسيح عليه السلام عندكم هو الإله الخالق الذي يقال له اغفر لنا وارحمنا فلو كان هو نفس علم الله، وكلامه لم يجز أن يكون إلهاً معبوداً فكيف إذ لم يكن نفس علم الله وكلامه، بل هو مخلوق بكلامه، حيث قال له: كن فيكون؟ فتبيّن من ذلك أنّ كلمات الله كثيرة لا نهاية لها وفي الكتب الإلهية كالتوراة أنه خلق الأشياء بكلامه، كان في أول التوراة أنه قال: ليكن كذا ليكن كذا، ومعلوم أنّ المسيح ليس هو كلمات كثيرة بل غايته أن يكون كلمة واحدة إذ هو المخلوق بكلمة من كلمات الله عزّ وجل»[1].

ونضيف إلى ذلك: إن كون المسيح عليه السلام كلمة الله لا يخوله أن يكون إلهاً أو رباً، ولا أن يحاسب الناس على أعمالهم، بل هو كملة الله أي مخلوق بكلمة الله سبحانه وتعالى وبأمره﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾[2].

«وقد يكون أثبتوا في أمانتهم[3] من المعاني ولفظ الأقانيم وغير ذلك ما لا تدل عليه الكتب التي بأيديهم ألبته، بل فهموا منها معنى باطلاً، وضموا إليه معاني باطلة من عند أنفسهم فكانوا محرفين لكتب الله في ذلك، مفترين على الله الكذب.

وأن قولهم بالأقانيم مع بطلانه في العقل والشرع لم ينطق به عندهم كتاب، ولم يوجد هذا اللفظ في شيء من كتب الأنبياء التي بأيديهم ولا في كلام الحواريين، بل هي لفظة ابتدعوها، ويقال: إنها روميه، وقد قيل: الأقنوم في لغتهم معناه الأصل، ولهذا يضطربون في تفسير الأقانيم تارة يقولون أشخاص، وتارة خواص، وتارة صفات، وتارة جواهر، وتارة يجعلون الأقنوم اسماً للذات

---

(١) المرجع السابق، ص ١١٥، ١١٦.

(٢) سورة يس، الآية ٨٢.

(٣) انظر: ص ٣٥٥ وما بعدها من هذه الرسالة.

والصفة معاً، وهذا تفسير حذاقهم»[1].

«فليس في كلام الأنبياء ـ لا المسيح ولا غيره ـ ذكر أقانيم لله، لا ثلاثة ولا أكثر، ولا إثبات ثلاثة صفات، ولا تسمية شيء من صفات الله ابناً لله، ولا رباً، ولا تسمية حياته روحاً، ولا أن لله إبناً هو إله حق من إله حق من جوهر أبيه، وأنه خالق كما أن الله خالق، إلى غير ذلك من الأقوال المتضمّنة لأنواع من الكفر، لم تنقل عن نبي من الأنبياء»[2].

ويحتج النصارى على عقيدة التثليث بقولهم: إنّ الإنجيل قد نطق بها، وقد نقلنا ـ فيما سبق ـ من هذا المبحث بعض النصوص التي يستدلّ بها النصارى على عقيدة التثليث وبيّنا مدى بطلانها.

وإذا كان الإنجيل قد نطق بها. فأين هو الإنجيل الأصلي للسيد المسيح عليه السلام؟ إنه مفقود وحتى إن عثروا عليه فسيكون حجة عليهم لا لهم فلن يتعارض مع القرآن الكريم فمصدرهما واحد وهو الحق سبحانه وتعالى.

أمّا أناجيل النصارى الحالية فقد ثبت بالتأكيد تحريف نصوصها وتناقضها، وقد فصلنا الكلام عن ذلك في الدراسة السابقة[3] لذلك فالأناجيل ليست موحى بها من الله تعالى لانقطاع سندها، وعدم صحتها فيثبت بذلك عدم حجيتها على صحة العقائد المسيحية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة:

«قولكم: وكذلك نحن النصارى العلّة في قولنا: «إن الله ثلاثة أقانيم أب، وابن، وروح قدس، أن الإنجيل نطق به.

فيقال لكم: هذا باطل، فإنه لم ينطق، لا الإنجيل ولا شيء من النبوات بأن الله ثلاثة أقانيم ولا خص أحد من الأنبياء الرب بثلاث صفات دون غيرها ولا قال المسيح ولا غيره: إنّ الله هو الأب، والابن، وروح القدس ولا إن له أقنوما هو الابن، وأقنوما هو روح القدس»[4].

«فأين في كلام الأنبياء أن شيئاً من صفات الله أو من مخلوقاته يقال فيه: إنه

---

(١) انظر الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٠٠.

(٢) انظر: الجواب الصحيح، ج ٣، ص ١٤١.

(٣) التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (رسالة ماجستير) للباحثة.

(٤) انظر الجواب الصحيح، ج ٣، ص ١٦١.

أقنوم، وإنه إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، وإنه مساوٍ لله في الجوهر، وإنه خالق كل شيء، وإنه قعد عن يمين الله فوق العرش، وإنه الذي يقضي بين الناس يوم القيامة؟!!.

وأين في كلام الأنبياء أن لله ولداً قديماً أزلياً؟!!.

ومن الذي سمى كلام الله أو علمه أو حكمته، مولوداً أو ابناً له أو شيئاً من صفاته مولوداً له أو ابناً له؟!.

ومن الذي قال من الأنبياء: إنه مولود وهو ـ مع ذلك ـ قديم أزلي؟!

وأين في كلامهم أن لله أقنوماً ثالثاً هو حياته، ويسمى بروح القدس، وأنه أيضاً رب حي محيي؟!

فلو كان النصارى آمنوا بنصوص الأنبياء، كما آمن المؤمنون، لم يكن عليهم ملام.

ومن اعترض على نصوص الأنبياء كان لفساد فهمه ونقص معرفته ولكن هم ابتدعوا أقوالاً وعقائد ليست منصوصه عن أحد من الأنبياء عليهم السلام، وفيها كفر ظاهر وتناقض بيّن»[1].

ثم يذكر شيخ الإسلام ـ بعد ذلك ـ أن عقيدة النصارى في التثليث عقيدة متناقضه، ولا حقيقة لها، وأنه من مجرّد التصور التام لتلك العقيدة كان كافياً للحكم بفسادها من غير احتياج إلى دليل، إذ كيف يجوز لذي عقل أن يعتقد في شيء أنه ثلاثة مع اعتقاده فيه بأنه واحد؟؟!!

«ولمّا كان قول النصارى في التثليث متناقضاً في نفسه لا حقيقة له صار مجرّد تصوره التام كافياً في العلم بفساده من غير احتياج إلى دليل، وإن كانت الأدلّة تظهر بفساده.

ولهذا سلك طائفة من العلماء في الكلام معهم هذا المسلك وهو أن مجرّد تصوّر مذهبهم كافٍ في العلم بفساده فإنه غير معقول.

وقالوا: إنّ النصارى ناقضت في اللفظ، وأحالت في المعنى، فلا يجوز أن يعتقد ما يدعون انتحاله لتناقضه.

وذلك أنهم يزعمون أن الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، وهذا لا يصح اعتقاده،

---

(١) المرجع السابق، ج ٣، ص ١٤٢.

لأنه لا يجوز أن يعتقد المعتقد في الشيء أنه ثلاثة مع اعتقاده فيه أنه واحد، لأن ذلك متضاد.

وإذا كان ذلك كذلك، فليس يخلو من أن يعتقد أنه ثلاثة، أو أنه واحد.

وليس يحتاج أن يعرف بدليل بطلان قول من ادعى أن الواحد ثلاثة، وأن الثلاثة واحد، لأن ذلك لا يعقل.

وهو كمن ادّعى في الشيء أنه موجود معدوم، أو قديم محدث، أو في الجسم أنه قائم قاعد، متحرك ساكن.

وإذا كان كذلك فتناقضه أظهر من أن يحتاج فيه إلى دلالة»[١].

«فقولهم عن المسيح: «عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس»[٢].

أنه أراد بالابن كلمة الله القديمة الأزليّة، وأنها متولدة منه وأنه أراد بروح القدس، حياة الله القديمة الأزليّة، كذب محض على المسيح عليه السلام لا يوجد قط في كلامه ولا كلام غيره من الأنبياء أنهم سموا علم الله وحكمته، ولا شيئاً من صفاته القائمة به ابناً، ولا سموا حياته روح القدس»[٣].

ويعترض الإمام ابن حزم على ادعاء النصارى أن هذه الأقانيم الثلاثة شيء واحد، فيتساءل لماذا إذاً استحق كل واحد منها هذه التسمية (الآب والابن وروح القدس) ما دام هؤلاء الثلاثة شيء واحد؟

ويستدلّ بنصوص من الأناجيل تبطل كون هذه الأقانيم شيئاً واحداً لاختلاف الأعمال التي يقومون بها!! وتبيّن أن هناك أموراً لا يعلمها إلاّ الآب وحده كعلم يوم القيامة.

وفيما يلي ننقل نص حديثه:

«ثم يقال للقائلين بأنّ الباري تعالى ثلاثة أشياء: أب وابن وروح القدس: أخبرونا: إذاً هذه الثلاثة الأشياء لم تزل كلها، وأنها مع ذلك شيء واحد إن كان ذلك كما ذكرتم؟ فبأي معنى استحقّ أن يكون أحدهما يسمّى أباً والثاني ابناً والثالث: روح القدس، وأنتم تقولون: إن الثلاثة واحد، وأن كل واحد منها هو

---

(١) المرجع الساق، ج ٣، ص ١٦٦، ١٦٧.

(٢) متى ٢٨: ١٩.

(٣) الجواب الصحيح، ج ٣، ص ١٨٣، ١٩٢.

الآخر، فالأب هو الابن، والابن هو الأب وهما روح القدس، وليس روح القدس سواهما وهذا هو عين التخليط، وإنجيلهم يبطل هذا بقولهم:

«سأقعد عن يمين أبي»(١)

وبقولهم فيه:

«إن القيامة لا يعلمها إلا الآب وحده، وأن الابن لا يعلمها»(٢).

فهذا يوجب أن الابن ليس هو الأب.

وإن كانت الثلاثة متغايرة ـ وهم لا يقولون بهذا ـ فيلزمهم أن يكون في الابن معنى الضعف، أو من الحدوث، أو من النقص به وجب أن ينحط عن درجة الأب والنقص ليس من صفة الذي لم يزل»(٣)

«وقد لفّق بعضهم أشياء لا معنى لها، إلاّ أننا ننبّه عليها ليتبيّن هجنة قولهم وضعفه بحول الله تعالى وقوته، وذلك أن بعضهم قال: لمّا وجب أن يكون الباري تعالى حياً وعالماً وجب أن تكون له حياة وعلم، فحياته هي التي تسمّى روح القدس، وعلمه هو الذي يسمّى الابن.

وهذا من أغث ما يكون من الاحتجاج، لأننا قد قدمنا أن الباري تعالى: لا يوصف بشيء من هذا من طريق الإستدلال، لكن من طريق السمع خاصة، ولا يصحّ لهم دليل ـ لا من إنجيلهم ولا من غيره من الكتب ـ أن العلم يسمى ابناً، ولا في كتبهم أن علم الله هو ابنه: وقد ادعّى بعضهم أن هذا تقتضيه اللغة اللاتينية من أن علم الله يقال فيه: إنه ابنه. . وهذا باطل ظاهر الكذب، لأن الإنجيل الذي كان فيه ذكر الأب والإبن وروح القدس، لا يختلف أحد من الناس في أنه إنما نقل عن اللغة العبرانية إلى السريانية وغيرها، فعبّر عن معاني تلك الألفاظ العبرانية، وبها كان فيه(٤) ذكر الأب، والابن، ورح القدس وليس في اللغة العبرانية شيء ممّا ذكر وادعى.

---

(١) النص من إنجيل لوقا: «منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة» ٢٢: ٧٠.

(٢) النص من إنجيل متى: «وأمّا ذلك اليوم ـ يوم القيامة ـ وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السموات إلاّ أبي وحده» ٢٤: ٣٦.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د .محمد نصر، د/عبد الرحمن عميرة، ج ١، ط ١، ص ١١٢، ١١٣.

(٤) أي (في هذا الإنجيل) انظر: هامش المرجع السابق، ص ١٣.

وإن كانوا من يقولون: بتسمية الباري عزّ وجل من طريق الاستدلال قد أسقطوا صفة القدرة، إذ ليس الاستدلال على كونه عالماً بأصح ولا أولى من الاستدلال على كونه قادراً لا سيما مع قول بولس[1] وهو عندهم فوق الأنبياء، «إن المسيح قدرة الله وعلمه تعالى»[2].. فليضيفوا إلى هذه الثلاث صفة رابعة وهي القدرة، وأخرى وهي السمع، وأخرى وهي البصر، وأخرى وهي الكلام، وأخرى وهي العقل، وأخرى وهي الحكمة، وأخرى وهي الجود.

فإن قالوا: القدرة هي الحياة.

قيل لهم: والعلم هو الحياة.

فإن قالوا: ليس العلم الحياة لأنه قد يكون حي ليس عالماً كالمجنون، قيل لهم: قد يكون حي ليس قادراً كالمغشي عليه، ونحو ذلك، فالقدرة ليست الحياة.

وأيضاً فإن كان الابن هو العلم، وروح القدس هو الحياة، فما بال إقحامهم المسيح عليه السلام في أنه الإبن، وروح القدس.

أترى المسيح هو حياة الله وعلمه؟ وما بال قول بعضهم إن مريم ولدت ابن الله؟ أتراها ولدت علم الله؟!

أيكون في التخليط أكثر من هذا، وهل حظ المسيح عليه السلام من علم الله وحياته إلاّ كحظ غيره ولا فرق»[3].

وينقل الإمام ابن حزم ـ يرحمه الله ـ إحدى شبه النصارى والتي تقول:

«لمّا كانت الثلاثة تجمع الزوج والفرد، وهذا أكمل الأعداد، وجب أن يكون الباري تعالى كذلك لأنه غاية الكمال»[4].

وللردّ عليهم: من قال إنّ الثلاثة أكمل الأعداد؟! وما هو دليلكم على هذه السفسطة، والتي لا معنى لها ولا دليل عليها؟! اللهم إلا الاستماته في تبرير هذه

---

(١) للتعريف به، انظر: هامش ص ٢٥، ٢٦ من هذه الأطروحة.

(٢) في رسالة بولس إلى العبرانيين «الله بعدما كلّم الأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، علمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله بارئاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين، والذي هو بهاء مجده، ورسل جوهره، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته» الاصحاح الأول نقلاً عن هامش الفصل في الملل والنحل، ص ١١٣.

(٣) ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، ج ١، ص ١١٣، ١١٤.

(٤) انظر: المرجع السابق، ج ١، ص ١١٥.

العقيدة المنبثقة عن عقائد الشرك والمشركين الباطلة، بل هي الشرك بعينه، وإذا دان المرء بثلاثة آلهة فما المانع أن تمتد هذه الثلاثة وتتكاثر إلى أن تصل إلى خمسة أو سبعة فالعشرات فالمئات، ثم ما هو الدليل على أن الثلاثة أكمل الأعداد؟ ولماذا لا تكون الأربعة وفيها الزوج وفيها الفرد أو خمسة أو ثمانية وهلمّ جرا، ثم إن هذا القول يتناقض مع مقولة النصارى المشهورة إن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة!!! ولهذا فإن عقائد النصارى تناقض بعضها البعض الآخر.

ويقول الإمام ابن حزم ـ يرحمه الله ـ «هذا من أغث الكلام لوجوه ضرورية:

«**أحدهما**: أن الباري تعالى لا يوصف بكمال ولا تمام، لأن الكمال والتمام من باب الإضافة، لأن التمام والكمال لا يقعان البتة إلاّ فيما فيه النقص، لأنّ معناهما إنما هو إضافة شيء إلى شيء به كملت صفاته، ولولاه لكان ناقصاً، ولا معنى للكمال والتمام إلاّ هذا فقط.

الوجه الثاني: إنّ كل عدد بعد الثلاثة فهو أتم من الثلاثة، لأنه يجمع إمّا زوجاً وفرداً، وإمّا زوجاً وزوجاً، وإما زوجاً وزوجاً وفرداً، وإمّا أكثر من ذلك.

وبالضرورة يعلم أن ما جمع أكثر من زوج فهو أتم وأكمل ممّا لم يجمع إلاّ زوجاً وفرداً فقط فيلزمه أن يقول: إنّ ربه أعداد لا تتناهى، أو أنه أكثر الأعداد، وهذا أيضاً ممتنع محال لو قاله، ويكفي فساداً بقول يؤدي إلى المحال.

الوجه الثالث: إن هذا الاستدلال مضاد لقولهم: إن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة، لأن الثلاثة التي تجمع الزوج والفرد هي غير الثلاثة التي هي عندكم واحد بلا شك، لأن الثلاثة التي تجمع الزوج والفرد ليست الفرد الذي هو فيها، وهي جامعة له ولغيره بل ذلك الفرد بعض لها، وهي كل له ولغيره والباري تعالى لا كل له ولا بعض، والكل ليس هو الجزء، والجزء ليس هو الكل، والفرد جزء للثلاثة والثلاثة كل للفرد وللزوج معه فالفرد غير الثلاثة، والثلاثة غير الفرد، والعدد مركّب من واحد يراد به الفرد، وواحد كذلك، وواحد كذلك إلى نهاية العدد المنطوق به، فالعدد ليس الواحد، والواحد ليس هو العدد، لكن العدد مركّب من الآحاد التي هي الأفراد، وهكذا كل مركّب من أجزاء، فذلك المركب ليس هو جزء من أجزائه، فالكلام الذي هو مركّب من حرف وحرف حتى يقوم المعنى المعبّر عنه، فالكلام ليس هو الحرف، والحرف ليس هو الكلام.

الوجه الرابع: إن هذا المعنى السخيف الذي قصده هذا الجاهل نجده في

الاثنين لأن الاثنين عدد يجمع فرداً فرداً، وهو زوج مع ذلك، فقد وجدنا في الاثنين الزوج والفرد، فيلزمه أن يجعل ربه اثنين.

الوجه الخامس: أن كل عدد فهو محدث، وكذلك كل معدود يقع عليه عدد فهو أيضاً محدث»[1].

ويردّ ـ أيضاً ـ على عقيدة التثليث المسيحية إبن كمونة اليهودي[2] في كتابه «تنقيح الأبحاث للملل الثلاث» إذ يقول:

«إنّ هذه الأقانيم التي ذكرتموها، إن كان مرادكم بها ذوات ثلاثة قائمة بانفسها فبرهان الوحدانية يبطله وهو أيضاً على خلاف معتقدكم في التوحيد، وإن كان مقصودكم أنها صفات على خلاف معتقدكم في التوحيد، وإن كان مقصودكم إنها صفات أو أحدها ذات والباقيتان صفتان، فهلا جعلتم صفة القدرة أقنوماً رابعاً؟ وكذا سائر ما يوصف به الله تعالى أقانيم؟ فإن قالوا ـ قدرته هي علمه ـ قلنا: وحياته أيضاً هي علمه فلم أفردتموها أقنوما؟»[3]

ومن شبه النصارى لاثبات صحة عقيدة التثليث:

«قالوا: لو علم المسلمون مرادنا بالأب والإبن، وروح القدس لما أنكروا علينا، فإن مرادنا بالأب الذات، وبالإبن النطق الذي هو القائم بتلك الذات، وروح القدس الحياة، الثلاثة إله واحد، وهذه الثلاثة يعتقدها المسلمون، ونحن لا نطلق ذلك من قبل أنفسنا، بل في الإنجيل قال عيسى عليه السلام «اذهبوا إلى سائر الأمم وعمّدوهم باسم الأب والإبن وروح القدس»[4].

وفي أول القرآن بسم الله الرحمن الرحيم فاقتصر على هذه الثلاث الأب والابن وروح القدس، ونريد بقولنا: المسيح ابن مولود من الله تعالى بلا حدث قبل الدهور، وأنه لم يزل نطقاً، ولم يزل الله تعالى ناطقاً، ثم أرسل الله تعالى نطقه من غير مفارقة الأب الوالد له، كما ترسل الشمس ضوءها من غير مفارقة العقل الوالد له وكما يرسل الإنسان كلامه إلى غيره من غير مفارقة العقل الوالد له فتجسّم النطق إنساناً من الروح القدس، ومن مريم رضي الله عنها، وولد منها بالطبيعة

---

(١) انظر: المرجع السابق، ج ١، ص ١١٥، ١١٦.

(٢) للتعريف به، انظر: هامش ص ٨٨ من هذه الرسالة.

(٣) انظر: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام)، ص ٥٤.

(٤) متى: ٢٨: ١٩.

البشرية لا بالإلهية، فإذا قلنا: المسيح ابن الله تعالى لا نريد بنوة بشرية وإن له ولداً من صاحبه، وقد أثبت القرآن الولد بمعنى النطق كقوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾[1].

وكذلك سمّى القرآن عيسى عليه السلام روح الله، وكلمته، واسمه عيسى، فيكون الخالق واحداً وهو الأب ونطقه وحياته، ولا يلزم من تعددها تعدد الخالقين، كما تقول: الخياط خيط الثوب، ويد الخياط خيطت الثوب، ولا يلزم أن يقال: خيّط الثوب خياطان، بل خياط واحد كذلك قولنا: الله تعالى وروحه وكلمته إله واحد، ولا يلزمنا أنا عبدنا ثلاثة كما لا يلزم إذا قلنا عقل الإنسان ونطقه وحياته ثلاثة أناسي»[2].

وللردّ عليهم نقول:

أولاً: قولكم بأن التثليث يعتقد به المسلمون فهذا كذب بيّن، وافتراء صريح، فمن اعتقد بتعدد الآلهة على أي صورة أو هيئة فهو خارج عن الإسلام بنص القرآن الكريم وهو المصدر الأول من مصادر الشريعة الإسلامية: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾[3].

ثانياً: استدلالكم بنص الإنجيل وقد ذكرنا ـ سابقاً ـ بأن الأناجيل الحالية لا تعتبر حجة على صحة العقائد المسيحية لثبات تحريفها وتناقض نصوصها.

ثالثاً: استدلالكم بالبسملة في القرآن الكريم على التثليث هذا يظهر مدى جهلكم ومعرفتكم بمعاني ألفاظ البسملة، فلفظ الجلالة (الله) يدل على الحق سبحانه وتعالى المستحق للعبادة وحده دون سواه، أما الرحمن الرحيم فهما صفتان له سبحانه إلاّ أنّ صفة الرحمن أبلغ لشمولها رحمته تعالى في الدارين.

رابعاً: أما تشبيهكم ولادة المسيح من الله تعالى بإرسال الشمس لضوئها من غير مفارقة للقرص، أو إرسال الإنسان كلامه من غير مفارقة العقل الوالد له، فهذا تشبيه مع الفارق، فالضوء والحرارة الصادر من الشمس تنفصل عنها وتتفرّق في ذرات الهواء حتى تصل إلينا، وكذلك كلام الإنسان ينفصل عنه وينتقل صوته حاملاً

---

(١) سورة البلد، الآية ٣.

(٢) انظر: الإمام القرافي، (الأجوبة الفاخرة)، ط ١، ص ٣٣، ٣٤.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٦٣.

الألفاظ والمعاني حتى يصل إلى السامع عن طرق الهواء، وأنتم تقولون: إنّ النطق تجسّم فصار إنساناً!! فهل يمكن للمعاني أن تنقلب إلى أجسام؟! هذا أمر لا يقبله العقل.

خامساً: استدلالكم بالآية الكريمة من سورة البلد استدلال باطل ولا يدل على ما أردتموه من تجسّم النطق إنساناً.

سادساً: استدلالكم بمثال الخياط لا يدل على ما أردتموه فأنتم تعتقدون بثلاثة آلهة منفصلة، فتقولون الآب إله، والابن إله، وروح القدس إله، وهذا ما نصّت عليه أمانتكم[1]، أما استدلالكم بالإنسان وبنطقه وحياته فهو ـ أيضا ـ استدلال باطل فالنطق والحياة صفتان للإنسان وليست ذوات على خلاف اعتقادكم.

ويرد الإمام القرافي ـ يرحمه الله ـ على هذه الشبهة بطريقة فلسفيّة فريدة مناقشاً النصارى بالحجة والبرهان، ويجادلهم بالتي هي أحسن.. يقول:

«والجواب: أمّا ما اعتمد عليه نص الإنجيل فقد ثبت أن إنجيلهم ليس شيئا يعتمد عليه، ولا هو مضبوط النقل، ولا مضبوط العين، ولا يوثق منه بشيء في الدين، وقد تقدم ذلك في تناقضه، وأمّا في القرآن من بسم الله الرحمن الرحيم فتفسيركم له غلط وتحريف، كما فعلتم في الإنجيل، لأن الله تعالى عندنا في البسملة معناه الذات الموصوفة بصفات الكمال، ونعوت الجلال، والرحمن الرحيم وصفان له سبحانه وتعالى باعتبار الخير والإحسان الصادرين عن قدرته.. فالرحمٰن معناه المحسن في الدنيا والآخرة لخلقه بفضله، والرحيم معناه المحسن في الآخرة خاصة لخلقه بفضله، وكذلك يقال يا رحمٰن الدنيا والآخرة فالرحمٰن أبلغ من الرحيم لشموله الدارين، وأمّا النطق فلا مدخل لهما في الرحمن الرحيم، بل هو تحريف منه للقرآن، وإذا بطل المستند من الأناجيل والقرآن حرّم هذا الإطلاق، قال: إطلاق الموهمات لما لا يليق بالربوبية يتوقف على نقل صحيح ثابت عن الله تعالى، وليس هو عندكم فكنتم عصاة بهذا الإطلاق.

وأمّا قولكم: إن النطق موجد فغلط، فإن الموجد إنما هو القدرة دون غيرها، وكل صفة من صفات الله تعالى لها خاصية لا توجد لغيرها..

وقوله: ونريد ببنوة المسيح وولادته من الله تعالى بلا حدث أنه لم يزل نطقاً

---

(١) انظر: ص ٣٥٥، ٣٥٦، من هذا البحث.

ولم يزل الله تعالى ناطقاً قلت: هذا كلام غير معقول أصلاً إلاّ على وجه لا يبقى لدين النصرانية أثر، وتقريره: أنّ النطق صفة قائمة بذات الله تعالى، وقد سلمتم ذلك، فهو من المعاني لا من الأجسام، بل هو كالعلم والحياة والإرادة فإن أردتم أن عيسى عليه السلام المتجسّد أنه لم يزل هذه الصفة المعنوية فهو من باب قلب الحقائق الذي يستحيل وقوعه في زمن من الأزمان فضلاً عن كونه لم يزل كذلك، كما يستحيل أن السواد يكون بياضاً، والعلم يكون طعماً، أو الرائحة لوناً كذلك يستحيل أن يكون النطق إنساناً، فهذا التفسير غير معقول ولا متصوّر، وإن أردتم أنه لم يزل نطقاً أي لم يزل الله تعالى يخبر عن وجود عيسى عليه السلام في أزله فهو صحيح مقصود، لأن خبر الله تعالى يتعلّق بجميع الأشياء الموجودات والمعدومات الماضيات، والحاضرات والمستقبلات، لكن هذا التفسير لا يبقى معه لدين النصرانية وجود فإن خبر الله تعالى كما يتعلّق بوجود عيسى عليه السلام يتعلّق بوجود كل واحد من اليهود وغيرهم في الأزل، ولم يزل كل واحد من اليهود نطقاً بهذا التفسير، فينبغي أن يكون كل واحد من اليهود ابن الله تعالى، ولا مزيّة لعيسى عليه السلام على أحد من اليهود في ذلك وإن أردتم تفسيراً ثالثاً فقولوه، فإنه غير معقول من قولكم: لم يزل المسيح عليه السلام نطقاً فظهر أن أحد الأمرين لازم وهو إما إبطال مذهب النصارى، أو يكون كلامهم غير معقول فضلاً عن إقامة الدليل عليه، فإنهم لا يتكلمون بكلام إلا مثل هذا لا يتحصّل منه شيء.

قوله: ثم أرسل الله نطقه من غير مفارقة.

قلت: هذا غلط وعمى بصيره فإن إرسال الشيء اتصاله بغيره المباين له، وهو غير معقول في كل صفة من الصفات النطق وغيره»[1]

«وأمّا إرسال الشمس لضوئها فليس معناه أن صفة قائمة بالشمس اتّصلت بالغير، بل الله تعالى يخلق الأنوار والأضواء في أجرام الهواء الكائن بين السماء والأرض، فالضوء الحاصل في كل جزء من الهواء غير الضوء الحاصل في الجزء الآخر، وغير الضوء القائم بجرم الشمس، فههنا صفات عديدة، وموصوفات كثيرة لم يرسل منها صفة واحدة، بل كل صفة لازمة لمحلها لم تفارقه، فإن أردتم أن

(١) انظر: الإمام القرافي (الأجوبة الفاخرة) ط ١، ص ٣٤ـ ٣٦ بتصرّف.

الله تعالى خلق في عيسى عليه السلام نطقاً بما طلبه الله تعالى من العباد أو بغيره، فكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام بل العلماء كذلك خلق الله تعالى نفوسهم للإخبار عن أحكامه تعالى، فإن كان عيسى عليه السلام بهذا ابناً فالعلماء كلهم كذلك، وإلاّ فلا أحد من خلق الله تعالى ابناً وهو الحق»[1].

قوله: فتجسّم النطق إنساناً من الروح القدس، ومن مريم رضي الله عنها..

قلت: هذا موضع الخبط والجهل والكفر، وعدم الإنسانية بالكلية كيف يتخيّل عاقل أن النطق يصير جسماً، وذلك كقول القائل: الألوان والطعوم والروايح صارت جمالا وبراذين[2] فمن قام به لون قام به برذون، ومن قام به رائحة قام به جمل، أو فرس، وكيف يتخيّل عاقل أن المعاني تنقلب أجساما مع أن المعاني مفتقرة للمحال لذاتها»[3].

«قوله: إن القرآن الكريم أثبت هذه البنوة بقوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾.

قلت: هذا افتراء على الله تعالى، وعلى كتابه وعلى المسلمين، وإنما أقسم الله تعالى بآدم وذريته، فليس للنصراني أن يتسلّط بالتحريف على كتابنا كما تسلّط على كتابه»[4].

«قوله: الله وكلمته وروحه إله واحد، فلا يلزمنا القول بثلاثة آلهة كما تقول الإنسان وعقله وحياته ثلاثة، وهو إنسان واحد.

قلنا: بل يلزمكم، لأنكم قلتم الكلمة انتقلت للمسيح عليه السلام فاستحقّ العبادة لأجل ما انتقلت له من الكلمة، والله يستحق العبادة لذاته من غير أن ينتقل له من غيره شيء، والروح القدس الذي هو الحياة، ونحن ننكر عليكم هذا الإطلاق أيضاً لما فيه من الإلهام بأحوال الأجسام الحيوانية سوية بالله تعالى، وتقولون في صلاتكم والروح القدس مساوٍ لك في الكرامة، ولا تفضلون أحد الثلاثة على الآخر، فالثلاثة عندكم مستوية مستحقّة للعبادة والخضوع، فلكم ثلاثة آلهه بالضرورة»[5].

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٦، ٣٧.

(٢) مفرده: بروذن وقد يكون البغل وهو ما يُولد من ذكر الخيل وأنثى الحمار.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٨.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٩.

«ولا شك أن النصارى لغلبة الجهل عليهم لا يفهمون معنى الإله ولا أي شيء هو الموجب لاستحقاق العبودية، فلذلك عبدوا ثلاثة آلهه، وهم لا يشعرون، فهم كمن لا يفهم حقيقة القتل ثم يقتل، ثم ينكر على من ينسب له العمل ويتعجب منه ويغلطه، فينبغي لهذه الطائفة النصرانية أن تبكي وتنوح على فقد العقل قبل أن تبكي على فقد الدين، فإذا وهبها الله تعالى عقلاً سألت عن حقيقة الإلهيه حتى تعلمها بحدودها وشروطها وخواص ماهيتها وما يحب الإله، وما يستحيل عليها.. وإذا علمت هذه الأمور كلها كما علمها المسلمون استيقظت من سكر جهلها، وظهر أنها تعبد ثلاثة آلهة وأن المتعين أن لا يعبد إلا الله وحده»(١).

ويناقش الإمام الشيخ رحمة الله العثماني النصارى في إدعائهم أن التوحيد والتثليث حقيقين، وأنه يمكن إجتماعهما ولا تناقض في ذلك، ويثبت في مناقشاته تلك أن التوحيد والتثليث لا يمكن أن يجتمعا وإلاّ لزم اجتماع الضدين، وأن قائل التثليث لا يمكن أن يكون موحداً...

وفيما يلي ننقل نص حديثه:

«لما كان التثليث والتوحيد حقيقين عند المسيحين.. فإذا وجد التثليث الحقيقي لا بد من أن توجد الكثرة الحقيقية أيضاً ولا يمكن بعد ثبوتها ثبوت التوحيد الحقيقي وإلاّ يلزم اجتماع الضدين الحقيقين... وهو محال فلزم التعدد وفات التوحيد يقينا، فقائل التثليث لا يمكن أن يكون موحداً لله تعالى بالتوحيد الحقيقي، والقول بأن التثليث الحقيقي والتوحيد الحقيقي وإن كانا ضدين حقيقين في غير الواجب لكنهما ليسا كذلك فيه سفسطه محضة لأنه إذا ثبت أن الشيئين بالنظر إلى ذاتيهما ضدان حقيقيان أو نقيضان في نفس الأمر فلا يمكن إجتماعهما في أمر واحد شخصي في زمان واحد من جهة واحدة، واجباً كان ذلك الأمر أو غير واجب، كيف وأن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح، والثلاثة لها ثلث صحيح، وهو واحد، وأن الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة، والواحد الحقيقي ليس مجموع آحاد رأساً، وإن الواحد الحقيقي جزء الثلاثة، فلو اجتمعا في محل يلزم كون الجزء كلاً والكل جزءاً، وأن هذا الإجتماع يستلزم كون الحق سبحانه وتعالى مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل، والكل مركّب، فكل جزء من أجزائه أيضاً

(١) المصدر السابق، ص ٤٠.

مركب من الأجزاء التي تكون عين هذا الجزء وهلمّ جرا، وكون الشيء مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعاً»[1].

وينقل الإمام الشيخ رحمة الله العثماني:

«أنه قد تنصر ثلاثة أشخاص وعلمهم بعض القسيسين العقائد الضرورية سيما عقيدة التثليث، وكانوا في خدمته فجاء محب من أحباء هذا القسيس وسأله عمن تنصر؟ فقال: ثلاثة أشخاص تنصروا، فسأل هذا المحب: هل تعلموا شيئاً من

---

(١) انظر: إظهار الحق، ج ١، ط قطر، ص ٥٨٣، ٥٨٤ وقد اعتمد حديث الشيخ رحمة الله الهندي ـ السابق ـ على عدة مقدمات منها ما يلي:

«الأمر السابع» قد لا يدرك العقل ماهية بعض الأشياء وكنهها كما هي لكن مع ذلك يحكم بإمكانها ولا يلزم من وجودها عنده استحالة ما، ولذا تعدّ هذه الأشياء من الممكنات، قد يحكم بداهة أو بدليل قطعي بامتناع بعض الأشياء، ويلزم من وجودها عنده محال ما، ولذا تعدّ هذه الأشياء من الممتنعات، وبين الصورتين فرق جليّ، ومن القسم الثاني اجتماع النقيضين الحقيقيين وارتفاعهما، وكذا اجتماع الوحدة والكثرة الحقيقيتين في مادة شخصية في زمان واحد من جهة واحدة، وكذا اجتماع الزوجيّة والفرديّة وكذا اجتماع الأفراد المختلفة، وكذا اجتماع الأضداد مثل النور والظلمة والسواد والبياض والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، والبصر والعمى، والسكون والحركة في المادة الشخصية مع اتحاد الزمان والجهة واستحالة هذه الأشياء بديهية يحكم بها عقل كل عاقل، وكذا من القسم الثاني لزوم الدور والتسلسل وأمثالها يحكم العقل ببطلانها بأدلّة قطعية.

«الأمر التاسع» العدد لما كان قسماً من الكم لا يكون قائماً بنفسه بل بالغير، وكل موجود لا بدّ أن يكون معروضاً للوحدة أو الكثرة والذوات الموجودة بالامتياز الحقيقي المتشخصة بالتشخص تكون معروضة للكثرة الحقيقية، فإذا صارت معروضة لها لا تكون للوحدة الحقيقية، وألاّ يلزم اجتماع الضدين الحقيقيين كما عرفت في الأمر السابع، نعم يجوز أن تكون معروضة للوحدة الاعتبارية بأن يكون المجموع كثيراً حقيقياً وواحداً اعتبارياً.

«الأمر العاشر» المنازعة بيننا وبين أهل التثليث والتوحيد كليهما حقيقان وإن قالوا التثليث حقيقي والتوحيد اعتباري فلا نزاع بيننا وبينهم لكنهم يقولون إنّ كلاً منه حقيقي كما هو مصرّح به في كتب علماء البروتستانت، قال صاحب ميزان الحق في الباب الأول من كتابه المسمّى بحل الإشكال هكذا: «إن المسيحيين يحملون التوحيد والتثليث كليهما على المعنى الحقيقي».

انظر: رحمة الله الهندي إظهار الحق ج ١ ط قطر ص ٥٧٣ـ ٥٧٥ ولم يذكر المصدر الذي قد نقل عنه.

العقائد الضرورية، فقال: نعم، وطلب واحداً منهم ليرى محبه، فسأله عن عقيدة التثليث، فقال: إنك علمتني أن الآلهة ثلاثة أحدهم الذي هو في السماء، والثاني تولد من بطن مريم العذراء، والثالث الذي نزل في صورة الحمام على الإله الثاني بعدما صار ابن ثلاثين سنة، فغضب القسيس وطرده، وقال: هذا مجهول، ثم طلب الآخر منهم وسأله، فقال: إنك علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحداً منهم فالباقي إلهان، فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده، ثم طلب الثالث وكان ذكياً بالنسبة إلى الأولين فسأله فقال: يا مولاي حفظت ما علمتني حفظاً جيداً وفهمت فهماً كاملاً بفضل الرب المسيح، أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد، وصلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد ولا إله الآن!! وإلاّ يلزم نفي الإتحاد»(١).

وهذه القصة إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على تفاهة عقائد النصارى الحالية حيث أن بعض الأشخاص بعد التنصر وتعليمهم لعقائد النصارى من أحد قساوستها لم يستطيعوا مع ذلك فهمها، فانتهى بهم الأمر إلى الطرد من حظيرة هذا الدين!! أمّا الآخر ولأنه استطاع أن يتفلسف قليلاً لديهم، ويأتي بعبارات ملؤها التناقض والسفسطة استطاع أن، يقحمهم فأصبح وكان إحدى مصادر دينهم عقول بعض الأشخاص حديثي العهد بهذا الدين، والله المستعان على ما يصفون.

ويطرح الأستاذ محمد مجدي مرجان تساؤلات استنكارية في كتابه (الله واحد أم ثالوث) عن كيفية أن يقال إن الأقانيم الثلاثة التي يعبدها النصارى، هم واحد في الجوهر بينما يقومون بأعمال مختلفة يختص بها البعض دون البعض الآخر، ويوضح التناقض البيّن في هذه الأقوال، ثم يستدلّ على ما يقول بنصوص من أناجيلهم، كما يستدلّ ـ أيضاً ـ من اعترافهم بإرسال أحد الأقانيم لأقنوم آخر بأن ذلك يعني انفصالاً يمنع الوحدة بينها حيث أن المرسِل غير المرسَل، كما أن المرسِل أعلى درجة من المرسَل.

وفيما يلي نص حديثه:

«ولكن كيف يقال أن الأقانيم الثلاثة هم واحد في الجوهر، وأنهم يتقاسمون جميع الأعمال الإلهية على السواء، بينما يختص بعضهم بصفات ووظائف لا يختص بها بقية الأقانيم، ويعجز البعض منهم عن فعل ما يفعله البعض الآخر وما

---

(١) انظر: إظهار الحق، ج ١، ص ٥٨٩، ٥٩٠.

يختص به، ومع ذلك يقال أنهم واحد في كل الصفات والخصائص والمميزات، أليس في هذا القول تناقض، وكيف يتميزون ولا يتميزون؟

وإذا ذهبنا نطالع الكتب المسيحية فإننا نجد فيها أقوالاً منسوبة إلى الأقانيم الثلاثة يخاطب كل منهما الآخر، ويتحدث عنه وإليه»[1].

ويتكلم الإبن عن الآب فيقول:

«أنا أعرفه لأني منه وهو أرسلني»[2]

ويتكلم الإبن عن الروح القدس فيقول:

«ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم»[3]

ويتحدث الإبن عن نفسه قائلاً:

«بعد قليل لا تبصرونني، ثم بعد قليل أيضاً ترونني لأني ذاهب إلى الآب»[4]

ويقول الإبن: «خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم»[5]

«هذا التخاطب بين الأقانيم وخروج أحدهما من الآخر، وإرسال أحدهما للآخر، يعني انفصالاً بين الأقانيم، انفصالاً يمنع الوحدة بينها، بل يمنع أيضاً المساواة بينها ففي موضوع الارسال مثلاً لا شك أن المرسِل أعلى درجة من المرسَل أو الرسول فحين يُرسِل الآب الإبن مثلاً، فلا شك أن الآب أعلى من الإبن، فهو كارسال السيد خادمه، أو كارسال الرئيس مرؤوسه، يقول السيد المسيح:

«الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله»[6]

كذلك فإن المرء ليتساءل كيف أمكن خروج الإبن الذي هو في اعتقاد فلاسفة المسيحية السيد المسيح عليه السلام كيف أمكن خروجه وتجسّده وانفصاله عن اللاهوت، ودخوله برحم السيدة العذراء مريم وامتزاجه بلحمها ودمها، ثم خروجه

---

(١) ص ٣١، ٣٢.
(٢) يوحنا: ٧: ٢٩.
(٣) يوحنا: ١٦: ١٤.
(٤) يوحنا: ١٦: ١٦.
(٥) يوحنا: ١٦: ٢٨.
(٦) يوحنا: ١٣: ١٦.

من بطنها إنساناً له كل الصفات الانسانية ومع ذلك يمثل جانباً في الله، جانباً يمثل في نظرهم أهم جوانب الله!![1]

ويذكر الأستاذ محمد مجدي مرجان إعترافات بعض المسيحيين له عندما كان منهم، وحتى بعد أن هداه الله إلى الإسلام، يذكر أن الكثير من المسحيين يعترفون بأنهم لا يستطيعون فهم عقيدة الثالوث هذه، وأنهم يعيشون في صراع بين عقولهم وبين ما ورثوه من معتقدات..

يقول في ذلك:

«هكذا تبيّن لنا مدى مجافاة عقيدة الثالوث لأبسط قواعد العقل والمنطق والحساب، ومدى بعدها عن الواقع والحق والصواب، ولقد قمت بنفسي بمناقشة كثير من الإخوة المسيحيين في مدى فهمهم وتقبلهم لهذه العقيدة، تارة حين كنت محسوباً في الجماعة المسيحية، وتارة بعد انسلاخي عنها وكثير من هؤلاء المسيحيين أصدقاء وأقارب يولوني ثقتهم ويصدقونني الحديث فأخبروني أنهم لا يستطيعون فهم كنه الثالوث المقدس، وأن كثيرين منهم يعيشون في صراع بين عقولهم وموروث معتقداتهم، وحين تناقشت في ذلك مع بعض الآباء الكهنة أخبروني أنه يجب الإيمان بالثالوث دون أي تمحيص أو تفكير، وأنه يلزم التسليم بهذا الإعتقاد الثالوثي تسليماً مطلقاً أي تسليماً أعمى، فعلى المسيحي أن يؤمن ويعتقد أولاً في الثالوث المقدّس ثم يمكنه أن يجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقد، فإذا لم يفلح في ذلك فإنه خير له أن يلغي عقله ولا يلغي عقائد الآباء، وتراث الأجداد، وتعاليم القسوس.

والحقيقة أن هذا الذي يدعو إليه آباؤنا الكهنة ويبغون قسرنا عليه شيء عجيب، فكيف يستطيع الإنسان منا أن يلغي عقله الذي لا يعيش إلاّ بهديه والذي يفضله على العيش نفسه، إن الأخ المسيحي في محاولته فهم عقيدة الثالوث إنما يصارع كل عقل وفكر ومنطق، وفي خضم هذا الصراع بين منطق عقله وموروث اعتقاده قد يصل به الأمر إلى الإلحاد، وهذا ما وصل إليه الكثيرون فعلاً للأسف المرير»[2].

---

(١) انظر: الأستاذ محمد مجدي مرجان (الله واحد أم ثالوث)، ص ٣٣.

(٢) انظر: (الله واحد أم ثالوث)، ص ٧٣.

«والأمر يدعو للحيرة، ترى إذا كان الفلاسفة والعلماء قد عجزوا عن فهم هذا الثالوث فمن يا ترى يستطيع فهمه؟ وما هو موقف البسطاء والعامة إذا ما حاولوا الفهم؟ وإذا لم نستطع إدراك عقائدنا الدينيّة بعقولنا وأفهامنا فبماذا يا ترى يمكننا إدراكها؟ هل يطلب منا دعاة الثالوث أن نتخلى عن عقولنا ونسلم بالثالوث!! وإذا كنا جميعاً نحن وهم لا ندرك هذا الثالوث، فكيف يمكن لأي منا أن يتبعه أو يسير عليه»[1].

المسألة السادسة:

بطلان عقيدة التثليث نقلاً

إن الآيات الكريمات والتي تبطل نصوصها شبهة تأليه المسيح عليه السلام تبطل كذلك شبهة التثليث، لأن تأليه المسيح وكما هو معلوم عند النصارى أحد أقطاب أو أقانيم التثليث، وإذا بطل الجزء يبطل الكل، وما جاز لأحد المثلين جاز للآخر.

وقد ذكرنا تلك الآيات الكريمات في معرض الحديث عن إبطال عقيدة تأليه المسيح عليه السلام[2] وبالإضافة إلى الآيات الكريمات السابقات فقد وردت آيتان كريمتان تنصان على بطلان التثليث نصاً ولفظاً.

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾﴾[3].

والشاهد في هذه الآية الكريمة قوله تعالى:

ويقول الإمام الفخر الرازي في تفسير الشاهد من هذه الآية الكريمة

«المعنى: ولا تقولوا إن الله سبحانه واحد بالجوهر ثلاثة بالأقانيم، وأعلم أن من مذهب النصارى مجهول جداً والذي يتحصل منه أنهم أثبتوا ذاتاً موصوفة

---

(١) المرجع السابق، ص ٧١.

(٢) انظر: ص ٣٢٨ من هذا البحث.

(٣) سورة النساء، الآية ١٧١.

بصفات ثلاثة إلاّ أنهم وإن سموها صفات فهي في الحقيقة ذوات[1] بدليل أنهم يجوزون عليها الحلول في عيسى وفي مريم بأنفسهم، وإلاّ لما جوزوا عليها أن تحل في الغير وأن تفارق ذلك الغير مرة أخرى، فهم وإن كانوا يسمونها بالصفات إلاّ أنهم في الحقيقة يثبتون ذوات متعددة قائمة بأنفسها، وذلك محض الكفر، فلهذا المعنى قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟﴾[2]

«وبالجملة فلا نرى مذهباً في الدنيا أشد ركاكة وبعداً عن العقل من مذهب النصارى»[3]

ويقول الإمام الخازن في تفسير الشاهد من هذه الآية الكريمة:

«ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك أن النصارى يقولون أب وابن وروح القدس، وقيل أنهم يقولون أن الله بالجوهر ثلاثة أقانيم، وذلك أنهم أثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات ثلاثة بدليل أنهم يجوزون على تلك الذات الحلول في عيسى وفي مريم فاثبتوا ذواتاً متعددة ثلاثة، وهذا محض الكفر، فلهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ يعني يكن الإنتهاء عن هذا القول خيراً لكم من القول بالتثليث، ثم نزّه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[4].

«والنصارى مع فرقهم مجمعون على التثليث ويقولون: إن الله جوهر واحد له ثلاثة أقانيم، فيجعلون كل أقنوم إلهاً ويعنون بالأقانيم الوجود والحياة والعلم، وربما يعبّرون عن الأقانيم بالأب والابن وروح القدس، فيعنون بالآب الوجود، وبالروح الحياة، وبالإبن المسيح، وفي كلام لهم فيه تخبّط بيانه في أصول الدين، ومحصول كلامهم يؤول إلى التمسّك بأن عيسى إله بما كان يجريه الله سبحانه

---

(١) يقصد: وإن سموها صفات فاعتقادهم في الحقيقة بأنها ذوات، واعتقد أن الإمام الفخر الرازي قد سمع هذه المقالة من فرقة نصرانيّة كانت في عصره، وإلاّ فمعظم النصارى لا يعتقدون بأن هذه الأقانيم صفات، بل يقولون إنها ذوات، ويتناقضون حيث يقولون بأنها ثلاثة آلهة في واحد، انظر: ص ٣٤٣ وما بعدها.

(٢) انظر: التفسير الكبير: ج ١١، ط ٢، ص ١١٦.

(٣) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٤) انظر: تفسير الخازن، ج ١، ط دار المعرفة، ص ٤٢٦.

وتعالى على يديه من خوارق العادات على حسب دواعيه وإرادته»[1].

والآية الكريمة الثانية من سورة المائدة تحكم بكفر القائلين بأن الله ثالث ثلاثة آلهة كفراً مطلقاً، لأن هذا هو الشرك بعينه، وتؤكّد بأن الإله واحد وهو الحق سبحانه وتعالى ويتوعّد الله سبحانه وتعالى القائلين بهذه المقالة بالعذاب الأليم جزاء ما اقترفوا من ذنب عظيم لاعتقادهم وقولهم بهذه المقالة الشنيعة.

قال الله تعالى:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾[2]

ويقول الإمام الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

«في تفسير قول النصارى (ثالث ثلاثة) طريقان:

الأول: قول بعض المفسرين، وهم أنهم أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة، والذي يؤكّد ذلك قوله تعالى للمسيح ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فقوله: (ثالث ثلاثة) أي أحد ثلاثة آلهة، أو واحد من ثلاثة آلهة، والدليل على أنّ المراد ذلك قوله تعالى في الردّ عليهم: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.

الطريق الثاني: أن المتكلمين حكوا عن النصارى أنهم يقولون: جوهر واحد، ثلاثة أقانيم أب، وابن ، وروح القدس، وهذه الثلاثة إله واحد، كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة، وعنوا بالأب، الذات وبالابن الكلمة، وبالروح الحياة، وأثبتوا الذات والكلمة والحياة، وقالوا: إن الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر، واختلاط الماء باللبن، وزعموا أن الأب إله والإبن إله، والروح إله، والكل إله واحد.

وأعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهة العقل، فإن الثلاثة لا تكون واحد، والواحد لا يكون ثلاثة، ولا يُرى في الدنيا مقالة أشدّ فساداً وأظهر بطلاناً من

---

(١) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج ٦، ص ٢٣.

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٣ـ ٧٤.

مقالة النصارى»[1].

ويقول الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

«كانوا فيما بلغنا يقولون الإله القديم جوهر واحد يعمّ ثلاثة أقانيم أبا والداً غير مولود، وابناً مولوداً غير والد، وزوجاً متتبعة بينهما، يقول الله تعالى ذكره مكذباً لهم فيما قالوا من ذلك: «وما من إله إلا إله واحد» يقول: ما لكم معبود أيها الناس إلاّ معبود واحد وهو الذي ليس بوالد لشيء ولا مولود بل هو خالق كل والد ومولود»[2].

---

(١) انظر: التفسير الكبير، ج ١٢، ط ٢، ص ٦٠.
أيضاً: تفسير الخازن، المجلد ١، ط دار المعرفة، ص ٤٨٢، ٤٨٣ ولا يخفى على القارىء الكريم أنا قد رددنا على هذه الأقاويل والادعاءات ونقلنا ردود أئمة الإسلام الأعلام في ذلك.
انظر: ص ٣٤٣ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) انظر جامع البيان في تفسير القرآن، ج ٦، المجلد ٤، ط ١٤٠٧ هـ، ص ٢٠٢.

المبحث الثالث

إبطال عقيدة الحلول والاتحاد عند النصارى

وفيه خمس مسائل، وهي كما يلي:

المسألة الأولى: معنى الحلول والاتحاد.

المسألة الثانية: أهم النصوص التي يستدل بها النصارى على الحلول والاتحاد وبطلان الاستدلال بها.

المسألة الثالثة: إقتباس النصارى لعقيدة الحلول والاتحاد من الفلسفات والوثنيات القديمة.

المسألة الرابعة: بطلان عقيدة الحلول والاتحاد عقلا.

المسألة الخامسة: بطلان عقيدة الحلول والاتحاد نقلا.

المبحث الثالث:

إبطال عقيدة الحلول والاتحاد عند النصارى

المسألة الأولى:

معنى الحلول والاتحاد

الحلول لغة: النزول «حلّ بالمكان حلولاً ومحلاً وحلاً: وذلك نزول القوم بمحلة وهو نقيض الارتحال، وحلّه واحتلّ به واحتله: نزل به»(١).

وجاء في القاموس المحيط الحلول بمعنى النزول(٢).

وقد عرف الإمام الجرجاني الحلول بأنه: «عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر كحلول الماء في الكوز»(٣).

ويقول صاحب كتاب المفردات في غريب القرآن:

«حللتُ نزلت، أصله من حل الأحمال عند النزول ثم جرّد استعماله للنزول فقيل حلّ حلولاً وأحلّه غيره قال عزّ وجل: ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾(٤)، ﴿وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾(٥) ويقال: حلّ الدين وجب أداؤه، والحلّة القوم النازلون»(٦).

أما الإتحاد فهو أبلغ وأعمّ من الحلول فلا اتحاد بغير حلول وقد عرف الاتحاد بأنه: «امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً»(٧).

أمّا هو «تصيير الذاتين واحدة ولا يكون إلاّ في العدد من الاثنين

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، باب اللام، فصل الحاء، ج ١١، ص ١٦٣.
(٢) للفيروز أبادي، ط دار الفكر، فصل الحاء، باب اللام، ص ٥٩، ج ٣.
(٣) انظر: التعريفات للجرجاني، ص ٩٨.
(٤) سورة الرعد، الآية ٣١.
(٥) سورة إبراهيم، الآية ٢٨.
(٦) الإمام الأصفهاني تحقيق: محمد كيلاني، ط دار المعرفة، ص ١٢٨.
(٧) انظر: التعريفات للجرجاني، ص ٦.

فصاعداً»[1].

وقد قسّم شيخ الإسلام ابن تيميّة الحلول والإتحاد إلى خاص وعام.

«الحلول الخاص: وهو قول النسطوريه[2] من النصارى ونحوهم ممن يقول إن اللاهوت حلّ في الناسوت، وتدرع به كحلول الماء في الإناء»[3].

«الحلول العام: وهو قول غالب متعبدة الجهمية[4] الذي يقولون: إنّ الله بذاته في كل مكان، ويتمسكون بمتشابه القرآن كقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [5]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[6].

«الاتحاد الخاص: وهو القول: بأنّ اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء»[7]

«الاتحاد العام: وهو قول هؤلاء الملاحده الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات»[8].

وأعتقد أنّ معنى الحلول والإتحاد يحملان معنى التجسّد أيضاً في الفكر المسيحي، والذي يقصدون به هبوط المسيح ابن الإله والأقنوم الثاني على زعمهم وتجسّده باختلاط اللاهوت بالناسوت، جزء من الإله وجزء من مريم العذراء الإنسان.

«وكلمة التجسّد Incarnation مشتقه من الكلمة الاتينيّة Incarnatio ومعناها «بالجسد» أي تجسّد المسيح، وقد استعملت هذه الكلمة في نص «عقيدة نيقيه»[9] حين نتحدث عن المسيح عيسى ابن مريم.

---

(١) انظر: التعريفات للجرجاني، ص ٦.
(٢) للتعريف بها، انظر ص ٢٢٤ من هذا البحث.
(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيميّة، ج ٢، ط الرباط، ص ١٧٢.
(٤) هم أصحاب جهم بن صفوان قالوا: لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة ولا كاسبة بل هو بمنزلة الجمادات، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلها حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى، انظر: التعريفات للجرجاني، ص ٨٤.
(٥) سورة الأنعام، الآية ٣.
(٦) سورة الحديد، الآية ٤.
(٧) (٨) انظر: شيخ الإسلام ابن تيميّة (مجموع الفتاوى)، ج ٢، ص ١٧٢.
(٩) تحدثنا عن مجمع نيقيه، انظر: ص ٣٠٨ من هذا البحث.

وقد تمّ التوصل إلى هذه الصيغة في مجمع نيقيه عام ٣٢٥م أصلاً حين ابتدعت الكنيسة عقيدة التثليث المقدسة معارضة بذلك عقيدة الموحدين، وتشترط هذه العقيدة أن يقول معتنقها:

«أو من برب واحد هو عيسى المسيح، الإبن الواحد للإله، الذي نزل من السماء لخلاصنا نحن البشر، وتجسّد عن روح القدس من مريم العذراء فأصبح إنساناً».

ويستعمل اصطلاح «التجسّد» في الفكر المسيحي في وصف حلول الله سبحانه وعمله في شخص عيسى المسيح ـ على زعمهم ـ فهم يقولون إنّ الله سبحانه قد تواجد بين البشر في شخص عيسى بطريقة خاصة فذة وفي صورة آدمية حقيقية، وبهذا يصبح المسيح إلهاً وإنساناً في نفس الوقت»[1] تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

المسألة الثانية:

أهم النصوص التي يستدلّ بها النصارى على عقيدة (الحلول والاتحاد) وبطلان الاستدلال بها

ويستشهد النصارى بعدة نصوص من العهدين القديم والحديث على عقيدة «الحلول والاتحاد» وهي نصوص ـ كما سيتبيّن ـ لا تدلّ على ما أرادوا إثباته، بل هي إن صحّ نقلها ولفظها فإنّ معانيها ولفظها بعيدة كل البعد عن إثبات هذه العقيدة والتي يحاول النصارى باستماته أن يثبتوها لكي يثبتوا ما يعتقدون من حلول الإله أو الجزء الإلهي في المسيح عليه السلام، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وسننقل أهم هذه النصوص ثم نثبّت بطلان الاستدلال بها بإذن الله تعالى.

وفيما يلي أهم النصوص التي يستشهدون بها من العهد القديم:

١ ـ ويستشهدون بما ينقلونه عن النبي زكريا قوله:

«افرحي يا بنت صهيون، لأني آتيك وأحل فيك، قال الله: ويؤمن بالله في ذلك اليوم الأمم الكثيرة، ويكونون له شعباً واحداً يحل هو وهم فيك، وتعرفين أني أنا الله القوي الساكن فيك، ويأخذ الله في ذلك اليوم الملك من يهودا، ويملك

---

(١) انظر: عبد الصمد شرف الدين (حول أسطورة تجسّد الإله)، ط جامعة الملك عبد العزيز، ص ٢.

عليهم إلى الأبد»[1].

وللردّ عليهم:

إنّ المتأمل للنص السابق يلاحظ أن المراد بالحلول بأنه سيكون في بيت صهيون، ولم يقل أنه سيحل في المسيح عليه السلام أو في أحد من خلق الله تعالى.

«فيقال مثل هذا قد ذكر عندهم عن إبراهيم وغيره من الأنبياء أن الله تجلّى له، واستعلن له، وتريا له، ونحو هذه العبارات ولم يدلّ ذلك على حلوله فيه.

وكذلك إتيانه، وهو لم يقل إني أحل في المسيح وأتحد به، وإنما قال عن بيت صهيون «آتيك وأحل فيك» كما قال مثل ذلك عندهم في غير هذا ولم يدل على حلوله في بشر وكذلك قوله: «وتعرفين أني أنا الله القوي الساكن فيك»، ولم يردّ بهذا اللفظ حلوله في المسيح، فإنّ المسيح لم يسكن بيت المقدس، وهو قوي بل كان يدخلها وهو مغلوب مقهور حتى أخذ وصلب ـ على زعمهم ـ أو شبهه، والله سبحانه إذا حصلت معرفته والإيمان به في القلوب اطمأنّت وسكنت.

وكان بيت المقدس لما ظهر فيه دين المسيح عليه السلام بعد رفعه حصل فيه من الإيمان بالله ومعرفته ما لم يكن قبل ذلك.

وجماع هذا أن النبوات المتقدمة والكتب الإلهية كالتوراة والإنجيل والزبور وسائر نبوات الأنبياء لم تخصّ المسيح بشيء يقتضي اختصاصه باتحاد اللاهوت به وحلوله فيه، بل لم تخصّه إلاّ بما خصّه به محمد ﷺ في قوله:

---

(١) نقلاً عن ابن تيميّة (الجواب الصحيح)، ج ٢، ص ١٩١، ويقابله النص في زكريا اصحاح ٢، فقرة ١٠ـ ١٣ «ترنّمي وافرحي يا بنت صهيون لأني هأنذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب، فيتّصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم، ويكونون لي شعباً فأسكن في وسطك فتعلمين إن رب الجنود قد أرسلني إليك، والرب يرث يهوذا نصيبه في الأرض المقدسة ويختار أورشليم بعد، ياكل البشر قدام الرب لأنه استيقظ من مسكن قدسه).

وأعلل الاختلاف في بعض الألفاظ بين النصين لقدم العهد بين النسختين المترجمتين من ـ غير العربية إليها ـ النسخة التي كانت بين يدي شيخ الإسلام ابن تيميّة، وبين هذه النسخة التي بين أيدينا الآن، ولا يخفى أن الأيدي تمتد دائماً إلى هذا الكتاب لتحريفه وتبديله. وقد اخترت النص الذي نقله شيخ الإسلام ابن تيميّة لأن فيه التصريح بلفظ الحلول فهو أبلغ في الإستدلال، ومع ذلك فهو لا يدلّ مطلقاً على حلول الإله سبحانه في المسيح أو في أحد من خلقه تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾(١).

فكتب الأنبياء المتقدمة، وسائر النبوات موافقة لما أخبر به محمد ﷺ يصدق بعضها بعضاً، وسائر ما تستدلّ به النصارى على الهيته من كلام الأنبياء قد يوجد مثل تلك الكلمات في حق غير المسيح، فتخصيص المسيح بالإلهية دون غيره باطل، وذلك مثل اسم الإبن والمسيح، ومثل حلول روح القدس فيه، ومثل تسميته إلهاً، ومثل ظهور الرب أو حلوله فيه أو سكونه فيه أو في مكانه.

فهذه الكلمات وما أشبهها موجودة في حق غير المسيح عندهم، ولم يكونوا بذلك آلهة، ولكن القائلين بالحلول والاتحاد في حق جميع الأنبياء والصالحين قد يحتجون بهذه الكلمات.

وهذا المذهب باطل باتفاق المسلمين واليهود والنصارى(٢) وهو باطل نفسه عقلاً ونقلاً، وإن كان طوائف من أهل الإلحاد والبدع المنتسبين إلى المسلمين واليهود والنصارى تقول به، فهؤلاء اشتبه عليهم ما يحل في قلوب العارفين به من أهل الإيمان به ومعرفته ونوره وهداه والروح منه، وما يعبّر عنه بالمثل الأعلى والمثال العلمي.

وظنوا أنّ ذلك ذات الرب، كمن يظن أن نفس اللفظ بالإسم هو المعنى الذي في القلب، أو نفس الحظ هو نفس اللفظ، ومن يظن أنّ ذات المحبوب حلّت في ذات المحب واتّحدت به أو نفس المعروف المعلوم حلّ في ذات العالم العارف به واتّحد به مع العلم اليقيني أن نفس المحبوب المعلوم باين عن ذات المحب روحه وبدنه لم يحل واحد منهما في ذات المحب.

فالمؤمنون يعرفون الله ويحبونه ويعبدونه ويذكرونه ويقال هو في قلوبهم، والمراد معرفته ومحبته وعبادته، وهو المثل العلمي ليس المراد نفس ذاته»(٣).

٢ ـ يستشهد النصارى بنص ينقلونه من سفر الملوك يقول: «وكان كلام الرب إلى سليمان قائلاً، هذا البيت الذي أنت بانيه إن سلكت في فرائضي وعملت

---

(١) سورة النساء، الآية ١٧١.

(٢) قد يقصد المحققين المنصفين منهم وإلاّ فمعظم اليهود والنصارى يقول بهذه العقيدة.

(٣) انظر: الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٩١، ١٩٢.

أحكامي وحفظت كل وصاياي للسلوك بها فإني أقيم معك كلامي الذي تكلمت به إلى داوود أبيك، وأسكن في وسط بني إسرائيل ولا أترك شعبي إسرائيل»[1].

والشاهد في ذلك للنصارى على «عقيدة الحلول» بقول الرب تعالى لسليمان عليه السلام «واسكن في وسط بني إسرائيل ولا أترك شعبي إسرائيل» أي: ما دام المسيح قد سكن في وسط شعب إسرائيل فإنه دليل بهذا النص على حلول الإله فيه، فهو المقصود والساكن في وسط شعب إسرائيل، تعالى الله عمّا يقوله الظالمون علواً كبيراً.

وإن صحّ هذا اللفظ فإن التأوّل بهذا المعنى خطأ فاحش إذ كيف يحلّ الإله في إنسان ضعيف مخلوق والفرق كبير والبون شاسع بينهما؟!![2].

أمّا إذا كان المقصود وجوده وحلوله تعالى بعلمه فهو سبحانه وتعالى موجود في كل مكان بعلمه، قال تعالى:

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[3].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾[4].

وننقل فيما يلي ردّ شيخ الإسلام ابن تيميّة على المستدلين بهذا النص على عقيدة الحلول:

«فيقال هذا السفر يحتاج إلى أن يثبّت أن الذي تكلم به نبي، وأن ألفاظه ضبطت وترجمت إلى العربية ترجمة مطابقة، ثم بعد ذلك يقال فيه ما يقال في أمثاله من الألفاظ الموجودة عندهم، وليس فيها ما يدلّ على اتحاده بالمسيح فإن قوله:

«واسكن في وسط بني اسرائيل» لا يدلّ على المسيح، إذ كان المسيح لم يسكن مع الناس في الأرض، بل لـمّا أظهر الدعوة لم يبق في الأرض إلاّ مدة قليلة، ولم يكن ساكناً في موضع معين، وقبل ذلك لم يظهر عنه شيء من دعوى

---

(١) اصحاح ٦: ١١ـ ١٣.

(٢) وسنتحدث عن بطلان هذه العقيدة عقلاً فيما بعد إن شاء الله تعالى، انظر ص ٤٠٢ فما بعدها من هذا البحث.

(٣) سورة النحل، الآية ٢٣.

(٤) سورة النمل، الآية ٧٤.

النبوة فضلاً عن الإلهية، ثم إنه بعد ذلك رفع إلى السماء فلم يسكن مع الناس في الأرض، وأيضاً فإذا قالوا سكونه هو ظهوره في المسيح عليه السلام قيل لهم: أمّا الظهور الممكن المعقول، كظهور معرفته ومحبته ونوره، وذكره وعبادته، فهذا لا فرق فيه بين المسيح وغيره.

وحينئذٍ فليس في هذا اللفظ ما يدلّ على أن هذا السكون كان بالمسيح دون غيره، وإن كان بالمسيح فليس هذا من خصائصه عليه السلام وليس في ظهوره فيه أو حلوله معرفته ومحبته ما يوجب اتحاد ذاته به»[1].

٣ ـ ويحتج النصارى بما ورد في سفر أشعياء:

«هل العذراء تحبل وتلد ابناً اسمه عمانوئيل»[2].

«وعمانوئيل كلمة عبرانيّة تفسيرها بالعربية «إلهنا معنا» قالوا: فقد شهد النبي أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت كلاهما»[3].

نقول: وإن صحّ نقل وترجمة هذا النص، وإن كان معنى كلمة «عمانوئيل» إلهنا معنا، فليس معنى ذلك أن مريم ولدت الناسوت المتحد باللاهوت، وهذا تفسير بعيد كل البعد عن المعنى الذي يحمله هذا اللفظ، والأحرى والأقرب للمعنى أن تفسير المعيّة هنا معيّة العلم أو هي بمعنى دعاء بالرعاية والحماية والحفظ.

«ويقال: ليس في هذا الكلام أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت، وأنها ولدت خالق السموات والأرض، بل هذا الكلام يدلّ على أن المولود ليس هو خالق السموات والأرض، فإنه قال: تلد ابناً.

وهذا نكرة في الإثبات كما يقال في سائر النساء: إنّ فلانه ولدت ابناً، وهذا دليل على أنه ابن من البنين، ليس هو خالق السموات والأرضين، ثم قال: ويدعى اسمه «عمانوئيل» فدلّ بذلك على أن هذا اسم يوضع له، ويسمى به كما يسمي الناس ابناءهم بأسماء الأعلام، أو الصفات التي يسمونهم بها.

ومن تلك الأسماء ما يكون مرتجلاً ارتجلوه.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٩٦، ١٩٧.

(٢) ٧: ١٥.

(٣) نقلاً عن ابن تيميّة، (الجواب الصحيح)، ج ٢، ص ٢١١.

ومنها ما يكون جملة يحكونها، ولهذا كثير من أهل الكتاب يسمى ابنه «عمانوئيل» ثم منهم من يقول العذراء المراد بها غير مريم، ويذكرون في ذلك قصة جرت.

ومنهم من يقول: بل المراد بها مريم، وعلى هذا التقدير فيكون المراد أحد معنيين:

إمّا أنه يريد أن إلهنا معنا بالنصر والإعانة، فإن بني إسرائيل كانوا قد خذلوا بسبب تبديلهم، فلمّا بعث المسيح عليه السلام بالحق كان الله مع من اتّبع المسيح والمسيح نفسه لم يبق معهم، بل رفع إلى السماء ولكن الله كان مع من اتبعه بالنصر والإعانة كما قال تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1].

وإمّا أن يكون يسمى المسيح إلهاً كما يقولون: إنه يسمى موسى إله فرعون أي هو الآمر الناهي له المسلّط عليه، وقد حرف بعضهم معنى هذه الكلمة فقال: معناها الله معنا»[2].

«قلت: ومعلوم أنّ الله مع المتقين والمحسنين والمقسطين بالهداية والنصر والإعانة، ويقال للرجل في الدعاء: الله معك فإذا سمى الرجل بقوله: «الله معك» كان هذا تبركاً بمعنى هذا الإسم، وإذا قيل إنّ المسيح سمّى الله معنا، أو إلهنا معنا ونحو ذلك كان ذلك دليلاً على أن الله مع من اتّبع المسيح وآمن به فيكون الله هاديه وناصره ومعينه»[3].

ومن النصوص التي يستشهد بها النصارى من العهد الجديد ما يلي:

ما جاء في إنجيل يوحنا

١ ـ «أنا الآب واحد»[4].

وللردّ عليهم: فلو صحّ نقل وترجمة هذا النص فإن المسيح عليه السلام لا يمكن أن يقصد بهذا النص حلول أو اتحاد الله ـ سبحانه وتعالى ـ أو جزء منه في المسيح أو غيره من الخلق، لأن هذا أمراً منافياً للتنزيه الإلهي، ومخالفاً للمنطق

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٥٥.

(٢) (٣) انظر: الجواب الصحيح، ج ٢، ص ٢١٢، ٢١٣.

(٤) ١٠: ٣٠.

والمعقول ـ كما سنوضّح فيما بعد ـ أما أن يؤول هذا النص بالاتحاد في الأوامر والنواهي فلا يخفى أن شريعة المسيح وهو نبي ورسول من رسل الله تعالى صادرة عن الله تعالى، كما هو حاصل لجميع أنبياء الله ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كما قال تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1]

ويقول الشيخ رحمة الله العثماني في الردّ على احتجاج النصارى بهذا النص:

«إن مثل هذا (أي مثل هذا النص) وقع في حق الحواريين كما ورد في إنجيل يوحنّا: «ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الأب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني، وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد»[2] «وأنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد»[3].

فقوله ليكون الجميع واحداً، وقوله ليكونوا وحداً كما أننا واحد، وقوله يكونوا مكملين إلى واحد، تدلّ على اتحادهم، وسّوى في القول الثاني بين اتحاده بالله، وبين اتحاده فيما بينهم، وظاهره أن اتحاده فيما بينهم ليس حقيقياً، فكذا اتحاده بالله، بل الحق أن الاتحاد بالله عبارة عن إطاعة أحكامه والعمل بالأعمال الصالحة، وفي نفس هذا الاتحاد المسيح والحواريون وجميع أهل الإيمان متساويه الأقدام، وإنما الفرق باعتبار القوة والضعف، فاتحاد المسيح بهذا المعنى أشد وأقوى من اتحاد غيره»[4].

٢ ـ ويحتج النصارى على عقيدة الحلول والإتحاد بما ورد في إنجيل يوحنّا على لسان المسيح عليه السلام:

«الذي رآني فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت أرنا الآب؟ ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب فيّ، والكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي، لكن الأب الحالّ فيّ هو يعمل الأعمال»[5].

---

(١) سورة النجم، الآية ٣.
(٢) ١٧ : ٢١، ٢٢.
(٣) ١٧ : ٣٣.
(٤) إظهار الحق، ج ٢، ط قطر، ص ٤٨، ٤٩.
(٥) ١٤ : ٩، ١٠.

نقول: أمّا وإن صرّح هذا النص بحلول الله تعالى في المسيح عليه السلام فهذا دليل واضح وبرهان ساطع على زيف هذا النص وعلى أنه نص مكذوب على المسيح عليه السلام ولا يمكن أن يدعي المسيح ذلك لأن هذا القول مخالف لتنزيه الله سبحانه وتعالى، كما أنه مخالف للعقل والمنطق كما ذكرنا من قبل.

ويقول الشيخ رحمة الله العثماني ـ يرحمه الله ـ رداً على هذا الاحتجاج:

«فلأن رؤية الله ممتنعه عندهم فيؤولونها بالمعرفة، ومعرفة المسيح باعتبار الجسميّة أيضاً لا تفيد الاتحاد فيقولون إن المراد بالمعرفة باعتبار الألوهيّة والحلول واجب التأويل عند جمهور أهل التثليث فيقولون إن المراد به الاتحاد الباطني(١).

وبعد هذه التأويلات يقولون إنه لمّا كان إنساناً كاملاً وإلهاً عاملاً، صحّت أقواله الثلاثة بالاعتبار الثاني(٢) وقد عرفت مراراً أنه باطل لأن التأويل يجب أن لا يخالف البراهين والنصوص»(٣).

فمعرفة المسيح بهذا الاعتبار بمنزلة معرفة الله، وأمّا حلول الغير في الله أو حلول الله فيه، وكذا حلول الغير في المسيح، أو حلول المسيح فيه فقد يقصد به التعبير عن طاعة أمرهما وقد ورد في رسالة يوحنا الأولى: «من يحفظ وصاياه يثبّت فيه وهو فيه، وبهذا تعرف أنه يثبّت فينا من الروح الذي أعطانا»(٤)

المسألة الثالثة:

إقتباس النصارى لعقيدة (الحلول والإتحاد) من الوثنيات والفلسفات القديمة

وكبقية عقائد النصارى هذه العقائد المزيفة والتي هي بعيدة كل البعد عن التنزيل الإلهي فإن عقيدة (الحلول والإتحاد) أيضاً قد أقتبست من الوثنيات والفلسفات القديمة فإن الديانة البرهمية أو الهندوسية(٥) وهي ترجع في قدمها إلى

---

(١) قد يقصد بهذا التعبير الاتحاد الخفي عن أعين الناس.

(٢) اعتقد أن الشيخ يشير إلى النص السابق من إنجيل يوحنا.

(٣) إظهار الحق، ج ٢، ص ٥١.

(٤) ٣: ٢٤.

(٥) الهندوسية: ديانة الجمهرة العظمى في الهند الآن، وقد قامت على أنقاض الويدية، وتسمى الهندوسية أو الهندوكية إذ تمثلت فيها تقاليد الهند وعاداتهم وأخلاقهم وصور حياتهم، وأطلق عليها البرهمية ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى براهما وهو القوة العظمى السحرية التي تطلب كثيراً من العبادات كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم =

٣٠٠٠ عام قبل ميلاد المسيح عليه السلام[١] تقول: بعقيدة (الحلول والإتحاد) ليس فقط في آلهتهم المتعددة بل إن روح كل كائن حي - في اعتقادهم - ستعود وتتجسّد في نهاية تجوالها إلى مصدرها الأول الذي انبثقت منه.

يقول صاحب كتاب (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)

«تقرّر العقيدة البرهمية أن روح كل كائن تعود في نهاية مطافها إلى مصدرها الأول الذي نشأت منه وهو الله تعالى، والإنسان أحد هذه الكائنات، فيعرض له ما يعرض لها، وروحه قطرة من نور الله، انفصلت عن الله تعالى إلى أجل محدود، واتصلت به ثم تتصل بعده بكائن آخر وآخر وهكذا على طريق التناسخ وتجوال الروح، ثم تعود في النهاية إلى الله تعالى متى جاء الأجل، كالقطرة من الماء العذب، تصعد بخاراً، وترقى في السماء، وتنتقل من جهة إلى جهة، وقد تتحول إلى قطع من الثلج أو البرد وغير ذلك، ثم تسقط على قمم الجبال، وتجري في الأنهار، ثم ترجع في نهاية مطافها إلى البحر الذي انفصلت عنه في أول الأمر، أو كالهواء الحبيس في قدح مقلوب حسب تشبيه أسفارهم نفسها يظل منفصلاً عن الهواء الخارجي وإن كان منه حتى يتحطم القدح، وحينئذٍ يزول الفاصل بينهما ويتحدان»[٢].

وكذلك يعتقد البوذيون[٣] بعقيدة الحلول وقد جاء في المقارنة التي عقدها الأستاذ محمد طاهر التنير يرحمه الله بين أقوال الهنود الوثنيين في بوذا ابن الله، وأقوال النصارى المسيحين في يسوع المسيح ابن الله تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً ما يلي:

= القرابين، ومن براهما اشتقت الكلمة (البراهمة) لتكون علماً على رجال الدين انظر: د/ أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٥، ص ٣٩.

(١) المرجع السابق، ص ٤٢.

(٢) د/علي عبد الواحد وافي، ص ١٥٩، ١٦٠.

(٣) نسبة إلى بوذا عاش في القرون الخامس قبل الميلاد، وقد كان من عظماء القادة المفكرين الهنود هاجم المعتقدات والطقوس وسخّر من الأفكار التي كان الناس يتبعونها في عهده وقال بإلغاء نظام الطبقات في الهند ولم يعترف بالآلهة الويدية ومن صفاته أنه كان عدواً للتعصّب الديني عاش هادئاً ومات هادئاً ورأى بنفسه نجاح وذيوع دعوته انظر: د/أحمد شلبي (أديان الهند الكبرى)، ص ١٤٩.

«كان تجسّد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا[1] كان تجسّد يسوع المسيح بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم[2].

ولما نزل بوذا من مقعد الأرواح ودخل في جسد العذراء مايا صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة[3].

لما نزل يسوع من مقعده السماوي ودخل في جسد مريم العذراء صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة»[4].

«ومع أن بوذا لم يعن بالحديث عن الإله، ولم يشغل نفسه بالكلام عنه إثباتاً أو إنكاراً، وتحاشى كل ما يتصل بالبحوث اللاهوتيّة، وقد كان ينهي أصحابه وزواره أن يخوضوا في هذه الأبحاث، بل إن بوذا اتجه أحياناً إلى جانب إنكار الإله أكثر من اتجاهه إلى جانب الإثبات، فقد وقف في إحدى خطبه يسخر ممن يقولون بوجود الإله.. ومع ذلك كله إلاّ أن الإيمان بإله إتجاه نفسي قوي لا يقل عن قوة الغرائز في البشر، وإهمال هذا الإتجاه يحدث إرتباكاً واضطراباً، ومن أجل هذا نجد أتباع بوذا من بعده يفكرون في الإله، ويعملون على الوصول إليه أو التعرّف عليه، ولما كان بوذا قد ترك هذا المجال خالياً، فقد لعبت بهم الأهواء فاتجه بعضهم إلى الإعتقاد أنّ بوذا ليس إنساناً محضا، بل إن روح الإله قد حلّت فيه، وهذ العقيدة تشبه (عقيدة الحلول) التي يعتنقها بعض المسيحين في السيد المسيح، فيقولون إن شخصيته ثنائية: لاهوتيّة وناسوتيّة، وإن الشخصية اللاهوتية حلّت بالناسوت»[5].

ويقول أحد الباحثين[6] «إن بين الديانة المسيحية والديانة البوذية مشابهة في

---

(١) انظر: كتاب (دوان) ص ٢٨٩، وكتاب بنصون المدعو (الملاك المسيح)، ص ١٠، ٢٥ نقلاً عن الأستاذ محمد طاهر التنير (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) ص ١٣٢.

(٢) متى: ١ : ٢١.

(٣) انظر: بنصون المذكور، ص ٢٠، ودوان ص ٢٩٠، نقلاً عن: الأستاذ محمد التنير (العقائد الوثنية) ص ١٣٢.

(٤) انظر: كتاب دوان ص ٢٩٠، وكتاب بنصون (الملاك المسيح)، ص ٢٠، وكتاب الكونت امبرلي المدعو (تحليل العقائد الدينية) ص ٤٢٤ نقلاً عن الأستاذ محمد التنير (العقائد الوثنية)، ص ١٣٢، ١٣٣.

(٥) انظر: د/ أحمد شلبي (أديان الهند الكبرى)، ط ٥، ص ١٦٧، ١٦٨.

(٦) هو الباحث ماكس مولر نقلاً عن الأستاذ أنور الجندي (المؤامرة على الإسلام)، ط ٢، ص ٥٣.

بعض الوجوه وخاصة الحلول والتجسّد»[١].

وفي المقارنة التي عقدها الأستاذ محمد طاهر التنير بين أقوال الهنود الوثنيين في كرشنة[٢] ابن الله وأقوال النصارى المسيحيين في يسوع المسيح ابن الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

يقول:

«قال كرشنه أنا علّة وجود الكائنات، فيّ كانت وفي تحل وعليّ جميع ما في الكون يتّكل وفيّ يتعلّق كاللؤلؤ المنظوم في خيط»[٣].

«من يسوع في يسوع وليسوع كل شيء كل شيء به كان وغيره لم يكن شيء ممّا كان»[٤].

كما أن الفرس الوثنيين يقولون (بعقيدة الحلول) هذه وإن الإله حلّ في زعيمهم زرادشت[٥] ومما يجدر ذكره أن هذه الديانة نشأت قبل ميلاد المسيح عليه السلام ب ٦٦٠ عاماً[٦] فالسابق أستاذ اللاحق والعكس غير صحيح.

---

(١) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٢) هو أحد زعماء الهنود الذين يعتقدون فيه بأنه المخلص والفادي وابن الله ـ تعالى الله عن قولهم ـ والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس، وتشبه معظم اعتقادات الهنود الوثنيين به معظم اعتقادات المسيحيين بالمسيح عليه السلام وهذا يدلّ على اقتباس النصارى عقائدهم هذه من الوثنيين الذي قد سبقوهم بأزمان سحيقة!!

انظر الأستاذ محمد طاهر التنير (العقائد الوثنية في الديانة النصرانيّة)، ط ١، ص ١١٩.

(٣) انظر: مورس وليمس (ديانة الهنود الوثنيين) ص ٢١٢، نقلاً عن الأستاذ التنير (العقائد الوثنية) ص ١٣٠.

(٤) إنجيل يوحنّا ١: ١ـ ٣.

(٥) ولد بأذربيجان في القسم الغربي من بلاد فارس، وقد اختلف الباحثون في شخصيته، ففريق منهم ينكر وجوده، ويقرّر أنه شخصية أسطورية خيالية، وفريق يرى أنه شخصية حقيقية وأنه هو إبراهيم الخليل الذي ورد ذكره في التوراة والقرآن الكريم وأن أسفاره والتي تسمى (الابستاق) هي صحف إبراهيم!! وقد ساد هذا الرأي الكثير من الزرادشتيين، ولكن ليس لهذا الرأي سند يعتد به، فقد ظهر زرادشت في القرن السابع ق .م في حين أن إبراهيم الخليل ظهر في القرن السابع عشر ق .م، والرأي الصحيح ما ذهب إليه الفريق الثالث الذي يقرّر أن زرادشت شخصية حقيقية وأنه غير إبراهيم، الخليل وأنه إيراني الجنس.

انظر د/علي وافي (الأسفار المقدسة)، ص ١٢٧ـ ١٢٩.

(٦) المرجع السابق، ص ١٣٠.

ويقول الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام).

«ويروي عن مولده قصص وأساطير كثيرة يشبه بعضها ما يقوله المسحيون عن المسيح وأن روح الله قد حلّت فيه أو أنه أحد الأقانيم المكوّنة للإله.. ومن ذلك ما شاع اعتقاده عن قدامي الإيرانيين من أن الله قد نفخ في رحم أمه من روحه فتقمصت روح الله جسد زرادشت، فنشأ جامعاً بين اللاهوت والناسوت على نحو ما يعتقده المسيحيون في المسيح»(١).

المسألة الرابعة:

بطلان عقيدة (الحلول والإتحاد) عقلاً

ويظهر بطلان عقيدة (الحلول والإتحاد) عقلاً حيث أنها توجب أموراً يستحيل على العقل تصورها، حيث أن الإيمان بهذه العقيدة يقتضي القول بأن يحل واجب الوجود في ممكن الوجود وهذا مُحال عقلاً، كما تستلزم هذه العقيدة التجزّء والانقسام لواجب الوجود وهو الحق سبحانه وتعالى وهو محال عقلاً أيضاً.

ثم كيف يجوزون حلوله سبحانه وتعالى واتحاده بمخلوق من مخلوقاته مع العلم بأن أحداً من المخلوقين لا يطيق القدرة على رؤيته ـ سبحانه وتعالى ـ في هذ الحياة الدنيا؟ كما ورد الخبر في القرآن الكريم عن نبي الله موسى عليه السلام حيث قال تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾(٢) فـإذا كان المخلوق بل هو من أعظم المخلوقين إذ هو نبي من أنبياء الله تعالى لم يطق رؤيته فكيف يطيق الحلول به والاتحاد معه؟!!

إذاً فالإيمان بهذه العقيدة (عقيدة الحلول والاتحاد) تقتضي وتستلزم أموراً يستحيل على العقل السليم تصديقها فهي عقيدة يناقض الإيمان بها العقل المجرّد.

١ ـ «يقول النصارى: إنه اتحد بالمسيح وإنه صعد إلى السماء، وجلس عن

---

(١) المرجع السابق، نفس الصحيفة.
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

يمين الأب، وعندهم أن اللاهوت منذ اتحد بالناسوت لم يفارقه، بل لمّا صعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب كان الصاعد عندهم هو المسيح الذي هو ناسوت ولاهوت إله تام، وإنسان تام فهم لا يقولون: إن الجالس عن يمين الأب هو الناسوت فقط بل اللاهوت المتّحد بالناسوت جلس عن يمين اللاهوت»[1].

«فأي تبعيض وتجزئة أبلغ من هذا، وليس هذا من كلام الأنبياء حتى يقال: إن له معنى لا نفهمه بل هو من كلام أكابرهم الذي وضعوه وجعلوه عقيدة إيمانهم، فإن كانوا تكلموا بما لا يعقلونه، فهم جهال لا يجوز أن يتبعوا، وإن كانوا لا يعقلون[2] ما قالوه فلا يعقل أحد من كون اللاهوت المتحد بالناسوت جلس عن يمين اللاهوت المجرد عن الاتحاد، إلا أن هذا اللاهوت منفصل مباين للاهوت المتّحد، وليس هو متصلاً به، بل غايته أن يكون مماساً له، بل يجب أن يكون الذي يماس اللاهوت المجرّد هو الناسوت مع اللاهوت المتحد به، فهذا حقيقة التبعيض والتجزئة مع انفصال أحد البعضين عن الآخر.

وأيضاً فيقال لهم: المتحد بالمسيح أهو ذات رب العالمين، أم صفة من صفاته؟ فإن كان هو ذات الأب فهو الأب نفسه، ويكون المسيح هو الأب نفسه، وهذا ممّا اتّفق النصارى على بطلانه فإنهم يقولون: هو الله، وهو ابن الله، كما حكى الله عنهم، ولا يقولون هو الأب والابن.

والأب عندهم هو الله، وهذا من تناقضهم، وإن قالوا المتّحد بالمسيح صفة الرب فصفة الرب لا تفارقه، ولا يمكن اتحادها ولا حلولها في شيء دون الذات.

وأيضاً فالصفة نفسها ليست هي الإله الخالق رب العالمين، بل هي صفة، ولا يقول عاقل إن كلام الله، أو علم الله أو حياة الله هي رب العالمين الذي خلق السموات والأرض، فلو قدّر أن المسيح هو صفة الله نفسها لم يكن هو الله، ولم يكن هو رب العالمين، ولا خالق السموات والأرض»[3].

«وإن قالوا: المتّحد به بعض ذلك دون بعض، فقد قالوا بالتبعيض والتجزئة فهم بين أمرين: إمّا بطلان مذهبهم، وإما اعترافهم بالتبعيض والتجزئة مع

---

(١) نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيميّة (الجواب الصحيح)، ج ٢، ص ١٥٦.

(٢) (لا يعقلون) هكذا كتبت واعتقد أنه قد وقع خطأ مطبعي فأضيفت (لا) من غير قصد.

(٣) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

بطلانه»[1].

٢ ـ وهناك شبهة أخرى للنصارى يحتجون بها على عقيدة الحلول والإتحاد تقول: «إن اللطائف لا تظهر إلاّ في الكثائف أي أن الأشياء اللطيفة كالأرواح لا يمكن أن تظهر ويراها الناس إلاّ في الكثائف كالأجسام، وأن الإنسان أجل ما خلق الله تعالى لذلك ظهرت كلمة الله وروحه في المسيح، وبذلك خاطب الناس وشاهدوا منه ما شاهدوا»[2].

«والجواب من طرق

أحدها: أنه يقال: هذا الذي ذكروه، وادعوا أنه تجسّم كلمة الله الخالقة بإنسان مخلوق، وولادتهما معاً أي الكلمة مع الناسوت، وهو الذي يعبّر عنه باتحاد اللاهوت بالناسوت وهو أمر ممتنع في صريح العقل، وما عُلم أنه ممتنع في صريح العقل، لم يجز أن يخبر به رسول، فإنّ الرسل إنما تخبر بما لا يعلم بالعقل أنه ممتنع، فأمّا ما يعلم بصريح العقل أنه ممتنع، فالرسل منزهون عن الإخبار عنه.

الطريق الثاني: أن الأخبار الإلهية صريحة بأن المسيح عبد الله ليس بخالق العالم، والنصارى يقولون: هو إله تام وإنسان تام.

الطريق الثالث: فيما ذكروه، فأمّا الطريق الأول فمن وجوه:

أحدها: أن يقال: المتّحد بالمسيح إما أن يكون هو الذات المتّصفة بالكلام أو الكلام فقط، وإن شئت قلت: المتحد به، إما الكلام مع الذات، وإمّا الكلام بدون الذات، فإن كان المتحد به الكلام مع الذات كان المسيح هو الأب وهو الإبن وهو روح القدس، وكان المسيح هو الأقانيم الثلاثة. وهذا باطل باتفاق النصارى، وسائر أهل الملل وباتفاق الكتب الإلهية، وباطل بصريح العقل.

وإن كان المتّحد به هو الكلمة فقط فالكملة صفة، والصفة لا تقوم بغير موصوفها، والصفة ليست إلهاً خالقاً، والمسيح عندهم إله خالق، فبطل قولهم على التقديرين، وإن قالوا: المتّحد به الموصوف دون الصفة فالموصوف هو الأب، والمسيح عندهم ليس هو الأب، وإن قالوا: الصفة فقط، فالصفة لا تفارق الموصوف ولا تقوم بغير الموصوف، والصفة لا تخلق ولا ترزق، وليست الإله،

(١) المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٢) انظر: الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٦٠.

والمسيح عندهم صعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وأما كونه هو الأب فقط، وهو الذات المجرّدة عن الصفات، فهذا أشد استحالة، وليس فيهم من يقول بهذا.

الوجه الثاني: إنّ الذات المتحدة بناسوت المسيح مع ناسوت المسيح إن كانتا بعد الإتحاد ذاتين، وهما جوهران كما كان قبل الإتحاد، فليس ذلك باتحاد.

وإن قيل: صارا جوهراً واحداً، كما يقول من يقول منهم، إنهما صارا كالنار مع الحديدة، أو اللبن مع الماء: فهذا يستلزم استحالة كل منهما، وانقلاب صفة كل منهما بل حقيقته كما استحال الماء واللبن إذا اختلطا والنار مع الحديدة، وحينئذٍ فيلزم أن يكون اللاهوت استحال وتبدّلت صفته وحقيقته، والاستحالة لا تكون إلاّ بعدم شيء ووجود آخر، فيلزم عدم شيء من القديم الواجب الوجود بنفسه، وما وجب قدمه استحال عدمه، وما وجب وجوده امتنع عدمه، فإن القديم لا يكون قديماً إلاّ لوجوبه بنفسه، أو لكونه لازماً للواجب بنفسه[1] إذ لو لم يكن لازماً له ـ بل كان غير لازم له ـ لم يكن قديماً بقدمه، والواجب بنفسه يمتنع عدمه، ولازمه لا يعدم إلاّ بعدمه، فإنه يلزم انتفاء اللازم انتفاء الملزوم»[2].

«ويقال لهم: ظهور اللطائف في الكثائف كلام مجمل، فإن أردتم أنّ روح الإنسان تظهر في جسده، أو الجني يتكلم على لسان المصروع ونحو ذلك فليس هذا ممّا نحن فيه، وإن أردتم أن الله تعالى نفسه يحلّ في البشر فهذا محل النزاع فأين الدليل عليه؟ وأنتم لم تذكروا إلاّ ما يدل على نقيض ذلك»[3].

«وإن ظهور ما يظهر من الأمور الإلهية إذا أمكن ظهوره فظهوره في اللطيف أولى من ظهوره في الكثيف، فإن الملائكة تنزل بالوحي على الأنبياء عليهم السلام وتتلقى كلام الله من الله تعالى، وتتنزل به على الأنبياء ـ عليهم السلام، فيكون وصول كلام الله إلى الملائكة قبل وصوله إلى البشر، كما قال تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[4] والله تعالى أيّد رسله من البشر حتى أطاقوا التلقي عن الملائكة، وكانت الملائكة تأتيهم أحياناً في غير الصورة البشريّة، وأحياناً في الصورة البشريّة، فكان ظهور الأمور الإلهية باللطائف ووصولها إليهم أولى منه

---

(١) وذلك كصفات الباري عزّ وجل.
(٢) انظرّ الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٦٠ـ ١٦٢.
(٣) المرجع السابق، ص ١٦٩.
(٤) سورة الشورى، الآية ٥١.

بالكثائف ولو جاز أن يتحد الرب سبحانه بحيّ من الأحياء، ويحل فيه، لكان حلوله في ملك من الملائكة واتحاده به أولى من حلوله واتحاده بواحد من البشر»(١).

«وأنه من المعلوم أن الأنبياء الذين كانوا قبل المسيح أفضل من عوام النصارى الذين كانوا بعد المسيح، وأفضل من اليهود الذين كذبوا المسيح، فإذا الرب قد يفضّل باتحاده في المسيح حتى كلّم عباده بنفسه فيتّحد بالمسيح محتجباً ببدنه الكثيف، وكلّم بنفسه اليهود المكذبين للمسيح وعوام النصارى، وسائر من كلّمه المسيح فكان أن يكلّم من هم أفضل من هؤلاء من الأنبياء والصالحين بنفسه أولى وأحرى مثل من يتّحد بإبراهيم الخليل، فيكلّم إسحاق ويعقوب ولوطاً محتجباً ببدن الخليل أو يتّحد بيعقوب فيكلّم أولاده أو غيرهم محتجباً ببدن يعقوب أو يتّحد بموسى بن عمران فيكلّم هارون ويوشع بن نون وغيرهما محتجباً ببدن موسى، فإذا كان سبحانه وتعالى لم يفعل ذلك، إمّا لامتناع ذلك، وإمّا لأن عزته وحكمته أعلى من ذلك مع عدم الحاجة إلى ذلك عُلم أنه لا يفعل ذلك في المسيح بطريق الأولى والأحرى»(٢).

ونضيف إلى ما سبق:

إنّ اللطائف والكثائف كلاهما مخلوقة ومملوكة لله سبحانه وتعالى وبما أن الفرق كبير وشاسع بين الخالق والمخلوق ولا يمكن للمخلوق أبداً أن يشابه أو يماثل خالقه لا في ذاته ولا في صفاته إذاً لا يمكن أبداً أن يحلّ الإله الخالق العظيم في مخلوقه ومصنوعه الحقير ـ نعم فهو حقير أي المخلوق مهما بلغ من العظمة أمام خالقه ـ سواء أكان ذلك المخلوق من اللطائف كالأرواح أو من الكثائف كالأجسام، وإذا كان المخلوق لا يطيق رؤية خالقه وإلهه في هذه الحياة الدنيا ـ كما ذكرنا ـ فكيف إذا يطيق حلوله فيه أو اتحاده به؟!!

٣ ـ «والمسيح عليه السلام لم يكن يسمع منه إلاّ ما يسمع من مثله من الرسل، ولو كان المتكلّم على لسان الناسوت هو جنياً أو ملكاً لظهر ذلك، وعرف أنه ليس هو البشر، فكيف إذا كان المتكلّم هو رب العالمين؟ فإنّ هذا لو كان حقاً لظهر ظهوراً أعظم من ظهور كلام الملك والجني على لسان البشر بكثير كثير.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٧١، ١٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧٤.

٤ ـ وأمّا ما شاهده من معجزات المسيح عليه الصلاة والسلام فقد شاهدوا من غيره ما هو مثلها وأعظم منها، وقد أحيا غيره الميت وأخبر بالغيوب أكثر منه[١] ومعجزات موسى أعظم من معجزاته وأكثر، وظهور المعجزات على يديه يدلّ على نبوته ورسالته، كما دلّت المعجزات على نبوة غيره، ورسالتهم ولا تدلّ على الإلهية»[٢].

«ومع هذا لم تكن المعجزات دليلاً على اتحاد اللاهوت بالنبي الذي ظهرت على يديه، فعلم أن الإستدلال بظهور المعجزات على يديه في غاية الفساد»[٣].

«بل أبلغ من ذلك يطلق لفظ الحلول والإتحاد، ويراد به معنى صحيح لما يقال فلان وفلان بينهما اتحاد، إذا كانا متفقين فيما يحبان ويبغضان ويواليان ويعاديان، فلمّا اتّحد مرادهما ومقصودهما صار يقال هما متحدان، وبينهما إتحاد، ولا يعني بذلك أن ذات هذا إتّحدت بذات الآخر، كاتحاد النار والحديد، والماء واللبن، أو النفس والبدن»[٤].

٥ ـ «وقد يقال فلان ما في قلبه إلاّ الله وما عنده إلاّ الله يراد بذلك: إلاّ ذكره ومعرفته ومحبته وخشيته وطاعته، وما يشبه ذلك أي ليس في قلبه ما في قلب غيره المخلوقين، بل ما في قلبه إلاّ الله وحده، ويقال: فلان ما عنده إلاّ فلان إذا كان يلهج بذكره، ويفضله على غيره»[٥].

«وليس المراد به أن ذات الرب حلّت فيه، بل يقال: فلان ساكن في قلبي، وهو في سري، وسويداء قلبي، ونحو ذلك وإنما حلّ فيه مثاله العلمي[٦]، وإذا كان كذلك معلوم أنّ المكان إذ خلا ممن يعرف الله ويعبده لم يكن هناك ذكر الله، ولا حلّت فيه عبادته ومعرفته، فإذا صار في المكان من يعرف الله ويعبده ويذكره ظهر فيه ذكره، والايمان به وحلّ فيه الإيمان بالله وعبادته وذكره، وهو بيت الله

---

(١) كنبي الله إلياس عليه السلام، انظر: الجواب الصحيح، ج ٢، ص ٢٧٣.
(٢) المرجع السابق، ج ٢، ص ١٨٥، ١٨٦.
(٣) المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٧٧.
(٤) المرجع السابق، ج ٢، ص ١٨١.
(٥) المرجع السابق، نفس الصحيفة.
(٦) أي محبته ومعرفته، فتسكن في القلب مودته ومحبته لاعين ذاته، انظر: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٨١.

عزّ وجل، فيقال: إنّ الله تعالى فيه، وهو حالّ فيه.

كما يقال: إنّ الله في قلوب العارفين، وحالّ فيهم، والمراد به حلول معرفته والإيمان به ومحبته ونحو ذلك، فإذا كان الرب في قلوب عباده المؤمنين، أي نوره ومعرفته، وعبّر عن هذا بأنه حال فيهم، وهم حالون في المسجد قيل: إنّ الله في المسجد، وحال فيه بهذا المعنى، كما يقال الله في قلب فلان وفلان ما عنده إلاّ الله كما ورد عن النبي ﷺ في الحديث القدسي: أنّ الحق سبحانه وتعالى يقول: «أما علمت أن فلاناً مرض فلو عدته لوجدتني عنده»[1].

٧ - «وفي الجملة فجميع ما يعرفه الناس من الاتحاد إذا صار الإثنان واحداً وارتفعت الثنويّة، فلا بدّ من استحالة الإثنين.

وإذا قيل: فيه طبيعة الإثنين، ومشيئة الإثنين كما في الماء واللبن قوة الماء وقوة اللبن.

قيل: لا بدّ مع ذلك أن تتغير كل قوة عمّا كانت عليه فتنكسر الأخرى، كما يعرف في سائر صور الإتحاد، إذا اتحد هذا مع هذا كسر كل منهما قوة الآخر عمّا كانت عليه.

كما إذا إتّحد الماء البارد بالماء الحار إنكسرت قوة الحر وقوة البرد عمّا كانت فيبقى المتحد مرتبة متوسطة بين البرد المحض والحرّ المحض.

وكذلك الماء واللبن وسائر صور الاتحاد.

وعلى هذا، فيجب إذا اتّحد أن تتغير قوة اللاهوت وطبيعته ومشيئته عمّا كانت، وتنكسر قوة الناسوت وطبيعته ومشيئته عمّا كانت عليه، ويبقى هذا المتّحد ممتزجاً من لاهوت وناسوت، وذلك يستلزم نقص اللاهوت عمّا كان وبطلان كماله، كما أنه يوجب من كمال الناسوت ما لم يكن.

فكل ما يصفون به الناسوت من اتحاد اللاهوت به فهو مستلزم، من نقص اللاهوت وسلب كما له الذي يختص به، وبطلان صفاته التامة بحسب ما حصل له من ذلك الناسوت بحكم الإتحاد، وإلاّ فإن كان اللاهوت كما كان، فلا إتحاد بوجه من الوجوه، بل الناسوت كما كان. ثم هما إثنان لم يتحد أحدهما بصاحبه

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (باب فضل عيادة المريض)، ج ٦، ط ٣، ص ١٢٥.
انظر: الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٨٢.

ولا صارا شيئاً واحداً»[1].

٨ ـ «والإتحاد بين الجوهر اللاهوتي والناسوتي إذا كان حقيقياً لكان أقنوم الابن محدوداً متناهياً وكل ما كان كذلك كان قبوله للزيادة والنقصان ممكناً، وكل ما كان كذلك اختصاصه بالمقدار المعيّن لتخصيص مخصّص وتقدير مقدّر، وكل ما كان كذلك فهو محدث فيلزم أن يكون أقنوم الإبن محدثاً ويستلزم حدوثه حدوث الله تعالى»[2] تعالى الله عمّا يقوله الظالمون علواً كبيراً.

إنّ عقيدة الإتحاد النصرانيّة هذه يستحيل الإعتقاد والقول بها وذلك لإستحالة الإتحاد بين اللاهوت والناسوت لأنه يستلزم القول بحدوث الحق سبحانه وتعالى، ولأن أقنوم الإبن محدود وهو قابل للزيادة والنقصان، كما أنه يخصّص بمقدار معيّن فهو إذاً حادث، وهو جزء من الثالوث المقدس وما يجري على الجزء يجري على الكل فيلزم من ذلك القول بحدوث الحق سبحانه وتعالى وهو محال تعالى الله وتنزّه وتبارك عن أقوالهم ومعتقداتهم الآثمة.

٩ ـ «إمّا أن يقال بأن الإله هو هذا الشخص الجسماني المشاهد، أو يقال حل الإله بكلتيه[3] وجزء منه فيه[4] والأقسام الثلاثة باطلة: أمّا الأول فلأن إله العالم لو كان هو ذلك الجسم فحين قتله اليهود كان ذلك قولاً بأن اليهود قتلوا إله العالم فكيف بقى العالم بعد ذلك من غير إله (؟!!) ثم إنّ أشدّ الناس ذلاً ودناءة اليهود فالإله الذي تقتله اليهود إله في غاية العجز، وأمّا الثاني وهو أن الإله بكلتيه حلّ في هذا الجسم، فهو أيضاً فاسد لأنّ الإله إن لم يكن جسماً ولا عرضاً امتنع حلوله في الجسم، وإن كان جسماً فحينئذٍ يكون حلوله في جسم آخر عبارة عن اختلاط أجزاء ذلك الجسم، وذلك يوجب وقوع التفرّق في أجزاء ذلك الإله، وإن كان عرضاً كان محتاجاً إلى المحل وكان الإله محتاجاً إلى غيره، وكل ذلك سخيف، وأمّا الثالث وهو أنه حلّ فيه بعض من أبعاض الإله وجزء من أجزائه فذلك أيضاً محال، لأن ذلك الجزء إن كان معتبراً في الإلهية فعند انفصاله عن الإله وجب أن لا يبقى الإله إلهاً وإن لم يكن معتبراً في تحقيق الإلهية لم يكن جزءاً من

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، ج ٣، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٢) انظر: الشيخ رحمة الله العثماني، (إظهار الحق)، ج ١، ص ٥٨٥، ط قطر.

(٣) أعتقد أنه يقصد: الجزئين اللاهوتي والناسوتي ـ على «زعمهم والله أعلم.

(٤) أي في المسيح عليه السلام.

الإله، فثبت فساد هذه الأقسام فكان قول النصارى باطلاً.

«وقد ثبت بالتواتر أنّ عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة في العبادة والطاعة لله تعالى ولو كان إلهاً لاستحال ذلك لأن الإله لا يعبد نفسه»(١).

١٠ ـ ومن نقل الإمام القرافي يرحمه الله شبهة للنصارى حول عقيدة الحلول والإتحاد تقول:

«إنّ الله تعالى جواد فجاد بأعظم الموجودات وهو كلمته، فجعله متحداً بأفضل المحسوسات وهو الإنسان وهذا باطل لوجوه:

أحدها: أن الجود بالشيء فرع إمكانه، فإنّ الكرم بالمستحيل محال، فينبغي أن يبيّن أولاً تصور انتقال الكلام النفسي من ذات الله تعالى إلى مريم رضي الله عنها، ثم يقيم الدليل على وقوع هذا الممكن بعد إثبات إمكانه.

وثانيها: سلمنا أنه ممكن، لكن لم قلتم أن الكلام هو أفضل الموجودات، ولما لم يكون العلم أفضل منه، لأنّ الكلام تابع للعلم.

وثالثها: أنّ الذات الواجبة الوجود التي الصفات قائمة بها أفضل من الصفات، لأنّ الصفة تفتقر للذات في قيامها، والذات لا تفتقر لمحل بخلاف الصفة.

ورابعها: أن صفتين من الصفات والصفات بجملتها مع الذات أفضل من الكلام وحده، ولم يقل أحد باتحاد هذا، فالأفضل لم يحصل حينئذٍ، ولمّا كان كلام النصراني نوعاً من الوسواس اتّسع الخرق عليه»(٢).

ونضيف إلى ما سبق:

أنه قد تنتقل الصفة من إنسان لآخر بالمعايشة والمخالطة كالكرم والجود والشجاعة والإقدام أو البخل والجبن وما إلى ذلك وقد لا تنتقل.. ولكن يقال أن تنتقل صفة من صفات الباري عزّ وجل إلى أحد مخلوقاته وتحل وتتحد به!! فيتكون هذا المخلوق من جزئين مختلفين تمام الإختلاف جزء لاهوتي وآخر ناسوتي مع الفرق الشاسع والبون العظيم بينهما!! فهذا هو الهراء والكفر والسفسطة الكافرة، وليس لهذا القول أصل من الفطر الصافية والعقول السليمة، بل إنّ هذا

---

(١) إظهار الحق، ج ٢، ط قطر، ص ٥٨ـ ٥٩.

(٢) الأجوبة الفاخرة، ط ١، بيروت، ص ٤٤ـ ٤٥.

القول يناقض المنطق والمعقول، ويخالف ما أخبر به أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام، ويخالف ما نطقت به الكتب السماوية، وخاصةً التي حُفظت من التبديل والتحريف فهو سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١).

١١ - «ثم إنّ الإله إذا كان خالقاً للناسوت، ثم ظهر فيه، متحداً به، فقد حدثت له صفة بعد خلقه وهي إتحاده به، وظهوره فيه.

فنقول: إذاً هذه الصفة إن كانت واجبة الوجود، استحال إتصافها بالحدوث، وإن كانت ممكنة الوجود، استحال اتّصاف الباري بها، لأنّ صفات الباري كلها واجبة الوجود.

لأنّ كل ما لزم من عدم وجوده محال، فهو واجب الوجود وصفات الإله يلزم من عدم وجودها محال بين.

فإن قيل: إن كان هذا لازماً، استحال خلق العالم، بل استحال خلق مخلوق واحد، لأنّ الله عزّ وجل، إذا خلق مخلوقاً واحداً، حدثت له صفة وهي اتّصافه بخلقه، فيلزم المحال المذكور!!

فالجواب: إنّ هذا غير لازم ألبتّه، لأن المعنى من كون الله خالقاً: تقديره الخلق في الأزل وهذه الصفة ثابته له أزلاً، فإذا خلق مخلوقاً، فعلمه بوجوده في زمن خلقه. والقدرة على إيجاده في ذلك الزمن أيضاً، كلاهما ثابت أزلاً.

فلم يبق حادث سوى وجوده، ووجوده ليس صفة قائمة بذات الإله، جلّ اسمه بل بذات المخلوق.

وأمّا نسبة الوجود إلى تأثير القدرة فيه، زمن إيجاده، فذلك من باب النسب والإضافات، والنسب والإضافات ليست أمراً وجودياً، كالفوقيّة والتحتيّة والأبوة والبنوة، وهذا معنىً بيّن الظهور بخلاف ما تقدم»(٢).

وقد أبطل أحد الباحثين عقيدة (الحلول والاتحاد) هذه عند دراسته لها ونختصر ذلك بالنقاط التالية:

---

(١) سورة الشورى، الآية ١١.

(٢) انظر: الإمام أبي حامد الغزالي (الردّ الجميل لإلٰهية عيسى بصريح الإنجيل). تحقيق: د/محمد الشرقاوي، ط ١، ص ١٤٩، ١٥٠.

١ - «لو حلّت الكلمة في جسد المسيح أو خالطته فهي في حال الحلول إمّا صفة أو ذات فإن كانت صفة فارقت الآب فقد بقي الله تعالى بدون كلمة، وهو نقص لا يليق بذاته تعالى، وأيضاً يلزم عليه إنتقال الصفات وهو محال، لأن الإنتقال من خصائص الذوات لا الصفات والأعراض، وإن لم تفارقه لزم قيام الصفة الواحدة بمكانين مختلفين في وقت واحد وهو محال، لأنه يستحيل قيام البياض في محل مع قيامه عينه في محل آخر»[١].

٢ - «**قالوا**: إنّ الإبن الحال بالناسوت إله غير محدود ولا متناه وقد حلّ في جسد إبن مريم الإنسان، وهو محدود متناه ولإبطال ذلك نقول:

لو حلّ اللامحدود بالمحدود للزم إمّا محدودية اللامحدود، أو لا محدوديّة المحدود، والتالي باطل، بيان الملازمة: أنه لو حلّ الإبن على فرض أنه لا يجده مكان أو جهة، أو زمان بمقتضى ألوهيته في جسد إنسان وهو محدود، ذو أبعاد محصورة متناهيّة لأصبح اللامحدود متناهياً حيث أن الوعاء الذي حلّ فيه محدود.

والإنسان المحدود المتناهي يصبح لا محدوداً، لأنه أصبح حاوياً للامحدود.

أمّا بطلان التالي: فلأنّ صيرورة اللامحدود محدوداً، والمحدود لا محدوداً فمحال لما فيه من إنقلاب الطبائع، والنقص للإله حيث قد حلّ في جزء محدود، وصيرورة المحدود الجزئي لا محدوداً لكي يصحّ احتواؤه اللامحدود، أو جعل الصغير يحتوي أعظم منه ظاهر البطلان.

على أن قبول اللامتناه للزيادة والنقصان يجعله ممكناً، وقد فرض واجباً، وهو باطل، كما يلزم عليه كون الإبن محدثاً وهو قديم في زعمهم»[٢].

٣ - «في حالة اتحاد اللاهوت بالناسوت إمّا أن تتلاشى طبيعة أحدهما في طبيعة الآخر فلم يبق إلاّ واحداً، والمعدوم لا يبنى عليه حكم فلا اتحاد لأن المعدوم لا يتحد بالموجود.

وأمّا أن يبقى الإثنان بطبيعتهما، فلا اتحاد أصلاً، لأنهما اثنين لا واحد.

وإمّا أن يتحول الإثنان إلى طبيعة جديدة تغايرهما، فلا هي هذا ولا هي

---

(١) انظر: د/محمد أبو الغيط الفرت (رسالة محفوظة بكلية أصول الدين بالمكتبة تحت رقم ٤٧١) ص ١٧١، وما بعدها نقلاً عن د/محمود كريت (إنجيل برنابا بين الإسلام والنصرانية) رسالة دكتوراه كليّة أصول الدين جامعة الأزهر، ص ١٢١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٢ بتصرّف.

ذاك، فلا معنى للإتحاد أيضاً حيث تولّدت طبيعة ثالثة»[1].

ولا بأس أن ننقل نص إبطال (ابن كمونة اليهودي) لعقيدة الحلول والإتحاد حيث يشابه النص السابق في طريقته ومغزاه حيث يقول:

«فأمّا الإتحاد فهو غير معقول، لأن الشيئين، إذا اتحدا، فإما أن يكونا موجودين أو معدومين، أو أحدهما موجوداً والآخر معدوماً، فإن كانا موجودين فلم يتحدا لأنهما إثنان لا واحد، وإن كان معدومين فلا يصيران واحداً بل عُدماً وحدث ثالث، وإن عدم أحدهما وبقي الآخر، فظاهر أن ذلك ليس باتحاد، فإن فُسّر الإتحاد بمعنى الممازجة والمخالطة والتركيب، فإن كان الآب والإبن ذاتين غيرين بحيث الإبن وحده بالمسيح دون الأب بالمعنى المذكور، فهو يخالف اعتقاد التوحيد، وإن كان الإبن صفة، فلا يعقل في الذات العالمه أن يصير كونها عالمة ممازجة لجسم من الأجسام دون الذات، كما لا يعقل أن يكون زيد ببغداد وكونه عالماً بخراسان، ثم علم كل شيء هو قائم به فيلتزم أن يكون علم الله تعالى موجوداً فيه وفي المسيح دفعة واحدة، فللصفة الواحدة في الحالة الواحدة موصوفان، وهو محال فإن لم يكن تعالى عالماً حال الاتحاد كان كونه عالماً حكماً جائزاً فيفتقر إلى مخصص يخصّصه، وذلك يخرجه عن الإلهة.

والقول بالإمتزاج باطل لأنه لا يعقل إلاّ في الأجسام والكلمة عندهم ليست بجسم، فإن قالوا: الممازجة بالتركيب الإرتباطي كالإنسان الواحد من نفس وبدن، فارتباط أحد الشيئين بالآخر لا يعقل إلاّ باحتياج أحدهما إلى صاحبه، إمّا مع العكس كاحتياج النفس إلى البدن باعتبار واحتياج البدن إليها أو باعتبار آخر، وإمّا من غير عكس كاحتياج صورة السرير إلى الخشب وعدم احتياج الخشب إليها، لكن فيما نحن فيه يمتنع احتياج الجزء اللاهوتي إلى غيره بوجه من الوجوه ولو كان الإتحاد لاحتياج الجزء الناسوتي إلى اللاهوتي من غير انعكاس لكان مثل هذا الإتحاد حاصلاً مع كل المخلوقات لأن كلها محتاجة في وجودها وسائر كمالاتها إلى الله تعالى»[2].

ومع كل هذه المناقشات لعقيدة (الحلول والاتحاد) والتي يؤمن بها النصارى

---

(١) المصدر السابق، ص ١٢٣ بتصرّف.

(٢) انظر: تنقيح الأبحاث الثلاث للملل الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام)، ص ٥٤، ٥٥، ط دار الأنصار.

والتي دحضها ـ على مرّ العصور ـ العلماء والمتعلمون والفلاسفة الإسلاميون والمفسرون، ومع كل هذا فإنّ النصارى لا زالوا يؤمنون بهذه العقيدة رغم صعوبة فهمها، واستيعاب فحواها، ورغم عدم تقبّل العقل والمنطق لها، ورغم ضآلة حججها وبراهينها إلاّ أنهم للأسف لا زالوا يؤمنون بها، ويصدقون الناعقين بها دون حجة أو برهان أكيد ومتين ومعقول!!

يقول القس صموئيل مشرفي رئيس المجمّع العام للكنائس الخمسينية:

«لا شكّ أنّ كيفية اتحاد اللاهوت موضوع عميق ولذلك فقد تركه مسيحيو العصر الحديث كمسألة عويصة بخلاف ما فعله القدماء، وكان من وراء ذلك أن المسيحي اليوم لا يستطيع توضيح هذا السرّ مكتفياً بتقديم جواب وحيد عنه وهو:

إنّ هذه الحقيقة قد تجاوزت العقول ولذلك فإننا نقبلها بالإيمان دون حجة أو برهان»[١]!![٢].

---

(١) انظر: كتاب (الظهور الإلهي)، ط ١٩٦١م، ص ٩٣.

(٢) وقد تسللت عقيدة الحلول والاتحاد هذه من النصرانية أو من غيرها من الملل ـ مع شديد الأسف إلى بعض المنتسبين إلى الإسلام، أو المحسوبين عليه!! فقال بها بعضهم فاعتقدوا أن الحق سبحانه وتعالى يحل ويتحد في بعض أولياء الله تعالى ومحبيه، وهؤلاء ـ بلا شك ـ أشدّ سوءاً من النصارى، لأنّ النصارى ادعوا حلوله واتحاده بنبي من أنبياء الله وهو المسيح عليه السلام وهو أفضل من الأولياء والصالحين وأفضل ممن ادعوا حلوله فيهم، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة:

«ومن قال من ضُلاّل المسلمين إنّ الرب يتّحد أو يحل في الأنبياء والأولياء وإن هذا من السر الذي لا يباح به، فقوله من جنس قول النصارى في المسيح، وهذا كثير من كلام المدعين للمعرفة والتحقيق والتوحيد، فيجعلون توحيد العارفين أن يصير الموحّد هو الموحّد، ومنهم من يقول: إنّ الله يحل في قلب العارف ويتكلّم بلسانه، كما يتكلم الجني على لسان المصروع!!.

وهؤلاء في دعواهم الإتحاد والحلول بغير المسيح، شر من النصارى، فإنّ المسيح ـ صلوات الله عليه ـ أفضل من كل من ليس بنبي بل هو أفضل من جماهير الأنبياء والمرسلين. فإذا كان من ادعى أن اللاهوت اتحد به (أي بالمسيح) كافراً، فكيف بمن ادعى ذلك فيمن هو دونه»؟!.

انظر: الجواب الصحيح، ج ٣، ص ١٩٩، ٢٠٠.

المسألة الخامسة:

بطلان عقيدة (الحلول والإتحاد) نقلاً

وبالإضافة إلى الآيات الكريمات والتي ذكرناها في مبحث «إبطال عقيدة ألوهيّة المسيح وبنوته لله تعالى»[1] والتي تنفي بوضوح وبصراحة ألوهيّة المسيح وبنوته لله تعالى فإنها تنفي في نفس الوقت «عقيدة الحلول والإتحاد» وذلك لأنهم يدعون حلول الإله فيه وإتحاده لكي يتسنى لهم إدّعاء ألوهيته وعبادته كما حصل منهم بالفعل.

ونضيف إلى تلك الآيات الكريمات نصوصاً قرآنيّة أخرى أكّد الأئمة المفسرون على أنها تنفي في فحواها عقيدة الحلول والإتحاد عند النصارى.

قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾[2].

ويؤكّد الحق سبحانه وتعالى ـ في هذه الآية الكريمة ـ كفر الذين يدعون أنّ الله تعالى هو المسيح ابن مريم أو كما يقولون إنه حالٌ فيه ومتحد به، وتنصّ الآية الكريمة على كفرهم بألفاظ صريحة وواضحة وغير مبهمة ولا يمكن تأويلها أو صرفها عن معناها الحقيقي، ويساق لهم النص الكريم عمّن يملك أمام الله شيئاً إن أراد سبحانه وتعالى هلاك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً، فهل يستطيع أحد من مخلوقاته ـ وكل مخلوق أمام الله سبحانه وتعالى ضعيف ـ ردّ مشيئته في أي شيء كان؟ فهو سبحانه هو المالك لكل شيء وهو المتصرّف والقادر على كل شيء تبارك وتعالى وتنزّه عن أقوالهم المنكرة وكفرهم.

ويقول الإمام الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

«وفي الآية سؤال، وهو أن أحداً من النصارى لا يقول: إنّ الله هو المسيح بن مريم، فكيف حكى الله عنهم ذلك مع أنهم لا يقولون به؟

وجوابه: إنّ كثيراً من الحلوليّة يقولون: إنّ الله قد يحلّ في بدن إنسان معيّن،

---

(١) انظر: ص ٣٢٨ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) سورة المائدة، الآية ١٧.

أو في روحه، وإذا كان كذلك فلا يبعد أن يقال: إنّ قوماً من النصارى ذهبوا إلى هذا القول، بل هذا أقرب ممّا يذهب إليه النصارى، وذلك لأنهم يقولون: أن أقنوم الكلمة اتّحد بعيسى عليه السلام فأقنوم الكلمة إمّا أن يكون ذاتاً أو صفة، فإن كان ذاتاً فذات الله تعالى قد حلّت في عيسى واتّحدت بعيسى فيكون عيسى هو الإله على هذا القول، وإن قلنا: إنّ الأقنوم عبارة عن الصفة، فانتقال الصفة من ذات إلى ذات أخرى غير معقول، ثم بتقدير انتقال أقنوم العلم عن ذات الله تعالى إلى عيسى يلزم خلو ذات الله عن العلم، ومن لم يكن عالماً لم يكن إلهاً، فحينئذٍ يكون الإله هو عيسى على قولهم، فثبت أنّ النصارى وإن كانوا لا يصرحون بهذا القول إلاّ أن حاصل مذهبهم ليس إلاّ ذلك»[١].

«وقد روي أنه لمّا رفع عيسى عليه السلام اجتمع طائفة من علماء بني إسرائيل فقالوا: ما تقولون في عيسى عليه الصلاة والسلام؟ فقال أحدهم: أو تعلمون أحداً يحيى الموتى إلاّ الله تعالى؟ فقالوا: لا، فقال: أو تعلمون أحداً يبرىء الأكمة والأبرص إلاّ الله تعالى؟ قالوا: لا، قالوا: فما الله تعالى إلاّ من هذا وصفه أي حقيقة الإلهيّة فيه، وهذا كقولك: الكريم زيد أي حقيقة الكرم في زيد، وعلى هذا قولهم: إنّ الله تعالى هو المسيح»[٢].

«قال ابن عباس هؤلاء نصارى نجران فإنهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبيّة والملكانيّة[٣] من النصارى لأنهم يقولون في المسيح إنه الله تعالى - تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً - ، وإنما قالوا هذه المقالة الخبيثة لأنهم يقولون بالحلول وأن الله حلّ في بدن عيسى، فلمّا كان إعتقادهم ذلك لا جرم حكم الله تعالى عليهم بالكفر.

﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾. ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا أن المسيح لو كان إلهاً كما يقولون لقدر على دفع أمر الله إذا أراد إهلاكه وإهلاك أمه ومن في الأرض جميعاً»[٤].

---

(١) انظر: التفسير الكبير، ج ١١، ص ١٩٠، ١٩١.

(٢) انظر: الإمام الألوسي (روح المعاني)، ج ٦، ص ٩٩.

(٣) للتعريف بهما: انظر ص ٢٦٠، ٢٦٢ من هذه الأطروحة.

(٤) انظر: تفسير الخازن، المجلّد الأول، ط دار المعرفة، ص ٤٤٨.

«ويملك» بمعنى يقدر من قولهم: ملكت على فلان أمره أي اقتدرت عليه، أي فمن يقدر أن يمنع من ذلك شيئاً؟ فأعلم الله تعالى أنّ المسيح لو كان إلهاً لقدر على دفع ما ينزل به أو بغيره، وقد أمات أمه ولم يتمكن من دفع الموت عنها، فلو أهلكه هو أيضاً فمن يدفعه عن ذلك أو يرده، والمسيح وأمه مخلوقان محدودان محصوران، وما أحاط به الحد والنهاية لا يصلح للإلهية»[1].

قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[2].

وفي هذه الآية يحكم المولى عزّ وجل باللفظ الصريح بكفر من يدعي أن في المسيح عليه السلام أي نسبة أو جزئية من الألوهية، وهل للألوهيّة أن تتجزأ؟! ويؤكّد الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة ـ أيضاً ـ أن من يشرك بالله فقد حرم الله عليه دخول الجنة، فما هو مصيره إذاً؟ إنّ مصيره ومأواه النار وبئس مثوى الكفار، والعياذ بالله.

يقول الإمام الفخر الرازي:

«قالوا: إنّ الله هو المسيح ابن مريم، وهذا قول اليعقوبيّة لأنهم يقولون: إنّ مريم ولدت إلهاً، ولعلّ معنى هذا المذهب أنهم يقولون: إنّ الله تعالى حلّ في ذات عيسى واتّحد بذات عيسى، ثم حكى تعالى عن المسيح أنه قال:

﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ وهذا تنبيه على الحجة القاطعة على فساد قول النصارى، وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام لم يفرّق بين نفسه وبين غيره في أنّ دلائل الحدوث ظاهرة عليه»[3].

يقول الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

«وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن بعض ما فتن به الإسرائيليين الذين أخبر عنهم أنهم حسبوا أن لا تكون فتنة يقول تعالى ذكره (أي معنى ذلك) فكان ممّا

---

(١) انظر: الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ٦، ص ١١٩.
(٢) سورة المائدة، الآية ٧٢.
(٣) التفسير الكبير، ج ١٢، ط ٢، ص ٥٩.
أيضاً: تفسير الخازن، المجلّد الأول، ط دار المعرفة، ص ١٨٢.

ابتليتهم واختبرتهم به فنقضوا فيه ميثاقي، وغيروا عهدي، الذي كنت أخذته عليهم بأن لا يعبدوا سواي، ولا يتخذوا رباً غيري، وأن يوحدوني وينتهوا عن طاعة عبدي عيسى ابن مريم، فإني خلقته وأجريت علي يده نحو الذي أجريت على يد كثير من رسلي، فقالوا كفراً منهم هو الله، وهذا قول اليعقوبيّة من النصارى ـ عليهم غضب الله ـ يقول الله تعالى ذكره (أي معنى ذلك) فلمّا اختبرتهم وابتليتهم بما ابتليتهم به أشركوا بي، وقالوا لخلقٌ من خلقي وعبد مثلهم من عبيدي وبشر نحوهم معروف نسبه وأصله مولود من البشر يدعوهم إلى توحيدي، ويأمرهم بعبادتي وطاعتي، ويقرّ لهم بأني ربه وربهم، وينهاهم عن أن يشركوا بي شيئاً هو إلههم جهلاً منهم بالله كفراً به ولا ينبغي لله أن يكون والداً ولا مولوداً، ويعني بقوله ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ يقول: إجعلوا العبادة والتذلّل للذي له بذل كل شيء وله يخضع كل موجود ربي وربكم يقول: مالكي ومالككم، وسيدي وسيدكم الذي خلقني وإياكم»[1].

وإذا كان القرآن الكريم قد أكّد بنصوص صريحه عدم إمكانية البشر التحدّث مع المولى عزّ وجل، وتكليمه إلاّ وحياً أو من وراء حجاب، أو بواسطة الرسول، وكذلك عدم إمكانية البشر لرؤية الحق سبحانه وتعالى في هذه الحياة الدنيا، فكيف يتسنى للمدعين إدعاء حلول الحق سبحانه وتعالى واتحاده في بشر من مخلوقاته؟!! فإذا لم يتمكن من تكليمه أو رؤيته فيمتنع إذاً حلوله فيه أو اتحاده به[2].

يقول الله تعالى:

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[3]

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾[4]

«فإن الله تعالى إذا لم يكلّم أحداً من الأنبياء إلا وحياً أو من وراء حجاب،

---

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، ط ١٤٠٧هـ، ص ٢٠٢.

(٢) انظر: ص ٤٠٥ من هذه الرسالة.

(٣) سورة الشورى، الآية ٥١.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

فالمسيح عيسى ابن مريم يجب أن لا يكلمه إلاّ وحياً، أو من وراء حجاب، أو يرسل إليه رسولاً، وهذا يعمّ كل البشر المسيح وغيره، وإذا امتنع أن يكلّمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب فامتناع أن يتحد به، أو يحل فيه أولى وأحرى فإن ما اتّحد به، وحلّ فيه كلمة من غير حجاب بين اللاهوت والناسوت، وهم قد سلموا أن الله لا يكلم بشراً إلاّ من وراء حجاب»[1].

«فتبيّن أنّ نفي الأنبياء لأن يراه المرء في الدنيا هو نفي لمماسته ببشر بطريق الأولى والأحرى، والناسوت المسيحي هو بشر فإذا لم يمكنه أن يرى الله، فكيف يمكنه أن يتحد به، ويماسه ويصير هو وإياه كاللبن والماء، والنار والحديد، أو كالروح والبدن؟

ومن المعلوم أنّ رؤية الآدمي له ـ سبحانه وتعالى ـ أيسر من اتحاده به، وحلوله فيه وأولى بالإمكان، فإذا كانت الرؤية في الدنيا قد نفاها الله ومنعها على ألسن رسله ـ عليهم السلام ـ فكيف يجوز اتصاله بالبشر واتحاده به»[2].

---

(١) انظر: شيخ الإسلام ابن تيميّة (الجواب الصحيح)، ج ٢، ص ١٦٦، ١٦٧.

(٢) المرجع السابق، ج ٢، ص ١٦٨.

المبحث الرابع

إبطال عقيدة الصلب والفداء عند النصارى

ويشتمل على ست مسائل:

المسألة الأولى: معنى الصلب والفداء.

المسألة الثانية: إقتباس النصارى لعقيدة الصلب والفداء من الوثنيات والفلسفات القديمة.

المسألة الثالثة: بولس ودوره في إدخال هذه العقيدة ضمن عقائد النصارى الحالية.

المسألة الرابعة: تناقض الأناجيل الأربعة في رواياتها لحادثة الصلب دليل على عدم صدقها.

المسألة الخامسة: إبطال عقيدة الصلب والفداء عقلاً.

المسألة السادسة: إبطال عقيدة الصلب والفداء نقلاً

أولاً: من القرآن الكريم.

ثانياً: من إنجيل برنابا.

ثالثاً: من الكتاب المقدّس.

المبحث الرابع:

إبطال عقيدة الصلب والفداء عند النصارى

المسألة الأولى:

معنى الصلب والفداء

«صَلَبَ يُصلبُ صلباً، صليب: صلب الضحية تعليقها على صليب تنفيذاً لحكم الإعدام فيها، وكان يتم ذلك بربط اليدين والرجلين به أو بصورة أفظع بتسمير الجسم بالمسامير عن طريق الأجزاء اللحميّة، وكانت طريقة القصاص هذه معروفة لدى أمم كثيرة.. وكثيراً ما كان يسبق الصلب تعذيب الضحية بالجلد، وللصلبان نماذج رئيسية ثلاثة: أحدها بشكل والثانية بشكل وثالثها بشكل»(١).

«ولمّا كان المسيح ـ باعتقاد النصارى مات صلباً أصبح الصليب علامة المسيحي وشعاره وهو رمز الحياة.. والظاهر من الآثار أنه لم يشع استعمال الصلبان في النصرانيّة إلاّ في القرن الثالث إما لأنهم كانوا يخافون أن يجاهروا بها، وإمّا لأنهم لم يكونوا اعتادوا تكريمها على ما هو جار في هذه الأيام.

وكانوا في القرون الأولى يأنفون من إظهار مثال السيد المسيح مصلوباً عليها ولا أثر قبل القرن الرابع والخامس يدلّ على أنهم مثّلوه معلقاً على الصليب»(٢).

ونعتقد أن السبب الحقيقي لعدم المجاهرة بالصليب في تلك القرون هو أنّ هذه العقيدة الباطلة لم تدخل بعد ضمن عقائد النصارى، ثم اقتبست من العقائد الوثنية القديمة وساهم في إدخالها ضمن عقائد النصارى بولس اليهودي كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى(٣).

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، ط ٦، ص ٥٤٥ـ ٥٤٦ باختصار.

(٢) انظر: دائرة المعارف للبستاني، ط دار المعرفة، ج ١١، ص ١١، ١٢، باختصار.

(٣) انظر: ص ٤٣٠.

معنى الفداء:

أما نظرية الفداء المسيحية، فيعتقد النصارى بأن المسيح صُلب فداءً للبشرية والتي تدنّست بذنب أبويهم المتوارث!! وهو الأكل من الشجرة المحرّمة (المنهي عنها) عندما كانا يسكنان الجنة، ولأنه من صفات الله تعالى العدل فلا بد وأن يعاقب ذريّة آدم عليه السلام ولأنه سبحانه وتعالى من صفاته الرحمة فلا بد وأن يرحمهم من العقاب ويغفر لهم هذا الذنب فكان لا بدّ للتوفيق بين صفتي العدل والرحمة أن يتجسّد ابنه الوحيد وتحبل به السيدة العذراء مريم ويولد ويكبر كسائر البشر ثم يصلب ليكفّر عن خطيئة البشر، وهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بها غفران ذريّة آدم وذنبهم الموروث، وبلا شكّ أنه إذا انتفى القول بالصلب انتفى القول بالفداء لأن ما بني على الباطل فهو باطل، وهذا ما سنثبته إن شاء الله تعالى في هذا المبحث.

يقول القس إبراهيم لوقا:

«إنّ المسيحية تعلم أنّ الله لكي يجمع بين عدله ورحمته في تصرفه مع الإنسان عقب سقوطه دبر طريقة فدائه بتجسّد ابنه الحبيب وموته على الصليب نيابة عنا، وبهذا أخذ العدل حقه، واكتملت الرحمة فنال البشر العفو والغفران وهذه هي نظرية الفدية»[١].

وفي الإنجيل المنسوب إلى مرقس: «لأنّ ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليُخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين»[٢].

«لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مؤمن به بل تكون له الحياة الأبديّة، لأنه لم يرسل ابنه إلى العالم ليديّن العالم بل ليخلص به العالم»[٣].

---

(١) انظر: المسيحية في الإسلام، ص ١٧١ نقلاً عن د/أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٥٥.

(٢) ١٠: ٤٥.

(٣) يوحنا ٣: ١٦ـ ١٧.

المسألة الثانية:

إقتباس النصارى لعقيدة (الصلب والفداء) من الوثنيات والفلسفات القديمة

ويظهر أنّ جميع عقائد النصارى الحالية قد إقتبست من الديانات الوثنيّة والفلسفات القديمة، وممّا يؤكّد هذا القول ما نقله مؤرخي وعلماء مقارنات الأديان عن مدى التشابه الكبير بين العقائد الوثنية وعقائد النصارى الحالية.

وبين يديّ الآن كتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانيّة) تأليف الأستاذ/ محمد طاهر التنير، وفيه يعقد عدة مقابلات ومقارنات في أدق العقائد عند النصارى وعند الوثنيين الذين سبقوهم بآلاف السنين كالبوذيين والفراعنة والفرس وغيرهم ليؤكّد حقيقة أن المقتبس والناقل عند التشابه البيّن هو اللاحق وليس السابق.

وسأنقل فيما يلي ما يخصنا في دراستنا هذه حول عقيدة الصلب والفداء النصرانيّة، ومدى الشبه الكبير بينها وبين العقائد الوثنية السابقة لها!!.

«وكان الوثنيون مقدمون البشر ذبيحة أيضاً والغالب عندهم تقديم الأرقاء والأسارى ذبيحة فداء عن الخطيئة وليس هذا فقط بل ونفس أولادهم، وكان الرومانيون واليونان يقدمون أنفسهم ذبيحة للآلهة استرضاء لها، وكانوا في مصر يقدمون من البشر ذبيحة وتمكّنت بهم هذه العادة الشريرة حتى أنهم صاروا يقدمون الإبن البكر من أحد العائلات الأتاناتيه ذبيحة، يأخذونه إلى هيكل في فستات في عالوس ويضعون على رأسه إكليلاً ثم يذبحونه قرباناً للآلهة كما تذبح الأنعام»(1).

«ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسّد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداءً عن الناس من الخطيئة»(2)

«ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصليّة، وممّا يدل على ذلك ما جاء في تضرعاتهم التي يتوسلون بها بعد الكياتري وهي إني مذنب ومرتكب الخطيئة وطبيعتي شريرة وحملتني أمي بالإثم فخلصني ياذا العين الحندقوقية(3) يا مخلّص

---

(1) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد طاهر التنير، تحقيق: محمد بن إبراهيم الشيباني، ط ١، الكويت، ص ٤٨، ٤٩.

(2) العلامة هوك من كتابه (رحلة هوك) المجلّد الأول، ص ٣٢٦، نقلاً عن الاستاذ التنير (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية)، ط ١، ص ٤٩.

(3) الحندقوقي والحندقوق بقله أو حشيشه كاللفت الرطب، انظر: لسان العرب، ج ١٠، =

الخاطئين يا مزيل الآثام والذنوب»[1].

«ويعتقد الهنود بأن كرشنا[2] المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو والذي لا ابتداء ولا انتهاء له على رأيهم تحرك حنواً كي يخلّص الأرض من ثقل حملها فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه»

قال العلامة القس جورج كوكس:

«ويصفون أي الهنود كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً لأنه قدم شخصه ذبيحة، ويقولون أن عمله هذا لا يقدر عليه أحد سواه»[3].

قال الموسيو كوينو ما نصه:

«يذكر الهنود موت كرشنا بأشكال متعددة أهمها أنه مات معلقاً على شجرة سُمر بضربة حربة»[4].

«والمقصود من الشجرة (الصليب) وأن المستر مور قد صوّر كرشنا مصلوباً كما هو مصور في كتب الهنود مثقوب اليدين والرجلين ومعلّق بقميصه صورة قلب الإنسان»[5]

«ومن الألقاب التي يدعى بها كرشنا الغافر من الخطايا والمخلّص من أفعى الموت، وقد صوّر الراهب جورجيوس الإله أندرا الذي يعبده أهالي النيبال مصلوباً كما يصورنه يوم عيدهم الذي يقع في شهر آب.

قال العلامة هيجين نقلاً عمّا كتبه أندرادا الكروزيوس وهذا المذكور أول أوروبي دخل بلاد النيبال والتيبت وقال عند تكلمه عن الإله أندرا الذي يعبدونه ويقولون أنه سفك دمه بالصلب وثقب المسامير كي يخلّص البشر من ذنوبهم: إن

= باب القاف فصل الحاء، ص ٧١.

أيضاً: منجد الطلاب، ط ١٠، ص ١٤٣.

(١) مرينور وليمس (الهنود) ص ٣٦ نقلاً عن الأستاذ التنيير (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية)، ص ٤٩.

(٢) للتعريف به انظر: هامش ص ٤٠١ من هذا البحث.

(٣) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٤) كوينو كتاب (الديانات القديمة) نقلاً عن المرجع السابق، نفس الصحيفة، ولم يذكر رقم الصحيفة التي نقل منها.

(٥) كتاب العلاّمة دوان ص ١٨٤ نقلاً عن المرجع السابق، ص ٤٩ـ ٥٠.

صورة الصلب موجودة في كتبهم والعلامة دوان قال: وفي جنوب الهند وتنجور وفي أيونديا يعبدون إلهاً صلب، اسمه (بالي) ويعتقدون بأنه فشنو[1] تجسد (أي ظهر بالناسوت) ويصورونه مثقوب الجنب واليدين»[2].

«ويعتقد البوذيون في بوذا[3] بأنه الطبيب العظيم ومخلّص العالم والممسوح والمسيح المولود الوحيد وغير ذلك وأنه قدّم نفسه ذبيحة ليكفّر آثام البشر ويجعلهم ورثاء ملكوت السموات، وبولادته ترك كافة مجده في العالم ليخلّص الناس من الشقاء والعذاب كما نذر»[4].

«ثم إنّ بوذا بنظر البوذيين إنسان وإله معاً وإنه تجسّد بالناسوت في هذا العالم ليهدي الناس ويفديهم ويبيّن لهم طريق الأمان، وهذا التجسّد اللاهوتي يعتقده كافة البوذيين كما يعتقدون أن بوذا هو مخلّص الناس»[5].

ويلاحظ القارىء الكريم كما نلاحظ أن هذا الإعتقاد كبير الشبه باعتقاد النصارى في المسيح عليه السلام وهذا يدلّ دلالةً كبيرة على إقتباسهم عقائدهم من هؤلاء الوثنيين.

«ويقول البوذيين ومن رحمته (أي بوذا) تركه للفردوس ومجيئه إلى الدنيا من أجل خطايا بني الإنسان وشقائهم كي يبررهم من ذنوبهم ويزيل عنهم القصاص الذي يستحقونه»[6].

«ويعدّ الفراعنة القدماء أوسيريس[7] أحد مخلصي الناس وأنه بسبب جده لعمل الصلاح يلاقي اضطهاداً وبمقاومته للخطايا يقهر ويقتل»[8].

ويحترم الفراعنة أوسيريس ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال

---

(١) هو أحد أقانيم الثالوث الهندي وللتعريف به انظر ص ٣٦٠، ٣٦١ من هذا البحث.
(٢) انظر: الأستاذ التنير (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية)، ط ١، ص ٥٠.
(٣) للتعريف به انظر هامش ص ٣٩٩، ٤٠٠ من هذه الأطروحة.
(٤) انظر: الأستاذ التنير (العقائد الوثنية)، ص ٥٠، ٥١.
(٥) انظر: (بيل) كتاب (تاريخ بوذا) ص ٣٣ نقلاً عن الأستاذ التنير (العقائد الوثنية)، ص ٥١.
(٦) انظر: (وليمس) كتاب المدعو (ديانة الهند) ص ٢١٤ نقلاً عن: الأستاذ التنير (العقائد الوثنية)، ص ٥١.
(٧) أحد أقانيم الثالوث الفرعوني القديم وللتعريف به، انظر ص ٣٥٩ من هذه الرسالة.
(٨) انظر: (بونوبك) من كتاب (عقيدة المصريين) ص ١٦٥ نقلاً عن (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية)، ص ٥٢.

الناس الحياة»[1].

ويقول الدكتور صابر جبره إنّ كلمة الحياة عند قدماء المصريين ترسم كما يرسم الصليب، وليس بعيداً إذاً أن يكون رسم الصليب مقتبساً من الفكر المصري، بمعنى نهاية الحياة أو الحياة التي تلي الصلب، ويقول كذلك. إن فكرة التثليث عند قدماء المصريين كانت نبوءة فطريّة للتثليث في المسيحية»[2].

«إنّ كثيراً من المفكرين يتجهون إلى أن الثالوث يرجع إلى خمسة عشر قرناً على الأقل قبل مولد المسيح، فقد وُجد في مصر في ذلك التاريخ، وتأثّر الفكر المسيحي بالفكر المصري وبخاصة بسبب قرب المسافة بين موطن الفكر الفرعوني والفكر المسيحي»[3].

«إنّ المسيحية كدين ليست بعيدة في أسسها عن العقائد المصرية القديمة، وهناك تشابه كبير بين الإثنين في كثير من الوجوه»[4].

ويقول أحد الباحثين في مقارنة الأديان:

«يسرني أن أسجّل أنه من بين المسيحيين الذي تعرضوا لكتابي هذا بالنقد والمناقشة، لا يوجد واحد عارض الحقائق التي ذكرتها به والتي قادتني إلى أن أقرّر أن أكثر تعاليم المسيحية الحالية مستعار من الوثنية»[5].

«وكان الفرس يدعون مترا[6] الوسيط بين الله والناس والمخلّص الذي بتألمه خلّص الناس ففدانهم ويدعونه الكلمة والفادي»[7].

ويقول أحد الباحثين الغربيين «إنّ ديانة متراس لم تنته في روما إلاّ بعد أن

---

(١) انظر: موري كتاب (الخرافات) ص ٢٨٤ نقلاً عن الأستاذ التنير (العقائد الوثنية)، ص ٥٢.
(٢) مجد الكتاب المقدس ص ١٠٣ نقلاً عن د/أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٧٣.
(٣) انظر: د/سامي جبره (في رحاب المعبودتوت)، ص ٢٤ نقلاً عن د/أحمد شلبي (المسيحية)، ص ١٧٣.
(٤) د/ محمد حماد (الفنون والطرز القبطية)، ص ٦، نقلاً عن د/ أحمد شلبي (المسيحية)، ص ١٧٤.
(٥) The Sources of Christianity p.15 نقلاً عن د/أحمد شلبي (المسيحية)، ص ١٧٦.
(٦) مترا أو مترات أو متراس أحد أقانيم ثالوث الفرس.
انظر: ص ٤٤٢ من هذه الرسالة.
(٧) انظر: الأستاذ التنير (العقائد الوثنية)، ص ٥٥.

انتقلت عناصرها الأساسيّة إلى المسيحية»[1].

«وإذا كانت ديانة متراس قد أمدت المسيحية بهذه التعاليم فإنّ ديانة بعل إله البابليين كانت معيناً للمسيحية في موضوع هام من موضوعاتها العاطفية ذلك هو قصة محاكمة عيسى وصلبه، وقد وضع البابليون قصة محاكمة بعل في تمثيلية مؤثرة كانت تمثل كل عام قبل مولد المسيح بقرون عديدة، وكانت تمثيلية حافلة بالغموض، وقد اكتشفت في مطلع هذا القرن بأرض بابل لوحتان يرجع تاريخهما إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وسُجلت عليها قصة محاكمة بعل ونهايته، وقد أخذ اليهود إلى سجن بابل منذ عهد بختنصر، وهناك رأوا هذه التمثيلية تعرض كل مطلع ربيع، وعندما عاد اليهود إلى ديارهم كانت هذه القصة عالقة بأذهانهم ومؤثرة في حياتهم، فانعكست على آدابهم وعلى حياتهم العامة وعقب نهاية المسيح ظهرت تمثيلية بعل بنفس عناصرها مع اسم جديد وضع مكان بعل وهذا الإسم هو المسيح، حتى ليمكن القول إن قصة صلب المسيح كما توردها الأناجيل هي قصة منتحلة تماماً، وفيما يلي بعض عناصر التشابه بين القصتين:

محاكمة بعل:

١ ـ أُخذ بعل أسيراً.

٢ ـ حوكم بعل علناً.

٣ ـ جرح بعل بعد المحاكمة.

٤ ـ أقتيد بعل لتنفيذ الحكم على الجبل.

٥ ـ كان مع بعل مذنب حكم عليه بالإعدام، وجرت العادة أن يُعفى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت، وقد طلب الشعب إعدام بعل والعفو عن المذنب الآخر.

٦ ـ بعد تنفيذ الحكم على بعل عمّ الظلام وانطلق الرعد واضطرب الناس.

٧ ـ حرس بعل في قبره حتى لا يسرق أتباعه جثمانه.

٨ ـ إلاهات جلسنّ حول مقبرة بعل يبكينه.

٩ ـ قام بعل من الموت وعاد إلى الحياة مع مطلع الربيع وصعد إلى السماء.

---

(١) انظر: Repertson Ibid: 350 نقلاً عن د/أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٧٨.

محاكمة عيسى:

١ ـ أخذ عيسى أسيراً.

٢ ـ وكذلك حوكم عيسى.

٣ ـ اعتدى على عيسى بعد المحاكمة.

٤ ـ أقتيد عيسى لصلبه على الجبل.

٥ ـ وكان مع عيسى قاتل اسمه باراباس محكوم عليه بالإعدام، ورشح بيلاطس عيسى ليُعفى عنه كالعادة كل عام، ولكن الهيود طلبوا العفو عن باراباس وإعدام عيسى.

٦ ـ عقب تنفيذ الحكم على عيسى زلزت الأرض واظلمت السماء.

٧ ـ وحرس الجنود مقبرة عيسى حتى لا يسرق حواريوه جثمانه.

٨ ـ مريم المجدليّة ومريم أخرى جلستا عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه.

٩ ـ قام عيسى من مقبرته في يوم أحد وفي مطلع الربيع أيضاً وصعد إلى السماء»[1].

وممّا يظهر جلياً للقارىء الكريم مدى التشابه الكبير بين القصتين السابقتين حتى يمكن الجزم بأنّ إحداهما نسخة طبق الأصل من الأخرى وهذه هي الحقيقة، فالمسيحيون نقلوا واقتبسوا قصة الصلب والفداء من الأساطير الوثنيّة القديمة من بوذية وبابلية وفرعونيّة فهي الأسبق بعدة قرون من وجود المسيح عليه السلام[2].

«وعبد المكسيكيون إلهاً مصلوباً دعوه المخلص والفادي ويدعونه ابن الله بلغتهم «باكوب» و «أبوكو» ولو لم يحرق الأسبانيون كتب سكان المكسيك والبيرو ويخربون هياكلهم وينحتون تصاويرهم ورسومهم لعلمنا عنهم أكثر ممّا نعلم الآن بكثير، ولولا النزر القليل الذي سلّم من يد الأسبانيين الظالمة لما علمنا أنهم كانوا

---

(١) Khwaja Kamal- Ud-din: the Seurces of Christianty pp.44-49
نقلاً عن: د/أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٧٩، ١٨٠.

(٢) وقد عقد كل من الدكتور/أحمد شلبي في كتابه (المسيحية)، والأستاذ محمد طاهر التنير في كتابه (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) الكثير من المقارنات والمقابلات بين العقائد الوثنية وعقائد النصارى الحالية تجاوزناها خشية الإطالة، فمن أراد التوسع فليرجع إلى هذين الكتابين.

يعبدون إلهاً صلب فداءً عن الخطيئة، وأنهم كانوا يدعونه ابن الله الفادي»[١].

«ولا تكتفِ المسيحية باقتباس الأحداث وإنما اقتبست أيضاً الأيام والتواريخ، فمولد عيسى وصلبه وعودته للحياة تقع في أيام تتّفق تماماً مع أحداث وثنيّة ترتبط بمثل هذه الأيام»[٢].

المسألة الثالثة:

بولس ودوره في إدخال (عقيدة الصلب والفداء) ضمن عقائد النصارى الحالية

تجمع المراجع الموثوق بها على أنّ لبولس دوراً كبيراً وخطيراً في تحريف وتبديل المسيحية الأصلية[٣] ومن تحريفاته تلك إدخاله عقيدة الصلب والفداء ضمن عقائد النصارى الحاليّة، ولا يخفى ما لبولس «شاؤول اليهودي»[٤] من دور كبير في ذلك بحيث ينسب له جزء كبير من العهد الجديد يحتوى على ١٤ رسالة تحتوي على ١٠٠ اصحاح.

---

(١) انظر: محمد التنير (العقائد الوثنية)، ص ٥٥، ط ١.

(٢) انظر: The sources of Christianity p.x نقلاً عن د/ أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٨٤.

(٣) ويدلّ على ذلك ما يأتي:

١ ـ أنه كان يهودياً من فرقة الفريسيين اليهودية المعروفين بأنهم ألد أعداء المسيح عليه السلام ـ انظر سفر الأعمال ٢٢: ٤

٢ ـ انتسابه إلى الرومان الوثنيين أحياناً إذا خاف على نفسه من العقاب «سفر الأعمال ٢٢: ٢٥ ـ ٢٩».

٣ ـ اضطهاده الشديد للمسيحيين قبل دخوله المسيحيه، وهذا يدل دلالة قاطعة على أنه ليس من تلاميذ المسيح ولا من أنصاره، بل إنه لم يره أو يسمع منه «سفر الأعمال ٨: ١ـ ٣» أيضاً«٩: ١ ـ ٣».

٤ ـ التحول المفاجيء والغريب من الإضطهاد الشديد للمسيحيين إلى كونه رسولاً بل مصدراً للوحي والشرع أحياناً!!

«سفر الأعمال ٩: ٣ـ ٦»

انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (رسالة ماجستير) للباحثة، ص ٧٥ـ ٧٩ بتصرف واختصار.

(٤) للتعريف به، انظر ص ٢٥، ٢٦ من هذا البحث.

يقول بولس في رسالته إلى أهل غلاطيه:

«أيها الغلاطيون الأغبياء من رقاكم حتى حتى لا تذعنوا للحق أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً»(١).

وفي رسالته هذه يقول أيضاً:

«وأمّا من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلاّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم»(٢).

ويقول في رسالته إلى أهل كولوسي:

«شاكرين الآب الذي أهلنا لشركة ميراث القديسين في النور، الذي انقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته، الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا»(٣).

ويقرّر كذلك في رسالته إلى أهل كورنثوس حيث يقول:

«إني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلاّ يسوع المسيح وإياه مصلوباً»(٤).

ويعلّل (ول ديورانت)(٥) لإدخال بولس عقيدة الصلب والفداء ضمن عقائد النصارى الحاليّة فيذكر أنه قد تأثر بالفلسفة الأفلاطونية وكذلك بالسنّة اليهودية والوثنية، وأنّه قد أنشأ لاهوتا ليس له إلاّ أسانيد غامضة يقول:

«وقد أنشأ بولس لاهوتاً لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح وكانت العوامل التي أوحت اليه بالأسس التي أقام عليها ذلك اللاهوت هي إنقباض نفسه وندمه، والصورة التي استحال إليها المسيح في خياله، ولعلّه قد تأثّر بنبذ الأفلاطونية والرواقية للمادة والجسم، واعتبارها شراً وخبثاً، ولعلّه تذكر السنّة اليهوديّة والوثنيّة سنة التضحية والفدائية للتكفير عن خطايا الناس: أمّا هذه الأسس فأهمها أن كل ابن انثى يرث خطيئة آدم ولا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته، وتلك فكرة كانت أكثر قبولاً لدى الوثنيين

---

(١) ٣: ١.
(٢) ٦: ١٤.
(٣) ١: ١٢ـ ١٤.
(٤) ٢: ٢.
(٥) للتعريف به، انظر هامش ص ٤٣ من هذه الرسالة.

منها لدى اليهود، ولقد كانت مصر وآسيا الصغرى، وبلاد اليونان تؤمن بالآلهه من زمن بعيد، تؤمن بأوزوريس، وأشيس وديونيش التي ماتت لتفتدي بموتها بني الإنسان، وكانت ألقاب مثل سوتر (المنقذ) واليوثريوس (المنجي) تطلق على هذه الآلهة، وكان لفظ كريوس (الرب) الذي سمّى به بولس المسيح هو اللفظ الذي تطلقه الطقوس اليونانية السورية على ديونيشس الميت المفتدى، ولم يكن في وسع غير اليهود من أهل أنطاكيا وسواها من المدن اليونانية، الذين لم يعرفوا عيسى بجسمه، أن يؤمنوا به إلاّ كما آمنوا بآلهتهم المنقذين»[1].

وها هو أحد كبار علماء المسيحيين والباحثين يعترف بأن بولس قد نقل إلى المسيحية الكثير من أفكار زمانه ومصطلحاته، وأنه هو الذي قال بأن المسيح ابن الله نزل ليقدم نفسه قرباناً، ويصلب عن خطيئته البشر يقول: ويلز H. G. wiles. «بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة وهو لم يرَ عيسى ولا سمعه، وكان إسمه في الأصل شاول وكان من مضّطهدي المسيحيين، ثم اعتنق المسيحية فجأة وغيّر اسمه إلى بولس، وكان شديد الإهتمام بعقائد زمانه، فنقل إلى المسيحية كثيراً من أفكارهم، ومن ذلك قوله: إنّ المسيح ابن الله. نزل ليصلب ويفدي البشرية، وذلك مثل الضحايا القديمة أيام الحضارات البدائية، وقد صادفت فكرة ألوهية المسيح أرضاً خصبة في عقول الذين لهم معرفة بالفلسفات التي سبقت المسيحية، وساعد على هذا ما صادفه المسيحيون من الاضطهادات المدمّرة، والتي استمرّت أكثر من ثلاثة قرون حتى سنة ٣١٣م»[2].

---

(١) قصة الحضارة، ج ٣، (١١)، ط ٣، ص ٦٢٣، ٢٦٤.

(٢) نقلاً عن محمد عزت الطهطاوي (النصرانية والإسلام)، ص ٢٦١- ٢٦٢.

المسألة الرابعة:

تناقض الأناجيل الأربعة في رواياتها لحادثة الصلب دليل على عدم صدقها وصحتها.

وممّا يظهر لأدنى ذي لب أنه عندما يتحدث شخص ما ويظهر من أقواله تناقضها وتضاربها، فيستدلّ من ذلك على كذبه وافترائه فيما يدّعي ويقول. . إذ أن التناقض والإضطراب في الأقوال دليل على عدم صحتها وبعدها عن الحقيقة والمصداقية.

والأدلّة التي يتمسّك بها المسيحيون على عقائدهم عامة وعقيدة الصلب خاصة هي روايات الأناجيل الأربعة المعتمدة حالياً عند النصارى، وإذا ثبت تناقض هذه الروايات واختلاف نصوصها ثبت عدم صحتها وعدم حجيّة الاستدلال بها أي أنها ليست وحياً من الله تعالى كما يعتقدون.

وفيما يلي أهم النصوص التي يستدلّ بها المسيحيون على حادث الصلب والفداء، ويظهر للباحث المنصف تناقضها وتضاربها ـ فيما بينها ـ واضحاً وجلياً.

أولاً: الحديث عن خوف يسوع وهلعه عندما قربت ساعة الأجل، ففي الأناجيل المنسوبة إلى متى ومرقص ولوقا تصور وتصف المسيح عليه السلام بشدة هلعه وخوفه من دنو أجله لدرجة أنه جثا على ركبتيه، وأخذ يدعو الله أن يجيز عنه كأس الموت، بينما يناقض الإنجيل المنسوب إلى يوحنّا الأناجيل الثلاثة السابقة وينصّ على أن المسيح أمر يهوذا الخائن أن يعجّل بخيانته، وأن يقوم بما يريد القيام به أكثر سرعة!!

يقول مؤلف إنجيل متى:

«حينئذٍ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جشيماني فقال للتلاميذ إجلسوا هنا حتى أمضي وأصلي هناك، ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب، فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا ها هنا واسهروا معي، ثم تقدم قليلاً وخرّ على وجهه وكان يصلي قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبّر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت»[1].

---

(١) ٢٦: ٣٦ـ ٣٩.

وقد أتى مرقس[1] ولوقا[2] بنفس المعنى السابق، أمّا نص الإنجيل المنسوب إلى يوحنا فهو كما يلي:

«.. فغمس اللقمة، وأعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطي، فبعد اللقمة، دخله الشيطان، فقال له يسوع: ما أنت تعمله فأعمله بأكثر سرعة..»[3].

ويظهر للقارىء الكريم التناقض والإختلاف جلياً بين مؤلفي الأناجيل الثلاثة، وبين إنجيل يوحنّا وهذا - بدون شك - يدلّ على عدم صحة هذه الروايات، وبالتالي عدم حجيتها على عقيدة الصلب والفداء.

وتعليقاً على نصوص مؤلفي الأناجيل الثلاثة نذكر: أن التاريخ العام - كما هو معلوم - يقصّ علينا قصص الكثيرين ممن كانوا يتحملون صنوف العذاب حتى يهلكون دون أن يظهر منهم أي تردّد أو ندم في سبيل المبدأ الذي يعتنقونه أياً كان، وما أكثرهم في الإسلام، فمن أولئك بلال بن رباح، وآل ياسر - رضي الله عنهم أجمعين - الذين تحملوا صنوف العذاب في سبيل الحفاظ على عقيدتهم، فكيف يدعي كتبة الأناجيل أنّ المسيح - عليه السلام - وهو النبي الكريم في عُرف المسلمين، بل وفيمن يزعمون أنه الإله وابن الإله - تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً - فكيف يدعي أولئك الكتبة أنه وجل لدرجة أنه جثا على ركبتيه داعياً وملتمساً من الآب أن ينجيه من الهلاك ويجيز عنه كأس الموت[4]؟!!

ثانياً: التناقض والإختلاف بين نصوص الأناجيل الثلاثة (متى، ومرقس، ولوقا) من جهة، وبين رواية مؤلّف إنجيل يوحنا من جهة أخرى في السبب المباشر الذي حدا برؤساء الكهنة والكتبة في التحرّك ضدّ يسوع والقبض عليه وصلبه كما يزعمون.

ففي الإنجيل المنسوب إلى متى:

«ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام، وقال لهم: مكتوب بيتي بيت الصلاة وأنتم جعلتموه مغارة لصوص»[5]

---

(١) ١٤: ٣٤ـ ٣٦.
(٢) ٢٢: ٤١ـ ٤٤.
(٣) ١٣: ٢٦ـ ٢٧.
(٤) انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة (رسالة ماجستير) للباحثة، ص ٢٧٦.
(٥) ٢١: ١٢ـ ١٣.

«ولمّا سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلّم عليهم، وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبي»[١].

أمّا في رواية مرقس:

«وجاءوا إلى أورشليم، ولمّا دخل يسوع الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة، وكراسي باعة الحمام، ولم يدعِ أحداً يجتاز الهيكل بمتاع، وكان يعلم قائلاً لهم أليس مكتوباً بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص، وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة فطلبوا كيف يهلكونه لأنهم خافوه إذ بهت الجمع كله من تعليمه»[٢].

وكذلك رواية مؤلف إنجيل لوقا أتت بنفس المعنى[٣].

إذاً يفهم من الروايات الثلاثة أنّ السبب المباشر في القبض على يسوع وصلبه ـ كما يدّعون ـ هو دخوله إلى الهيكل وما قام به من أعمال فيه من إخراج للبائعين والمشترين، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام وعدم السماح لذي متاع بأن يجتاز الهيكل، كما تضيف الروايات بأنّ هذه الأعمال قد ألبت عليه قلوب الكهنة ورؤساء الكتبة، فأخذوا يفكرون كيف ينتقمون منه بإهلاكه.

أما مفاد نص إنجيل يوحنا فإنّ السبب المباشر للقبض على يسوع وصلبه ـ على زعمهم ـ هو إحياؤه رجلاً قد مات وأنتنّ، وهذا الرجل يدعى لعازر، بعد ذلك جمع رؤوساء الكهنة والفريسيون مجمعاً وأخذوا يتشاورون ليقتلوه خوفاً من أن يؤمن به الجميع لما كان يصنع من معجزات. وبذلك يظهر للقارىء الكريم التناقض والإختلاف واضحاً وجلياً بين آراء مؤلفي الأناجيل مما يشكك في صدق وصحة هذه الروايات فهي إذاً ليست دليلاً يعتمد عليه على عقيدة الصلب والفداء وبقيّة العقائد المسيحية.

وفيما يلي نص مؤلف إنجيل يوحنا:

«فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً، ورفع يسوع عينيه إلى فوق، وقال: أيها الأب أشكرك، لأنك سمعت لي، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع

---

(١) متى ٢١: ٤٥ـ ٤٦.
(٢) ١١: ١٥ـ ١٨.
(٣) ١٩: ٤٥ـ ٤٨.

لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني، ولمّا قال هذا صرخ بصوت عظيم: لعاذر هلمّ خارجاً، فخرج الميت ويداه ورجلاه بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل، فقال لهم يسوع: حلوه ودعوه يذهب.

فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم، ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به، وأمّا قوم منهم فمضوا إلى الفريسيين، وقالوا لهم عمّا فعل يسوع، فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً وقالوا: ماذا نصنع فإنّ هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة، إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به، فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا»[١].

«فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه»[٢].

ويعلّق الدكتور محمد علي زهران على هذا الإختلاف والتناقض فيقول:

«ولكن التناقض الذي لا يمكن رفعه هو الخلاف في سبب القبض عليه، فإنه عند الرابع قصة لعازر، وعند الثلاثة حادث الهيكل!.

وإنما قاموا بعمليّة قبض واحدة، أسلموا المقبوض عليه فيها للمحاكمة والصلب، فأمّا أن يكون السبب هذا أو ذاك، أو يكون هناك مسيحيان، للرابع واحد، وللثلاثة الآخر، لاختلاف السببين، أو يكون المقبوض عليه واحداً، قبض عليه مرتين»[٣]!!

ثالثاً: وممّا يدلّ على عدم صحة وحجية أناجيل النصارى المعتمدة في رواياتها لحادث الصلب - بل وفي جميع رواياتها - تناقضها أثناء رواياتها لصلاة المسيح الأخيرة ليلة القبض عليه ثم صلبه - كما يزعمون - وذلك على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: لـ (متى ومرقس) حيث تفيد روايتيهما على أنّ المسيح أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنّا (ابني زبدي) وأمر بقية التلاميذ بالإنتظار، ثم ذهب مع الثلاثة لأداء الصلاة.

وفيما يلي نص متى..

«حينئذٍ جاء معه يسوع إلى ضيعة يقال لها: جشيماني[٤] فقال للتلاميذ:

---

(١) ١١: ٤١- ٤٨.

(٢) يوحنا: ١١: ٥٣.

(٣) إنجيل يوحنا تاريخاً وموضوعاً (رسالة دكتوراه)، ص ٥٢٠.

(٤) كلمة آرامية معناها «معصرة الزيت» وكان بستاناً فيه أشجار الزيتون ومعصرة لعصره، وهو يقع شرق أورشليم فيما وراء وادي قدرون قرب سفح جبل الزيتون، وكان المسيح =

إجلسوا هاهنا حتى أمضي وأصلي هناك، ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي، وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا هنا، واسهروا معي، ثم تقدم قليلاً وخرّ على وجهه وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذا الكأس»[1].

وأتى مؤلّف إنجيل مرقس بالمعنى ذاته[2].

الرأي الثاني: لمؤلّف إنجيل، لوقا ومفاد نصه أنّ المسيح عليه السلام أمر تلاميذه بالصلاة، وابتعد عنهم نحو رمية حجر، وكان منفرداً في صلاته ولم يشاركه منهم في صلاته الأخيرة هذه أحد، وكما هو واضح فقد خالف الرواية السابقة.

وفيما يلي نصّ مؤلف إنجيل لوقا:

«وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون، وتبعه أيضاً تلاميذه ولما صار إلى المكان قال لهم: صلوا لكي لا تدخلوا في تجربه، وانفصل عنهم نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه، وصلى قائلاً: يا أبتاه، إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك»[3].

الرأي الثالث: لمؤلف إنجيل يوحنّا، فإن رواية نصه تختلف عن الروايتين السابقتين إذ أنّ روايته تفيد أن المسيح عليه السلام إجتمع بتلاميذه، ولم ينفصل عنهم لا لصلاة ولا لغيرها.

وها هو نص مؤلف إنجيل يوحنّا:

«قال يسوع هذا، وخرج مع تلاميذه إلى عبر وادي قدرون، حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه، وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع، لأن يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه، فأخذ يهوذا الجند، وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاءوا إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح، فخرج يسوع، وهو عالم بكل ما يأتي عليه»[4].

= يتردّد عليه كثيراً طلباً للعزلة وترويح النفس، وهو الآن مكان مقدس لأنه كان مكان ألمه وتسليمه والقبض عليه (كما يزعمون).

انظر: قاموس الكتاب المقدّس لنخبة من ذوي الاختصاص، ط ٦، ص ٢٤٩.

(١) ٢٦: ٣٦ـ ٣٩.

(٢) ١٤: ٣٢ـ ٣٦.

(٣) ٢٢: ٣٩ـ ٤٢.

(٤) ١٨: ١ـ ٤.

رابعاً: وقد اختلفت أناجيل النصارى ـ أيضاً ـ في كيفيّة القبض علي المسيح ـ كما يدعون ـ على روايات ثلاث:

الرواية الأولى: لمؤلفي متى ومرقس ومفادها أن يهوذا الاسخريوطي قبّل المسيح عند القبض عليه كعلامة الكهنة لرؤساء الكهنة والكتبة بأن الذي قبّله هو المسيح عليه السلام.

وفيما يلي نصّ مؤلف إنجيل مرقس:

«وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من الإثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ، وكان مسلمة قد أعطاهم علامة قائلاً الذي أقبله هو هو أمسكوه وأمضوا به بحرص، فجاء للوقت وتقدم إليه قائلاً يا سيدي يا سيدي وقبله، فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه، فاستلّ واحد من الحاضرين السيف وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه.

فأجاب يسوع وقال لهم كأنه على لصٍ خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني، كل يوم كنت معكم في الهيكل أُعلم ولم تمسكوني، ولكن لكي تكمل الكتب، فتركه الجميع وهربوا، وتبعه شاب لابساً إزاراً على عربة فأمسكه الشبان، فترك الإزار وهرب منهم عرياناً.

فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة»[١].

وقد وافقه متى في ذلك[٢].

الرواية الثانية: لمؤلّف إنجيل لوقا ومفاد نصه: أن يهوذا الاسخريوطي لم يقبل المسيح بالفعل كعلامة بأنه هو المسيح للقبض عليه، وإنما كان على وشك ذلك ولكنه لم يفعل..

وها هو نص مؤلف لوقا:

«وبينما هو يتكلم إذا جمع والذي يدعى يهوذا أحد الاثني عشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبله، فقال له يسوع يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الإنسان»[٣] .. «فأخذوه

---

(١) ١٤: ٤٣ـ ٥٣.

(٢) ٢٦: ٤٧ـ ٥٤.

(٣) ٢٢: ٤٧ـ ٤٨.

وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة»[1].

الرواية الثالثة: لمؤلف إنجيل يوحنّا، وكما يتّضح من نصه أنه لم يذكر أي شيء عن هذه القبلة، بل ذكر أموراً أخرى لا توجد في الأناجيل.

وفيما يلي نصّ يوحنّا:

«فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح، فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم من تطلبون أجابوه يسوع الناصري، قال له يسوع أنا هو، وكان يهوذا مسلمه أيضاً واقفاً معهم، فلمّا قال لهم إني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض، فسألهم أيضاً من تطلبون، فقالوا يسوع الناصري، أجاب يسوع قد قلت لكم إني أنا هو، فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون، ليتم القول الذي قاله إنّ الذين أعطيتني لم أهلك منهم أحداً.

ثمّ إنّ سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى وكان اسم العبد ملخس، فقال يسوع لبطرس اجعل سيفك في الغمد، الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها.

ثمّ إنّ الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه»[2].

خامساً: إختلاف الأناجيل فيما بينها فيمن هو الشخص الذي تبع المقبوض عليه وهو المسيح عليه السلام ـ في زعمهم ـ على ثلاث روايات:

الرواية الأولى: لمؤلفي إنجيلي متى ولوقا ومفادها أنّ بطرس وحده هو الذي تبع المسيح عند القبض عليه.

وفيما يلي نص مؤلف إنجيل متى:

«حينئذٍ تركه التلاميذ كلهم، وهربوا والذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ وأمّا بطرس فتبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة فدخل إلى داخل، وجلس بين الخدام لينظر النهاية»[3].

وأتى لوقا بنفس المعنى تقريباً[4]

---

(١) ٢٢: ٥٤.

(٢) ١٨: ٣ـ ١٢.

(٣) ٢٦: ٥٦ـ ٥٨.

(٤) ٢٢: ٥٤ـ ٥٥.

وأمّا الرواية الثانية: وهي لمؤلف إنجيل مرقس ومفادها أنّ بطرس لم يكن وحده هو الذي قد تبع المسيح، وإنما هناك شاب آخر قد تبعه وفيما يلي نص مرقس:

«فتركه الجميع وهربوا وتبعه شاب لابساً إزاراً على عربة، فأمسكه الشبان، فترك الإزار وهرب منهم عرياناً، فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة، فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة، وكان قد تبعه من بعيد إلى داخل رئيس الكهنة، وكان جالساً بين الخدام يستدفىء عند النار»[١].

والرواية الثالثة: لمؤلف إنجيل يوحنّا مفاد نصّه أن هناك شخصاً آخر مع بطرس تبعا المسيح ولكن هذا الشخص لم يهرب كما هرب الشاب ـ حسب رواية مرقس السابقة ـ بل كان معروفاً لدى رئيس الكهنة بحيث استطاع التوسّط لبطرس في الدخول.

وفيما يلي نصّ مؤلف إنجيل يوحنا:

«وكان سمعان بطرس، والتلميذ الآخر يتبعان يسوع، وكان ذلك التلميذ معروفاً عند رئيس الكهنة، فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة، وأما بطرس، فكان واقفاً عند الباب خارجاً، فخرج التلميذ الآخر الذي كان معروفاً عند رئيس الكهنة، وكلّم البوابة، فأدخل بطرس»[٢].

ويلاحظ القارىء الكريم تباين وتضارب الروايات الثلاث فيما بينها.

سادساً: الاختلاف في استجواب المسيح ـ كما يزعمون ـ ومحاكمته على روايتين:

فيروي مؤلفو متى مرقس ولوقا أنّ المسيح عند استجوابه أثناء محاكمته لم يزد على قوله «أنت تقول» فقط وتختلف هذه الرواية عن رواية إنجيل يوحنّا حيث كان مفادها أن المسيح قام بمجادلة الوالي الروماني ومناقشته حتى قام الوالي بالخروج تاركاً المسيح!!

وفيما يلي أنقل نص مؤلف إنجيل متى:

«فوقف يسوع أمام الوالي قائلاً أأنت ملك اليهود؟ فقال له يسوع: أنت

---

(١) ١٤: ٥٠ـ ٥٤.
(٢) ١٨: ١٥ـ ١٦.

تقول، وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب عليه بشيء، فقال له بيلاطس: أمّا تسمع كم يشهدون عليك؟ فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجّب الوالي جداً»[1].

وقد وافقه مرقس[2] ولوقا[3] في روايته.

وفيما يلي نص مؤلف إنجيل يوحنّا:

«ثم دخل بيلاطس أيضاً إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له أنت ملك اليهود، أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني، أجابه بيلاطس ألعليّ أنا يهودي. أُمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليّ، ماذا فعلت، أجاب يسوع مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتي من هنا، فقال له بيلاطس أفأنت إذاً ملك، أجاب يسوع أنت تقول إني ملك، لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق كل من هو من الحق يسمع صوتي، قال له بيلاطس ما هو الحق؟ ولما قال هذا خرج أيضاً إلى اليهود وقال لهم أنا لست أجد فيه علّة واحدة»[4].

«والمرء إذ يطالع كل ذلك في الأناجيل الثلاثة يأخذه العجب، فها هما ذا إنجيلان يؤكدان أن كل ما قاله هذا الذي يحاكم على أنه المسيح لبيلاطس «أنت تقول» ويحاول بيلاطس بعد ذلك أن يتحدث معه فلا يجيبه ولا عن كلمة واحدة، ويؤكّد الإنجيلان سكوته على هذا النحو بأن يضيفا أنّ الوالي تعجّب لذلك جداً، ولكن الإنجيل الأخير لا يقول بذلك، بل يقول أنه أخذ يردّ على بيلاطس ويناقشه في كل ما يقول، ويدور بينهما حديث لا ينتهي إلاّ بأن يخرج بيلاطس بعد ذلك لليهود تاركاً المسيح، ويحسبون المسيح قد سكت ولم يجب الوالي عن كلمة واحدة حتى أثار ذل السكوت منه عجب الوالي جداً، وأن يكون في نفس الوقت لم يسكت على الإطلاق بل أخذ يناقش الوالي في كل ما يقوله، إن هذا هو المستحيل عينه للعقل، وإنّ هذا ليقطع أن في القليل إحدى الروايتين غير صحيحة

---

(١) ٢٧: ١١ـ ١٤.
(٢) ١٥: ٢ـ ٥.
(٣) ٢٣: ١ـ ٣.
(٤) يوحنا ١٨: ٣٣ـ ٣٨.

على الإطلاق»[١].

سابعاً: الإختلاف والتضارب فيمن حمل الصليب إلى موضع الصلب اختلفت الأناجيل ـ أيضاً ـ على روايتين:

الرواية الأولى: من الأناجيل «متى ومرقس ولوقا» وقد ذكروا بأن حامل الصليب هو رجل قيرواني يُدعى سمعان.

وفيما يلي نص الأنجيل المنسوب إلى متى:

«وفيما هم خارجون وجدوا إنساناً قيروانياً إسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه»[٢].

ووافقه مرقس[٣] ولوقا[٤].

الرواية الثانية: لمؤلف إنجيل يوحنا ومفاد نصّه أن المسيح هو نفسه الذي حمل صليبه إلى موضع الصلب، وبالطبع لا يمكن الجمع بين هاتين الروواينين، كما لا يمكن الترجيح بدون مرجح.

وفيما يلي نص إنجيل يوحنا:

«فأخذوا يسوع ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له الجمجمه ويقال له بالعبرانية جلجثة، حيث صلبوه..»[٥].

وهذه الرواية هي عكس ما اتفق عليه البشيرون الثلاثة حيث نفهم من روايتهم أن من ظنوا أنه المسيح منذ أن خرج من دار الولاية إلى حيث صلب، لم يحمل صليبه بل سخّر لحمله رجل قيرواني يدعى سمعان حمل الصليب وسار به خلفه حتى مكان صلبه، أما يوحنا البشير فيذكر لنا أن من ظنوا أنه المسيح هو الذي حمل الصليب منذ خروجه وحتى مكان صلبه، ومحال أن تكون كلا الروايتين صحيحة، وفي القليل فإن إحداهما على الأقل ليست صحيحة»[٦].

---

(١) انظر: منصور حسين عبد العزيز (دعوة الحق)، ط دار الاعتصام، ص ٣٢٨.
(٢) ٢٧: ٣٢.
(٣) ١٥: ٢٠ـ ٢٢.
(٤) ٢٣: ٢٦.
(٥) ١٩: ١٦ـ ١٨.
(٦) انظر: الأستاذ منصور حسين عبد العزيز، (دعوة الحق)، ص ٣٢٩.

المسألة الخامسة:

إبطال عقيدة الصلب والفداء عقلاً

وهذه العقيدة (عقيدة الصلب والفداء) تناقض العقل والمنطق والفطرة السليمة ـ كما سيتّضح فيما بعد ـ وعقائد النصارى الحالية عامة تناقض العقل والمنطق والمعقولية ـ كما اتّضح فيما سبق ـ وكذلك فإن عقائد النصارى تتناقض فيما بينها ـ إذ كيف فيمن يعتقدون بأنه إله عظيم متعالي ذي الجاه والسلطان الكبير المستحق للطاعة والعبوديّة.. كيف بهذا الإله أن يتجسّد ويُحبل به ويُولد كما يولد البشر طفلاً ثم يكبر ويترعرع كالبشر تماماً، ثم يحدث له ما لم يحدث لأتفه الخلق من تمكن اليهود منه وضربه وجلده وإهانته، وشتمه، والبصق عليه، ثم تنتهي حياته بالعذاب الأليم ليموت مصلوباً، وذلك فداءً عن الخليقة في إثم لم يرتكبوه هم، بل ارتكبه أبوهم الأول بأكله من الشجرة المحرّمة، ثم يموت فداءً عن الخليقة الذين لا يعدّون أن يكونوا عباداً له وخلق من مخلوقاته؟!!

والمسيحيون يحاولون التعليل لذلك: «بأن الله تعالى من صفاته العدل والرحمة فبمقتضى عدله لا بدّ من أن يعاقب آدم وذريته لتلك الخطيئة، وبمقتضى رحمته لا بدّ أن يعفو عنهم، لذلك فإنه لا يمكن تخليص البشر من ذنبهم المتوارث إلاّ بنزول إبنه الوحيد وتجسّده ليصلب ويتألم ويفدي البشر»[1]!!

وفي الحقيقة أنّ هذه العقيدة لا تستحق المناقشة، ففسادها بيّن، والعقل السليم يرفضها، فإذا كان الله محبه لم ترك بني آدم هذه الفترة الطويلة من غير أن يغفر لهم ويكفّر خطيئتهم؟ وإذا كان الآب عادلاً فكيف يعاقب الذريّة من آدم إلى المسيح عليهم السلام بالبعد عن رحمته؟ وما ذنب الأبناء في إثم ارتكبه أبوهم؟

قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2].

---

(١) انظر: الإنجيل والصليب للأستاذ عبد الأحد داوود، ص ٦، كذلك المسيحية في الإسلام للقس إبراهيم لوقا، ص ١٧١، نقلاً عن: د/أحمد شلبي (المسيحية)، ط ٦، ص ١٥٥، بتصرف واختصار.

(٢) سورة الإسراء، الآية ١٥.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾[1].

وإذا كان قد حرمهم هذه المدة الطويلة من رحمته فما الجدوى إذاً من بعث الرسل قبل المسيح عليهم السلام ليبينوا لهم طريق الهدى من طريق الضلال؟

ثمّ ألا يستطيع الله سبحانه وتعالى وهو القادر على كل شيء وهو الغفور الودود ـ أن يغفر لهم ولأبيهم آدم بدون هذه الطريقة؟ وما الحكمة إذاً في اختيار هذه الطريقة القاسية؟ وما أحراها أن تظهر العدواة والبغضاء لا المحبة والسلام.

والنصارى يناقضون أنفسهم في هذه العقيدة (عقيدة الصلب والفداء) حيث يقولون: إنّ الله تعالى رحيم، ومع ذلك ترك البشر حتى عهد المسيح في دنس خطيئة أبيهم ولم يغفر لهم ولم يرحمهم.

ويقولون: إنه تعالى عادل ومع ذلك يعتقدون بأنه عاقب ذرية آدم بالبعد عن رحمته إلى عهد المسيح بسبب ذنب ارتكبه أبوهم ولا دخل لهم فيه.

وللردّ عليهم: لأنه تعالى غفور رحيم فقد غفر لآدم عندما استتابه، ولأنه عادل فلم يعاقب الأبناء بذنوب آبائهم.

«ثم كيف كان المسيح عندما عُلق على الصليب؟ هل كان لاهوتاً أم ناسوتاً»

فإن قالوا: بأنه كان ناسوتاً فقط فهو إذاً ليس بإله كما يقولون بل إنسان فقط، والإنسان لايستحق التأليه فهو مخلوق.

وإن قالوا: بأنه كان لاهوتاً فقط، أو لاهوتاً وناسوتاً معاً، فيلزم من ذلك القول بقتل الإله، إذ أن المسيح إله مطلق في نظرهم وابن للإله متساو معه في القدم!!.

إذاً فالقول بقتل الإله خروج على العقل والدين معاً، فالإله الذي لا يستطيع دفع الضرر عن نفسه ليس بإله ولا يستحق الألوهيّة.

فإن قالوا: قتل الناسوت، فهذا القول يناقض قولهم بأن المسيح ليس ناسوتاً محضاً، مع أنهم يطلقون القول بالصلب.

إذا فقد ثبت بطلان وتناقض قولهم بأنّ المسيح قد صلب مع أنه إله»[2].

---

(١) سورة الزلزلة، الآية ٧ـ ٨.

(٢) إمام الحرمين الجويني (الشامل في أصول الدين)، ص ٦٠٧ بتصرف.

وقد أعجبتني تساؤلات ومناقشات مفحمة يطرحها د .أحمد شلبي على المسيحين عند حديثه عن عقيدة الصلب والفداء فيقول:

«ولست أدري ما الذي حدا بالمسيحيين أن يصوروا نبيهم أو إلههم هذا التصوير البشع، وإن أي مفكر لتخطر بنفسه الأسئلة الآتية:

١ ـ ادّعى المسيحيون أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، وأي عدل وأي رحمة في تعذيب غير مذنب وصلبه؟ قد يقولون إنه هو الذي قبل ذلك، ونقول لهم إن من يقطع يده أو يعذّب بدنه أو ينتحر، مذنب ولو كان يريد ذلك.

٢ ـ إذا كان المسيح ابن الله فأين كانت عاطفة الأبوة وأين كانت الرحمة حينما كان الإبن الوحيد يلاقي ـ دون ذنب ـ ألوان التعذيب والسخرية ثم الصلب مع دقّ المسامير في يديه؟

٣ ـ ما هي صورة المسيحيين عن الله (جلّ في سماه) الذي لا يرضى بأن ينزل العذاب المهين بالناس، والعهد في الله الذي يسمّونه الأب ويطلقون عليه (الله رحمه) أن يكون واسع المغفرة كثير الرحمات؟

٤ ـ من هذا الذي قيّد الله (جلّ جلاله) وجعل عليه أن يلزم العدل وأن يلزم الرحمة وأن يبحث عن طريق للتوفيق بينهما؟

٥ ـ ويدعي المسيحيون أنّ ذريّة آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم، وفي أي شرع يلتزم الأحفاد بأخطاء الأجداد، وبخاصة أنّ الكتاب المقدس ينص على أنه «لا يقتل الأباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيئته يقتل»[١].

٦ ـ وإذا كان صلب المسيح عملاً تمثيلياً على هذا الوضع فلماذا يكره المسيحيون اليهود ويرونهم آثمين معتدين على السيد المسيح؟

٧ ـ وهل كان نزول ابن الله وصلبه للتكفير عن خطيئة البشر ضرورياً أو كانت هناك وسائل أخرى من الممكن أن يغفر الله بها خطيئة البشر؟

الجواب عن ذلك يقدمه كاتب مسيحي هو القس بولس سباط بقوله:

«لم يكن تجسّد الكلمة ضرورياً لإنقاذ البشر، ولا يتصور ذلك مع القدرة الإلهية الفائقة الطبيعية»[٢].

---

(١) تثنية ٢٤: ١٦.

(٢) المشرع ص ٤٢ـ ٤٣ نقلاً عن د .أحمد شلبي (المسيحية)، ص ١٥٩.

ثم يسترسل هذا الكاتب فيذكر السبب في اختيار الكلمة ليكون فداءً لخطيئة البشر فيقول: إنّ الله على وفرة ماله من الذرائع إلى فداء النوع البشري، وإنقاذه من الهلاك الذي نتج من الخطيئة ومعصية أمره الإلهي قد شاء سبحانه أن يكون الفداء بأعزّ ما لديه، لما فيه من القوة على تحقيق الغرض وبلوغه سريعاً»(١).

ويردّ عليه: بأنه ليس من الحكمة في أي شيء أن نفتدي بدينار ما نستطيع أن نفتديه بفلس، تعالى الله عن ذلك»(٢).

٨ ـ «ويطرح سؤالاً آخر على القس بولس سباط: إذ كان الكلمة قد تجسّد لمحو الخطيئة الأصلية فما العمل في الخطايا التي تحدث بعد ذلك؟

ويجيب هذا الكاتب بما يلي بالحرف الواحد: إذا عاد الناس إلى إجتراح الخطايا فالذنب ذنبهم، لأنهم آنسوا النور وعشوا عنه مؤثرين الظلمة بإرادتهم»(٣).

«ومعنى ذلك أن خطيئة واحدة محيت وأن ملايين الخطايا سواها بقيت وجدّت بعد ذلك وسيحاسب الناس على ما اقترفوه، وبعض ما اقترفوه أقسى من عصيان آدم، لقد أنكر بعض الناس وجود الله، وهاجمه آخرون وسخروا بجنته وناره ـ والعياذ بالله ـ فلمّاذا كانت مظاهرة التجسّد لخطيئة واحدة وتركت خطايا لا تعد؟

٩ ـ أين كان عدل الله ورحمته منذ حادثة آدم إلى صلب المسيح؟ ومعنى هذا أن الله (تعالى عن ذلك) كان حائراً بين العدل والرحمة آلاف السنين حتى قبل المسيح منذ حوالي ألفي عام هل يصلب للتكفير عن خطيئة آدم؟!!.

١٠ ـ ويلزم في جميع الشرائع أن تناسب العقوبة الذنب، فهل يتم التوازن بين صلب المسيح على هذا النحو، وبين الخطيئة التي ارتكبها آدم؟

١١ ـ هذا إلى خطيئة آدم التي لم تزد عن أن تكون أكلاً من شجرة نهي عنها، قد عاقبه الله عليها بإخراجه من الجنة، ولا شكّ أنه عقاب كاف، فالحرمان من الجنة الفينانه، والخروج إلى الكدح والنصب عقاب ليس بالهين، وهذا العقاب قد اختاره الله بنفسه وكان يستطيع أن يفعل بآدم أكثر من ذلك، ولكنه اكتفى بذلك،

---

(١) (٢) المشرع ص ٤٢ـ ٤٣ نقلاً عن د .أحمد شلبي (المسيحية)، ص ١٥٩.

(٣) المشرع ص ٤٤ نقلاً عن د .أحمد شلبي (المسيحية)، ص ١٦٠.

فكيف يستساغ أن يظل مُضمراً السوء غاضباً آلاف السنين حتى وقت صلب عيسى؟

١٢ ـ وقد مرّت بالبشر من عهد آدم إلى عهد عيسى أحداث وأحداث، وهلك كثيرون من الطغاة وبخاصة في عهد نوح، حيث لم ينج إلاّ من آمن بنوح واتّبعه وركب معه السفينة، فهؤلاء هم الذين رضي الله عنهم، فكيف بعد ذلك تبقى ضغينة وكراهية تحتاجان لأن يضحي عيسى بنفسه فداءً للبشرية؟

١٣ ـ والكاتب المسيحي الذي أسلم «عبد الأحد داوود» ينتقد قصة التكفير هذه انتقاداً عقلياً سليماً فيقول: «إنّ من العجيب أن يعتقد المسيحيون أن هذا السر اللاهوتي وهو خطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشري بسببها ظلّ مكتوماً عن كل الأنبياء السابقين، ولم تكتشفه إلاّ الكنيسة بعد حادثة الصلب»(١).

١٤ ـ ويقول هذا الكاتب إنّ ما حمله على ترك المسيحية، هو هذه المسألة وظهور بطلانها لأن الكنيسة أمرته بأوامر لم يستسغها عقله وهي:

أ ـ نوع البشر مذنب بصورة قطعية ويستحق الهلاك الأبدي .

ب ـ الله لا يخلّص أحداً من هؤلاء المذنبين من النار الأبدية المستحقة عليهم، بدون شفيع.

ج ـ والشفيع لا بدّ أن يكون إلهاً تاماً وبشراً تاماً!!!.

ويدخل الكاتب في نقاش طويل مع المسيحين بسبب هذه الأوامر، فهم يرون أن الشفيع لا بدّ أن يكون مطهراً من خطيئة آدم، ويرون أنه كذلك وُلد عيسى من غير أب لينجو من انحدار الخطيئة إليه من أبيه، ويسألهم الكاتب: ألم يأخذ عيسى نصيباً من الخطيئة عن طريق أمه؟

ويجيب هؤلاء بأن الله طهّر مريم من الخطيئة قبل أن يدخل الله الابن رحمها، ويعود الكاتب فيسأل: إذا كان الله يستطيع هكذا في سهولة ويسر أن يطهر بعض خلقه، فلماذا لم يطهّر خلقه من الخطيئة كذلك بمثل هذه السهولة وذلك اليسر؟ بدون إنزال ابنه وبدون تمثيلية الولادة والصلب»(٢).

١٥ ـ «وإذا فرضنا جدلاً أن الإنسان قد أخطأ، لأنه ورث عن آدم المعصية، فما ذنب الإله ـ تعالى ـ ليتعذب، ويهان، ويبصق عليه ويشتم، ويتهكم الناس به،

---

(١) الإنجيل والصليب، نقلاً عن د/أحمد شلبي (المسيحية)، ص ١٦١.

(٢) الإنجيل والصليب، ص ١٢٤، ١٢٧ نقلاً عن د .أحمد شلبي (المسيحية)، ص ١٦٢.

ويضرب، ويصلب، ويقتل قتلة الأشرار؟؟

١٦ ـ إذا قيل أن الإله لم يتعذب، بل الذي تعذب هو ناسوت المسيح، فيقال: إمّا أن يكون ناسوت المسيح جزءاً من الله، فيكون العذاب قد وقع على الإله ـ تعالى ـ وهو غير جائز عقلاً أو يكون ناسوت المسيح جزءاً من آدم كسائر البشر الذي توالد منه، فيكون آدم قد فدى ببعضه، وفداء الناس بأحد منهم مبطل لعقيدة الفداء، ولا يكون هناك معنى لنزول الله أو لتجسّده، أو لقيامه بالكفارة، إذ أن عقيدة النصارى تنص على أن الإله انتقم من الناس في شخص أحدهم، أو قبل فداء واحد منهم عن الآخرين، وإما أن يكون العذاب قد وقع على ناسوت المسيح ولاهوته ولا يخرج حكم ذلك على ما قدمنا، بهذا بطلان عقيدة الفداء.

١٧ ـ إنّ المسيح وجميع الرسل والأنبياء قبله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لم يذكروا لنا شيئاً مطلقاً عن هذا الذنب المغروس، وها هي التوراة التي بين أيديهم، وها هي الأناجيل التي يؤمنون بها لم يذكر في أحدهما أن بني آدم وُصموا بذنب لم يقترفه أحدهم.

يقول المسيحيون: إنّ المسيح هو الله، وأنه ما نزل في هذا العالم وما انحطّ إلى مستوى البشر إلاّ ليخلّص الناس من ذلك الذنب ـ المزعوم ـ فإذا كان هذا هو السبب الوحيد الذي أرسل من أجله المسيح، فلم لم يقل عنه شيئاً؟ ولم لم يبينه؟؟

لقد كان المسيح معلّم الشعب، فإذا كان نزل للفداء، كان عليه أن يشرح ما جاء من أجله خاصة، وما كان هناك أدنى داع للتعليم والتهذيب والإرشاد إلى الطريق الذي يدخل الجنة، ويباعد عن النار ما دام محض مجيئه يكفي لخلاصهم، ولخلاص العالم معهم.

١٨ ـ إذا كان الله سبحانه وتعالى قد أذن للشيطان أن يدخل على الإنسان بالشر، وأن يغريه بالعصيان، والخروج عن طاعة الله، أفما كان في قدرته سبحانه أن يسلّح الإنسان بقوى يستطيع بها أن يبطل كيد الشيطان، ويفسد تدبيره؟؟.

ألم يكن هناك تدبير غير هذا التدبير يتجسّد الله فيه في جسد إنسان، وأن يمثل القصة بين «اليهود» وأن يثير الحرب بينه وبينهم حتى يسوقوه إلى الصلب ويذيقوه العذاب والهوان ألواناً؟؟

١٩ ـ إذا كان آدم وأبناؤه قد استوجبوا عقاب الله بسبب معصية وقع فيها أبوهم، وإذا كان الله سبحانه قد رثى لحال آدم ورحمه، وأحب أن يعيده إليه مرة

أخرى، وإذا كان حب الله للإنسانية لا يظهر ولا يتأكّد إلاّ إذا جاء الله بنفسه إليها على صورة آدمية، وإلاّ إذا تحمّل أمامها تلك الآلام التي تصدعت لها الأرض إذا كان الأمر كذلك، ووجب على الله أن يلبس هذا الجسد الآدمي، وأن يقدم نفسه ذبيحة للناس أمام الناس ليشهدوا حبه لهم، وتضحيته من أجلهم كي ينقذ الإنسانيّة ويخلصها، أيكون ممّا يتفق مع العدل والحق والمنطق أن يضع الله نفسه بهذا الوضع، وأن يغري أبناء آدم به، فلا يقفون عند حد عصيانه في أنفسهم، بل يتطاولون عليه «مجسداً» ويغمسون أيديهم في دمه!! أبهذا ينال أبناء آدم العفو؟

أبقتل الله وصلبه عياناً يغفر الله لهم، ويفسح لهم في مرضاته؟

٢٠ ـ أليس أولى من هذا كله، وليبقى لله جلاله، وللإنسان وجوده أن يكون الإنسان نفسه هو الذي يواجه الشيطان وينتصر عليه؟

إنّ في الحرب الدائرة بين الإنسان والشيطان، والتي لا تنتهي لمجالاً فسيحاً لترقي الإنسان، واستعلائه على أهواء نفسه، وفي ذلك ما يقيم للانسان وزناً ويعطيه مجداً بين يدي الله إذا هو جاهد وحارب وانتصر.

وليست رسالات الرسل ودعوات الأنبياء، وما أنزل الله من كتب، وما أرسل من رسل إلاّ قوى سماوية أمدّ الله بها الإنسان في شخص المؤمنين من عباد الله والصديقين، والقديسين، والشهداء من أجل الحق والخير.

فلو كان الإنسان واقعاً تحت حكم اللعنة والخطيئة التي لا يرجى له خلاص منهما إلاّ على يد الله في تلك الصورة التي تنتهي بصلب الله وإراقة دمه، لو كان الأمر كذلك لما كان هناك داع لإرسال الرسل إلى الخلق مبشرين ومنذرين ولا لإنزال الكتب التي تحث على الفضائل وتنفر من الرذائل، ولما كان هناك داعٍ لأي عمل يعمله الإنسان، ولما كان هناك فرق بين محسن ومسيء، إذا الجميع في يد البوار والهلاك كلهم غرقى، وكلهم مهلكون»[1].

ويذكر صاحب كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق) أخباراً تاريخية تؤكّد نفي وقوع الصلب على السيد المسيح عليه السلام كما يسمي عدة طوائف تنكر وقوع الصلب على ذاته عليه السلام وتعتبر هذا القول إهانة ونقص لشرف المسيح عليه السلام.

---

(١) انظر: د/ محمود كريت (إنجيل برنابا بين الإسلام والنصرانية)، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، ص ١٨٤ ـ ١٨٦.

يقول:

أ ـ «وأنا أنقل في هذا الخصوص ما يشفي الغليل ويبرىء العليل فأقول لا يخفى على من وقف على حقائق التاريخ إنّ مسألة الصلب من أهم المسائل التي ولدت الشقاق بين النصارى عموماً ونصارى البلاد الشامية ومصر ـ قبل الإسلام ـ خصوصاً فإن الأكثر منهم كانوا يرفضون حصول الصلب رفضاً كلياً لأن البعض منهم كان يعده إهانة لشرف المسيح ونقصاً وأي نقص أعظم من نقص الإله الذي تلحقه مثل هذه الإهانات، والبعض الآخر كان يرفضه استناداً على الأدلّة التاريخية، وهؤلاء الأقوام الجاحدون للصلب طوائف كثيرة منهم (الساطرينوسيون، والكاربوكراتيون، والمركعونيوم، والبارديسيانيون، والتاتبانيسيون، والمانيسون، والبارسكاليونيون، والبوليسيون) وهؤلاء مع كثيرين غيرهم لم يسلموا بوجه من الوجوه إن المسيح سُمر فعلاً ومات على الصليب حتى استخفوا بالصلب والصليب.

ب ـ قال الموسيو اردوارسيوس في باريس المشهور بمعارضة المسلمين في كتابة (عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية): «إنّ القرآن ينفي قتل عيسى وصلبه ويقول بأنه ألقي شبهه على غيره فغلط اليهود فيه وظنوا أنهم قتلوه وما قاله القرآن موجود عند طوائف نصرانيّة منهم (الباسيليديون) كانوا يعتقدون بغاية السخافة أنّ عيسى وهو ذاهب لمحل الصلب ألقي شبهه على (سيمون السيرناي) تماماً وألقي شبه سيمون عليه ثم أخفي نفسه ليضحك على مضطهديه اليهود الغالطين، فإنهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى، وقد عثر على فصل من كتاب الحواريين وإذا كلامه نفس كلام الباسليديين»[1].

وها هو أحد معارضي العقيدة الإسلامية يعترف بأن ما قرره القرآن الكريم قد آمنت به بعض الطوائف النصرانية بل إن ذلك موجود في أحد كتب حواري المسيح عليه السلام والحق ما شهدت به الأعداء.

ج ـ قال أحد الباحثين[2] في الديانة النصرانيّة: «إنّ تنفيذ الحكم كان في وقت الغلس وإسدال ثوب الظلام فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد

---

(١) ص ٤٩ نقلاً عن: العلامة عبد الرحمن الباجه جي زادة (الفارق بين المخلوق والخالق)، ص ٢٨١.

(٢) يدعى «ملمن» من كتاب (تاريخ الديانة النصرانية) نقلاً عن المرجع السابق، ص ٢٨٢.

المجرمين الذين كانوا في سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم كما اعتقدت بعض الطوائف وصدقهم القرآن»[1].

«وبالجملة فإن أغلب الشعوب الشرقية قبل الإسلام رفضت قبول مسألة الصلب والقتل حتى قال باسيليوس الباسليدي إنّ نفس حادثة القيامة أي دعوى قيام المسيح من الأجداث المدعي بها بعد الصلب الموهوم هي من ضمن البراهين الدالّة على عدم حصول الصلب ذات المسيح»[2].

د ـ «ويعلم كل مطلع على أحوال الأمم الماضية أن تسلط الرومانيين على اليهود كان تسلطاً محكماً وإنّ سعي الحكومة الرومانية إذ ذاك كان بضد عقائد اليهود ليتم لهم توحيد الوثنية ويكفي في صحة ذلك ما ذكرته جريدة العالمين[3] تحت عنوان (اليهود تحت حكم الرومان) وهي من إنشاء الكاتب الشهير (أرنست رنان) قال من جملة كلامه: إن الحكومة الرومانية تجهد في نيل هذا المطلوب حتى كادت معالم اليهودية أن تمحى من صحيفة الوجود ووقع ذلك سيء الوقع في نفوس البقيّة القليلة من اليهود حتى اعتصمت بدينها» انتهى.

«فإذا كان الأمر كذلك فهل يصدق العقل بأن الحكومة الرومانية وهي على ما نرى من قصد محو معالم اليهودية أن تجيبهم إلى ما طلبوه من تنفيذ أمر الصلب أو تعيره أذناً صاغية، والحاكم الروماني إذا ذاك كان ذا حقد على اليهود وديانتهم فيكون تنفيذه لطلبهم هذا تأييداً لشعائرهم الدينية»[4].

ومن الأمور التي ابتدعها المسيحيون مع عقيدة (الصلب والفداء) القول بقيامة المسيح عليه السلام من قبره وذلك بعد أن مات على الصليب ودفن ثم مكوثه بين تلاميذه أربعين يوماً، ثم صعوده وجلوسه عن يمين أبيه الآب ليجازي كل حسب عمله إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً ـ تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس يقول:

«فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب»[5].

---

(١) (٢) المرجع السابق، نفس الصحيفة.

(٣) بتاريخ ١٥ مارس سنة ١٨٩٣م نقلاً عن المرجع السابق، ص ٢٨٢، ٢٨٣.

(٤) انظر: العلامة عبد الرحمن الباجه جي زاده (الفارق بين المخلوق والخالق)، ص ٢٨٣.

(٥) ١٥: ٣ـ ٥.

وقد جاء كذلك في سفر أعمال الرسل ما يلي:

«فيسوع هذا أقامه ونحن جميعاً شهود لذلك وإذا ارتفع يمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه»[١].

ويتحدث الكاتب المسيحي (جوش مكدويل) حديثاً طويلاً في كتابه (برهان يتطلب قراراً) فيما يتقارب ستة وسبعين صحيفة[٢] ويحاول إثبات قيامة المسيح عليه السلام باستماته، ويردّ على منكريها من القائلين بأنّ المسيح عندما صلب لم يمت وإنما كانت حالة اغماء، ثم دفن فعاد إلى وعيه فخرج بنفسه!!، ومنهم من يقول: بأنّ الجثة قد سرقت وأنه لم يقم من قبره حياً، ومنهم من يقول: إن ظهوره لا يعدو أن يكون هلوسة وخيالات، ومنهم من يقول بوقوع الخطأ في رؤية القبر الفارغ إلى آخر ما هنالك من أقوال.

ثم هو يفتخر بأن الفكر المسيحي وحده هو الوحيد الذي يقول بقيامة مؤسسه من قبره بعد ثلاثة أيام، بينما لا يقول بذلك البوذيون والمسلمون يقول في ذلك:

«لقد مات نبي الإسلام في الثامن من يونيو ٦٣٢م بالمدينة في الحادية والستين من عمره، ويزور قبره اليوم ملايين المسلمين المخلصين، ولا يدعي أحد أن مؤسسي اليهودية أو البوذية أو الإسلام قد قاموا بعد موتهم، وتقوم المسيحية على حقيقة قيامة المسيح، فقد قال هو أنه ذاهب لأورشليم ليصلب وفي اليوم الثالث يقوم، ولو أن القيامة باطلة لكانت المسيحية كلها باطلة، ولو أنها صحيحة لوجب أن تصدق كل ما قاله المسيح»[٣].

وبالطبع نحن لا نهتم بمحاولاته لإثبات قيامة المسيح عليه السلام من قبره بعد صلبه ودفنه تلك العقيدة المنحرفة والتي ابتدعها بولس اليهودي، لأننا في الحقيقة ننكر أصلاً صلب المسيح عليه السلام ويترتّب على ذلك إنكار دفنه وقيامته من قبره، وقد أثبتنا ـ فيما سبق ـ فساد اعتقادهم هذا بالعقل وسيأتي إثباته بالنقل، فيما أنّ عقيدة الصلب والفداء باطلة إذاً فالقيامة باطلة لأن ما بني على الباطل فهو باطل ينتج أن المسيحية الحالية كلها باطلة.

---

(١) ٢: ٣٢.

(٢) من ص ٢١٣ـ ٢٨٧ طبعة دار الجيل.

(٣) جوش مكدويل (برهان يتطلّب قراراً)، ص ٢١٦.

المسألة السادسة:

إبطال عقيدة (الصلب والفداء) نقلاً

أولاً: إبطالها نقلاً من القرآن الكريم:

لقد نصّ القرآن الكريم على نفي القتل والصلب عن المسيح عليه السلام وكذّب اليهود والنصارى القائلين بصلبه أو بقتله، وتدلّ الآية الكريمة الآتية على أن هذه الشبهة يهودية، وعقيدة نصرانية، فاليهود ادعوا أنهم قتلوا المسيح صلباً، أي معلقاً على الصليب، وصدقهم النصارى فيما قالوه، ثم لفّق بعض أحبارهم قصة انتقال ذنب آدم وراثةً إلى أبنائه، وقصة فداء المسيح للبشر، وألصقوها بقصة الصلب، عند تصديقهم لليهود بادعائهم بقتله صلباً، فصارت (عقيدة الصلب والفداء)!!.

وفي الحقيقة أنّ نفي القرآن الكريم القتل أو الصلب عن المسيح عليه السلام لا ينفي ذنب وتهمة اليهود لأنهم باعترافهم وقولهم ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ﴾ كانوا جادين وراغبين في قتله مجتهدين في ذلك، ولو تمكنوا منه لقتلوه وصلبوه بدليل أنهم صلبوا وقتلوا من أُلقي عليه شبهة. ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

قال الله تعالى:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ (١).

وتؤكّد الآية الكريمة أمرين مهمين في هذه القضية وهما:

١ ـ نفي وقوع القتل على المسيح عليه السلام صلباً أو عن طريق آخر غير الصلب الشاهد ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾.

٢ ـ نفي وقوع الصلب سواء أمات على الصليب أو لم يمت الشاهد ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾.

قال الإمام الطبري في تفسير ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

«أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت وأحاطوا بهم، فلمّا دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا سحرتمونا لتبرزنّ لنا

---

(١) سورة النساء، الآية ١٥٧، ١٥٨.

عيسى أو لنقتلنّكم جميعاً فقال عيسى لأصحابه من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة، فقال رجل منهم أنا فخرج إليهم فقال أنا عيسى، وقد صوّره الله على صورة عيسى فأخذوه فقتلوه وصلبوه فمن ثمّ شبه لهم وظنوا أنهم قتلوا عيسى وظنّت النصارى مثل ذلك وقد رفع عيسى من يومه ذاك»[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيميّة ـ يرحمه الله:

«وقصة الصلب ممّا وقع فيها الإشتباه، وقد قام الدليل على أن المصلوب لم يكن هو المسيح عليه السلام ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وهم ظنوا أنه المسيح، والحواريون لم يرَ أحد منهم المسيح مصلوباً، بل أخبرهم بصلبه بعض من شهد ذلك من اليهود فبعض الناس يقولون «إنّ أولئك تعمدوا الكذب، وأكثر الناس يقول: اشتبه عليهم.. فإذا جاز أن يغلطوا في هذا، ولم يكونوا معصومين في نقله، جاز أن يغلطوا في بعض ما ينقلونه عنه، وليس هذا ممّا يقدح في رسالة المسيح، ولا فيما تواتر نقله عنه بأنه رسول الله الذي يجب إتباعه، سواء صلب أو لم يصلب، وما تواتر عنه، فإنه يجب الإيمان به، سواء صلب أو لم يصلب.

والحواريون مصدقون فيما ينقلونه عنه ولا يتهمون بتعمّد الكذب عليه لكن إذا غلط بعضهم في بعض ما ينقله لم يمنع ذلك أن يكون غيره معلوماً، لا سيما إذا كان ذلك الذي غلط فيه ممّا تبيّن غلطه فيه في مواضع أخر»[2].

وقد حدّثنا الله تعالى عن حواري المسيح، وعن مكر اليهود ـ قاتلهم الله ـ بالمسيح:

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾[3].

---

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، مجلّد ٤، ج ٥، ص ١٠.
أيضاً: الإمام الألوسي (روح المعاني، ج ٦، ط دار إحياء التراث، ص ١٠) أما الحديث عن رفع المسيح عليه السلام فليس له مكان في بحثنا هذا، لأن مدار البحث هنا إبطال شبه وإداعاءات اليهود بصلب المسيح، وإبطال عقيدة الصلب والفداء عند النصارى لقوله تعالى ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

(٢) الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٤، ١٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٥٢ـ ٥٤.

وقد يقول قائل: «إن القول بالقاء الشبه على عيسى[1] عليه السلام يفضي إلى السفسطة والشك في الحقائق، والدخول حينئذٍ في الجهالات، وما لا يليق بالعقلاء، لأننا إذ جوزنا القاء شبه الإنسان على غيره، فإذا رأى الإنسان ولده لم يثق بأنه ولده، ولعلّه غيره ألقي عليه شبه ولده، وكذلك القول في إمرأته وسائر معارفه، لا يثق الإنسان بأحد منهم ولا يسكن إليه، بل إنّ القول بالشبه يمنع الوثوق بمدينة الإنسان ووطنه إذا دخله، ولعلّه مكان آخر ألقي عليه الشبه.

بل إذا أغمض الإنسان عينه عن صديقه بين يديه، ثم فتحها في الحال ينبغي له أن لا يقطع أنه صديقه، لجواز أن يلقى شبهه على غيره.

لكن جميع ذلك خلاف الضرورة، فيكون القول بالشبه محال، كالقول أن الواحد نصف العشرة، والمثلث هو عين المربّع.

ويكون المقصود من هذه الشبهة أن المصلوب هو عين عيسى عليه السلام لا غيره»[2].

وللردّ عليهم يقال: «إنّ هذا تهويل ليس عليه تعويل، لأنّ البراهين القاطعة والأدلّة الساطعة قائمة على أن الله تعالى خلق الإنسان وجملة أجزاء العالم، وأن حكم الشيء حكم مثله، فما من شيء خلقه الله تعالى في العالم إلاّ وهو قادر على خلق مثله، إذ لو تعذّر خلق مثله، لتعذّر خلقه في نفسه، فيلزم أن يكون خلق الانسان مستحيلاً، بل جملة العالم، وهو محال بالضرورة.

وإذا ثبت أنّ الله تعالى قادر على خلق مثل لكل شيء في العالم فجميع صفات جسد عيسى عليه السلام لها أمثال في حيز الإمكان في العدم يمكن خلقها في محل آخر، غير جسد عيسى عليه السلام، فيحصل الشبه قطعاً.

والقول بالشبه قول بأمر ممكن. لا بما هو خلاف الضرورة، ويؤيّد ذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحية في عصاة موسى عليه السلام وهو أعظم من الشبه فإن جعل حيوان يشبه حيواناً أقرب من جعل نبات يشبه حيواناً، وقلب العصا حية تسعى ممّا أجمع عليه اليهود والنصارى، كما أجمعوا على جعل النار لإبراهيم عليه السلام برداً وسلاماً، وعلى قلب الماء خمراً، فإذا

---

(١) إلقاء الشبه كان على يهوذا وقد يكون هذا ما قصده المؤلّف.

(٢) انظر: الإمام أبي عبيدة الخزرجي (بين الإسلام والمسيحية)، تحقيق د/محمد شامه ص ١٦٤ـ ١٦٥ بتصرف قليل.

جوزتم مثل هذا جوزتم أيضاً إلقاء الشبه من غير استحالة.

ثمّ إنّ الإنجيل ناطق بأن عيسى نشأ بين ظهور اليهود. يعظهم ويعلمهم في مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم[(١)].

وإذا كان ذلك في غاية الشهرة عندهم، فلم نصّ الإنجيل على أنهم وقت ما أرادوا القبض عليه لم يحققوه، حتى دفعوا لأحد تلاميذه ثلاثين درهماً ليدلّهم عليه[(٢)].

فلا شكّ أن هذا الالتباس العظيم مع تلك الشهرة العظيمة نحو ثلاث سنين في المحاورات العظيمة، والمجادلات البليغة، كلها تدلّ على وقوع الشبه قطعاً، خصوصاً أن في الإنجيل أنه أُخذ في ليلٍ مظلم من بستان فشوهت صورته وغيّرت محاسنه بالضرب والسحب وأنواع النكال[(٣)]، ومثل هذه الحالة توجب الالتباس بين الشيء وخلافه، فكيف بين الشيء وشبهه، فمن أين لكم أو لليهود القطع بأن المصلوب هو عين عيسى عليه السلام دون شبهة؟ بل إنما حصل الظن والتخمين»[(٤)].

وقد عجبت أشدّ العجب على ما صدر عن داعية مسلم كبير طالما وقف أمام قساوسة النصرانية مدافعاً عن العقيدة الإسلامية السمحاء، مثبتاً وجوب توحيد الله تعالى، ومؤكّداً على نبذ الشرك بأنواعه، ومجاهداً ونافياً للعقائد النصرانية الحالية الباطلة..

عجبت بل ودهشت لهذا الداعية الكبير (الأستاذ/ أحمد ديدات) لما صدر عنه مؤخراً في كتابه (مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء)[(٥)]، حيث كان مدار بحثه في كتابه والذي يحوي ١٨٣ صحيفة كان فيها مدار بحثه إثبات أنّ المسيح صُلب أي عُلّق على الصليب ولكنه أُنزل منه دون أن يموت كما أنه يحاول وباستماته إثبات رأيه هذا!!! ولا أدري هل غض النظر عن ما نطقت وصرّحت به

---

(١) انظر مثلاً: لوقا ١٩: ٤٥ـ ٤٨.
(٢) انظر مثلاً: متى ٢٦: ١٤، ١٥، ١٦.
(٣) متى ٢٦: ٦٧ـ ٦٨.
(٤) انظر: الإمام أبي عبيدة الخزرجي (بين الإسلام والمسيحية)، تحقيق د/ محمد شامه، ص ١٦٥ـ ١٦٧ بتصرف قليل.
(٥) نشرته (دار الفضيلة) عام ١٤٠٩هـ.

الآية الكريمة؟! أم أنه لم يفهم مضمونها ومعناها؟! أم ماذا؟!.

ولو كان صدور هذا القول عن حديث عهد بالإسلام. أو بدراسة الإسلام لهان الأمر، ولكنه صادر عن أحد دعاة الإسلام المعاصرين الكبار.

وقد أتى الاستاذ/ أحمد ديدات بـ ٣٠ دليلاً[١] حسبما يسميها يثبت فيها ـ كما ذكرت ـ بأنّ المسيح عليه السلام عُلّق على الصليب ولكنه لم يمت وأنزل عنه وهو ما يزال على قيد الحياة وذلك تحت عنوان (ليس الناس عمياناً).

وفيما يلي أنقل بعض عباراته لتتّضح آراؤه أمام القارىء الكريم:

- «الزعم بأنه قد بقي على الصليب ثلاث ساعات فقط، وحسب النظام المعمول به لا يمكن أن يكون أحد من المحكوم عليهم بالموت صلباً قد مات في مثل هذا الوقت القصير.
- رفيقاً صلبه على الصليب ظلّ كل منهما حياً، لذا فإنّ عيسى عليه السلام في ذات مدة البقاء على الصليب ظلّ حياً.
- عندما غزّ يسوع بالرمح خرج فور ذلك دم وماء وهذا دليل على أنه كان حياً.
- الساقان غير المقطوعين ـ أثناء الصلب ـ يكون لهما نفع عندما يكون عيسى حياً.
- الرعد والزلزال وكسوف الشمس في غضون ثلاث ساعات لإلهاء الجمهور المتطفّل وليتمكن أتباعه السريون من مساعدته في أن يظل حياً.
- كان القبر حجرة ضخمة فسيحة جيدة التهوية بحيث تشجع أيدي المساعدة كي تأتي للنجدة ليظلّ حياً.
- ويمنع مريم المجدليه أن تلمسه بسبب أن لمسه (ولم تكن جروحه قد التأمت) يسبب له ألماً لأنه كان حياً.
- ولم تخف مريم المجدلية عندما تعرّفت عليه لأنها كانت قد شاهدت علامات الحياة فيه ـ عند إنزاله عن الصليب ـ فكانت تبحث عنه حياً»[٢].

وهذا غيض من فيض يسجلها المؤلف كأدلّة على رأيه ذاك.

وقد أوضح مترجم الكتاب الأستاذ على الجوهري في تعقيبه الذي أورده في نهاية ذلك الكتاب ما أراده السيد أحمد ديدات بألفاظ صريحه حيث يقول:

---

(١) نفس المرجع ص ١٦٢ـ ١٦٨.

(٢) انظر: أحمد ديدات (مسألة صلب المسيح)، ص ١٦٢، ١٦٤، ١٦٦.

«وسواء كان المسيح قد مات على الصليب وأنزل عنه ميتاً وتمّ دفنه ميتاً، أو كان ولم يمت على الصليب ونزل عنه وهو ما يزال على قيد الحياة، وهو ما أثبته العلامة أحمد ديدات، وقدم عليه ثلاثين دليلاً أجملها في الفصل الثامن عشر من هذا الكتاب»[1].

وللردّ على أقوال السيد أحمد ديدات نرجو أولاً بأن يعود إلى الآية الكريمة تلك من سورة النساء ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ ويمعن النظر في معناها ثم يطلع على ما يقوله الأئمة المفسرون لهذه الآية الكريمة، أو يأتي بمن يشرح ويترجم له ممن يجيد العربية[2].

والآية الكريمة من سورة النساء والتي تنفي القتل بكل أنواعه، وتنفي الصلب بكل أشكاله، نفياً قاطعاً عن المسيح عليه السلام أي تنفي عملية الصلب عنه عليه السلام بحد ذاتها، كما أن في الآية الكريمة دليل على تكريم وصون الله تعالى له من أن تعبث به أيدي السفلة الأشرار أيدي اليهود أو غير اليهود، فطهره برفعه إليه وصيانته من تلك الأيدي الآثمة.

أمّا عنونته للفصل الثامن من كتابه المذكور «ليس الناس عمياناً»[3].

فللردّ عليه نقول: أي نعم ليس الناس عمياناً عن عملية الصلب إذا كانت قد وقعت على شخص آخر وهو من ألقي عليه الشبه بقدرة الله تعالى، وهو الذي أجرى على يديه (أي على عيسى عليه السلام) المعجزات الباهرات، وقد قال تعالى وهو أصدق القائلين ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ فالعقيدة الإسلامية لا تنفي عملية الصلب بحد ذاتها، بل تنفي وقوعها على المسيح عليه السلام، وقد ذكرنا فيما سبق أنّ هناك طوائف مسيحية كثيرة تنكر وتنفي وقوع الصلب على المسيح عليه السلام[4] كما أنّا سننقل ـ فيما بعد ـ إن شاء الله تعالى نصوصاً من إنجيل برنابا تثبت وقوع شبه المسيح على شخص آخر وهو الذي شبه لهم[5].

ومما يجدر ذكره هنا أنّ الأساس الذي بنيت عليه عقيدة الصلب وهي خطيئة

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨٨.
(٢) هذا إذا كان هو لا يجيدها.
(٣) المرجع السابق، ص ١٦٢.
(٤) انظر ص ٤٥٠ وما بعدها من هذا البحث.
(٥) انظر: ص ٤٦١ وما بعدها من هذا البحث.

آدم عليه السلام الموروثة منه إلى أبنائه عقيدة باطلة من أساسها لأنّ آدم عليه السلام عندما عصا ربه بالأكل من الشجرة المحرّمة قد استغفر الله تعالى وتاب وأناب إليه، وقد قبل الله تعالى توبته، وهذا ما صرّح به القرآن الحكريم في عدة آيات من الذكر الحكيم.

قال الله تعالى:

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾(1)

وقال تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾(2)

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾(3).

«وليس عند أهل الكتاب في كتبهم ما ينفي توبته وإنما قد يقول قائلهم إنا لا نعلم أنه تاب أو ليس عندنا توبته، وعدم العلم بشيء ليس علماً بعدمه، وعدم

---

(1) سورة البقرة، الآية ٣٥ـ ٣٧.

(2) سورة الأعراف، الآية ١٩ـ ٢٣.

(3) سورة طه، الآية ١١٥ـ ١٢٢.

وجود الشيء في كتاب من كتب الله لا ينفي أن يكون في كتاب آخر، ففي التوراة ما ليس في الإنجيل، وفيهما ما ليس في الزبور، وفي الإنجيل والزبور ما ليس في التوراة، وفي سائر النبوات ما لا يوجد في هذه الكتب، والقرآن لو كان دون التوراة والإنجيل والزبور والنبوات أو كان مثلها لأمكن أن يكون فيه ما ليس فيها، فكيف إذا كان أفضل وأشرف وفيه من العلم أعظم ممّا في التوراة والإنجيل»(١).

ولو فرضنا جدلاً أن آدم وحواء عليهما السلام لم يتوبا إلى الله ولم يستغفراه، فهل يعقل أن تنتقل هذه الخطيئة أو غيرها وراثياً إلى أبنائهما من البشر؟!! إنه قول يؤكّد كل عقل سليم وكل فطرة صافية على أنه ظاهر البطلان والفساد، وأنه لا يمكن أن يرث شخص خطيئة أبيه أو أمه أو أي فرد مهما كانت قرابته، فكل مسؤول عمّا جنت يداه إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً.

وقد قرّر القرآن الكريم المسؤولية الفردية في عدة آيات من الذكر الحكيم:

قال تعالى:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾(٢).

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾(٣).

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٧﴾(٤).

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(٥).

ثانياً: الأدلّة من إنجيل برنابا(٦) على بطلان القول بصلب المسيح عليه السلام:

وكما ذكرنا فيما سبق أننا نستدلّ بنصوص القرآن الكريم لإنجيل برنابا لا العكس، وإنما نودّ ذكر هذه النصوص فيما يلي لا لأننا بحاجة إلى أن نعضد

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، ج ١، ص ٣٦٤، ٣٦٥.
(٢) سورة الزلزلة، الآية ٧، ٨.
(٣) سورة فصلت، الآية ٤٦.
(٤) سورة غافر، الآية ١٧.
(٥) سورة الإسراء، الآية ١٥.
(٦) للتعريف به انظر: ص ٢١٠ من هذا البحث.

لعقيدتنا الإسلامية الواضحة والصريحة في مسألة الزعم بصلب المسيح عليه السلام ولكن ليتّضح للقارىء الكريم موافقة إنجيل برنابا - والذي يوافق العقيدة الإسلامية في نقاط كثيرة أساسية يتّضح موافقته - في هذه القضية أيضاً.

وها هي الأدلّة من إنجيل برنابا على بطلان القول بصلب المسيح عليه السلام وتأكيد إلقاء شبهه عليه السلام على يهوذا الإسخريوطي والقبض عليه ومن ثم صلبه إعتقاداً منهم بأنه المسيح.

«ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع سمع يسوع دنو جمع غفير. فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً. وكان الأحد عشر نياماً. فلمّا رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل. سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم.

فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرقة على الجنوب. فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبّح الله إلى الأبد»[1].

«ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أُصعد منها يسوع وكان التلاميذ نياماً. فأتى الله العجيب بأمر عجيب. فتغيّر يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبيهاً بيسوع حتى أننا أعتقدنا أنه يسوع. أمّا هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم. لذلك تعجبنا وأجبنا «أنت يا سيد هو معلمنا. أنسيتنا الآن»؟

أمّا هو فقال مبتسماً: هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفوا يهوذا الأسخريوطي. وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه»[2].

«فأمر رئيس الكهنة أن يؤتى بيسوع موثقاً أمامه. وسأله عن تلاميذه وعن تعليمه. فلم يجب يهوذا بشيء في الموضوع كأنه جُنّ. حينئذٍ استحلفه رئيس الكهنة بإله اسرائيل الحي. أن يقول له الحق.

أجاب يهوذا: لقد قلت لكم إني يهوذا الأسخريوطي الذي وعد أن يسّلم إلى أيديكم يسوع الناصري. أما أنتم فلا أدري بأي حيلة قد جننتم. لأنكم تريدون بكل

---

(١) إنجيل برنابا الفصل ٢١٥ الفقرات من ١ - ٧.

(٢) إنجيل برنابا ٢١٦: ١ - ٩ ترجمة د/ خليل سعادة.

وسيلة أن أكون أنا يسوع»[1].

«الحق أقول لكم إن صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة إنه هو يسوع. لذلك خرج بعضهم من تعليم يسوع معتقدين أن يسوع كان نبياً كاذباً وأنه إنما فعل الآيات التي فعلها بصناعة السحر. لأن يسوع قال إنه لا يموت إلى وشك إنقضاء العالم لأنه سيؤخذ في ذلك الوقت من العالم»[2].

«ثم قصّ الملائكة الأربعة على العذراء كيف أن الله أرسل إلى يسوع وغير (صورة) يهوذا ليكابد العذاب الذي باع له آخر»[3].

ويقول برنابا في إنجيله على لسان المسيح عليه السلام:

«فلما كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أني كنت بريئاً في العالم أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أنني أنا الذي متّ على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة. وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله ﷺ الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله»[4].

ويقول ـ أيضاً ـ على لسان المسيح عليه السلام:

«فأعلم يا برنابا إنه لأجل هذا يجب عليّ التحفّظ وسيبيعني أحد تلاميذي بثلاثين قطعة من نقود. وعليه فإني على يقين من أن من يبيعني يقتل بإسمي. لأن الله سيصعدني من الأرض. وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياي. ومع ذلك لما يموت شر ميتة أمكث في ذلك العار زمناً طويلاً في العالم. ولكن متى جاء محمد رسول الله ﷺ المقدّس تزال عني هذه الوصمة»[5].

ثالثاً: الأدلّة من الكتاب المقدس على بطلان القول بصلب المسيح عليه السلام

ولو فرضنا جدلاً صحّة أناجيل النصارى المعتمدة في عقيدة الصلب والفداء مثلاً، فإنّ هذه الأناجيل المعتمدة كما تحدّثت بإسهاب عن قصة القبض على

---

(١) إنجيل برنابا ٢١٧: ٢٢ـ ٢٧.
(٢) إنجيل برنابا ٢١٧: ٨٠ـ ٨٣.
(٣) إنجيل برنابا ٢٢٠: ١١.
(٤) إنجيل برنابا ٢٢٠: ١٩ـ ٢٠.
(٥) إنجيل برنابا ١١٢: ١٣ـ ١٧.

المسيح ومحاكمته، ومن ثمّ صلبه ودفنه، فإن نصوصاً كثيرة منها تشير بل تدلّ على عدم صلبه ومن ثم نجاته من أيدي المتآمرين الخونة، وقد أعمى الله بصيرة وبصر المحرفين الذين دأبوا على طمس الحقائق وتزوير الدلائل عن طمس وتزوير هذه النصوص والتي سننقلها فيما يلي:

١ ـ ما صرّح به بولس[١] في إحدى رسائله والتي تكوّن جزءاً كبيراً من العهد الجديد من أنّ المسيح عليه السلام تقدم إلى الله بتضرعات ودموع وصراخ شديد أن يخلّصه من الموت، وأن الله سبحانه استجاب لدعائه من أجل تقواه. وها هو النص:

«الذي في أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت، وسمع له من أجل تقواه»[٢].

٢ ـ صرّح في الإنجيل المنسوب إلى متى أنه أثناء محاكمة المسيح استحلف رئيس الكهنة المسيح بالله أن يقرّ ويعترف إذا كان هو المسيح بالفعل، فلم يزد المتهم على قوله (أنت قلت) ولو كان هو المسيح حقاً لاعترف سيما وأنه حلّفه بالله وهذا دليل واضح على أن المحاكم هو المشبه به وليس المسيح.

«فأجاب رئيس الكهنة وقال أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله. قال له يسوع أنت قلت»[٣]

٣ ـ وقد صرّح في الإنجيل المنسوب إلى لوقا أن جبريل عليه السلام قد بشّر السيدة مريم بأنها ستلد إبناً وسيكون عظيماً وأن الرب سيعطيه كرسي داوود فيكون ملكاً ليس لحكمه نهاية.

وهذا يناقض بصورة واضحة وصريحة ما ترويه الأناجيل من قصة القبض على المسيح والتهكّم به وجلده ومحاكمته ومن ثم صلبه كما زعموا[٤].

والنص التالي يدلّ على أن المصلوب ليس هو المسيح بل المشبه به وإلاّ فكيف يمكن أن تصحّ بشارة جبريل عليه السلام.

---

(١) للتعريف به، انظر: هامش ص ٢٥، ٢٦ من هذا البحث.

(٢) الرسالة إلى العبرانيين ٥ : ٧.

(٣) متى ٢٦ : ٦٣ ـ ٦٤.

(٤) انظر مثلاً مرقس ١٤ : ٦٥.

«فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين إبناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً وابن العلى يُدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داوود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية»[1].

٤ ـ وفي الإنجيل المنسوب إلى يوحنا صرّح بأن يهوذا والجنود الرومان والفريسيين عندما أتوا للقبض على يسوع خرج إليهم وقال: من تطلبون؟

فلم يعرفوه!! حتى إنّ يهوذا مسلمه كان معهم ولم يعرفه أحد منهم. فأجابهم بأنه هو يسوع الناصري فرجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض فكرّر عليهم السؤال، من تطلبون؟ قالوا: يسوع الناصري وكررّ الجواب السابق بأنه يسوع الناصري... «وهذا دليل على وقوع الشبه إذ كيف لا يعرفون شخصه وهو الناشىء بين أظهرهم والمربى بين جماعتهم وكانوا أعرف الناس به أولاً ولا سيما الدال عليه معهم ولكن شبه لهم كما أخبر سبحانه في القرآن العظيم ليصونه عمّا أرادوا به من الإهانة والقتل»[2]

«فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح. فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه، وقال لهم من تطلبون. أجابوه يسوع الناصري، وقال لهم يسوع أنا هو. وكان يهوذا مسلمه أيضاً واقفاً معهم. فلمّا قال لهم إني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض. فسألهم أيضاً من تطلبون. فقالوا يسوع الناصري. أجاب يسوع قد قلت لكم إني أنا هو. فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون»[3]

٥ ـ «وفي الإصحاح المذكور في نفس الحكاية أنه حين قال لهم أني أنا هو رجعوا إلى الوراء سقطوا على الأرض أليس في هذا خذلان أعداء الله ووقاية المسيح من أن يمسّوه بسوء فلا يبعد أنهم لما سقطوا مغشياً عليهم إرتفع معززاً أو تنحّي عنهم في تلك الساعة ثم صعد ثم قال الله تعالى في القرآن الكريم ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾[4] فوقع

---

(١) لوقا ١: ٣٠ـ ٣٣.

(٢) عبد الرحمن الباجه جي زادة (الفارق بين المخلوق والخالق)، ص ٢٨٧.

(٣) يوحنا ١٨: ٣ـ ٨.

(٤) سورة النساء، الآية ١٥٨.

منهم ما وقع على الشبه»[1].

٦ ـ وتروي الأناجيل أنه أثناء الصلب، صرخ يسوع بصوت عظيم «قائلاً ألوي ألوي لما شبقتني، الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني»[2] وهذا دليل واضح بأن المصلوب ليس المسيح وإنما المشبّه به وإلاّ فكيف يصرخ محتجاً على أمر الله الآب وهو الذي يعلم أنه إنما نزل وتجسّد ليصلب تنفيذاً لأمره ولتكفير خطيئة البشر الموروثة عن أبيهم، وهذا الصراخ والإحتجاج لا يليق بشخص وصف بالتقي والصلاح، علاوة على أن يصدر من نبي من أنبياء الله أو فيمن يدّعون فيه الألوهية، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

٧ ـ رُوي في الإنجيل المنسوب إلى متى على لسان المسيح عليه السلام قوله:

«حينئذٍ قال لهم يسوع كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فتتبدّد خراف الرعيّة، ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل. فأجاب بطرس وقال له وإن شك فيك الجميع فأنا لا أشكّ أبداً، قال له يسوع الحق أقول لك إنك في هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرني ثلاث مرات»[3].

وهذا دليل على ثبوت شكهم فيه أي في شخصه في تلك الليلة التي تمّ فيها القبض عليه ـ على حد زعمهم ـ وشكّهم ذاك دليل على وقوع الشبه عليهم.

٨ ـ وتصرح الأناجيل بمحاولة اليهود الإعتداء عليه وقتله، عدة مرات، ولكن الله حفظه ونجاه من كيديهم ومن أن تمسه أيديهم الآثمة.

وفيما يلي بعض النصوص التي تدلّ على ذلك:

أ ـ «فقاموا وأخرجوه خارج المدينة، وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنيّة عليه حتى يطرحوه إلى أسفل، أمّا هو فجاز في وسطهم ومضى»[4].

ب ـ «فرفعوا حجارة ليرجموه، أمّا يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى»[5].

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق، ص ٢٨٧.

(٢) مرقس ١٥: ٣٤، متى ٢٧: ٤٦.

(٣) متى ٢٦: ٣١ـ ٣٤.

(٤) لوقا ٤: ٢٩ـ ٣٠.

(٥) يوحنا ٨: ٥٩.

ج ـ «فطلبوا أيضاً أن يمسكوه فخرج من أيديهم ومضى»[١].

٩ ـ وصرّحت الأناجيل ـ أيضاً ـ بأن للمسيح عليه السلام القدرة والإمكانية على تغيير هيئته وتبديل حالته إلى هيئة أخرى تختلف عن الهيئة الاعتيادية والتي اعتاد أصحابه على رؤيتها. وفي هذا دليل على إمكانية وقوع الشبه. «وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنّا أخاه وصعد بهم إلى جبلٍ عالٍ منفردين، وتغيّرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور، وإذا موسى وإيليا قد ظهر لهم يتكلمان معه، فجعل بطرس يقول ليسوع يا رب جيد أن تكون ههنا، فإن شئت نضع هنا ثلاث مظال، لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة، وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيّرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له إسمعوا، ولمّا سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جداً»[٢].

١٠ ـ وبما أن عقيدة الصلب ترتكز أساسا على عقيدة الفداء أي أن المسيح صلب من أجل أن يكون فداء للبشر عن ذنبهم الموروث عن أبيهم، فإذا انتفى القول بالفداء انتفى القول بالصلب بطبيعة الحال، ولأن المسيحيين يقدسون ويؤمنون بالكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث، فإن هناك نصوصا عديدة من العهد القديم تنفي صحة القول بالفداء وسننقل أهم هذه النصوص فيما يلي:

«النفس التي تخطىء هي تموت. الإبن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الإبن، برّ البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون»[٣].

«لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل»[٤].

وقد قرأت قصيدة أعجبتني في هذا الموضوع إذ يتعجّب فيها قائلها من عقائد النصارى الحالية، ويسفه فيها أقوالهم الباطلة في المسيح عليه السلام فودّدت نقلها كخاتمة لهذا المبحث.

---

(١) يوحنا ١٠ : ٣٩.
(٢) متى ١٧ : ١ ـ ٧، مرقس ٩ : ١ ـ ٨، لوقا ٩ : ٢٨ ـ ٣٩.
(٣) حزقيال ١٨ : ٢٠.
(٤) تثنية ٢٤ : ١٦.

«أعباد المسيح لنا سؤال | نريد جوابه ممن وعاه
إذا مات الإله بفعل قوم | أماتوه، فما هذا الإله؟
وهل لرضاه ما نالوه منه | فبشراهم إذا نالوا رضاه؟!
وإن سخط الذي فعلوه فيه | فقوتهم إذاً أوهت قواه
وهل بقي الوجود بلا إله | سميع يستجيب لمن دعاه؟!
وهل خلت الطباق السبع لما | ثوى تحت التراب، وقد علاه؟!
وهل خلت العوالم من إله | يدبرها، وقد شدّت يداه؟!
وكيف تخلّت الأملاك عنه | بنصرهم، وقد سمعوا بكاه؟!
وكيف أطاقت الأخشاب حمل | إله الحق مشدوداً قفاه؟!
وكيف دنا الحديد إليه حتى | يخالطه، ويلحقه أذاه؟!
وكيف تمكّنت أيدي عداه | وطالت حين قد صفعوا قفاه؟!
وهل عاد المسيح إلى حياة | أم المحيى له رب سواه؟!
ويا عجباً لقبر ضم رباً! | وأعجب منه بطن قد حواه!
أقام هناك تسعاً من شهور | لدى الظلماتِ من حيض غذاه
وشق الفرج مولوداً صغيراً | ضعيفاً فاتحاً للثدي فاه
ويأكل، ثم يشرب، ثم يأتي | بلازم ذاك، هل هذا إله؟!
تعالى الله عن إفك النصارى | سيسأل كلهم عما افتراه
فيا عبد المسيح أفق فهذي | بدايته وهذا منتهاه»[(1)]

(١) نقلاً عن: كتاب (منحة القريب المجيب في الردّ على عباد الصليب) للشيخ عبد العزيز آل معمر، ط ٢، ص ١٦٧، ١٦٨. ولم يذكر المصدر الذي قد نقل عنه ولا اسم الشاعر قائل هذه القصيدة.

الخاتمة

وفيما يلي أهم النتائج التي قد توصلنا إليها في دراستنا هذه:

أولاً: احتواء العهد القديم على تلميحات وإشارات للمسيح ولأمه ـ عليهما السلام ـ دون ذكر صريح لهما.

ثانياً: أما التلمود وهو: «سفر يقدّسه اليهود بل ويضعونه في منزلةٍ أسمى من منزلة التوراة في التقديس، ومصدره روايات شفوية يتناقلها الحاخامات جيلاً بعد جيل) فقد تحدث باسهاب مشين عن السيد المسيح عليه السلام، وكان حديثه عنه سباً مقذعاً وتهماً يندى لها الجبين.

وعندما تشير نصوص التلمود إلى المسيح عليه السلام تشير إليه بعبارات ملؤها التحقير والسخرية، وتصفه بأنه مضلل وكاذب ووثني، وبأنه ابن النجار.. إلى ما هنالك من صفات لا يجوز أن تنسب إلى رجل عادي وُصف بالتقى والصلاح فضلاً عن أن تنسب إلى أحد أنبياء الله تعالى المصطفين الأخيار، وقد بحثت حتى وجدت النسخة الأصلية من التلمود مترجمة إلى اللغة الانكليزية، وذلك في المكتبة العامة في نيويورك، وقد عجبت بل دهشت عندما علمت بأن معظم ما ذُكر من أمور مهينة ومشينة عن السيد المسيح عليه السلام قد حُذف في القرون الوسطى وما بعدها، أي حصل بعض التحريف والحذف من سفر التلمود، ويظهر أن ذلك على أثر خوف اليهود من بطش المسيحيين وحكامهم بهم.

ثالثاً: إعتراف اليهود بمواقفهم العدائية من المسيح عليه السلام خلال أسفارهم ومؤلفاتهم ودوائر معارفهم، وذلك منذ ولادته وأثناء بعثته ودعوته، وموقفهم ورأيهم من تعميده ومعجزاته، ومن قصة القبض عليه وصلبه، ثم موقفهم من السيدة مريم أمه عليهما السلام.

رابعاً: المقارنة بين المسيح اليهودي، والمسيح النصراني، لأن اليهود كانوا ولا زالوا ينتظرون مسيحاً يأتي ويخلصهم من الويلات التي أصابتهم خلال تاريخهم الطويل، إتّضح لي أنه قد حصل تحول بالفعل في نظرة اليهود إلى المسيح عليه السلام وعلّلت لذلك أنه بسبب احتياطهم للنصارى وخوفهم منهم ولاستمالة الرأي

العام العالمي، ومعظمه من النصارى، لذلك خففوا من غلوائهم في نظرتهم للمسيح عليه الصلاة والسلام.

خامساً: أسفار النصارى المقدسة أكّدت موقف اليهود العدائي من المسيح عليه السلام ثم يأتي القول الفصل من خلال آيات الذكر الحكيم، لتؤكّد عداء اليهود وسوء مواقفهم من نبي الله عيسى عليه السلام كما هو ديدنهم مع جميع أنبيائهم.

سادساً: كان المسيح عليه السلام محور الحديث في العهد الجديد، تحدث عن حياته، منذ الحبل به وولادته ونشأته ودعوته حتى صلبه ودفنه وقيامته كما يزعمون، وكانت نصوصه عبارة عن روايات تاريخية مشوشة لا تخلو من التناقض والتحريف.

سابعاً: الخلاف الجوهري بين الإسلام والنصرانيّة حول معجزات المسيح عليه السلام فبينما يؤمن المسلمون بأنها بإرادةٍ من الله تعالى وبإذنه قبل كل شيء، يؤمن النصارى بأنها بقدرة المسيح وإرادته وحده، كيف لا وهم يعتقدون بألوهيته وبنوته لله، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

ثامناً: أننا لا نستطيع الحديث عن جميع فرق النصارى الإثنتين والسبعين المذكورة في حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام والذي يذكر فيه افتراق الأمم، لأن معظمها قد باد، ولم تستوعبها المصادر والمراجع التي بين أيدينا، وقد اتّضح لي أن فرق النصارى يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسيين: فرق حافظت على عقيدة التوحيد (الأصلية) في الله سبحانه وتعالى، وأن المسيح عبد الله ورسوله، وفرق جنحت عن هذه العقيدة الأصلية إما بسبب تسرب المعتقدات الوافدة من فلسفات ووثنيات قديمة، وإما بسبب رواسب ديانات ومعتقدات قديمة، وقد ثبّت لي أن ما يجدر ذكره وجود طائفة الموحدين من النصارى في عصرنا الحاضر والتي تُدعى (الموحدون (Unitarians) والتي تؤمن بإله واحد لا شريك له وتنكر ألوهية المسيح وعقيدة التثليث، وهي موجودة الآن في أمريكا الشمالية وبريطانيا وأوربا الوسطى.

تاسعاً: إثبات أهمية ومنزلة الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة من حيث أنهما الميزانان المنصفان الذين يمكن للمسلمين ولغيرهم من المحققين المنصفين أن يزنوا بهما حقيقة كل شيء، وأن القرآن ما سُمي فرقاناً إلاّ لأنه يفرّق بين الحق والباطل.

عاشراً: امتداح القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للمسيح ولأمه عليهما السلام وبيّنا فضلهما، واصطفاء الله تعالى للسيدة مريم والدة المسيح وتفضيلها على نساء العالمين. . قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ

عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[1]

حادي عشر: بيان ما أثبته القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بأن المسيح عليه السلام لا يعدو إلاّ أن يكون عبداً ورسولاً لله تعالى، ومن أولي العزم من الرسل، وبيان نزوله آخر الزمان كشرط من أشراط الساعة. قال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾[2]

ثاني عشر: إظهار مدى بطلان جميع شبه التلمود ودوائر المعارف والمؤلفات اليهودية ضدّ المسيح عليه السلام وأنها شبه قد بنيت على باطل وما بني على باطل فهو باطل، كما أنها ليس لها أساس من عقل أو نقل.

ثالث عشر: إثبات أن عقيدة تأليه المسيح قد فُرضت بقوة السلطان في مجمع نيقيه والذي عُقد عام ٣٢٥م!!، وبيان تأثير المجمع القسطنطيني الأول والذي عُقد في عام ٣٨١م في فرض وإقرار عقيدة التثليث على المسيحيين بالقوة، وفي مجمع نيقيه حيث رُفضت عقيدة آريوس الموحّد وأُحرقت جميع الأسفار التي تقول بالتوحيد، وقرّرت الكتب الأخرى والتي تقول بتأليه المسيح!!

رابع عشر: بولس (شاؤول اليهود) ودوره الكبير في تحريف المسيحية الأصليّة كما ثبت أنّ هدفه تقويض المسيحية من الداخل بتحريفها والابتداع فيها بعد أن فشل في هدمها ومحوها من الخارج كعدو ومُعذّب ومضّطهد، كما ثبت إدخاله لمعظم العقائد المنحرفة ضمن عقائد النصارى الحالية.

خامس عشر: بطلان دعوى كيفية وجود المسيح عليه السلام ومعجزاته دليلاً على ألوهيته وبنوته لله تعالى، كما ثبت أن خلق المسيح عليه السلام من أم دون الأب لا توصله إلى درجة الألوهية، ولا إلى البنوة لله تعالى، وإلاّ لكان آدم عليه السلام أحق بهذه الدعوى وهو أبو البشر جميعاً، وقد خُلق من غير أب ولا أم.

أما من يدّعي ألوهيته المسيح أو بنوته لله تعالى باتخاذ معجزاته دليلاً على هذه المزاعم، فقد ثبت أن لجميع رسل الله تعالى وأنبيائه معجزات اختصوا بها منها ما هي أعظم وأشهر من معجزات المسيح عليه السلام ومع ذلك لم يزعم أحد ـ حسب علمنا ـ بألوهيتهم.

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٤٢، ٤٣.

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٥.

سادس عشر: بيان أن العقل والفطرة السليمان ينفيان تماماً البنوة لله تعالى، إذ أن الخالق غير المخلوق، والفارق جد كبير بينهما، كما أن القول بوجود إلهين أو أكثر يؤدي إلى متاهات عقليّة حالكة الظلام، والإنسان العاقل بغنيٍّ عنها، وقد ردّ فطاحل الأئمة والعلماء بأدلّة عقلية وفلسفية كشيخ الإسلام ابن تيميّة، والعلامة عبد الرحمن الباجه جي زادة، والشيخ رحمة الله العثماني وغيرهم كثير.

سابع عشر: بطلان تأليه السيدة مريم والدة المسيح عليهما السلام وأن من الفرق المؤلّهة لأم المسيح عليها السلام فرقة البرابرانيّة، ثم أثبتُ أن النصارى اقتبسوا هذه العقيدة من الوثنيات والفلسفات القديمة كالفراعنة وأهالي بابل وآشور.

ثامن عشر: بطلان محاولة المسيحيين الاستدلال بالتوراة على عقيدة التثليث المحرفة، هذا مع أن التوراة تصرح في كثير من المواضع منها بنصوص التوحيد المطلق لله تعالى، أما النصوص التي يستدلّ بها النصارى على التثليث فلا تدل مطلقاً على هذه العقيدة، لذلك يلجأ المسيحيون إلى القول بأن التثليث ظهر ضمناً في التوراة ثم صُرح به في الإنجيل، وقد استعنت بملخّص لأهم ردود كبار العلماء مثل شيخ الإسلام ابن تيميّة، والإمام القرطبي، والإمام رحمة الله العثماني رحمهم الله تعالى رحمة واسعة.

تاسع عشر: اقتباس النصارى (عقيدة التثليث) من أقوام قد سبقوهم إليها، وقد ثبّت لي أن عقيدة التثليث ليست بدعاً في المسيحية، ولم يكن المسيحيون هم أول من قال بالتثليث، بل إن التثليث أو عبادة ثلاثة آلهة قد اعتقد به أو اعتنقه الكثير من الوثنيين في عصور ومن شعوب وبيئات مختلفة كالهنود والصينيين والفراعنة وغيرهم، وقد سبق الوثنيون المسيحيين لهذه العقيدة بآلاف السنين، فالسابق استاذ للاحق والعكس غير صحيح.

العشرون: إثبات أن التثليث يؤدي إلى التعدّد أو هو التعدد بذاته، وتعدّد الآلهة هو الشرك بعينه، وقد وصف الله تعالى الشرك بأنه ظلم عظيم: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[1]

وإذا كان الظلم ممقوت ومحرّم في حق المخلوقين فمن باب أولى أن يكون أعظم مقتاً وأعظم تحريماً في حق الخالق الواحد سبحانه وتعالى عمّا يشركون.

---

(١) سورة لقمان، الآية ١٣.

الحادي والعشرون: إثبات بطلان استدلال النصارى بنصوص على عقيدة (الحلول والاتحاد) وبيان إن هذه النصوص إن صحّ نقلها ولفظها فإن معانيها بعيدة كل البعد عن إثبات هذه العقيدة والتي يحاول النصارى باستماتة أن يثبوتها لكي يثبتوا ما يعتقدون من حلول الإله أو الجزء الإلهي في المسيح عليه السلام، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

الثاني والعشرون: ثبوت اقتباس النصارى عقيدة (الحلول والاتحاد) من الوثنيات والفلسفات القديمة، حيث تأكّد لي أنه وكبقية عقائد النصارى المزيّفة فإن (عقيدة الحلول والاتحاد) قد اقتبست من الوثنيات والفلسفات القديمة، حتى أنّ الديانة البرهمية وهي ترجع في قدمها إلى ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد تقول بهذه العقيدة، وكذلك اعتقاد البوذيون في بوذا، واعتقاد الهنود الوثنيين في كرشنه، واعتقاد الفرس الوثنيين في زرادشت من حيث إيمانهم بأن الإله قد حلّ واتّحد فيهم مشابه تماماً لاعتقاد النصارى في المسيح عليه السلام وبما أن هؤلاء الوثنيين هم السباقون لهذه العقيدة بما يربو على مئات أو آلاف السنين[1] فإنه ممّا لا شكّ فيه أنهم اساتذة للنصارى في اعتناقها والقول بها، وكما ذكرنا فالسابق استاذ للاحق.

الثالث والعشرون: بيان أن الإيمان بعقيدة (الحلول والاتحاد) يوجب أموراً يستحيل على العقل تصورها، حيث أن الإيمان بها يقتضي القول بأن يحل واجب الوجود في ممكن الوجود، وهذا مُحال عقلاً، كما يستلزم الإيمان بهذه العقيدة التجزىء والانقسام لواجب الوجود وهو محال عقلاً أيضاً.

الرابع والعشرون: إثبات تناقض الأناجيل الأربعة في رواياتها لحادثة الصلب والفداء، وهذا دليل على عدم صدقها وصحتها، وقد نقلت عدة نصوص من الأناجيل والتي تروي حادث الصلب ثم أثبت مدى تناقضها وتضاربها وبعدها عن الحقيقة والمصداقيّة، وبذلك يثبت عدم صحتها وعدم حجية الاستدلال بها أي أنها ليست وحياً من الله تعالى.

الخامس والعشرون: مسؤولية بولس (شاؤول اليهودي) في ادخال عقيدة الصلب والفداء ضمن عقائد النصارى، وقد تأكّد لي إجماع المراجع الموثوق بها على خطورة دور بولس في ادخال العقائد المحرفة والوثنية ضمن عقائد النصارى،

---

(١) أي أن بعض هذه الديانات الوثنية سبقت النصرانية بآلاف السنين كالبرهمية، وبعضها سبقها بمئات السنين كالزرادشتية.

ثم نقلت نصوصاً من رسائله التي كتبها والتي يحتويها العهد الجديد تصرّح بمسؤوليته في ادخال هذه العقيدة ضمن عقائد النصارى الحالية.

السادس والعشرون: اقتباس النصارى لعقيدة الصلب والفداء ـ أيضاً ـ من الوثنيات والفلسفات القديمة، وقد أثبتُ ما أكّده مؤرخي وعلماء مقارنات الأديان عن مدى التشابه الكبير بين العقائد الوثنية وعقائد النصارى الحالية، وقد أوضح الأستاذ محمد طاهر التنير في كتابه القيّم (العقائد الوثنيّة في الديانة النصرانيّة) عدة مقابلات دقيقة تبيّن عقائد الوثنيين وما يقابلها أو ما يشابهها من عقائد النصارى الحالية!!.

السابع والعشرون: إنّ عقيدة الصلب والفداء تناقض العقل والمنطق والفطرة السليمة كما هو حاصل لجميع عقائد النصارى الحالية، كما أن هذه العقيدة أصلاً لا تستحق المناقشة لأنّ فسادها بيّن والعقل والفطرة السليمان يرفضانها.

الثامن والعشرون: بطلان عقيدة الصلب والفداء نقلاً من القرآن الكريم، ومن إنجيل برنابا، ومن الكتاب المقدس.. وذلك على فرض صحته جدلاً. إذ أن هناك نصوصاً كثيرة تشير بل تدلّ على عدم صلبه ونجاته من أيدي المتآمرين عليه، وقد أعمى الله بصيرة وبصائر المحرفين الذين دأبوا على طمس الحقائق وتزوير الدلائل.

التاسع والعشرون: إنّ الأساس الذي بنيت عليه عقيدة الصلب وهي خطيئة آدم عليه السلام الموروثة منه إلى أبنائه عقيدة باطلة من أساسها لأن آدم عليه السلام عندما عصا ربه بالأكل من الشجرة المحرمة استغفر الله تعالى وتاب وأناب إليه، وقد قبل الله تعالى توبته، وهذا ما صرّح به القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾[1].

وبعد ظهور هذه الحقائق متجليّةً ساطعةً يوماً بعد يوم، ألم يأن للذين أشركوا أن تخشع قلوبهم لهدى الإسلام وما أتى به من الحق؟ إنهم إن فعلوا ذلك فقد سعدوا سعادة الدارين في الدنيا الطمأنينة ورضى الطمأنينة ورضى الله تعالى وفي الآخرة: النعيم المقيم.

وكذلك فإنهم ان اعتنقوا الإسلام فلن يكفروا بالمسيح عليه السلام بل إنهم سيؤمنون به حق الإيمان، ويقدرونه قدره الذي منحه الله إياه كنبي معصوم مؤيّد بالمعجزات.

فعليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٣٧.

مراجع الرسالة

أولاً: المراجع الإسلامية.

ثانياً: المعاجم ودوائر المعارف.

ثالثاً: المراجع المسيحية.

رابعاً: المراجع اليهودية.

مراجع الرسالة

فيما يلي مراجع هذه الرسالة مرتبة حسب الأحرف الهجائية لاسم المؤلف الذي اشتهر به، والمراجع المذكورة هنا وردت في ذيل صفحات هذه الرسالة، أمّا المراجع الأخرى والتي أسهمت بطريق غير مباشر فلم تذكر في هذه القائمة.

أولاً: المراجع الإسلامية

١ ـ القرآن الكريم

أ ـ كتب السُّنة:

٢ ـ فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري لابن حجر العسقلاني. تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز. ط دار المعرفة.

٣ ـ صحيح مسلم بشرح النووي، ط ٣ دار الفكر.

٤ ـ سنن أبي داوود. إعداد وتعليق عزّت الدعاس وعادل السيد، ط ١.

٥ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط ٥، المكتب الإسلامي.

٦ ـ صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي، ط دار الكتاب العربي.

٧ ـ سنن الدرامي، ط دار الكتب العلميّة.

٨ ـ سنن ابن ماجه، تحقيق محمد الأعظمي، ط ٢.

ب ـ كتب التفسير:

٩ ـ الإمام الألوسي، روح المعاني، ط دار احياء التراث.

١٠ ـ الفخر الرازي، التفسير الكبير، ط ٢ طهران.

١١ ـ تفسير الخازن، ط دار المعرفة.

١٢ ـ الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط ٢، دار احياء التراث العربي.

١٣ ـ الإمام الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ط ١٤٠٧هـ ـ.

١٤ ـ الإمام ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط دار المعرفة.

١٥ ـ الزمخشري، الكشاف، ط دار المعرفة.
١٦ ـ تفسير أبي السعود، ط دار احياء التراث.
١٧ ـ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ط دار المعرفة، ط ٢.

ج ـ المراجع العامة:

١٨ ـ د .أحمد شلبي، المسيحية، ط ٦.
١٩ ـ د .أحمد شلبي، اليهودية، ط ٥.
٢٠ ـ د .أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، ط ٤.
٢١ ـ ابن تيميّة، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ط مطابع المجد.
٢٢ ـ ابن تيميّة، مجموع الفتاوى، ط الرباط.
٢٣ ـ آدم عبد الله الألوي، تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم.
٢٤ ـ ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، تحقيق د/محمد نصر، د/عبد الرحمن عميره، ط ١.
٢٥ ـ أبي عبيدة الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، تحقيق محمد شامة.
٢٦ ـ إبراهيم الجبهان، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير، ط ٢.
٢٧ ـ ابن كثير، البداية والنهاية، ط ٢.
٢٨ ـ أحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ط ١
٢٩ ـ أحمد عبد الوهاب، إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة، ط ١.
٣٠ ـ أبي محمد عبد الله الترجمان الميورقي، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، دراسة وتحقيق عمر وفيق الداعوق، ط عام ١٤٠٨هـ.
٣١ ـ الإمام الآمدي، أبكار الأفكار في أصول الدين، تحقيق د/أحمد المهدي، رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر.
٣٢ ـ أحمد ديدات، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، الناشر: دار الفضيلة، عام ١٤٠٩هـ.
٣٣ ـ د .أحمد حجازي السقا، أقانيم النصارى، ط دار الأنصار، القاهرة.
٣٤ ـ الإمام الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد كيلاني، ط دار المعرفة.
٣٥ ـ الإمام أبي حامد الغزالي، الردّ الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل،

تحقيق: د/ محمد الشرقاوي، ط ١.
٣٦ ـ إمام الحرمين الجويني، الشامل في أصول الدين.
٣٧ ـ أنور الجندي، المؤامرة على الإسلام، ط ٢.
٣٨ ـ حسن عز الدين الجمل، إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، ط ١.
٣٩ ـ ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ط ٢، سنة ١٩٧٢م، الناشر: دار النفائس.
٤٠ ـ الشيخ رحمة الله العثماني، اظهار الحق، ط قطر.
٤١ ـ د/ رؤوف شلبي، يا أهل الكتاب، ط ١.
٤٢ ـ التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، رسالة ماجستير للباحثة.
٤٣ ـ الإمام الشهرستاني، الملل والنحل، تقديم وإعداد عبد اللطيف محمد العبد، ط ١.
٤٤ ـ التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق: سهيل ديب، ط ٢.
٤٥ ـ علي عبد الواحد وافي الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ط ٣.
٤٦ ـ د/ عوض الله حجازي، المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، ط ٤.
٤٧ ـ العلامة عبد الرحمن الباجة جي زادة، الفارق بين المخلوق والخالق، تصحيح ومراجعة عبد المنعم فرج درويش، ط عام ١٤٠٧هـ.
٤٨ ـ عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ط ٣.
٤٩ ـ عبد العزيز آل معمر، منحة القريب المجيب في الردّ على عباد الصليب، ط ٢.
٥٠ ـ عبد الرحمن الميداني، ضوابط المعرفة، ط ١.
٥١ ـ عبد الصمد شرف الدين، حول اسطورة تجسّد الإله، ط جامعة الملك عبد العزيز.
٥٢ ـ موسوعة عباس محمود العقاد، توحيد وأنبياء، المجلّد الأول، ط ١.
٥٣ ـ عبد المنعم الحنفي، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ط دار الأنصار.
٥٤ ـ محمد فؤاد الهاشمي، الأديان في كفة الميزان.
٥٥ ـ الإمام محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ط دار الفكر العربي.
٥٦ ـ محمد علي زهران، إنجيل يوحنا تاريخاً وموضوعاً، رسالة دكتوراه.

٥٧ ـ منصور حسين عبد العزيز، دعوة الحق، ط دار الاعتصام.
٥٨ ـ محمد عزّت الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ط دار الأنصار.
٥٩ ـ محمد طاهر التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانيّة، تحقيق/ محمد بن إبراهيم الشيباني، ط ١، الكويت.
٦٠ ـ د/ محمود كريت، إنجيل برنابا بين الإسلام والنصرانية، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر.
٦١ ـ محمد مجدي مرجان، الله واحد أم ثالوث.
٦٢ ـ الإمام محمد أبو زهرة، مقارنات الأديان والديانات القديمة، ط دار الفكر.
٦٣ ـ محمد صبري، التلمود شريعة بني إسرائيل حقائق ووقائع.
٦٤ ـ محمد الصابوني، النبوة والأنبياء، ط ٢.
٦٥ ـ محمد السفاريني، المسيح الدجال وأسرار الساعة.
٦٦ ـ الإمام القرطبي، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، تحقيق د . السقا.
٦٧ ـ الإمام القرافي، الأجوبة الفاخرة، ط ١.
٦٨ ـ لولو جفري، مريم في الكتاب والسنة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

ثانياً: المعاجم ودوائر المعارف

٦٩ ـ ابن منظور، لسان العرب.
٧٠ ـ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط دار الفكر.
٧١ ـ الإمام الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس.
٧٢ ـ المعلم بطرس البستاني، دائرة المعارف، ط دار المعرفة.
٧٣ ـ التعريفات للجرجاني.
٧٤ ـ منجد الطلاب.
٧٥ ـ محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ط ٣.
٧٦ ـ الموسوعة البريطانية.
٧٧ ـ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط دار الفكر.

ثالثاً: المراجع المسيحية

٧٨ ـ الكتاب المقدس، العهد القديم، العهد الجديد.

٧٩ ـ فهرس الكتاب المقدس، د/ جورج بوست.

٨٠ ـ قاموس الكتاب المقدس، لنخبة من ذوي الاختصاص، ط ٦.

٨١ ـ تفسير إنجيل متى، لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس.

٨٢ ـ تفسير إنجيل لوقا، جمع وتقديم هلال أمين موسى.

٨٣ ـ السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، لمجموعة من اللاهوتيين، ط بيروت عام، ١٩٧٣ صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى.

٨٤ ـ تفسير إنجيل يوحنا، جمع وتقديم هلال موسى.

٨٥ ـ إنجيل برنابا، ترجمة د/ خليل سعادة، الناشر، السيد محمد رشيد رضا، منشيء مجلة المنار.

٨٦ ـ الأب أي بي براناتيس، فضح التلمود إعداد/ زهدي الفاتح، ط ٣ عام ١٤٠٥هـ ـ، الناشر: دار النفائس.

٨٧ ـ البابا بولس السادس: إكرام مريم، ترجمة د/ بطرس كساب.

٨٨ ـ جاد المنفلوطي، تاريخ المسيحية في العصور الوسطى، ط دار الجيل.

٨٩ ـ جورج فورد، سيرة المسيح.

٩٠ ـ The Merk Manual تأليف: نخبة من الأطباء العالميين، ط ١٣.

٩١ ـ جوشر مكدويل، برهان يتطلب قراراً.

٩٢ ـ حبيب سعيد، فجر المسيحية..

٩٣ ـ القس صوئيل مشرقي، الظهور الإلهي، ط سنة ١٩٦١م.

٩٤ ـ نصري سهلب، في خطى المسيح، ط ٢.

٩٥ ـ د/ وليم إدي، الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، ط بيروت عام ١٩٧٣م، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى.

٩٦ ـ ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ط ٣.

٩٧ ـ وليم باركلي، تفسير العهد الجديد، الرسائل إلى فيلبي وكولوسي وتسالونيكي، ترجمة القس جرجس هابي، ط ٢.

٩٨ ـ وليم باركلي، تفسير العهد الجديد، إنجيل مرقس، ط دار الجيل.

٩٩ - يوسف حلمي المصري، مريم في الإنجيل والقرآن، ط دار الهلال للطباعة.
١٠٠ - مجلة The Jerusalem Quarterly العدد ١٩٨٢، 24 Summer.

رابعاً: المراجع اليهودية

١٠١ - بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة محمد خليفة التونسي، ط ٥.
١٠٢ - الكنز المرصود من قواعد التلمود، وهو عبارة عن كتابين فرنسيين أحدهما: اليهودي على حساب التلمود، تأليف د/ روهلنج. والآخر: تاريخ سورية لسنة ١٨٤٠م، تأليف د/ لوزان ترجمة: يوسف حنا نصر الله، ط ٢.
١٠٣ - ابن كمونة اليهودي، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، اليهودية والمسيحية، والإسلام، ط دار الأنصار.
١٠٤ - مجموعة مقالات باللغة العبرية للبروفيسور يوسف كلورند، استاذ بالجامعة العبرية، الناشر، مكتبة العلوم بالقدس عام ١٩٥٥م، والمقالات بعنوان: اليهودية والإنسانية.
١٠٥ - التلمود البابلي، Sedernezikin جزء سان هيدن San Hedin المترجمة للإنجليزية مع التعليق الربى د/ ابشاتين Jepstein.
١٠٦ - Adinsteinsaltz, The essential Talmud ترجمه من العبرية إلى الإنجليزية Chayagalai ط ١٩٧٦، الناشر: Published by: Ibasic Books, Inc. New York.
١٠٧ - Joseph klausner: Jesus de Nazareth نقله من العبريه إلى الفرنسية M. R. La Vilie طبع سنة ١٩٣٣م.
١٠٨ - Religion and Ethics, 1940.
١٠٩ - Jewish Encyclopedia, Published by: Funck and Wagnalls Company.
١١٠ - James Hastings: Encyclopaedia of Religion and Ethics. 1940.
١١١ - Graetz, Whose, History of the Jews, Geschder Judened 1863, Vol. III, p.p. 222-252.
١١٢ - هرفورد T. Herford، المسيحية في التلمود.

فهرس المحتويات

الباب الأول
المسيح وأمه عليهما السلام بأسفار اليهود

الباب الثاني

المسيح عليه السلام عند المسيحيين

الباب الثالث

المسيح وأمه عليهما السلام في الكتاب والسنة

الباب الرابع

إبطال شبهات اليهود والنصارى حول المسيح عليه السلام